ܝܪܬܘܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ

SYRIAC PATRIMONY

التراث السرياني

ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ
ܠܡܪܝ ܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ

تاريخ
مار ميخائيل السرياني الكبير
بطريرك أنطاكية

الجزء الثاني

عرّبه عن السريانية
مار غريغوريوس صليبا شمعون
رئيس أساقفة الموصل وتوابعها

أعدّه وقدّم له:
مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم
متروبوليت حلب

دار ماردين

١٩٩٦

ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ
ܠܡܪܝ ܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ

تاريخ
مار ميخائيل السرياني الكبير
بطريرك أنطاكية

الجزء الثاني

المقال التاسع

بعد الاتكال على الرب الذي تسبحه طغمات الملائكة التسع، أبدأ بالمقال التاسع الذي يبدأ من السنة ٧٠ للتعداد، وهي سنة ٥٩٦٥ لآدم وسنة ٤٥٥ ميلادية.

الفصل الاول

في بدء ملك لاون

عندما أمر الملك قريسطغما بطرد القديس طيمثاوس من الاسكندرية، ثار الشعب مبدين استعدادهم لأسوأ الاحتمالات في سبيل ان لا يخسروا رئيس الكهنة. أما القديس فقد اتفق مع سطيلوس اسطرطيغا على ان يختفيا في بيت المعمودية في الكنيسة الكبرى. **أولا:** من أجل نجاتهم. **ثانيا:** كي لا يكوْنوا سببا في حصول مذبحة، فاختبأ القديس طيمثاوس في الجرن. غير ان جماعة فرطور لم يحترموا كهنوت هذا الرجل وفضائله ولا المكان الذي التجأ اليه. فلما اكتشف الامر، سقط على اثره ربوات القتلى. وبعد حوار طويل، غادر القديس مع جند رومان الى فلسطين عن طريق بحر فينيقية، في حين كان الروم يفتكون بالاسكندريين بلا رحمة. وفي المنفى كتب القديس طيمثاوس ضد تعاليم الهراطقة.

البطريرك طيمثاوس الاسكندري:

لقد ظل القديس طيمثاوس في المنفى طيلة فترة حكم لاون الكبير، ومن هناك وجه احتجاجاً شديد اللهجة الى مجمع خلقيدونية وطومس لاون، فحنق عليه النساطرة كثيرا، لاسيما لإرساله رسائل وشهادات الآباء الى سائر الجهات والفئات وجذبه الكثيرين الى معرفة الحق. الذين انفصلوا عن جنديس القسطنطيني واتفقوا مع القس آقاق. وقيل ان توما الذي اتفق مع الكاتب طيموديلطس وخاصم النساطرة، وضع عدة معانيث، كان الشعب ينشدها لدى اجتماعاتهم في القاعة، فازداد عددهم نتيجة لذلك.. لقد أمر الملك لاون بان ينادى بالعذراء مريم والدة الله ويكتب اسمها في سفر الحياة، وذلك ضد مرطور الانطاكي النسطوري النزعة، الذي بسببه استدعي غريغوريوس النوسي الورع الذي عرف بغريغوريوس المنطقي، لكي يفحم آراء نسطور.

بعد ان توفي جنديس وخلفه آقاق، زار بعض الرهبان الملك فوعد بإلغاء الطومس والمجمع وكل الاضافات.. أما طيمثاوس فلم تقتصر كتاباته ضد نسطور عندما كان في المنفى، بل شملت الاوطاخيين ايضا، ويتضح هذا مما كتبه الى الاسكندرية وفلسطين عن الذين يأخذون بآراء اوطيخا ولا يعترفون بطبيعة المسيح البشرية، في الوقت الذي هو مساو للآب في اللاهوت.. كان اشعيا اسقف ارمفليس والقس ثاوفيلس اوطاخيين، وكانا يتجولان في العاصمة حباً بالمال، ويشيعان عن القديس طيمثاوس بانه من أشياعهم، وهذا ما دعاه الى ان يكتب رسالة بتوقيعه ضد نسطور واوطيخا، فأهين حاملوها الى درجة العذاب، حيث اتهمهم جماعة اشعيا بانهم مضلون. اما هو فأرسل رسالة ثانية مفعمة بشهادات الآباء.

رسالة طيمثاوس:

لما أشرق ربنا والهنا يسوع المسيح ليخلصنا من ربقة الشيطان ويؤهلنا الى ملكوت السماء، وضع لنا شريعة عبر الآباء القديسين الذين حسنوا لديه كيما لا يسخر أحد برحمته في الوقت الذي يعتقد بانه يجلّه، بل يتقبل تدبيره المتواضع من اجل خلاصنا، فقد قال "لا تمل يمنة او يسرى، بل سر في طريق الملكوت". وقال ايضا "لا تكن بارا عند ذاتك وتعتقد انك تلقى أكثر مما انت لئلا تزل، ولا تكن قاسيا لئلا تموت قبل الاوان". وهذا يعني الحذر من ان يبعدك الشرير عن وصاياه، او يعرقل طريقك اي الملكوت فيهلك لانه يقول "في مسلكي طمروا لي فخا". اذن، تأمل ذاتك لئلا تنحرف عن طريق الملكوت فتداس. ومعنى هذا، انك لو نفذت إرداة الشرير، ستلقى شرا جسيما وتغدو عرضة للمخاطر مثل الذي يريد ان يدخل مشيا الى مدينة محاطة بالمياه، فاذا حاول، غرق وهلك، وان ساوره الخوف او حاول إيجاد معبر ملائم فسوف لن يدخل المدينة. وهذا هو شأننا نحن الذين نسعى الى دخول اورشليم السماوية ان لم نتقيد بالشريعة المقدسة التي علمنا إياها الآباء القديسون. لن نستطيع ان نثبت على الصخرة غير المتزعزعة اي الايمان الحق "انت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأمخال الهاوية لن تقوى عليها". ان من يسمح للشيطان ان يمسه بسوء، ومن لا يتمسك بحقيقة الايمان لا يعتبر بارا، ظنا منه .... يهين لاسيما وانه لا يقبل شريعة الرب التي جاءتنا عبر القديسين، فانه سوف ينتهي الى فوهة الهاوية وأعماق الموت.

نحن نعرف اننا لا نستطيع ان نحسن بعين الرب من دون الايمان. أقول هذا لأني سمعت ان بعضهم يتخاصمون ولا يخضعون لشريعة الرب التي أعطيت لنا بواسطة القديسين. لقد غدا الرب مساويا لنا في الطبع اذ اتخذ منا جسدا بتأنسه. ومن لا يعترف بهذا يجب ان يحرم. فليحذر اذن أحد من ان يستهين بالرحمة على اعتبار انه يكرم الله، بعدم أخذه بتعاليم آبائنا القديسين الذين قالوا عن الرب يسوع المسيح، انه مساو

لطبعنا في الجسد، وهو واحد مع جسده. يقول الرسول الالهي معلّماً: "فإذ قد تشارك الاولاد في اللحم والدم اشترك هو ايضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت اي ابليس، ويعتق اولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية، لانه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم، أمينا في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب، لانه في ما هو قد تألم مجربا يقدر ان يعين المجربين" (عب ٢: ١٤)، فعبارة "يشبهنا في كل شيء"، هي درس للذين يودون ان يخلصوا فيستحقوا ملكوت السماء، لكي يعترفوا بتجسد الرب يسوع المسيح من العذراء مريم القديسة والدة الله الذي صار مساويا لها ولنا في الطبيعة وهو مساو للآب في اللاهوت.

لقد حرم آباؤنا، ونحن ايضا اقتداء بهم، نحرم الذين لا يأخذون برأيهم، وفي رسالتنا السابقة أوردنا شهادتهم عن صحة تعليم اثناسيوس، وهذا أمر معروف. قال الرسول: "فانه لا يستطيع أحد ان يضع أساسا آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح.." فلينظر كل واحد ما يبني، اذ يستوجب ان يكون مثل هذا الاساس، راسخا وشبيها بما سيُبنى عليه. أما كلمة الله، فلكونه كلمة ووحيدا، ليس له من البنين من يشبهه في اللاهوت، وبما انه صار انسانا وشبيها بطبعنا واتخذ جسدنا فقد أشركنا نحن بطبيعته. اذن فهو أساس بما هو للناسوت، لكي نتمكن نحن ان نكون حجارة كريمة تُبنى عليه، وهياكل الروح القدس، فهو يمثل الاساس ونحن نمثل الحجارة التي تُبنى عليه، وهو الكرمة ونحن الاغصان التي منها وفيها، ليس من حيث طبيعة اللاهوت، لان هذا مستحيل، بل من حيث الناسوت. فيجب ان تكون الاغصان شبيهة بالكرمة، لاننا نحن ايضا نشبهه بالجسد الذي اتخذه منا.. نؤمن بانه ابن الله. الله بالروح وانسان بالجسد، وليس للابن طبيعتان، يُسجد لإحداهما ولأخرى لا يسجد، بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد الذي يسجد مع جسده.

من رسالة اثناسيوس الى أفيقطيطس:

يتردد البعض او يخجلون ان يقولوا: ان جسد الرب هو من العذراء، اعتقادا منهم باننا نجعل الثالوث رابوعا. اما اذا قلنا ان الجسد هو تابع للكلمة فان الثالوث يبقى ثالوثا ولئن أضيفت اليه طبيعة ما غريبة. واذا قلنا عن جسده انه بشري، استوجب ان يكون رابوعا بدلا من ثالوث بسبب إضافة الجسد، لان الجسد غريب عن الطبيعة الالهية. وبقولهم هذا يكونون قد ناقضوا أنفسهم وسقطوا. واذا قالوا ان جسد الرب ليس من مريم انما هو مساو لطبيعة الكلمة، وهو متميز، يكونون قد قالوا بالرابوع، كقولنا، ان الابن مساو للآب بالطبيعة وليس أبا، بل هو ابن بالنسبة الى الاقنوم ومساو للآب في الطبيعة، كذلك اذا كان الجسد طبيعة الكلمة فهو ليس الكلمة بالذات، واذا كان شيئا آخر كما يقولون فقد أصبح الثالوث رابوعا. ان الثالوث الحق والكامل وغير المنقسم لا يتحمل زيادة، وإلا فكيف يكونون مسيحيين، وهم يعتقدون بشيء آخر ليس آلها؟. ان جسد المخلص الذي من مريم هو جسد بشري حقيقي بطبعه، وهو مشابه لجسدنا، لان مريم هي اختنا، وهي من أبينا آدم كما نحن.

من رسالة يوليوس اسقف رومية:

ان الطبيعة الالهية لا تقبل اي تغيير، فهي لا تصغر ولا تكبر، وعندما يقول "مجدني" يكوّن الصوت صادرا عن الجسد ولأجل الجسد. أما المجد فيشمله بكليته، لانه واحد بكليته. وان قوله "المجد الذي كان لي عندك قبل إنشاء العالم" يشير الى لاهوته الممجّد دائما، وهذا جدير به، وكل ما يقال عنه يشمله كله، كذلك بالنسبة الى الروح، فهو مساو لطبيعة الآب الذي لا يُرى، لان الجسد اتحد به طبيعيا، لذا يشترك معه بالتسمية، كذلك يشترك لاهوته بالاسم لانه اتحد بطبعنا دون ان تتغير طبيعة الجسد الى طبيعة اللاهوت في الاتحاد. او بالاشتراك باسم الطبيعة، كما لم تتغير

طبيعة اللاهوت بالاشتراك مع الجسد البشري، ويوصف الجسد بانه من طبيعتنا.

من رسالة له الى ديونيسيوس:

ان الذين يقولون ان الله السماوي تجسد من البتول وهو واحد مع جسده، عبثا يحاولون إثارة الخصوم الذين يقولون، كما سمعت، بتعدد الطبيعة، في الوقت الذي يعلن يوحنا ان الرب واحد بقوله: "والكلمة صار جسدا" ويقول بولس: "ان الرب يسوع المسيح واحد.. الذي به صار كل شيء". فاذا كان يسوع الذي ولد من العذراء هو نفسه الذي به صار كل شيء، فالطبيعة اذن واحدة، لان الاقنوم واحد لا ينقسم الى اثنين، اذ ليست طبيعة الجسد منه واليه، كذلك الطبيعة الالهية هي متميزة بالتجسد، ولكن مثلما ان الانسان هو طبيعة واحدة من الجسد والنفس، كذلك يسوع المسيح الذي اتخذ شبه انسان هو واحد.

من رسالة غريغوريوس العجائبي:

- من يقول ان المسيح ظهر بالخيال في العالم ولا يعترف بانه جاء بالجسد كما كتب، ليكن محروما.
- من يقول ان جسد المسيح خلا من النفس والعقل، ولا يعترف بانه كامل كما كتب، ليكن محروما.
- من يقول ان المسيح أخذ جزءا من الانسان، ولا يعترف بانه صار مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة. ليكن محروما.
- من يقول ان المسيح متغير، ولا يعترف بانه غير متغير بالروح، ولم يلحق فساد بجسده، كما كتب، ليكن محروما.
- من يقول ان المسيح كان انسانا كاملا لكن منفصلا، ولا يعترف بوحدة الرب يسوع المسيح، ليكن محروما.

- من يقول ان الواحد متألم والآخر غير متألم، ولا يعترف بان الله غير المتألم تألم بالجسد كما كتب، ليكن محروما.
- من يقول ان ابن الله هو قبل الدهور، وآخر هو الذي جاء في آخر الأزمان، ولا يعترف بان الذي كان قبل الدهور، هو نفسه الذي جاء في آخر الزمان كما كتب، وان المسيح هو هو بالأمس واليوم. ليكن محروما.
- من يقول ان المسيح هو من زرع رجل كسائر الناس، ولا يعترف بانه تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وانه تسلسل من نسل آل داود كما كتب، ليكن محروما.
- من يقول ان جسد المسيح هو مساو للاهوته، ولا يعترف به بكونه الكلمة الذي قبل الدهور، وانه أخلى نفسه آخذا صورة عبد كما كتب. ليكن محروما.
- من يقول ان جسد المسيح ليس مخلوقا، ولا يعترف بان كلمة الله غير مخلوق، وانه تأنس من الخليقة البشرية كما كتب، ليكن محروما.

فكيف يقال عن الجسد انه غير مخلوق، وهو من دون الابن لا يحتمل او يتألم او يُلمس. فالمسيح أظهر لتلاميذه بعد قيامته مكان المسامير والرمح، ولمس الجسد، لاسيما وقد دخل والابواب مغلقة، بقصد إظهار قوة لاهوته وحقيقة جسده، فلا يجوز ان يقال عن الجسد بعد فترة، انه مساو للاهوت. فالمساوي في الطبيعة هو: ما كان دون تغيير بالطبيعة والخصائص، وهو الله الذي بلا تغيير، غير الجسدي الذي ظهر بالجسد، كامل باللاهوت الكامل، ليس اقنومين ولا طبيعتين، ونحن لا نسجد لأربعة اي لله وابن الله والانسان والروح القدس، لكننا نحرم الذين يضعون خلاصنا هذا الموضع، فانه أخذ صورتنا وجاء بصورة ابن الله المساوي الحقيقي بالطبع، وفي الجسد، الانسان يسوع المسيح.

من رسالة باسيليوس القيصري:

ان المخلوق لا يكون من طبيعة خالقه، أما المولود فهو من جوهر والده، فلا يكون اذن الخالق والمولود واحدا. أما طبيعة الوالد فتوجد في المولود الذي ولد بالزواج مهما كان المولود متأخرا وغريبا عن آدم الذي لم يولد انما جبل. ثم ان الذين يختلفون في الخلقة، يختلفون في الجوهر. فالناس اذن لا يشبهون بعضهم البعض في الطبع. فان خلقة آدم الذي جبل من التراب، شيء، وخلقة حواء التي أخذت من الضلع شيء آخر، والخلقة الناتجة عن الزواج شيء آخر. والذي ولد من مريم شيء آخر، لانه من عذراء فقط. كذلك الامر بالنسبة الى الطيور والبهائم.

من رسالة غريغوريوس النازينزي:

.... ومجمل الكلام، ان الذي هو أسمى منا، أخذ ما لنا من أجلنا وصار انسانا، ولم يُحد بالجسد لان طبيعته فائقة الادراك، انما (أخذ جسدا) ليقدس الانسان، فكان كالخميرة اذ جذب اليه الخليقة كلها، وحرر المذنب من ذنبه، صار مثلنا لاجلنا في كل شيء ما خلا الخطيئة، فقد أخذ جسدا، ونفسا وعقلا، وهذه هي خصائص الانسان الاعتيادي المائت ..... فان يُرى آلها، فلكونه معروفاً، أما كونه ابن الانسان فبسبب آدم والعذراء اللذين انحدر منهما. في حين انه أكبر من الاول، وتعتبر الثانية والدته شرعا، وقد ولد منها بطريقة تفوق الطبيعة والناموس.

من رسالة غريغوريوس شقيق باسيليوس:

يجب ان تكون طبيعة المولودين مشابهة لطبيعة والديهم.

أيضا من رسالة يوليوس اسقف رومية:

نحن نؤمن بالتدبير الخلاصي بالجسد من اجلنا، وان كلمة الله، ولئن تجسد، بيد انه لم يتغير لكي يجدد بشريتنا، في حين انه ابن حقيقي لله، وابن أزلي، صار انسانا بميلاده من العذراء، وهو اله واحد تام في لاهوته ومساو للآب في الطبيعة، وانسان تام بولادته من العذراء بالجسد. فمن يقول ان المسيح اتخذ له جسدا من السماء. او ان جسده هو من طبيعته، ليكن محروما.

- من لا يعترف بان جسد الرب هو من عذراء، ليكن محروما.
- من يقول عن ربنا ومخلصنا الذي صار واحدا منا في الجسد بالروح القدس ومن مريم العذراء، بانه بسيط وبلا احساس او كلمة او عقل، ليكن محروما.
- من تجاسر وقال عن المسيح انه تألم باللاهوت وليس بالجسد كما كتب، ليكن محروما.
- من يقسم ويميز مخلصنا ويقول: ان الابن كلمة الله هو شيء والذي تجسد شيء آخر، ولا يعترف بانه واحد، ليكن محروما.

من يوحنا فم الذهب:

ان الذي يفوق العقول ويتسامى عن الافهام والملائكة وجميع القوات العاقلة، شاء وصار انسانا وأخذ جسدا مجبولا من تراب الارض، حيث ولج الحضن البتولي وحمل به مدة تسعة أشهر ورضع حليبا بعد ولادته وتألم بالحواس البشرية.

وله أيضا:

- لماذا دُعي مائدة؟ لانه عندما أتذوق أسراره أشعر بلذة.

ـ لماذا دُعي بيتا؟ لكي أسكن فيه.
ـ لماذا دُعي غريبا؟ لأنني أصبحت له هيكلا.
ـ لماذا دُعي رأسا؟ لأني صرت فيه عضوا.

وله أيضا:

ما الذي فعله عندما اشتهى "الزانية"، انه لم يدعها الى فوق، اذ لم يشأ ان يصعد الزانية الى السماء، بل نزل هو، إذ لم يكن بوسعها ان تصعد. فجاء من أجلها دون خجل فوجدها ثملة. فكيف جاء؟ انه لم يظهر على طبيعته، بل صار كالزانية في الطبيعة لا بالارادة، لكي لا تجزع لدى رؤيتها له فتهرب. جاءها وهو انسان، فكيف تم ذلك؟ لقد حبل به في الاحشاء، وترعرع تدريجيا.

له أيضا:

اليوم ولد الازلي وصار انسانا، الامر الذي لم يحدث من قبل، دون ان يتغير عن كونه آلها. فانه لم يصر انسانا بتغيير اللاهوت، لكن في حين كان كلمة غير قابل للتألم. صار جسدا دون ان تتغير طبيعته، ذاك الذي يجلس على عرش مرتفع، وضع في مذود. ذاك البسيط غير الجسدي والذي لا يمس، تتناوله أيدي الناس. ذاك الذي يحطم رباطات الخطيئة، لُف بالاقمطة.

من اثناسيوس:

اذا علّم أحد خلاف الكتب المقدسة، وقال ان ابن الله شيء، والانسان ابن مريم الذي صار مثلنا بالنعمة، شيء آخر، ليكونا ولدين، احدهما آله ومساو له بالطبع، وآخر انسان من مريم بالنعمة. ومن يقول ان جسد الرب هو من فوق، او من يقول ان لاهوت الرب قد تبلبل وتغير

وتألم، او ان جسد المسيح لا ينبغي ان يُسجد له لأنه من البشر، او يسجد للجسد باعتباره ربنا والهنا، اننا نحرم مثل هذا استنادا الى قول الرسول: "من يبشركم بخلاف ما بشرناكم به، ليكن محروما".

من امبروسيوس:

انه هو ذاته يتكلم، ولكن ليس عن هدف واحد دائما. وبه أظهر مجدا هو من مجد الله. اما الآن فأظهر آلام الناس، فهو كآله يعلم الامور الالهية، وكانسان يعلم الامور البشرية، لانه يتكلم بحسب طبيعتنا.

سنة ٧٧٠ يونانية، حكم لاون الروم، وهو يعود بأصله الى تراقية، وكان قائدا في الجيش، وحيث ان مرقيان توفي دون وريث، انتخب هذا من قبل المستشارين. وفي هذه السنة عينها حكم الفرس فيروز بن يزدجرد، فقاتل الروم واضطهد المسيحيين في بلاده، أما لاون فقد زوج ابنته ايرادني لزينون فأعطاه سلطة واسعة في الدولة وعينه قائدا ملك على سائر المشرق، وعين باسيلسقس قائدا على تراقية، واقيم مانورينوس قيصرا في رومية لكنه قتل بعد فترة وجيزة من قبل راقيموس، ونودي بأنتيموس واقلوناريوس قيصرين، وشيدت بأمر لاون مدينة قالينيقوس، لذا سُميت لاونتوبوليس.

رسالة مار طيمثاوس الاسكندري:

وجه القديس طيمثاوس اسقف الاسكندرية المنفي، طلبا الى الملك ضمنه توبيخا للاون، سندرجه هنا.

"من أجل ان يكون الملك حليما مع اناس حكماء وفي الهيكل نقول: ليس هناك شيء أثمن من النفس، وقد تعلمنا ان لا نعتد بالامور الجسدية لئلا نخسر النفس، لذا فاني أبذل ما في وسعي لأحافظ على نفسي، لئلا

اذان قبل الدينونة كانسان يحب جسده، واعدّ لنفسي نار جهنم. واني لواثق ان جميع الحكماء لا يتصرفون إلا بالحسنى، فلا يصدر عنهم ما يسيء الى اخوتهم. ومن هنا احيط لطفكم علما باني تعلمت الكتب المقدسة منذ صغري وتعمقت بما تحتويه من الاسرار الآلهية. واني مهتم جدا بالايمان الحق حتى الآن بحسب تعليم وتقليد الرسل والآباء الملافنة، وما زلت أتبع هؤلاء، بنعمة الله مخلصنا حتى وصلت الى ملء القامة. واني أعترف بالايمان الواحد الذي سلمه خالقنا ومخلصنا يسوع المسيح لدى تجسده: الى الرسل الطوباويين بقوله: "اذهبوا وعلموا الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". ثالوثاً كاملاً ومساوياً في الطبيعة والمجد والغبطة، لا صغير فيه ولا قليل او كثير.هكذا علم الآباء الرسل. وان رأيي بتجسد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي تأنس بحسب تدبيره هو كرأيهم ورأي جميع الذين يتمسكون بالايمان الحق الذي لا يعسر فهمه على أحد، ولا يحتاج الى إضافة شيء ما على التحديد الذي أذاعه الآباء. واني أنبذ الذين لا يؤمنون هكذا الذين أفسدتهم الهرطقات، وأتهرب منهم. انه مرض قتال للنفس. مثال ذلك تعليم ابوليناريوس وتجاديف نسطور والذين يضلون في ما يخص تجسد يسوع المسيح الذي تأنس منا، ويصفونه بالثنائية ويمزقون تدبير ابن الله الوحيد، وكذلك الذين يقولون انه أخذ جسده من السماء، او ان الله الكلمة قد تغير او تألم بطبيعته ولا يعترفون بالجسد البشري ذي نفس، الذي أخذه منا.

أقول للذين تورطوا بإحدى هذه الهرطقات، انكم تضلون اذ لا تعرفون الكتب، فلا شركة لي معكم ولا ود. فاني أتبع الحق وأتمسك به، وأسعى لأحيا على هذه الصورة، كما أعير اهتماما كبيرا لإيمان نيقية.

فيا محب المسيح، جاءني ديميوس المظفر ܫܠܝܚܐ وسلم إلي رسالة اسقف رومية، فأمعنت فيها النظر فلم أستحسن مضمونها، لكني فضّلت ألاّ أقرأها وانتقدها أمامهم خشية ان يتعكر صفو الكنيسة. فاني أؤمن بأن الله سيوحي الى حلمك لتعمل على تصحيح ما في هذه الرسالة

التي قد تسبب شكوكا للمؤمنين، لإحتوائها ما يوافق تعاليم نسطور الذي ادين لأنه قسم الرب يسوع المسيح الى طبائع وأقانيم وخصائص وتسميات وأفعال، فأولوا كلمات الكتاب تأويلين لا نجدهما في عقيدة الرسول الذي صرح بان ابن الله الوحيد هو مساو لأبيه في الطبع، وانه نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام وصعد الى السماء وسيأتي ليدين الأحياء والأموات. فلم يذكر عن الاقانيم والطبائع والخصائص والانقسامات، بل اعترف بوحدة الافعال الالهية والانسانية في التدبير الالهي، وبناء عليه فإني أعارض أعمال مجمع خلقيدونية، لأني وجدت فيها انقساما وانشقاقا في ما يخص التدبير الالهي.

فاقبلني أيها الملك المظفر لأني أتحدث عن الحق بكل ثقة، فيستقيم سلطانك في الارض وفي السماء، وتقبل بحلم طلبي هذا، لان الشك قد غزا، آتيا من كتابات الغرب التي تمزق التدبير الالهي. ورجائي ان يرذلها كل لسان لكي يكون الايمان بالمسيح الهنا نقيا، وانه حقا تألم بالجسد دون ان يمس الالم اللاهوت الذي يشترك فيه مع الآب والروح. وأرجو من وقارك ان ترسل الى الجميع لكي يتمسكوا بايمان آبائنا الـ ٣١٨، الذي يعلن الحق لجميع الكنائس، ويدحض كل الهرطقات وزيف التعليم المضل، وهو لا يحتاج الى تعديل".

وفيما كان القديس يُقتاد الى المنفى أسرع اليه أبناء مدن فلسطين وفرلوس واختطفوا أجزاءً من ثيابه للتبرك والشفاء. ولدى وصوله الى بيروت، حث اسقفها اسطاثاوس أبناءها ليستقبلوه بحفاوة، وطلب اليه ان يصلي من اجل المدينة. وفي تلك الفترة، اشتهر أكسون شقيق اسطاثاوس بتفسير الشريعة، وبإشارة من أخيه أمضى عنده تلك الليلة متحدثا بكل دقة عن الايمان، معارضا نسطور، وكان طيمثاوس يصغي صامتا. ولما توقف أكسون عن الحديث، قال له طيمثاوس: من يقنعني بان اوقع على وثيقة خلقيدونية؟ فلما سمع أكسون تألم وبكى، فشجعه أخوه اسطاثاوس وطيمثاوس. فقال لهما: هلما لنجاهد سوية من اجل الايمان، فإما ان نظفر

بكراسينا او نعيش بصفاء مع الله في المنفى اذا طردنا. فاعتذر اسطاثاوس محتجا بتجديد الكنيسة الكبيرة التي شيدها وسماها انسطاسيا. وقال طيمثاوس: ان كنا نبقى من اجل تجديد هيكل أرضي، فاننا سنبتعد عن اورشليم السماوية، ولكن اذا ما أذعنت لي فسوف نحتفل في اورشليم السماوية.

على هذه الصورة كان يحتفى به حيثما وصل حتى غنغرا. أما جناديوس القسطنطيني وأشياعه، فلم يكفوا عن الاساءة الى طيمثاوس حتى في المنفى، وحرضوا الملك على ان يطرده حتى من غنغرا. وقد شعر القديس بان اساقفة المنطقة يحسدونه لانه كان يوزع الهدايا التي كانت تصله من رعيته على أعمال الرحمة. وأخيرا غادر غنغرا بأمر الملك وركب سفينة في الشتاء وأخذوه الى خرشنا حيث يعيش برابرة متوحشون، فصانته نعمة الله من كل أذى، فتعجب به المؤمنون، وتتلمذ له أبناء تلك المنطقة.

رسالة الطوباوي طيمثاوس التي يوضح فيها كيفية قبول الذين يرجعون عن الهرطقات

من طيمثاوس الى محبي الله الاساقفة والكهنة والشمامسة ورؤساء الاديار والاخوات ولفيف الشعب المؤمن بربنا / سلام.

ان اشعيا وثاوفيلا الهرطوقيين الخفيين اللذين نصحتهما في رسالة ليعودا الى تعاليم آبائنا، لم يذعنا للرسائل التي وجهتها اليهما الى القسطنطينية مشفوعة بشهادات من الاسفار المقدسة، ولم يتورعا ويعتبرا بنفينا من مكان الى آخر، بل تآمروا على إفساد رسالتنا، وأشاعا بين أبناء الابرشيات وغيرهم بأنهما لقلسون رغم معرفتهما بتوقيعي الذي عليها. وقد صبرنا عليهما مدة غير يسيرة، وعرفنا ما يريدان، ولم يجيبا بكلمة

واحدة او رسالة، ثم رأيت ان نكتب اليهما فكتبنا، حاثين إياهما على ان يعترفا بالإيمان الحق كتابة، وناصحين ومذكرين إياهما بان الله لا يثور ولا يطردهما اذا تابا وموضحين لهما بأن أناسا قديسين قد أخطأوا وجحدوا الرب وأخيرا تابوا فقبل الله توبتهم وأعادهم الى مكانتهم الاولى ومنهم داود وبطرس وبولس. بمثل هذه الاشياء كتبنا اليهما. فاذا تابا واعترفا بأن جسد المسيح هو من طبيعتنا، ثبتنا على محبتهما واحترمنا نظامهما، غيرِ انهما لم يجيبا. بل نبذانا. وقد انتظرت أربع سنوات ولم أشهرهما، لكنهما لم يرعوا ولم يقبلانا او يقبلا تعاليم آبائنا القديسين، اتبعا الهراطقة الذين يجاهرون بأن الرب لم يأخذ جسدا بشريا، ولم يصر انسانا كاملا مثلنا، ويخلدون تحت البيوت وهم شغوفون بمحبة المال والبطن معتبرين إياها آلهتهم، ويتجولون في العاصمة. وقد كتبنا اليهما ان يغادرا المكان فرفضا، وهما يضلان السذج، ويشيعان عنا بما يسيء الينا. واذ ضقت بهما ذرعا، فاضطررت الى ان أعلن اسميهما لكي لا يُضلا الآخرين، وأعلنت ان اشعيا وثاوفيلا يقولان بأن جسد الرب هو من طبيعته وليس من طبيعتنا، وانه لم يتأنس حقا. وبذلك قد حرما نفسيهما من شركة الآباء وشركتنا، فلا يختلط بهما أحد، وان يوحنا الانجيلي يحذر ويقول "يا اخوتي لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الارواح هل هي من الله.. كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه جاء بالجسد فهو من الله، وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح ليس من الله. وهذا هو روح ضد المسيح". ثم اذا أتاكم شخص لا يعترف بهذا التعليم لا تقبلوه في بيوتكم، ولا تلقوا عليه السلام، ومن سلم عليه يكون قد اشترك في أعماله الشريرة، لان الرسول يقول "من يبشركم بخلاف ما بشرناكم ليكن محروما ولئن كان رسولا او ملاكا من السماء". إني بريء من دمهما ودم الذين يجتمعون معهما، فقد أرسلت وأعلنت لهما مشيئة الله. فيمَ هما جديران يا ترى؟ يقول بولس مرشدا: اذا نصحت الهرطوقي مرة ومرتين ولم يُذعن، دعه وشأنه لانه عنصر فاسد ومذنب.

لقد كتب ديوسقورس المظفر بما يتفق وهذا قائلا: اطلب اليكم أيها الاخوة بالرب يسوع المسيح وبمحبة الروح كما كتبت في رسالتي في العام المنصرم، ان تساعدوا الذين يرتدون عن هرطقة الديوفسطيين وتمدوا لهم اليد بالرب، أنتم الاساقفة والاكليروس وبقية المؤمنين، وليعد الى درجته من تاب منهم بعد سنة من توبته، وليعط مكانة وكرامة، وان لم يوجد اسقف فلينب عنه الاكليروس بمحبة الله أيها الاساقفة المؤمنون حيثما وجدتم، واذا ما وجد من هؤلاء التائبين تحت سلطتكم.

ان كيرلس وديوسقورس أيّدا أيضا نظام قبول الاساقفة والكهنة والشمامسة التائبين، في درجاتهم السابقة بعد سنة من توبتهم. فقد كتبت بهذا بقصد قبول الذين يعودون من شيعة فرطوريوس وكان شهيرا جدا بحيث ان الهنود أرسلوا اليه ليقيم لهم اسقفا خلفا لاسقفهم الراحل. كما لم يكف الاسكندريون عن إرسال إلتماسات الى الملك بخصوصه.

من شهادة الآباء الواردة في رسالة القديس طيمثاوس ثاوفيلس:

ان كلمة الله الحي ومحيي الكل ومبدع العالم، لم يأخذ مجرد اسم مثل مادة كريمة لما جاء الينا، لكنه أظهر عظمة مهارته واتقانه لدى إبداعه وتجديده للانسان الذي جبل من الطين. فقد ولد كانسان، ولكن من عذراء، آخذا كل ما لنا ما عدا الخطيئة، وأشرق علينا بطريقة معزية وبارك الطبيعة البشرية.

له أيضا:

لم يكن عسيرا على كلمة الله ان يهيء له هيكلا من جسد بتولي، من أجل خلاصنا، فمن الواضح ان الله لا يتدنس بازدواج (الطبع البشري) لدى خلقته الانسان، فكم بالأحرى اذا تجسد من دم بتولي رحمة منه، من أجل خلاصنا؟

من كيرلس:

الحق يقال، لما ولدت العذراء المسيح، ولدت آلها وبقيت بتولا، ذاك الذي اشترك باللحم والدم مثلنا، وهو من طبيعتنا بالجسد وفي الناسوت، وليس من طبيعته كما يقول الهراطقة، بل من طبيعتنا، لأنه من نسل ابراهيم أخذ. ان جسده كان جسد الكلمة وليس جسد انسان.. ويقول بعضهم ان المسيح ليس ابنا. ولكن ما يقال عن جسده أيضا، هكذا نؤمن بالمسيح بأنه أخذ جسدا من جنسنا وطبيعتنا لأنه ولد من عذراء، ولكن يعتبر جسده، لأن الاله الكلمة حي بطبعه، لذا جعل جسده مانحا للحياة، وبذلك حصلت لنا البركة المحيية.

له أيضا:

... واذا لم يكن الامر كذلك فكيف صار مثلنا؟ لكن ظل الله الكلمة كما هو، وإنما أعطاه جسده بواسطة الاتحاد الاقنومي غير المنفصل الذي لا يجرده من جسده. فأنت تسجد للابن الواحد المساوي للآب باللاهوت والمساوي لنا بالناسوت. وان المسيح يطهر معرفة الذين يودون ان يعتقدوا به هكذا ويكشف لهم أسراره. لذا أجمع آباؤنا القديسون على حرم من لا يُذعن لتعليمهم، وكتبت الى اكليروس الاسكندرية والرهبان والراهبات الاخوة بالمسيح، وأرسلت الرسالة الى محبتكم لكي تطلعوا على ما كتبت، أرسلت تحياتي موقعة الى طيمثاوس. أؤكد ان من لا يؤمن بمقتضى تقليد الرب يسوع المسيح الذي علمه الآباء القديسون، ليكن محروما. فإما ان نحيا على الايمان وإما ان نموت في سبيله فنحيا الى الابد.

انتهت شهادات الآباء القديسين والملافنة الارثوذكسيين حول الايمان الحقيقي.

فصل
عما حدث في الكنائس والمملكة في عهد لاون

(رؤساء الكهنة الذين قاموا بعد مجمع خلقيدونية في عهد الملك لاون)

في القسطنطينية، خلف انطوليوس وهو الـ ١٤ جناديوس الهرطوقي. وفي رومية، خلف لاون الاسقف الـ ٤٤ هيلاريوس. وفي الاسكندرية، بعد مقتل فرطوريوس، أقام الارثوذكسيون القديس طيمثاوس المدعو سالوفاقيلوس. وفي انطاكية قام مكسيموس بعد دومنوس، وخلفه الاسقف الـ ٤٠ مرطوريوس المنبوذ، ثم الـ ٤١ يوليوس، والـ ٤٢ اسطيفانس، والـ ٤٣ اسطيفان آخر المنبوذ، والـ ٤٤ بطرس الذي نفي ثلاث مرات وعاد. وفي افسس، قام باسينوس المؤمن الذي تنحى واندس يوحنا الهرطوقي الى مكانه، ثم خلفه بولس الذي نفي وعاد بموجب مرسوم، ونفي ثانية لرفضه المجمع.

وفي القسطنطينية، كان الاسقف الـ ١٥ اقاق. وفي رومية، كان الاسقف الـ ٤٥ سيمايقيوس مدة ١٥ سنة. وفي الرها، أعادوا نونا بعد وفاة يهيبا. والاسقف الـ ٣٢ كان قورس. وفي سنة ٧٠٣ يونانية، رقد القديس سمعان العمودي، وهي السنة الثالثة للاون، ونقل جسده الى انطاكية بقوة الجيش، فأقام له الانطاكيون بيت الشهداء ووضع فيه داخل صندوق، وقد التجأوا الى جسده الطاهر ليكون حافظا لمدينتهم بعد ان كانت قد تدمرت على أثر زلزال. وسبقت وفاته وفاة مار برصوم بثلاث سنوات. ليكن ذكرهما للبركة. ان وفاة اي تتويج سيدنا مار برصوم رئيس الابيلين والعظيم بين الكاملين حلت سنة ٧٠٠يونانية، وهي السنة التي توفي فيها مرقينوس، وحلت وفاة مار سمعان في السنة الثالثة للاون وهي السنة ٧٠٣ يونانية. وكان هذان الطوباويان ومار يعقوب اسقف كفرا قد حرموا مجمع خلقيدونية.

الملك لاون:

في عهد لاون، شبّ حريق في القسطنطينية لا نظير له حيث امتدت النار من البحر الى البحر، فهرب الملك الى عبر مار ماما ومكث ستة أشهر وأقام ميناء كبيرا لإيواء ܐܠܦܐ (السفن)، وأصدر قرارا بمنع العمل أيام الآحاد، ومنع استعمال أية آلة موسيقية سواء كانت شبابة او قيثارة او سواها.. في السنة الـ ١٥ للاون قتل اسفرفطريقوس وأبناؤه الاربعة، كما قتل انتيموس من قبل دياقيموس، وقتل أيضا دراقيموس المقريس قيصر، ونصب لاون حفيده لابنته اي ابن زينون والذي سماه باسمه، قيصرا. وهو مازال طفلا. لذا دُعي لاون الصغير اي لاتيني، وحكم سنة واحدة في حياة الملك، حيث توفي لاون بمرض الامعاء وهو ابن ٧٣ سنة، أمضى في الحكم ١٨ سنة تنقص ثلاثين يوما. وكانت الكنيسة في اضطراب مستمر طيلة فترة حياته بسبب الانشقاق الذي خلقه مجمع خلقيدونية / انتهى هذا الخبر.

ان الكسندروس اسقف منبج واسقف شميشاط الهرطوقيين، كتبا الى يوحنا الانطاكي وثاودريطس وهما من أتباعهما، ضد مار سمعان العمودي ويعقوب اسقف كفرا استاذ مار سمعان. هكذا: "الى آبائنا الاساقفة، سرنا جدا لدى استلامنا رسائلكم حيث وقفنا على أخبار صحتكم، ولقد ساءنا ما كتبه سمعان ويعقوب، نرجو لانهما كتبا ضد الحق، فلا تصدقانهما حتى ولئن قام الموتى، بل عليكما ان تعتبرانهما هرطوقيين".

مثل هذه الامور وسواها كتب أولئك المنافقون عن هذين القديسين مار سمعان ومار يعقوب لانهما لم يرضخا لتعليم المجمع المزيف المنعقد في خلقيدونية.. في هذه الفترة أثار الملك لاون اضطهادا عنيفا ضد ما تبقى من الآريوسيين، وانتزع منهم الكنائس وأمر بمنعهم عن عقد اي اجتماع. وفي فترة حكم لاون سقط رماد من السماء مثل المطر وتجمع على الارض والقرميد بسمك شبر، وعم الخوف الناس فأخذوا يجتمعون

في الكنائس والاديرة الهياكل وسائر الامـاكن المقدسـة ويقيمـون الصلـوات ليل نهار، ووصفوا الحادث بانه نار تمطر غضبـا علـى الارض، غير ان الله أطفأها رحمة بالبشر. وفي الفترة عينها دمـرت قوزيقـوس كليـا بفعـل زلزال، وهلك سوادها الاعظم، كما تداعت عدة مدن وقرى، لكنها لم تدمر كليا مثل قوزيقوس.

الفصل الخامس من المقال التاسع

في عهد لاون الصغير ووالده زينون وباسيليوس الذي تحايل واختطف الملك ثم نفي ومات

المنشور الذي بعثه لاون الكبير:

لما رأى لاون ان الشر قد استفحل في الكنائس بسبب القمع، أرسل منشورا الى كافة الاساقفة جاء فيه:

"ماذا ترون في طيمثاوس وفي المجمع غير الخوف والهدايا والعداوة. فيجب ان تضعوا مخافة الله نصب أعينكم، عالمين أنكم ستعطون جوابا للثالوث الاقدس، فاعملوا على إشاعة مخافة الله".

واستنادا الى ما كتبه الملك الى الاساقفة، أعتقد بأن الملك يستعد لإلغاء المجمع، فخشي ان تنتزع منه رئاسة الكهنوت التي كان المجمع قد منحه إياها. فانتهز الفرصة وبعث برسالة الى الاساقفة قبل منشور الملك جاء فيها:

"ان الملك يريد امتحانكم، علّه يجدكم خصوما".

فكتب الاشقياء ما يعزز ما فعلوه في خلقيدونية. غير ان امفيلونيوس اسقف سيدا والاساقفة اللائذين به فقط لم يخشوا شيئا، فأنفذوا رسالة الى الملك، فيها تذمر من رسامة طيمثاوس وشكوى مما حدث في خلقيدونية ضد الايمان، أي تجديد التقسيم الى طبيعتين بعد الوحدة التي لا تتقسم والمتسامية عن المدارك.

الملك لاون الصغير:

تولى لاون الصغير (لاونطينا) الحكم وهو في السادسة من عمره بأمر لاون الكبير سنة ٧٨٠ ي، وبعد مرور سنة خدعته والدته اذ قالت له، عندما ينحني والدك أمامك، انزع تاجك وضعه على رأسه، ففعل كما أوصته ووضع التاج على راس والده فتسلم زينون - وأصله من ايسورية - زمام الملك. وبعد هذا الحدث بأيام قلائل توفي لاون، فساور الشك الكثيرين وتحدثوا بشتى الاقاويل.

ملك باسيليسقس:

لقد طلبت ايرينا زوجة لاون الكبير من زينون شيئا ما فرفض، فعزلته ونصبت أخاه باسيلسقس ملكا، وكان يتجول آنذاك في هرقليا فتمرد على زينون، ونودي به ملكا، وعين ابنه مرقس قيصرا. ثم شعر زينون ان ايرينا تدبر لاغتياله فهرب الى ايسورية على متن عجلة، تاركا الملك وعائدا الى بلده، فوصل الى حصون سولومون ومكث هناك ثم التحقت به زوجته أرجانا خفية. فملك باسيليسقس وابنه مرقس مدة سنتين، فأساء الادارة وظهر انه سخيف ومتقلب. وفي عهده أصاب جايلا السورية زلزال فأرسل إعانة الى أبنائها. وقد اهتم في بادئ الامر بالايمان المستقيم وترسيخه، وأعاد القديس طيمثاوس من المنفى محملا أبناء الاسكندرية منّه كبرى، فجلب طيمثاوس معه رفات ديوسقورس فرحب به الاسكندريون، وأصدرباسيليسقس منشورا بتوقيع الاساقفة حرم فيه مجمع خلقيدونية وطومس لاون. غير ان اقاق اسقف رومية حرّض ضده فخاف، فأذاع منشورا آخر ألغى بموجبه ما كتبه بخصوص الايمان القويم وأمر الجميع بالخضوع لمجمع خلقيدونية، فانكشفت حينذاك سخافته للجميع فتضعضعت سلطته، الامر الذي شجّع زينون فجمع اناسا من هنا وهناك كانوا قد تخلوا عن باسيليسقس ارماطيس لمحاربته واعدا بتعيين ابنه قيصرا وتعيينه هو قائدا للجيش، فاحتال ارماطيس على باسيليسقس وانضم

الى زينون ودخل العاصمة فرحب به جميع المستشــارين. امـا باسيليسـقس فاصطحب زوجته وبنيه والتجأ الى الكنيســة الكبرى. وأقـام زينـون سـباقا للخيل فارتاح اليه الجميع، ثم انتزع من باسيليسقس وزوجته وبنيه طيلسان الملك ووعدهم بعدم قتلهم، وأبعدهـم الـى عميـس وهـي بلـدة فـي قبادوقيـة حيث سجنوا في أحد الابراج، ولما أغلق عليهم ماتوا شر ميتة.

بعـد ان ارتــدى باسيليســقوس الارجــوان ووضــع التــاج وأكــرم الاسكندريين، لم يأبه لتحريضهم لكنه أرسل منشورا الى الاســاقفة فـي كـل مكان، حارما ما تم في خلقيدونيــة وطومـس لاون، وأصـدر قـرارا بحـرق كل تعليم جديد صدر عن خلقيدونيــة والطومـس، وقـد كتـب هـذه المناشـير الراهب بولس الفيلسوف الذي جادل بقـوة اقـاق اسـقف العاصمـة مثبتـا ان آراءه وآراء اوطيخا هي واحدة، لان كليهمـا اجتهـدا ان يظهـرا ان الجسـد البشري لم يكن لائقا بخــلاص اللــه، فنسـطور يقـول ان الجسـد لا يسـتحق الوحدة الاقنومية مـع الكلمــة. لـذا نبـذه واعـترف بـالوحدة الحبيــة. ولنفـس السب أنكر اوطيخا أخذه للجسد، وقال: إما ان يكون الجسد ســماويا او انــه من نوع آخر، وهو يتخيله جسدا مثل الذي سيأتي بــه. مـن هنـا نـلاحـظ ان كليهما يشتركان في كلمة "الخيالية" بشـكل او آخـر، إذ يعتقـد نسـطور بـان الاتحاد خيالي لا حقيقي، وكذا يعتقد اوطيخا بالنسبة الى تـأنس كلمــة اللــه، لانــه ينكـر الجسـد ذا النفـس الـذي أخـذه الـرب. وقـد وقــع علــى منشــور باسيليسـقس، طيمثـاوس الاسـكندري الـذي خلــف ديوسـقورس، وبطــرس الانطاكي، وكلاهما كانا في المنفى وأعادهما باسيليسقس الى كرسيهما.

يقول بولس اسقف افسس واساقفة آسيا والمشرق وانسطاس اسـقف اورشليم وغيرهم من الاساقفة، ان عدد الاساقفة الذين وقعوا المنشور الذي فيه رموا التحديد الجديد وطومس لاون، بلغ الســبعمائة. وقـد بعـث اسـاقفة آسيا رسالة شكر الى باسيليسقس عندما اجتمع نحو ٦٠٠ منهم فـي افسـس وحرموا الطومس وتعاليم خلقيدونية وقالوا: يحرم آقـاق وأتباعــه. نسـطور واحـد ..... آقـاق واحـد ..... يقبـل آقـاق ...... طومـس لاون، لقد شــق

طومس لاون العالم. فمنذ ذلك الحين بقيت رومية دون ملك وهي تحرم المجمع القيافي. فلما وقف اقاق على هذا، ورأى ان بولس اسقف افسس أعطى كرامة البطريركية لطيمثاوس لكي يأخذ مكانه على كرسي القسطنطينية، وكان طيمثاوس الاسكندري موجودا هناك، لم يقبله حتى يوقع على المنشور، كما كان مزمعا ان يعقد مجمعا في اورشليم لحرمه، فحرك باسيليسقس رهبان العاصمة واستولى على الكنائس، وأنزل دانيال العمودي على اعتبار ان باسيليسقس هرطوقي، وان الضرورة ألجأته الى تعيينه، لان مكانته كانت قد تزعزعت منذ مدة بسبب خيانة كبار رجاله، من اجل إعادة زينون، وقد أنكر المنشور خوفا، واتخذ قرارا انتزع بموجبه السلطة ممن عينوا بالقوة، وأنفذ رسائل ضد المنشور الى كل الجهات، غير ان الله انتزع منه المملكة بسرعة، وكانت جماعة ثاودورس قد نعته بالرئيس الشريف الذي يُلقب "بالكاتب". فاذا ما تنكر للمنشور أنكره المسيح في ملكوته.

فلما خُلع باسيليسقس عاد الملك زينون واتخذ قرارا ألغى بموجبه المنشور، وطرد بطرس الانطاكي وبولس الافسسي، فعاد ثانية اساقفة آسيا وأخذوا بعقيدة مجمع خلقيدونية، باستثناء طيمثاوس الاسكندري وانسطاس الاورشليمي وأفيقون اسقف ماجوده اي بمفوليا.. حدث في هذه الفترة زلزال في تراقية فدمرت عدة مناطق وعمّ الخوف جميع الذين شاهدوا هذه النكبات التي حلت بالناس حتى اعتقدوا بان نهاية العالم قد دنت. / انتهى هذا الخبر أيضا.

الفصل السادس من المقال التاسع

في أحداث فترة حكم الملك زينون

لما عاد زينون الى الحكم ثانية ورأى الكنائس مضطربة، أصدر هنطيقونا (مرسوم اتحاد) وأرسله الى الاسكندرية، ونفى بطرس الانطاكي لاتفاقه مع باسيليسقس، وأقام اسطيفانس بدلا منه، لكنه ظهر فيما بعد انه نسطوري النزعة. وفيما كان ذاهبا ذات يوم للاحتفال بعيد الاربعين شهيدا خارج المدينة، تجمهر حوله الاكليروس وطعنوه بمناخس حادة وألقوا جثته في نهر اورنطي، فانتقم منهم زينون وأقام قلانديون الذي ظهر هو الآخر نسطورياً فنفاه. فطالب الانطاكيون بعودة بطرس المعروف بالقصار، فأمر الملك بعودته من المنفى فجلس على كرسيه حتى وفاته.

تمرد على زينون:

لقد تمرد على زينون في انطاكية القادة لاونتي واوليوس وفرفيس، بتشجيع من قلانديون المعين اسقفا في انطاكية، وبعد ثلاث سنوات من التمرد، استسلموا فقتلوا ونفي قلانديون، لذا طلب الشعب برمته الى الملك عودة بطرس فعاد.. في هذه الاثناء تمرد ثاوديكس بن طريانس وزحف حتى تراقية لكنه لم يستطع ان يوقع أذى بأحد. ثم قتل لدى وصوله الى هيلوريقون، كما تمرد أيضا ثاوديكس آخر المعروف بأولاقلوس وسبى منطقتي هلوريقون وتاسليا ودخل مدينة لاريسا، ثم وصل الطاغية حتى ريجيون ونلايتيس، وفي طريقه الى تراقية دمر عدة مناطق وقفل راجعا، ثم عاد الطاغية ودخل رومية، فهرب رابيني ارقاديوس المنتحل سلطة قيصر، فسبى ثاوديكس بلاد ايطاليا برمتها. ثم أصدر زينون أمرا بخنق بلاجيوس وفانورمون اسقف كريت باعتبارهما المحرضان على هذه الامور.. في هذه الفترة عين ثاودورس قائدا للجيش في فرسناطس.

توفي في هذه الفترة فيروز ملك الفرس الذي اضطهد المسيحيين، وملك أخوه بالوش ٤سنوات وهو الملك الـ ١٧. وفي أيامه تمتع المسيحيون القاطنون بلاد الفرس بالاستقرار لانه لم يشأ ان يضطهد المسيحيين. وانتشرت في هذه الفترة في فارس بدعة الكنتيين والروستيازليين.

في الاسكندرية، بعد ان طرد بطرس منغوس الذي كان الاسقف الـ ٢٦ لمدة ١٢ سنة، أقاموا مكانه سالوفاقيلوس، فعمت القلاقل والشغب بين الشعب، وانقسمت كنائسهم بسبب النزاع بين الاساقفة (نقص نحو ١٥ سطرا) .... في القسطنطينية، بعد جند اقوق. وبعده روزيطس، وعقبه الـ ١٧ اوفيميوس، والـ ١٨ فلابيطس الذي نُحي في عهد الملك انسطاس.

بعد ان استقر زينون في الحكم، عين باسيليسقس بن ارميس قيصرا ومنحه رتبة عسكرية عالية بعد ان أقسم له، وأمر بإقامة سباق الخيل، فجلس باسيليسقس الى جانب زينون وشاهدا السباق سوية. غير ان زينون عاد وتذكر كيف ان ارمطيس غدر بباسيليسقس بعد ان أقسم له بالله وبالمعمودية والاسرار. وقد يغدر به أيضا اذا ما قوي جانبه، علما بانه لم يحنث بقسمه، بل عينه وابنه. ومات ارمطيس كحانث للقسم، وكان قد أوعز برسامة ابنه قارئا ثم اسقفا على ابليوربوسقنسطس وهي وزيقوس، على اعتبار انه استحق ارتداء ارجوان المملكة.

تمرد السامريين:

في عهد زينون، تمرد السامريون وأقاموا لهم ملكا يدعى يسطس وقتلوا جمعا كبيرا من المسيحيين، فدخل قيصرية وجلس على العرش كالملك وشهد سباقا للخيل، وارتكب جرائم جسيمة وأحرق كنيسة فورقيفس. فحاربهم الروم القاطنون فلسطين وانتصروا عليهم وأتوا

بالسامريين وأرسلوا رأس ملكهم الى زينون، فأمر الملك واحيل مجمعهم الى كنيسة كبرى باسم السيدة مريم.. حدث زلزال هائل دمر معظم العاصمة، وامتد تأثيره حتى طورس، كما خربت نيقوميدية للمرة السادسة. وفي الوقت ذاته ثار فرس انطاكية وأحرقوا مجمع اليهود والعديد منهم وحتى عظام موتاهم.. بعد هذه الاحداث أصاب زينون إسهال فمات على اثره. وقد ناهز الـ ٦٠ عاما. وملك ١٦سنة / هذه الاخبار مقتبسة عن كتاب يوحنا الانطاكي الذي ذكر ان المدة من آدم حتى موت زينون هي ٥٩٥٨ سنة /.

— هنطيقون زينون —
من القيصر الامبراطور زينون الملك المؤمن والمجاهد أبدا الى اساقفة وشعب الاسكندرية ومصر والنوبة والحبشة سور مملكتنا المنيع والحصن الذي لا يُقهر

"من المعلوم ان الايمان الالهي وحده، هو الذي وضعه الآباء الـ ٣١٨ المجتمعون في نيقية، وأيّده آباء مجمع القسطنطينية القديسون الـ ١٥٠، واننا نصلي دوما، مولين اهتماما باتساع رقعة انتشار الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية في كل مكان، أم ملكنا الطاهرة والخالدة وغير قابلة للفساد. عندما تكون الشعوب المؤمنة بسلام ووئام مع الله، فانه تعالى يسمع الطلبات التي يقدمونها من اجل مملكتنا، مع زمرة الاساقفة الاتقياء والاكليروس ورؤساء الاديرة والرهبان. ان الله العظيم ومحبنا يسوع المسيح الذي تجسد من العذراء القديسة مريم والدة الآله، يلقى منا ايمانا وعملا، أما الاعداء بمختلف أصنافهم فيهلكون ويبادون. ان الناس يحنون أعناقهم أمامنا لاننا متمسكون بالله، وهذا هو سبب توفر الخيرات عندنا، من جمال المناخ وكثرة الفواكه وكل ما يلاءم البشر. لذا فان محبي الله الرهبان والرؤساء والمتوحدين، قدموا الادعية من اجلنا بايمان لا شائبة فيه، وهم يتضرعون ساكبين الدموع من اجل وحدة الكنيسة المقدسة،

فتلتئم الاعضاء مع بعضها البعض. وقد انفصل عنها منذ فترة طويلة الذين يميلون الى الشر، علما منهم بأنهم مغلوبون لا محالة في حربهم مع جسم الكنيسة الكامل. ان أجيالا لا حصر لها، قضوا فترات من سني حياتهم ورحلوا دون غسل الميلاد الثاني، وغيرهم رحلوا دون ان يشتركوا بالاسرار الالهية، وهلك ربوات آخرون قتلا، فتدنست الارض ليس بالدماء فحسب، بل وحتى بالهواء. ترى من لا يصلي الى الله ليغير هذه الحالات الى الافضل؟.

لقد آلينا على نفسنا ان نعلمكم بأننا والكنائس الارثوذكسية المقدسة في كل مكان، ورعاتها الكهنة محبو الله، قررنا ما يلي: كل من يضع تحديدا جديدا او يعلم إيمانا غير المشار اليه أعلاه، الذي وضعه مجمع الأباء الـ ٣١٨ في نيقية، ليس منا ولا يصلح لنا ولا نعرفه انسانا، وأي شخص يفعل هذا نعتبره غريبا. فهذا (الايمان الحق) فقط هو الذي يحفظ مملكتنا كما قلنا، وان الذين يستحقون المعمودية المحيية، هم المتمسكون بهذا الايمان فقط، ذاك الذي زكاه جميع الآباء القديسين المجتمعين في افسس الذين عزلوا نسطور المنافق ومن لف لفه. ونحن بدورنا نحرم كلا من نسطور واوطيخا لآرائهما المخالفة لما ذكرنا، ونقبل فصول كيرلس الطيب الأثر الاثني عشر، رئيس اساقفة كنيسة الاسكندرية الجامعة.

اننا نعترف بان ابن الله والآله سيدنا يسوع المسيح تأنس حقا، وهو مساو للآب في اللاهوت ومساو لنا في الناسوت، نزل وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء والدة الآله، انه ابن واحد لا اثنين. اننا نقول انه ابن الله الوحيد، ونرفض رفضا باتا الفصل والبلبلة بين المعجزات والآلام التي احتملها بالجسد إراديا، كما نرفض الظهور الخيالي، لان تجسده الحقيقي المنزه عن الخطيئة، من والدة الاله، لم يضف شيئا الى بنوته، بل ظل الثالوث ثالوثا حتى بعد ان تجسد الله الكلمة أحد الثالوث، وأنتم تعلمون، انه لا الكنائس الارثوذكسية المقدسة في كل مكان، ولا الكهنة رعاتها محبو الله ولا جلالتنا، نستطيع ان نضع تحديدا

آخر للايمان. غير الذي سبق ذكره. كونوا على ثقة دون شك، اننا لم نكتب هذا بقصد تحديث الايمان، بل اننا نحرم ـــ بعد اذنكم ـــ كل من يرتئي رأيا مخالفا سواء الآن أم في المستقبل ام في خلقيدونية ام في اي مجمع كان، لاسيما من يُسمون نساطرة وأوطاخيين وأتباعهم. فاتبعوا اذن الكنيسة الأم الروحية لتتمتعوا معنا بالشركة الالهية. كتحديد الايمان الواحد وحده، ذاك الذي ذكرناه سابقا والذي وضعه الآباء القديسون. فالكنيسة المقدسة تنتظر ان تعانقكم كأبناء أحباء، وتلتهف لسماع صوتكم العذب. فأسرعوا اذن عالمين انكم ان فعلتم هذا ستجذبون اليكم لطف المسيح الهنا ومحيينا وستجدون ترحيبا من جلالتنا".

وحيث ان هنطيقون الملك تضمن كل هذه الامور التي حدثت، وقعه كل من اساقفة افسس واورشليم وانطاكية والاسكندرية والاساقفة الذين يلوذون بهم. وعلى أثر ذلك انفصل عن شركة بطرس اسقف الاسكندرية، كل من يوليان ويوحنا كاهني الاسكندرية، وألد وسرافيوون وهما شماسان قديمان. وثاودور اسقف الانطانيين، ويوحنا واندراوس من كبار رؤساء الاديار، وبولس الفيلسوف وغيرهم، لان الهنطيقون ورسائل رؤساء الكهنة المرفقة به، لم تتضمن صراحة حرم المجمع والطومس. وكان المعارضون والرهبان ينمون ويزدادون شيئا فشيئا. فلما علم آقاق القسطنطيني، كتب اليهم ليتفقوا. وكان بطرس يتهجم على المجمع ويحتج لدى الشعب. فلما درى اقاق بهذا أيضا، أراد ان يختبر حرية بطرس وايمانه، فاكتشف انه لم يحرم المجمع عن دراية، وان الكثيرين من المعارضين انضموا اليه لانه حرم المجمع، لكن سرعان ما تغيروا ورفضوا الشركة مع بطرس. فلما رأى ذلك انتزع الدير من الاسقف ثاودور، وطرد هذا الرجل العجائبي الذي فتح أعمى برش ماء المعمودية عليه.

تسلسل الاساقفة:

في رومية، قام في عهد الملك زينون، بعد هيلاريوس الذي تسقف مدة ٦ سنوات، سيمفلوس وهو الاسقف الـ ٤٥ لمدة ١٥ سنة. واليه وجّه زينون رسالة بخصوص يوحنا الدجّال الذي طرد من الاسكندرية. وخلفه في رومية فيلكس ٨ سنوات، وعاش حتى عهد انسطاس. وفي الاسكندرية احتُفل بإجلال بطيمثاوس الكبير الذي أعيد من المنفى حتى كان يؤتى به الى الكنيسة راكبا حمارا لكي يرفع الدعوات. وخلفه طيمثاوس القلفيقلي. ثم يوحنا الذي نُحي، وبعده بطرس منغوس ١٢ سنة، وبعده جاء اثناسيوس الاسقف الـ ٢٧ ولسبع سنوات. وفي اورشليم كان اناطسيوس الاسقف الـ ٥٢، خلفه مرطور وهو الـ ٥٣، والـ ٥٤ كان سالسطينوس. وفي انطاكية قام مرطور الذي نُحي، ثم يوليانس واسطيفانس، واسطيفانس آخر، وبطرس المؤمن، ثم قلنديوس الذي نُحي، وفلديس، والـ ٤٩ كان فلونيوس الذي نُحي في عهد الملك انسطاس في القسطنطينية.

الفصل السابع من المقال التاسع

في فترة الملك انسطاس الذي حكم ٢٧ سنة

في عهد انسطاس نُحي ونُفي فلابيطيوس اوفيموس بطريرك القسطنطينية بعد ان اكتشف انه نسطوري، وأقيم عوضا عنه مقدونيوس الذي تهرطق هو الآخر فيما بعد، فنفي ايضا، فجلس على كرسي القسطنطينية الاسقف طيمثاوس وهو العشرون، وكان رجلا مؤمنا تشهد له أعماله، فقد لقب بـ "عزيز الله". وفي عهد هذا القديس، اشتهر بالحكمة، رجل يدعى مارينا اوفيميا من كورة انطاكية التي خطفها اسطاثاوس والتي فيها نطق أولا بعبارة "يا من صلبت لاجلنا"، وقد حثّ انسطاس ليضغط على الكنيسة لتقبل هذه العبارة، فاجتمع الهراطقة عنده وقالوا "هل تشير الى الناس لكي يسبحوا بأكثر من التسبحة التي يقدمها الملائكة للثالوث، وهي قدوس قدوس الرب القوي السماء والارض مملوءتان من مجده" ؟ فنطق الله بفمه بردّ قال فيه "ان الملائكة يحسنون صنعا بعدم إضافة عبارة "يا من صلبت لاجلنا" لدى شكرهم الثالوث المسجود له والمساوي في الطبع، ونحن ايضا نحسن صنعا بإضافتها، اذ نعترف بلساننا بأنه أخذ جسدا منا وليس من الملائكة. فأسكتهم. واطلع الملك على هذا. واذ كان الملك تقيا استحسن إضافة عبارة "يا من صلبت لاجلنا" على صلاة "قدوس انت الله"، وأمر ان تعمم في العاصمة كما عممت في كورة انطاكية، فثار معظم الشعب لانهم كانوا نساطرة، على اعتبار انه يريد إدخال زيادة على الايمان وقالوا: ان العبارة موجهة الى دومنس أحد اللصين اللذين صلبا مع الرب. وغير ذلك من الاضاليل، وحاموا حول القصر وهم يهتفون، نريد ملكا آخر للروم. واندفعوا نحو بيت مارينا افافوريون السرياني ليقتلوه فهرب فأشعلوا النار في بيته زاعمين انه هو الذي أضل الملك فأضاف هذه العبارة، واقتسموا المال الذي عثروا عليه في بيته، ووجدوا في داره راهبا ناسكا فقطعوا رأسه وعلقوه على رمح وطافوا به وهم يهتفون، هذا

هو ابيبولوس أي ضد الثالوث. غير ان الملك لم يتراجع عن تعميم العبارة.

بعد ان ناهز طيمثاوس الفاضل ٧٠ سنة توفي في هندوطا، فخلفه يوحنا. وفي الوقت نفسه قام يوحنا الاسقف الـ ٢٨ في الاسكندرية لمدة ٨ سنوات.. وفي رومية، كان جنسيون الاسقف الـ ٤٧ ولمدة ١٠ سنوات.

فيلكسينوس المنبجي:

اشتهر في هذه الفترة بالتعليم السليم والقداسة، رجل عالم وبليغ هو القديس فيلكسينوس الذي رسمه بطرس الانطاكي المعروف بالقصار، اسقفا لمنبج، فسند الارثوذكسية بجبروت، وعلم وكتب التعاليم القويمة، وفضح زيف ضلال نسطور في ما يخص الطبيعتين، كما نهج سبلا قويمة للرهبانية، وله جملة مقالات عن الاعياد السيدية مع ارشادات في مختلف النواحي. ليكن ذكره للبركة آمين.

أحداث متنوعة:

حكم انسطاس السلنطري سنة ٨٠٥ يونانية، وهي السنة ٥٣٩ لانطاكية، وقد فتك بمجموعة من اطفال المدارس لانهم سخروا منه، فعمّ الحزن المدينة.. وفي هذه السنة حدث كسوف، وهجم جراد بكثرة لكنه لم يسبب ضررا. وفي السنة الـ ٨ لانسطاس وهي السنة الـ ١١ لقود ملك الفرس، تمرد على قود شقيقه زامفس مدة سنتين، فهرب قود ثم عاد بجيش وحارب أخاه وانتصر عليه وقتله وحكم فارس ثانية مدة ثلاث سنوات.. حدث زلزال في هذه الفترة، وأثار حمم الموت فدمرت مدينة نسليس ودفن جميع سكانها باستثناء الاسقف واثنين من خدمه، وظهر مذنب لعدة أيام، كما هجم جراد فأفسد، وحدثت مجاعة قاسية في كافة أرجاء ما بين النهرين. وشوهدت في هذه الاثناء، نار هائلة في الجهة الشمالية وكانت

ألسنتها تلتهب طيلة الليل. وبعد فترة أثار الهونيون حربا ضد الفرس وتغلبوا عليهم، بيد ان الفرس تمكنوا فيما بعد من التغلغل في مناطق الروم في ما بين النهرين، فعاثوا فسادا واحتلوا إحدى المدن.

الهونيون:

في عهد انسطاس، حدثت اضطرابات عنيفة بين الفرس والروم. وكان الهونيون في عهد زينون قد خرجوا على الفرس، غير ان الملك فيروز جمع جيشا وقاومهم، وعلم انهم فعلوا ذلك لان ما تعطيهم مملكة الفرس لا يسد حاجتهم، لذا طالبوا بخراج مماثل لخراج الروم مهددين بالحرب، واذ تأكد من استعدادهم للقتال، وعدهم خيرا، فانصرفوا بناء على وعده. بيد ان تاجرا محتالا يدعى اسطاث من اوفيميا، وهو الذي كان قد أثار اليهم بالتحرك ضد الفرس: شجعهم وأوعز اليهم ان يرموا بخورا في النار في الموضع الذي وعدهم فيروز بالخراج، فقدموا البخور لله ليقهر الدجال، ثم قاتل الهونيون الفرس وهزموهم وقتل فيروز ملكهم، فسبوا جميع مناطق الفرس ودمروها ثم عادوا الى مقاطعتهم. الامر الذي أثار حفيظة قود خليفة فيروز على الروم، عازيا اليهم سبب الدمار والتخريب الذي خلفه الهونيون. فجمع قود جيشا وخرج الى مناطق الروم وحط الرحيل بالقرب من مدينة تيودوسبوليس الارمنية واحتلها وعامل سكانها باللين لانهم لم يهينوه، واصطحب زعيمهم قسطنطين ووصل في تشرين الى مدينة آمد في ما بين النهرين، وحاولوا هدم السور. وأثاروا قتالا عنيفا تناول رمي السهام والكبوش النحاسية، وتقدم المقاتلين مرتدو الجلود، وتحركت البغال، وأقاموا تلا من التراب موازيا للسور بعد معاناة شديدة، ولعن سكان المدينة الملك فضاق بهم ذرعا وشعر بالندم لان الشتاء أدركهم وتمزقت ثياب الفرس وبدوا ضعفاء، وارتخت سهامهم بسبب رطوبة الجو ولم تعد رؤوس كباشهم تصيب السور، ولم يتمكنوا حتى من ثلمه، لانهم كانوا يربطون حصائر من البردي بسلاسل ويواجهون بها رؤوس الكباش ويحركونها نحو الداخل والخارج، وكانوا يطبقون ألواح

الخشب فوق الوديان من الداخل شيئا فشيئا. ثم تقدم ٥٠٠ مقاتل فارسي نحو التل الخشبي ووضعوا خشبا على السور ليدخلوه، وكان الملك قريبا من رماة السهام يشجعهم، وسلخوا جلود الثيران، ورموا من الاسوار على الخشب حلبة مسلوقة مع الخطمى ودهنوا الجلود بماء الحلبة بقصد الزلق، ومدوا ألواحا خشبية من السور حتى التل الخشبي. وفي الساعة السادسة، وفيما هم يحاولون صدهم عن المدينة، اضطرمت نار وتساقطت ألواح التل الخشبي وترضض الفرس واحترقوا، فرجع الملك يجر أذيال العار، تلاحقه شتائم الواقفين على السور. حدث ذلك لعدم وجود من يرعاهم، لان اسقفهم مار يوحنا ذا السيرة الصالحة، كان قد رحل قبل مدة وجيزة، وكان من دير قرتمين ولم يغيّر شيئا من سلوكه، من صومه وتقشّفه، وكان يوجه الاغنياء دائما الى ان يبيعوا الحنطة لئلا يكونوا قد خزنوها للأعداء كقول الكتاب. وهذا ما حدث فعلا.

احتلال تيودوسبوليس:

لقد تراءى لهذا الرجل ملاك واقف الى جانب المذبح وأخبره بقدوم الاعداء، وأشار اليه ان يكلم الشعب قبل حلول الغضب كي يتوبوا فيخلصوا، ولما لم يذعن الشعب حل الغضب. فخاب اولا قود كما ذكرنا، وطلب من سكان المدينة بعض المال ليرحل عنها، فازدروا به وقالوا أعطنا أنت ثمن البقول والحشيش الذي أكلته، فاستاء جدا وتهيأ للرحيل. وأخيرا قال: ان المسيح تراءى له في الليل وأخبره بأن المدينة ستسلم اليه بعد ثلاثة أيام لان أهلها قد خطئوا. وتم ذلك بالفعل في الجهة الغربية من المدينة، حيث كان في طريغوجين برج حراسة للرهبان الذين من دير يوحنا الاورطي. وكان رئيس الدير فارسيا، ويوجد برج آخر في الجهة المقابلة من الخارج، وفيه المرزبان قنرق الاعرج، وكان يفكر كيف يحتل المدينة، ووجد هناك شخص يدعوه الناس "القناص"، خبير باللصوصية والسرقة، ويتآمر على الفرس كثيرا ويسلبهم الاموال، فأحس به قنرق وهو ينهب ويدخل الى طريغوجين من الكوة. فتركه ينهب ليرى اين يدخل وأين

يخرج، وذات ليلة مظلمة، هطلت أمطار غزيرة، وأقام أحدهم مأدبة عشاء للرهبان الذين في طريغوجين وسقاهم خمراً فاستغرقوا في سبات عميق ولم يستفيقوا للحراسة، فطارد قنرق ذلك القناص حتى دنا من السور، فلم يصرخ الرهبان فعرف انهم نائمون، فأتوا بسلالم وصعدوا ودخلوا من الكوى وصعدوا الى برج الرهبان وقتلوهم، فحاول الذين كانوا في البرج الآخر ان يأتوا لنجدتهم فرموهم بالسهام. فلما علم الوالي جاء ومعه حاملو المشاعل، فرماهم الفرس الذين على السور وأصابوهم بسهولة، وبينهم الوالي الذي توفي على أثر إصابته بالسهم. وفي الصباح تسلق الملك وجيشه السلالم. وأصيب العديد منهم بالسهام، وكانوا يرمونهم بالرماح، ومن تراجع منهم قتله الملك، فضاق الفرس ذرعا وحاربوا بضراوة، فحاول سكان المدينة نسف اسس البرج، وفيما هم منهمكون برفع ألواح الخشب احتل البرج الآخر ثم الآخر. وكان رجل يدعى بطرس يقاتل بمفرده في إحدى الجهات وقد ارتدى درعا حديديا، فمنع الفرس من الدخول، حتى تمكنوا من احتلال خمسة ابراج في الجهات الاخرى، فهرب أخيرا ولم يُقتل، فسيطر الفرس على السور وقتلوا جميع الحراس خلال ليلتين ونهار واحد، وأخيرا فتحوا الابواب ودخلت الجيوش وحصلوا على أمر بهدم كافة المنشآت، فظلوا يخربون مدة ثلاثة أيام وثلاثة ليالي، باستثناء كنيسة الاربعين شهيدا بمن فيها من الناس، وقد أبقاها الملك بتأثير حاكم الارمن المسيحي.

بعد الانتهاء من التخريب، دخل الرجال لحراسة خزائن الكنيسة بغية الحظوة بتكريم الملك. وأحصوا ثمانية آلاف جثة ما خلا الذين ألقوا في القنوات. فدخل الملك الى متحف الكنيسة وشاهد أيقونة للرب وقد رسم على هيئة رجل جليلي، فاستفسر عنه، فقيل له أنها صورة آله النصارى، فانحنى وسجد له وقال: ان هذا الرجل قال لي في الرؤيا: اني سأسلم لك المدينة بعد ثلاثة أيام نظرا الى خطايا سكانها. فأخذ آنية الكنيسة الذهبية والماسية والحلل الثمينة. ووجد خمرا جيدة وقد جفت بعكرها، حيث اعتاد الناس تجفيف الخمر بوضعها في الشمس خلال الصيف ولمدة سبع

سنوات، وقد اعتادت الشخصيات البارزة وضعها كمسحوق في الاكياس في أثناء أسفارهم فيمزجون قليلا منها بالماء ويشربونها منعشة. يقولون لمن لا يعرف ما هي، انه جبن. ثم جمعوا الذهب والفضة والنحاس ووضعوها على أكلاك الخشب التي صنعوها في نهر دجلة الذي كان يمر الى الشرق من المدينة، ودخلوا المدينة وقتلوا جميع الزعماء وكل من تأخر من السكان، فهلك نحو العشر بسبب مقتل العديد من الفرس، وألبسوا لاوند وقورا ثيابا وشدوا رقابهما بحبال الخنازير وحملوهما على خنزير وهم ينادون: يجب ان يُهان الذين لم يحسنوا الادارة وسببوا إهانة الملك.

الفصل الثامن من المقال التاسع

في الاحداث التي جرت فيما بعد في عهد انسطاس وبناء دارا التي أنشئت في ما بين النهرين في هذه الفترة

أحداث مؤلمة في آمد:

لما حان الصيف، حرك قود في آمد قائد الجيش أغلون على راس ثلاثة آلاف جندي واثنين من المرازبة لحراسة المدينة، وذهب الى الرها في ما بين النهرين. ولما فشل في احتلالها سبى وأحرق بلاد بين النهرين وعاد الى بلده فارس. فجاء الروم الى آمد وشدوا عليها الحصار، فانتشرت فيها مجاعة كبرى. وكان يقود جيش الروم رجل ذو بأس يدعى فروزمن، لم يدع الفرس ان يتحركوا. وان رجلا يدعى كدانا من قرية الاكارين خدع اغلون وأربعة فرسان، قائلا لهم: يوجد مئة رومي وخمسمائة حصان بالقرب من المدينة بإمكانكم القبض عليهم، فصدق وأرسل جواسيس ثم خرج بصحبة رجاله واذا بهم في وسط معسكر الروم الذين قضوا عليهم وأتوا براس أغلون الى المدينة فحزن ابنه والمرازبة، ومنذئذ لم يسمحوا لسكان المدينة بحضور الاحتفال الذي يقام بالقرب من السور، وألقي القبض أيضا على الجنود الذين كانوا يجلبون الحنطة والخمر وقد ناهز عددهم العشرة آلاف وزجوا في السجن واقيم عليهم الحراس، واذ لم يكن لهم طعام، مات بعضهم جوعا، وبعضهم أكلوا أحذيتهم وقبّعاتهم وشربوا بولهم وأخيرا حاولوا افتراس بعضهم البعض. فلما رأى الفرس ذلك أطلقوا الباقين، فخرجوا من السجن وكأنهم أموات خارجون من القبور. وكانت نساء المدينة الجائعات يخدعن الرجال الخارجين من السجن ويستلمن زرافات زرافات منهم ويقتلنهم ويأكلنهم، حتى بلغ عدد الرجال الذين أكلنهم أكثر من خمسمائة. وبعد مدة ضعف الفرس وتركوا المدينة وعادوا الى بلادهم، وتخلف هناك فرزمن للعناية بمن بقي، وأعفاهم الملك من

الضرائب وقدم لهم مساعدات جمة. وارسل الى المدينة راهب وديع رسم اسقفا لها. وبمشورته حضر الى هناك صموئيل البار من دير قترا، صانع العجائب وحلال المشاكل، فسند المدينة الجريحة بعزم وبقوة صلاته وحسن ادارته.

بناء مدينة دارا:

لما علم الملك انسطاس بما حدث لآمد تألم كثيرا وندم، وألقى اللوم على القواد لانهم قاتلوا الفرس دون رضاه. ثم أرسل خمسة من قواده لمحاربة نصيبين لكنهم لم يتمكنوا من احتلالها، فطلبوا الى الملك ان يبني مدينة بجانب الجبل، تكون بمثابة ملجأ للجيش، وباشروا في البناء في المكان الذي قتل فيه داريوس، لذا سميت دارا. وأعطى الملك للاسقف توما ذهباً ثمناً للقرية العائدة ملكيتها الى الكنيسة والتي اشتراها لطيمون وأمره بالمباشرة بالبناء، وتم بناؤها خلال ثلاث سنوات، وكأنها برزت فجأة بمبانيها العجيبة وسميت باسم الملك انسطوبوليس.

وأقام الملك انسطاس نصبا تذكاريا فوق عمود، لان النصب الذي كان قد أقامه ثاودوسيوس تهدم على أثر زلزال. وفي نفس الفترة تهدمت نيوقيصرية أيضا باستثناء كنيسة القديس غريغوريوس العجائبي، كما تهدمت رودس على اثر زلزال. فأرسل الملك مالا اجرة لرفع الانقاض ودفن جثث القتلى. وفي هذه الفترة عينها تمرد بيلطاليوس الطاغية على الملك انسطاس، فأرسل لمحاربته اوفيطيوس فانتصر عليه وأسره ونفاه، فهدأت الزوبعة التي ثارت بسب الطاغية. وعم الامن والسلام في المنطقة الغربية طيلة عهد انسطاس.

مار سويريوس الكبير:

لقد ساند الملك انسطاس الجانب الارثوذكسي وكره الخلقيدونيين، فعقد مجمعا، وبأمر منه توجه القديس فيلكسينوس المنبجي الى العاصمة وحرم لاون الروماني ومجمع خلقيدونية وأتباعهم.. قدم من المشرق نحو مئتي راهب وعلى رأسهم سويريوس الكبير. وكان هو الآخر راهبا، فأكرمهم الملك كثيرا، وأمر بفتح نعش الشهيدة اوفيميا واخراج طومس التحديد الذي أحدث في مجمع خلقيدونية وإحراقه.. لما اكتشف الملك ان فلابيانس الانطاكي هرطوقي طرده ونفاه، ورسم عوضا عنه لكرسي انطاكية سويريوس الكبير الرجل الفيلسوف والعبقري والحكيم والمفوه والمتميّز في العلوم الكنسية والعهدين القديم والجديد، وبتعاليم كافة الملافنة الارثوذكسيين. وكان عداده الخمسين بين بطاكة انطاكية. في رومية، كان انسطيسوس الاسقف الـ ٤٨، ولتسع سنوات، وخلفه سومكس ٦ سنوات، وفي اورشليم كان الاسقف ال، ٥ الياس الذي نُحي وخلفه يوحنا. وفي الاسكندرية، قام بعد يوحنا، ديوسقورس الصغير ابن اخت طيمثاوس النمس. وفي الرها كان بطرس الاسقف الـ ٣٤ وخلفه بولس.

أشتهر في فارس في هذه الفترة، شمعون الارشمي الذي عرف بالمجادل، كما اشتهر الملفان يعقوب اسقف سروج الذي اقتبل موهبة الملفنة النقية من الروح القدس وليس من تعليم البشر. وكان جوالا، ونظم قصائد رائعة تزخر بتعاليم الحياة الحقيقية. وقد فحص القديس مار سويريوس بطريرك انطاكية ملفنته فامتدحه كثيرا.. وفي الفترة نفسها عرف سمعان القواق في قرية كيشير من كورة انطاكية واشتهر بوضع المعنيثات، وهو الآخر تسلم تعليمه النقي من الله مباشرة، من غير ان يدرس.

الفصل التاسع

في مقدونيوس الهرطوقي والاسقف شمعون المجادل

على أثر الضجة التي ثارت بسبب عبارة "يا من صلبت لاجلنا" التي اضيفت بأمر الملك انسطاس، أوعز الملك بعقد مجمع، حضره هو دون ان يلبس التاج، فلما رأوا تواضعه وطيب حديثه، اتفقوا على ان يطلبوا اليه ليضع التاج. وبعد بضعة ايام ولاسباب عدة، أثار الشعب ضجة اخرى. فلما رأى الملك ان الشعب اعتاد على اثارة الشغب، أمر بانزال العقاب بهم لتعدياتهم السابقة واللاحقة. وهكذا تحقق الاستقرار. وقد رأى أحد الفضلاء في الحلم جمعاً غفيراً مصلوبين ومطعونين بالسيوف والحراب، والنساء منهم مهتوكات، ففزع وأخذ يبحث عن ذنبهم فسمع صوتا من السماء يقول: "هؤلاء هم الذين انتزعوا صليبي من هذه المدينة، انهم محفوظون للعذاب الابدي" فسجل الطوباوي الرؤيا وأذاعها في المدينة.

مقدونيوس:

لقد نُمي الى الملك ان مقدونيوس نسطوري، فأوعز اليه ان يحرم مجمع خلقيدونية فحرمه، خوفا فقبله الملك. وبعد الحرم والقسم الذي أدّاه مقدونيوس أمام الملك والمستشارين، غرر به الشيطان، فذهب الى دير دلماطيا وكشف عن نفاقه وتناول الاسرار من جماعته، وجدف بلا خجل. فلما سمع الملك استشاط غضبا وثار كالاسد عازما على القضاء على جميع ذوي الطبيعتين. فخاف النساطرة وتساقطوا أمام أشعة الحق. ثم دخل جماعة من الرهبان الى الملك وقالوا له: اننا نلقي اللوم على مقدونيوس لاحتفاله بذكرى نسطور وإيعازه الينا بان نفعل كذلك، فغضب الملك على الرهبان وقطع المعونات التي كانت تتسلمها أديرتهم، وماء

حماماتهم واقتصر على إعطائهم ماء الشرب فقط. ثم أخبر بعض مستشاريه بان مقدونيوس يتآمر عليه وقد جمع مختلف الهرطقات في كتاب وطلاه بالذهب وأضل به الكثيرين. لذا أمر ،
وأخبر البطاركة والمستشارين بقسم مقونيوس وما فعله بعد ذلك القسم، فأجاب جميعهم، بما انه كذب على الله، فلا بد ان الله يحله ويجرده من الكهنوت.

لقد زاد الملك رواتب جيشه، حيث كان يسلمهم اياها كل خمس سنوات بعد أداء القسم بعدم خيانته، وفعل هذا مع كافة القواد بعد ان علم بأن مقدونيوس يحاول التآمر عليه عن طريق ابن اخته اسطليوس، وكان مقدونيوس يسميه مانويا واوطاخيا، وعقد الملك يوم الاحد اجتماعا لا نظير له، وتلا صورة إيمانه أمام الحضور قائلا: لا تخافوا مني، فاذا وجدتم انحرافا في ايماني انزعوا عني الطيلسان والتاج وأحرقوني بالنار. حينئذ رمى الجميع بأنفسهم على الارض أمامه وأدانوا مقدونيوس، فأمر الملك ان لا يتناول أحد منه ولا يزوره أحد. فهاج الاساقفة والاكليروس والشعب على مقدونيوس، ثم نفي، وفي المساء جاء أحد الاساتذة وأخرجه. على هذه الصورة كانت نهاية مقدونيوس.

شمعون الارشمي:

برز في هذه الفترة، شمعون الارشمي الملقب بالمجادل الفارسي، الراسخ بالايمان والمتبحر بالعلوم والخبير بالجدال حتى قبل تسقفه. وكان المانويون والمرقيونيون يخشون من ذكر اسمه. وكان يجول متفقداً المؤمنين الكثر الذين هداهم، حيث انه عمد في وقت ما ١٣ مجوسيا بارزا، فسمع الملك، فاستشهدوا على يده، ووشى به النساطرة لدى الملك فأثار اضطهادا على المؤمنين، فذهب الطوباوي الى العاصمة وأخذ توصية من الملك انسطاس لملك فارس فأوقف الاضطهاد. وأثار بارامّن الجاثليق النسطوري جدالا مع المؤمنين الذين استدعوا شمعون، كما وشى

بـه علـى انهـم جواسـيس لـلروم، فقـال مرزبـان الملـك الفارسـي المكلـف بالتحكيم بينهم ـ وكأن الله ألهمه ـ ان هذا من شأننا وليس مـن شـأنكم. أما انتم فلكم ان تقولوا ما هو من اختصاصكم. فقـال بابـاي: ان كلمـة اللـه حلّ على هذا الرجل المولود من امرأة مثلنا نظرا الى صلاحه، ومثل ملـك يرى ابن متسول في المزبلة فيوشحه بثياب ملكية ويدعوه ابنــه، هكذا هـذا الانسان الذي بسببه نشأ بيننا، فان الله أراد ان يجعله ابنه بالنعمة في حيـن انه ليس ابنه بالطبيعة. قال الرئيس: ماذا تقولون انتم؟ أجاب شمعون، نـود مناقشة قول الجاثليق "انه ولد من امرأة كانسـان بسيط مثلنـا". فنحـن نولـد من امرأة ومن زرع رجل، فاستفسـر منـه عـن قولـه بانـه ولـد مـن امـرأة مثلنـا، هـل ولـد مـن زرع أم لا؟ فلمـا سـأله، لـم يحـر جوابـا، فألزمـه بـان يجيب، فقال: انه ليس من زرع بشري. ثم سأله أيضا، فكيف اذن حبل بـه؟ فقد كتب بانه من الروح القدس. اذن قد كذبت بقولك انه ولـد مثلنـا. فنحـن لم نسـمع قـط ان انسـانا ولـد مـن غـير زرع، فخجـل الجـاثليق، واسـتطرد شمعون قائلا: اذا كان الامر كما قال الجاثليق أمامك، بانه مثل ملك ينتشـل مـن المزبلـة ابـن فقـير ويوشـحه بثيـاب الملكيـة، ويـأمر بـان يدعـى ابنــه، فسيعرفه الكل بانه ابن النعمــة لانــه ليـس ابنـا طبيعيـا للملـك، فـاطلب الـى سيادتك ان تسألوه، عن ابن فقـير صـار ابنـا للملـك بالنعمـة، هـل لـه والـد طبيعي؟ وإلا فمن اين جاء؟ ليوضح أمامك مـن أيـن وُلـد. فـأفحم الجـاثليق وأساقفته وخجلوا ولم يحيروا جوابا. وأخيرا اعترفوا بانه من الله وقد حبل به من غير زواج. فقال الحكم، اذن فوالده هـو اللـه، وعليـه فـالابن أيضـا يكون آلها. أما اذا كان والده انسانا ولد مثلنـا بـزواج، فـالابن أيضـا يكـون انسانا. فهتف الاساقفة المؤمنون، أدام الله حكمتكم. فخرج النسـاطرة وهـم يجرون أذيال الخجل. وعلى أثر هذا النقاش رسم القس شمعون اسقفا.

ثم شكا النساطرة الاساقفة المؤمنين لدى ملك الفرس فسجنوا سبع سنوات يكابدون العذاب القاسي حتى أوشكوا على المـوت، فـأخبر القديـس ملك الحبشة بذلك فكتب الى ملك الفرس بخصوصهم فأفرج عنهم. ثم عـاد النساطرة وشكوهم لدى كهان المجوس، فانزعج منهـم الفـرس وقـالوا لهـم

اجلبوا وثائق من الملك لنرى أيّا منكم هو الاصدق بايمانه، فتحمل الطوباوي شمعون هذا العبء وذهب الى العاصمة، فأعطاه الرب موهبة الالسنة حيث أخذ يتكلم بلغة كل قوم يدخل منطقتهم. ثم فكر في طريقة تصان فيها وثائق الملك سالمة في حالة تلوثها بسبب طول الطريق، فصنع مناديل كبيرة من كتان وعالجها بالعقاقير لكي تصلح للكتابة. ولا تزال موجودة في بلاد فارس، وتتضمن إيمان كل شعب بلغته، فكان الاساقفة يكتبون ويختمها على الرصاص بختم ملوك تلك الشعوب. وعاد بعد سبع سنوات وكان الملك قد توفي، غير ان الفرس أدركوا ان تعليم النساطرة مزيف. ودعت الضرورة الى ان يذهب شمعون الى العاصمة مرة أخرى، وشاء الله ان يريحه نظرا الى شيخوخته، فتوفي عندنا.

الفصل العاشر

في الطوباويين فيلكسينوس وسويريوس

جهاد مار سويريوس:

وجه القديس فيلكسينوس المنبجي رسالة في الايمان الى الملك زينون، واستلم الجواب. وهو الذي فضح قلديون الانطاكي، واكتشف ان فلبيانس هرطوقي وطلب الى الملك ان يعقد مجمعا في صيدا، فتأخر عنه فلبيانس فحرمه المجمع، وبعد ارفضاضه، اتقد غيرة فجمع الرهبان وشخص الى الملك انسطاس وأخبره بهرطقة فلبيانس فاقتنع وأمر بنفيه، واقاموا بدلا منه سويريوس البليغ من دير ثاودورا في غزة، وكان يعمل ܡܦܫܩܢܐ (ترجمانا) في العاصمة، ووضع كتبا تتدفق تعليما حيا، وألف كتاب فيلاليتوس يتضمن أجوبة لأسئلة ذوي الطبيعتين، وعقد مجمعا مع المنبجي، وشرحوا هنطيقون زينون الذي أصدره ضد مجمع خلقيدونية، وكتابا حول الشكاوى التي كتبها يوحنا النحوي.

وكتب سويريوس ثلاثة مجلدات نقض فيها أنظمة الرهبان الشرقيين وقورا اسقف قنسرين الذين اجتمعوا في صيدا في أيام فلبيانس سنة ٨٢٣. قال فيها: قبل كل شيء نشكر المسيح الله على كل شيء، ونشكر ملكنا الرحيم ومحب المسيح الذي نفح فيكم غيرة ومخافة الله، ودعاكم الى هذا الاجتماع المقدس باسم المسيح الواحد الذي وحده هو ابن الله، وفيه تجمعون الكل على ايمان واحد الذي سلمته الكتب المقدسة وحفظه الآباء القديسون بوحدة رأيهم واتفاقهم على العمل الصالح وتلقينهم الجميع التعاليم الالهية بالروح القدس الواحد الذي نطق بهم. فان الرب قد اعتبركم كما تستحقون، واختاركم في هذا الوقت من اجل وحدة الكنائس المقدسة، لا لتحديث الايمان الذي حدده تحريريا آباء نيقية القديسون الـ ٣١٨ لانه مطابق تماما للكتب المقدسة، لكن لتميزوا دائما أولئك الذين

تواقحوا وحاولوا تحريفه، والذين لم ينطقوا بفم الرب كقول النبي، بل من بطونهم، وانشقوا عن بعضهم البعض ونتيجة لخدعهم الشريرة. شقوا هؤلاء الذين ببساطة القلب يحفظون تقليد الآباء القديسين وهم متفقون في الايمان المستقيم فالمسيح عندهم يُقسم، أيها القديس. فما دام المسيح يُظلم بهذه الصورة، فان الكنيسة لا تستطيع ان تتحد بسبب تلاعبهم بالالفاظ. فقد كتب "كل مملكة تتقسم على ذاتها لا تثبت"، وكذلك "ان كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضا انظروا لئلا يفني أحدكم الآخر، لاننا جميعا جسد واحد في المسيح وأعضاء من أعضائه" كقول الرسول الالهي.

فها نحن نتقدم الى قداستكم برجاء كرعاة، ملتمسين ان تصونوا الايمان القويم بلا عيب في سائر المسكونة كالحمامة الجميلة المذكورة في نشيد الانشاد منقين إياه من كل هرطقة لها صورة التقوى، فينظر اليه وكأنه ملكات ووصيفات وعذارى. وتهتم بمزجها لتكون معها شيئا واحدا، وبواسطتها تقبل كحقائق. فاذا عملتم هذا، يكون لكم أجر وتسمعون الرب وهو يقول: "من اعترف بي قدام الناس اعترف به أنا أيضا قدام أبي الذي في السموات". فميزوا اذن كوكلاء، الكلمات الآلهية، ميزوا بين الطاهر والنجس كما قال. وألقوا بعيدا الذين خلطوا الزيوان مع الحنطة النقية، أعني تعليمهم القذر. فقد قيل: أبعدوا الضار من المجتمع، ولتخرج معه الغلبة. فقد ظهر جليا ما قيل، علينا ان نحل ونوضح.

وهنا دونوا بقية الانظمة وتقاليد كثيرة من الآباء، و٧٧ شكوى ضد مجمع خلقيدونية. هذه الامور كلها يضمها الكتاب المشار اليه أعلاه. وان بقية ما كتب عن مجمع خلقيدونية قد جمع في المقال الثامن.

أما مار سويريوس بطريرك انطاكية، فكان شخصية بارزة متضلعا من الفلسفة اليونانية وراهبا حذقا، وقد قرأ ايرثاوس وديونيسيوس وطيمثاوس وطيطس واغناطيوس وقليميس وديونيسيوس آخر وقليميس آخر، الى جانب السير والفلسفة الاخرى والتعاليم القويمة. وكذلك المنبجي،

فقد حذق هو الآخر بكل ما وجد في اللغات وعلم كتبنا المقدسة. ولما عقدا مجمعا وحرما جهارا: مجمع خلقيدونية، كتبا بما اتفقا عليه، الى يوحنا الاسكندري وطيمثاوس القسطنطيني، وقد وافق الجميع باستثناء اسقف رومية.

الفصل الحادي عشر

في الفترة الاخيرة من حياة الملك انسطاس بإيجاز

تسلسل رؤساء الكنائس:

كان رؤساء الكنائس في عهد انسطاس كالآتي: في رومية. بعد غلاسيوس قام انسطاسيوس وخلفه سمكس ٥ سنوات. وفي الاسكندرية، بعد بطرس قام اثناسيوس ٧ سنوات، وخلفه يوحنال ١٠ سنوات و٧ أشهر، وخلفه يوحنا آخر ١١ سنة، وقام بعده ديوسقورس سنة واحدة، ثم طيمثاوس ١١ سنة و٦ أشهر. وفي انطاكية، بعد بطرس القصار، قام قليدس ثم فلبيانس الذي نُحي لكونه هرطوقيا، فقام سويريوس معلم الارثوذكسية الشديد البأس. وفي القسطنطينية، قام بعد اقاق فلبيانس فاوططيوس ثم اوفيمينس الذي نُحي، فخلفه مقدونيوس الهرطوقي الشرير الذي نحي هو الآخر فخلفه طيمثاوس. وفي اورشليم، بعد انسطاس قام مرطوريوس وخلفه سالسطينس الذي انشق وانضم الى رومية، فخلفه الياس الذي اكتشف بانه هرطوقي فطرده الملك انسطاس.

في السنة ٢٢ للملك انسطاس، تمردت ارمينيا على الروم، فأرسل الملك جيشا اليها، فخرب وأسر العديد من أبنائها ووضعهم تحت عبودية الروم. وفي سنة ٨٣١ يونانية، مرض الملك انسطاس ورحل بسلام في ١٤ تموز بعد ان حكم ٢٧ سنة وثلاثة أشهر و٩ أيام، وهو الذي بنى مدينة دارا وتتورين. وفي السنة الـ ٢ من حكمه او بحسب رأي آخر، السنة ١٤ انتهت الالف السادسة. اي الالف السادسة للخليقة. وفي التقويم اليوناني تنتهي الالف السادسة سنة ٨١٤. نحن نؤمن ونعترف بان العالم زائل، ولكن متى؟ لا ندري. فالله وحده فقط يعلم ما سيكون قبل ان يكون، فنحن ننتظر الامور العتيدة.

فـي عهـد انسـطاس، أثـار الايسـروريون **افصما** (فتنـة) اعتـبرت تمردا وأقاموا الطاغية، نينغوس رئيســا ومدبـرا لهـم. وكـان قويـا، فأرسـل الملك اوفطسوس لمحاربتهم، فقتل نينغوس في الحرب وتبدد أتباعه، وسلط عليهم السيف فاستسلموا صاغرين. وفي ايام انسطاس أيضا، أطلق الذهـب للصناع في كافة أرجاء بلاد الـروم.. يـوم الجمعـة حـدث كسـوف شمسـي استمر من الساعة الثالثة حتى التاسـعة.. انشـق اليونـان عـن الملـك بسـبب عبـارة "يـا مـن صلبـت لاجلنـا"، وبعـد لأي تمكـن مـن مصـالحتهم، فثبـت بعضـهم على العقيدة المقدسة، وبقي الآخرون متشككين ومنشقين، بعضـهم خفية والبعض الآخر علانية حتى وفاة الملك.

الفصل الثاني عشر

في بدء حكم يوستنيان وبداية الفساد الثاني للخلقيدونيين

ظهور كوكب غريب:

في ٢٦ نيسان سنة ٨٣٢ يونانية، هطلت في طريطا أمطار غزيرة، ففاض نهر ديصان القريب من الرها، ودمر عدة مناطق، وكاد السور ينهار برمته، فأرسل يوسطنيان المال وجدّد السور والمناطق الاخرى، فدعيت يوسطنيابوليس، كما قدم الملك يوسطنيان مالا لبناء انطاكية التي كانت قد تداعت هي الاخرى من جراء قالاريقوس.. في مطلع حكم يوسطنيان، شوهد كوكب في المشرق شبه نيزك ضخم ذات رأس مخيف متجه نحو الاسفل، وتنبعث منه أشعة مخيفة شاهدها العامة. ويسميه اليونان مذنب. فخاف الكل من منظره، وكان يُرى واضحا حيثما اتجه. وهو يرمز الى تأديب وخراب الكنيسة العتيد ان يتم.

سنة ٨٣٢ ملك يوسطنيان، وهو تراقي من قرية بدرونيوس التي أحالها الى مدينة وسماها باسمه، وان ماءها رديء وغريب بحيث لو سكب على النار أحالها دما. وكان يوسطنيان رجلا شيخا جميلا وبسيطا، وغير مثقف ولا خبرة له في الدين المسيحي، وحيث ان التراقيين هم رومان وإيطاليو الاصل، تمسكوا بلاون ومجمع خلقيدونية، واعتقد بان المملكة ستتوحد اذاقبل الجميع المجمع، وحثه المخادعون على قبول المجمع الى جانب المجامع المقدسة الثلاثة، والمناداة بالمجامع الاربعة على حد سواء، لكي يستطيعوا بهذه الطريقة، ان يخدعوا الناس الذين رفضوا مجمع خلقيدونية وقبوله مع الثلاثة الاخرى.

مغادرة مار سويريوس انطاكية:

لدى صدور أمر يوسطنيان بقبول المجمع، سخر القديس سويريوس من الملذات والمجد الباطل، وانتقل من انطاكية الى الاسكندرية بعد ٦ سنوات من جلوسه على الكرسي. وفي أعقاب تركه انطاكية شبّ فيها حريق التهم معظمها، واستمرت النار تشتعل في كافة أنحاء المدينة لمدة ٦ أشهر، ولم يعرف أحد كيف كانت تضطرم، وقد عجزوا عن إطفائها لانها كانت تشير الى الدمار المقضي به على انطاكية.

لقد نصب القديس سويريوس بطريركا سنة ٢١ للملك انسطاس وهي السنة ٨٢٥ يونانية، وغادر في السنة الاولى ليوسطنيان وهي السنة ٨٣٢، وبعد سنة واحدة من مغادرة القديس سويريوس الكبير، ظهرت في انطاكية علامات الغضب، فقد شرع بولس المسمى يهوذا ينادي فيها بالمجمع الخلقيدوني، وجمع كافة أساقفة سورية وأكرههم على الاعتراف به. فالذين تخاذلوا أعادهم الى كراسيهم. أما الذين لم يتخاذلوا او يغيروا حقيقة الايمان، ولم يرضخوا لقبول ضلال خلقيدونية فأرسلهم الى المنفى. وقد أشار يوحنا الاسيوي الى عدد الاساقفة الذين تخاذلوا.

الفصل الثالث عشر

رواية يوحنا الاسيوي عن الاساقفة الذين اضطهدوا في هذه الفترة

اننا نعجز عن الكتابة عنهم بإسهاب، لانهم كانوا من مدن متباعدة، ومعظمهم قضوا في مناف مختلفة. لذا سنقتصر على ذكر الذين تحدثنا اليهم في الاسكندرية والقسطنطينية.

بعد مغادرة القديس سويريوس انطاكية، طرد **من قيليقيا الثانية:** كل من انطيبريوس اسقف انازربا، ويوليان اسقف هجون، ويوحنا اسقف مومفسطيا، وبولس اسقف ابيفانيا، ويوحنا اسقف اربونوبوليس، وبولس اسقف الاسكندرية الصغرى. **ومن قبادوقيا:** فرقلوس اسقف كولونيا، ماسونيوس اسقف ترما في سلوقيا، نيقوفورس اسقف سبسطية ارمينيا. **من لاذقية سورية:** قسطنطين الذي استحق ان يذكر اسمه على المذبح في كافة اجتماعات المؤمنين، نظرا الى فضائله الكثيرة، وقد توفي في العاصمة: انطونينا اسقف حلب وهو الآخر توفي في العاصمة، فيلكسينوس المنبجي الذي نفي الى غنغرا، وقد سجنوه فوق مطبخ البيمارستان حيث اختنق بالدخان. بطرس اسقف اوفاميا الذي كان مع البطريرك ثاودوسيوس حتى سنة ٨٥٦، وانتيموس وقد توفي في القسطنطينية، نونا اسف سلوقيا، ايسيدور اسقف قنسرين، مارا اسقف آمد، توما اسقف دمشق، وكان متزهدا لم يأكل خبزا ولم يشرب خمرا مدة ١٨ سنة، وتوفي في القسطنطينية، الكسندروس اسقف آكل من المدن اللائدة بدمشق، توما اسقف يبرود، يوحنا اسقف تدمر، يوحنا اسقف الرهبان العرب. سرجيس اسقف قورس، توما اسقف جرمانيقي، بولس اسقف الرها الذي تخاذل ثم عاد ومات في اليوم نفسه. يوحنا اسقف حران، يوحنا اسقف أمرين، اسطاثاوس اسقف فارين، بطرس اسقف راس العين، نونا اسقف قرقسيون، بولس اسقف ولنيقوس، مريون اسقف يور الرومان، يوحنا

اسقف تللا، توما اسقف دارا، هرون اسقف ارشميشاط بلد الاورطيين. ومن مناطق آسيا قاريا. من افروديسيا، رئيس الاساقفة اوفاميوس، وميتوفنوس من انطاكية التي على شاطئ نهر سوندس. واوكيوس من مدينة اليندا، وبطرس من مدينة الند. يوليان اسقف ليقرنسوس الذي تبع فيما بعد مذهب اليوليانيين. اوسابيوس اسقف افسس الذي طلب اليه ان يذهب الى العاصمة ويعلن قبوله للمجمع فاستمهل ثلاثة أيام، فدخل الى الكنيسة ورمى بنفسه أمام المذبح وصلى، وبعد الايام الثلاثة توفي. ايليرانا اسقف نيوقيصرية، هلفيد اسقف قسطرينا، تاودور اسقف مدينة ايلبيا، لوقا اسقف مدينة ايموريا، اسيكونا اسقف هدرينوس، بطرس اسقف مالوطا، بيقطور اسقف فيلادلفيا، بطرس اسقف الندائيين، اغتورورا اسقف ايسون، فالج اسقف المندريين، فوطينوس اسقف الارسانيين، الكسندروس اسقف كنكر. وغيرهم من الطوباويين الذين اضطهدوا لانهم حذوا حذو مار سويريوس ولم يقبلوا المجمع، ومنهم من رحل بإرادته فأنهوا حياتهم وهم أحياء.

في فترة الاضطهاد أيضا:

لم يتزعزع كرسي الاسكندرية طيلة فترة يوسطنيان. فقام طيمثاوس بعد ديوسقورس، وكان يستقبل الكهنة الفارين بمحبة ويشجعهم. أمّا نونا اسقف سلوقيا فذهب الى بلدته آمد، وسكن داره، وكان غنيا وزعيما في ايام يوحنا اسقف آمد الذي جاء من دير قرتمين، وكان قد باركه يوما ما وقال: أملي بالله انك ستموت اسقفا وانت جالس على كرسي. وقد صار هذا القول موضع الدهشة، لانه صار اسقفا بعد غزو آمد. ذلك ان الاسقف توما الرحيم الذي بنى مدينة دارا والذي حاولوا خطفه ليقبل المجمع، طلب الى الرب فمرض فجأة ومات وهو على كرسيه، ولكي تتم بركة يوحنا، أقام الآمديون نونا اسقفا لهم، وقد عاش بضعة أشهر ومات، فأقام الآمديون مارا بحضور نونا اسقف ميافرقين، وأرثا اسقف اكيل وهرون اسقف شميشاط. وكان مارا عفيفا صواما

وضليعا باليونانية. وبعد فترة من تسقفه على آمد أبعد الى فاطرا، ومن هناك استدعي الى الاسكندرية، ووضع عدة كتب ذكر فيها معجزات كثيرة.

وها اني أسجل للتاريخ ܦܠܚܘܣ الاسقف مارا، ليطلع المرء من خلال بضعة فصول، من حديث كثير، فيتأمله بروية ومعرفة ليقف على ما احتواه هذا الكتاب من فصول ونظريات، فيبدأ يتمعن فيها شيئا فشيئاً. واذا ما جمع المرء ما كتب، ليعلم بان الله تجسد، واليه تنسب الامور الالهية والبشرية، التي بها يثبت اسس العالم التي سنجلي بصورة أوضح لدى مجيئه الثاني. ومن يتأمل هذا (الكتاب) يستطيع معرفة ما كتب عنه قبل تجسده وقد ورد في هذا الكتاب الذي تضمن أيضا ولادة يوحنا الذي جاء للشهادة لاله اسرائيل. ويستطيع ان يدرك بان ميلاد يسوع الله يفوق الطبيعة، حيث انه تم من عذراء، ومن المعلوم ان لكل انسان بداية. أما الذي ليس له بداية فهو يسوع من السماء. وان الشهادات عن التجسد الواردة في الانجيل والتي أوحى بها الروح للملاك ولاليصابات والعذراء ويوسف والرعاة، وببشارة مجموعة الملائكة ونبوة زكريا وظهور النجم، تظهر مملكة ابن الله المولود التي لا تزول، ونبوة سمعان وحنه حول مجيء المسيح من اجل خلاص العالم، إضافة الى كرازة يوحنا المعمدان الذي صرح بانه من الارض، أما المخلص فمن السماء. ويستطيع المرء ان يقف من الانجيل على التدبير الالهي الذي تم بحكمة دون اي تدخل او حكمة الحكماء وتعليمهم، والسلطة المخوفة والعجائبية التي عمل وتكلم بها، ومعرفته بكل شيء، وتنزهه عن الخطيئة. وان آلامه بالجسد كانت إرادية، وهو يبطل الموت بقيامته، ويصعد الى السماء ويؤيد الانجيل، لقد أخذ من العذراء جسدا ذا نفس ومعرفة، وحبل به بالجسد ٩ أشهر، وولد بحسب الطبيعة ولكن بمعجزة وقمّط ورضع واختتن بحسب الناموس، وهربت به والدته الى مصر أمام تهديد هيرودس. وعاد من مصر من اجل تجديد اسرائيل، وكان ينمو بالقامة ويطيع امه ويوسف، واعتمد بالماء من يوحنا شهادة لولادة وتجديد الجنس البشري برمته. لان معموديته منحتنا ميلادا روحيا مقدسا، وجرب كانسان من قبل ابليس

فانتصر كأله ولاسيما في الجهاد مع المجرب، وخدمته الملائكة. وأعاد الراحة الى جنسنا بإعادته الى الفردوس، وتصرف مع تلاميذه تصرفا بشريا، وتجاهل المضطهدين أحيانا وجاع وعطش وتعب، مدللا على ان ما قبله من أعمال بشرية ليس من التزامات الطبيعة، كي لا يظهر كأنه ليس بإله بصيامه أربعين يوما وشعوره بالجوع في نهايتها. وما يشبه هذا، نومه واعتزاله في الجبل وإحياؤه الليالي في الصلاة، وكانت صلاته للآب من أجل البشر، ونام في السفينة في عرض البحر لترويض التلاميذ على الايمان بقدرته على تهدأة الامواج. وحاولوا طرحه من سفح الجبل فلم يتمكنوا، ولما أحاطوا به انصرف عنهم مجتازا بينهم. وان الرمح لم يكن سببا لمفارقة نفسه إياه على الصليب، بل هو أحنى رأسه وسلم الروح. وفي كل الاحوال، له الامور الالهية والبشرية. وان الاصلاحات التي أدخلها المسيح الى العالم هي توبيخ للشرير، كان يطرد الشياطين ويخرج الارواح الشريرة ويشفي الامراض المستعصية ويقيم الموتى ويبعد التجارب المتنوعة ويبطل الآلام، الامور التي كانت رمزا للعالم الآتي البعيد عن الشرور ذاك الذي ننتظره بالرجاء والمحبة والايمان. ان تعاليم مسيحنا تبعد الناس عن داء محبة المال وتمجيد الباطل واللذة، وتسمو بهم لكي يعبدوا الله بالارادة العادلة.

ومن بين ما كتب الاسقف مارا عن الانجيل، فصل فيه القانون ٨٩ الذي لم يتطرق اليه غير يوحنا، ومفاده ان ذات يوم وفيما كان يسوع يعلم أتوا اليه بامرأة زانية ليقول فيها رأيه، فسألهم يسوع وهو ــ كأله يعلم أعمالهم وشهواتهم المخجلة ــ ماذا أوصى الناموس؟ أجابوا: تُرجم بشهادة شاهدين او ثلاثة، فقال محق ناموس موسى، ليشهد عليها من كان طاهرا ومحررا من عبودية الخطيئة، فهو الجدير بان يرمي عليها أول حجرة، فانصرفوا الواحد تلو الآخر تاركين المرأة وشأنها لان جميعهم كانوا ملوثين بشهوات الخطيئة وكسر الشريعة. أما يسوع فانحنى نحو الارض وكتب. أين الذين جاءوا بك الى هنا لكي يشهدوا عليك؟ انهم تركوك ومضوا بعد ان فكروا بما قلته لهم. فامضي انت أيضا ولا تعودي تخطئين.

الفصل الرابع عشر

في اضطهاد الرهبان ونهب الاديرة

لقد اضطهد رهبان المشرق اعتبارا من طريطا حتى لهانطا، ولفترة سبع سنوات. في كورة انطاكية وافرطينسيا ومسوبوتوميا (الهلال الخصيب) ودير تللا في سلوقيا، فغادروا الاديرة ووصلوا الى قنسرين على الفرات بواسطة يوحنا بن افتونيا المنطقي. واضطهد قوريس رئيس دير للسريان في انطاكية مع الاخوة ورهبان تلعدا وبازو ودمشق ودير سمعان، ودير النجديين، وانغطوس رئيس دير عقيبا في قنسرين، ورهبان دير قانون، ويوحنا رئيس دير كفرا بيرا، ودير مار باسوس، ويوحنا رئيس دير المشارقة والقوبيين، ودير مغاوس ودير سرجيس في فسيلتا، وتوما رئيس دير ناصح، واسحق رئيس دير عبد يشوع ودير العرب وميسوس، ودير ازلا في كومل، وخمسة من أديار مطران آمد، وحنانيا المدعو الكسيح صنع المعجزات، ودانيال الزائر. وسلمان من دير مار صمونيل، وقوريس من دير سكولان، والاسفوليين والايزيين القريبين من راس العين. وامتد الاضطهاد الى جموع المتوحدين الساكنين في البرية. رجال أتقياء ذوي كرامة، وكذلك أديار الرها، وايليا الايسقوني وساميز وقوزما ويوحنا الاورطي وماورن رئيس دير المشارقة، وسرجيس الطاهر البريء، وخليفته انطون الرزين الطيب، وايليا من أبناء جلدتنا حبيب الاخوة، وسمعان رئيس دير قيش، وسرجيس، ودير مار يوحنا حور، وسمعان رئيس دير مار اسحق جابولا الذي اعتنق هرطقة يوليان، وابن نيقيا من دير مار حنانيا صانع المعجزات الذي شخص الى العاصمة مدفوعا بالغيرة ووبخ الملك وجها لوجه. ويشهد على هذا، المنبجي في الرسالة التي وجهها اليه من غنغرا، ورهبان دير مار زكا في قالينيقوس، ودير مار أباي وبيت رقوم.

هكذا كانت البرية تزخر بسكانها والذين كانوا يزورونهم بمحبة. ومعهم أيضا رؤساء مجاميع أجلاء، يوحنا التلي الزاهد الذي لم يقتت حتى بالخبز الذي هو قوام حياة الانسان. فأكثر من المطالعة حتى صار غنوسيا وعالم النظريات، وكان يختطف بالروح لمدة ثلاث ساعات، وتبحر بمعرفة خلائق الله، وتراه منشرحا مع كل واحد، من ست الى تسع ساعات، ويتلطف بالحديث مع الذين ينفذون ما يتطلب من أعمال. وتوما الداري الذي كان يتحدث في الطبيعيات كثيرا، إضافة الى أشغاله المتعددة.

لقد أثار بولس اضطهادا على العديد من الاديرة كبيرة وصغيرة في سائر أبرشيات سورية وفلسطين، وفي الشمال والجنوب وحتى حدود الفرس وبلاد المشرق، فنُهبوا وسُلبوا وكُبلوا بالاغلال واحتملوا المشقات، وأفرز الجيش الروماني اناسا متوحشين يتعاملون بلا رحمة مع المضطهدين والذين يقبلونهم في قراهم، وطال شره حتى النساء والاطفال، وليس من يستطيع ان يصف قساوة هذا اليهودي الذي اضطهد كل الفئات جوعا وعطشا وعريا. وترحيلا من مكان الى آخر. فما كانوا يلقون رحالهم اليوم، حتى يشدوه في الغد دون ان يكون لهم مكان للمبيت، فيمكثون في البرية مع الوحوش تحت السماء حتى في ايام الشتاء. ويبيتون في العراء على الجليد او تحت المطر، وكانوا ينزلون بعضهم من الاعمدة او يخرجون آخرين من السجون ويسحلونهم، لاسيما في المساء لدى جلوسهم للاكل، حيث كان الطغاة يباغتونهم ويضربونهم بالعصي ويطردونهم، فيخرجون بعد تعذيبهم وبينهم شيوخ وعجائز. وكان المضطهدون يأكلون ما هيأوه من طعام.

ولما استدعي بولس الرهاوي أكثر من مرة ولم يستجب، أرسلوا اليه جنودا رومانا، فهرب واختفى في جرن المعمودية لكي لا يضطر على الموافقة على المجمع اذ كان يحقد عليه. أما أبناء المدينة والرهبان، فقاوموا الجند تشبثا براعيهم واستشهد كثيرون منهم، ثم خرج بولس الرهاوي ورافق الجند الى بولس اليهودي، فاتضح انه يحمل نفس آرائه،

واتفق معه خفية، وأحكما تدبير الامر، خشية من الرهاويين، وأطلق سراح بولس الرهاوي وأرسل من قبل بولس الانطاكي فقبله الرهاويون كأرثوذكسي. وفي تلك الغضون توفي اسقف حران، فأراد بولس رسامة قس يدعى اسفوليس اسقفا لها، وبعد ان وعده نكث بوعده ورسم آخر، فتوجه اسفوليس الى الملك ووشى ببولس على انه لا ينادي بالمجمع، فكتب الملك الى فرزمان، فأخرج بولس من الرها، وحل اسفوليس محله.

الفصل الخامس عشر

في وفاة مار يعقوب مطران بطنان، وما كبده الهراطقة للمؤمنين من شرور

في الفترة التي سبقت خروج بولس من الرها، أرسل بطلب القديس الملفان يعقوب اسقف بطنان سروج. وكان القديس يمتنع من الدخول اليه لعلمه بان إيمانه ليس سليما وحقيقيا. فأخذ يزعجه بكثرة الموفدين اليه ليزوره، فدخل الكنيسة ورمى بنفسه أمام المذبح وصلى قائلا: "ايها الرب العارف بالخفايا لا تدعني أرى وجه بولس ان كان يحمل زيف ذوي الطبيعتين". فلما وصل الى دير الفرس، رأى حلما في الليل حول رحيله عن هذا العالم، اذ أوعز اليه في الرؤيا بالعودة الى مدينته، فعاد في تلك الليلة نفسها الى قلايته وأعلن ما رأى على الملأ، وبعد يومين توفي بعد ان أوصى بكنيسته وبتلاميذه وبتعليمه، فتعجب أبناء مدينته وشاع أمر مفعول صلاته، في سائر أرجاء سورية. ولما علم بولس، أقام مكانه شخصا يدعى موسى. كما انفصل رهبان دير المشارقة في جبل الرها منذ أيام بولس، وكانوا قد اعتادوا على ان يتناولوا في كنيسة الرها، واذ شعروا بعدم ايمان بولس قاطعوه، وأخذوا يقدمون الذبيحة في ديرهم، وتبعتهم عدة أديار، موقعين على حرم المجمع، وكتبوا علىأبواب الاديرة "لقد طرد الرهبان في الشتاء من قبل فرزمان وبتحريض اسفوليس". وكانوا يقولون لهم، كيف ترغموننا على الخروج شتاء وبيننا شيوخ ومرضى. ان البرابرة الطغاة لا يفعلون هذا. أما أولئك فكانوا يسخرون منهم، فتركوا قبل يومين من ميعاد عيد الميلاد وخرج أبناء المدينة ليتباركوا منهم، فوجدوا بينهم شيوخا ومرضى محمولين على الاسرّة، فبكوا بمرارة قائلين: الويل لنا لان المسيحية تندثر في أيامنا. والتحق بهم رهبان دير مار زكا ومار قانون واكسردا ودير النفوس، ومار صموئيل، ودير هنديبا، ودير اوسابيا، ودير مار يوليان الشيخ بقرب نهر الماديين.

لدى وصولهم الى دير مار سليمان (المقيلات) قدموا الذبيحة الالهية بمناسبة عيد الميلاد، وهناك حرم الجميع مع الشعب مجمع خلقيدونية، ثم قصدوا دير العرب في تل موزلت، وتوجهوا من ثم الى تل بسما وحطوا الرحال في بيت الشهداء الذي باسم مار ماري. وبعد فترة قصيرة من نزولهم هناك، أرسل والي آمد السيء السمعة فطردهم فجاءوا الى ماردين واستقروا في دير عين حلف. وبعد ست سنوات ونصف هدأ الغضب بسبب تغيير الملك، وعادوا الى أديرتهم بهمة الملكة تيودورة. وبعد ثماني سنوات دبّ بينهم الخلف ولم يتفقوا فانفصل منهم نحو ٧٠ رجلا، واتفق أحدهم ويدعى اليشاع مع آخرين، وذهبوا الى افرام الذي أقيم بطريركا في انطاكية وقدموا له الخضوع، فألبسهم زي الجنود خوفا من الملكة وأرسلهم الى الملك وتزودوا منه بأوامر صارمة، وعادوا الى الدير وسيطروا عليه وطردوا رفاقهم، فأثير اضطهاد في المشرق للمرة الثانية، فتكبد المؤمنون الضيق والعذاب.

الفصل السادس عشر

في اضطهاد الارثوذكسيين
والفيضان الذي حدث في الرها وانطاكية

بعد مرور سنة واحدة على اقامة بولس اليهودي بطريركا على انطاكية، لاحظ الملك انه مزق الكنيسة بطغيانه، وبعد ان وقف على شروره، طرده من الكنيسة، فمات الشقي بعد فترة وورث النار المعدة لمعلمه ابليس.ليكن ذكره للعنة. وخلفه على انطاكية افروسيوس ابن الملاح، الاسقف الـ ٥٢. ولما اصدر الملك امرا بوجوب قبول الجيش مجمع خلقيدونية، وحجب رواتب من لا يقبله، وانتزاع كرامة الجندي عنهم، قبله معظم افراد الجيش. لقد تميز بعض القواد بمخافة الله منهم امنطوس فرافوسطيس وناوقريطس واندراوس قوبوقلريو، هؤلاء نالوا اكليل الشهادة بالسيف لتمسكهم بالايمان الارثوذكسي ورفضهم المجمع اللئيم.

في السنة الثانية ليوسطنيان توفي يوحنا القسطنطيني، وحل محله ابيفانوس الاسقف الـ ٢١. وفي الرها كان الاسقف اسقليف هو الـ ٣٨ الذي رسمه افروسيوس الانطاكي. وفي رومية قام هرميزداق الاسقف الـ ٥٠ في بدء ملك يوسطنيان الشيخ. لما لم يناد يوحنا القسطنطيني بمجمع خلقيدونية، أرسلت الملكة فوفينا زوجة يوسطنيان الشيخ، النشوى بحب المجمع، تهدده بعدم دخولها كنيسته ما لم يناد بالمجمع، فأخذ ينادي بالمجامع الاربعة، وبدأ الفساد منذئذ. وفي السنة الـ ٩ ليوسطنيان حدث زلزال في انطاكية، راح ضحيته افروسيوس، فخلفه أفرام الآمدي الذي كان يظن بانه حكيم ومنطقي، وكان مبتلى بداء القائلين بالطبيعتين، وابتز الكثيرين بدهائه وتهديدات الملك الذي كان يأخذ بكلامه. والحق يقال: ان أفرام هذا كان وثنيا، وفاق من سبقه شرا. فدمر عدة أديرة وهدم مذابح، وكان يتجول صحبة جنود برابرة في مناطق المشرق وحتى حدود الفرس،

مضطهدا المؤمنين مدة ١٨ سنة، حتى أدركه غضب الله وأدرك مدينته التي دمرها الفرس.

في آمد، بعد القديس مارا، قام ابراهيم بن كيلي، رجل شرير، عاتي، أثار اضطهادا ضاريا جدا، وأجبر القس قوريس ان يتناول منه، فقال: انك باكراهك اياي على التناول منك، تؤكد بان قربانك غير مقدس. فأمر ان يضعوا القربان في فمه عنوةِ، فرماه، فأمر ابن كيلي (ابن الكلب) فأحرقوا القسيس وكتب الى الملك يقول، ان شخصا ما داس على القربان برجله فاحترق. وكان ابن كيلي يرسل جماعة من الاريوسيين المقيمين في الدير خارج المدينة، الى بيت كل من لا يقبل المجمع، ليضطروه على الهرب وترك بيته، حيث كانوا يظهرون بمناظر مخيفة، من وجوه مشوهة، وأجسام نتنة تنبعث منها نتانة قذرة، وينساب الدم والقيح من ايديهم. اضف الى هذا نفوسهم المريضة وأفكارهم الحانقة على المسيحيين. وكانوا يتكأون على امتعتهم ويتمرغون على اسرتهم وينهبون ما يحلو لهم وليس من رادع. يأكلون ويرمون كل شيء، واذا ما علموا بقرب اخراجهم من ذلك البيت، دخلوا الى حيث اجاجين الخمر وجرار الزيت والعسل فيغطسون فيها ايديهم القذرة لئلا يأكل او يشرب منها أحد.

كان قود ملك الفرس يتقاضى من يوسطنيان ملك الروم خمسة آلاف وخمسمائة قنطار ذهب لقاء تعسكر القوات الفارسية كحراس تجاه الهونيين، لذا كان يرسل بين الحين والآخر بعضا من العرب الى بلاد الروم ليؤذوا ويسبوا. الامر الذي جعل مندور العربي ان يصعد الى منطقة ليمطيون اي بليحا وحابورا، كما اجتاز الذين كان قد جندهم الروم، الى ارزون ونصيبين فسبوا ونهبوا وقتلوا وخربوا. ثم صعد مندور ملك العرب الى حمص وافاميا وكورة انطاكية فقتل وسبى ودمر واصطحب معه معظم الشعب، واختار من المسبيين اربعمائة فتاة من تلامذة مار توما الرسول، فقدمهن ديميوس ذبائح للآله عوزي. وقد شاهد الشيخ ابيلان بأم عينه هذا المشهد، ولدى عودته من السبي، قصّ الخبر.

تدمير هيكل بعلبك:

وفي عهد يوسطنيان نفسه، وفي سنته السابعة، انقطع جريان ماء عين شيلوحا في جهة اورشليم اليمنى لمدة ١٥ سنة.. وفي السنة نفسها دمرت صاعقة هيكل سليمان في بعلبك المدينة المشيدة في غابات لبنان، والذي يذكره الكتاب بقوله "وبنى سليمان هيكلا وزخرفه، وكان عن يمينه ثلاث حجارة عجيبة ضخمة جدا، لم يبن عليها شيء، لكنها كانت متداخلة مع بعضها البعض، واشتهرت بجمالها، وكانت قد اتخذت رمزا للثالوث. لم يلحق بها الضرر لدى ضرب الصاعقة الهيكل. وقد اقيم بهمة الملك هيكل باسم والدة الاله في نفس المكان.

امرأة غريبة:

وجدت في هذه الفترة، في قيليقيا امرأة طويلة يزيد طولها ذراعا واحدا على طول الرجال، ولم يكن أحد يعرف من اين هي، ولم تكن تتحدث بأية لغة. اما طعامها فهو نفس طعام الناس، وكانت تأخذ فلسا واحدا من كل صاحب حانوت، ثم اختفت بغتة. يقول البعض عنها: قد تكون من الذين يدعون "ابناء الارض".

غرق مدينة الرها:

سنة ٨٣٦ يونانية، لحق دمار هائل بمركز مطرانيّة ازرينا في مدينة الرها، عندما كان اسفوليس اسقفا فيها، والذي كان يُكره المؤمنين على قبول مجمع خلقيدونية المنافق. وأمسك ٢٠ راهبا متوحدا وعذبهم بلا رحمة لكي يقبلوا المجمع المحروم، ثم زجهم في السجن. وفي الساعة الثالثة من تلك الليلة حدث طوفان، فاندفعت مياه نهر ديصان فجأة فتداعى أعلى السور، واذا بالفيض يتراجع ويندفع نحو أسواق المدينة، فغرقت المدينة وغرق الناس والبهائم وانجرفت الامتعة، والذين كانوا على مرتفع

أكثر من مستوى الماء، حاولوا الخروج من أبواب المدينة، واذا بالماء يتدفق من الآبوابن وأصبحت كالبحيرة، وانثلم السور من ثلاثة أمكنة بسبب زخم الامواج، وانهارت الابراج. وفجأة انساب الفيض وجرف الجثث كالحطام، وأوصل البيوت حتى الفرات. ونسب الذين بقوا على قيد الحياة، هذا الامر الى غضب الله بسبب سجن الطوباويين. فأخذوا حجارة ليرجموا اسفوليس، فاختفى وهرب الى انطاكية لدى افروس، وذات يوم أصعده معه الى المنبر وقال للشعب، "هلموا وانظروا نوحا ثانيا فانه نجا من الفيضان كما في فلك". ان الذين نجوا في الرها، انما نجوا من نفاق خلقيدونية، وأدرك الغضب اسقليف في انطاكية ولم يعد ثانية الى الرها. وقد بلغ عدد الجثث التي دفنت ثلاث ربوات. ويقال ان عدد الذين قتلوا بلغ مئتي الف.

حيث ان افروس اذنب بحق المؤمنين كثيرا، مثل بولس اليهودي، لم تتحمله العدالة كثيرا، بل زعزعت المدينة بهزة ودمرتها في سنته السابعة فأدركه الغضب. وفي السنة الـ ٩ ليوسطنيان وهي السنة ٨٤٠ يونانية، انقلبت انطاكية للمرة الخامسة، وكان الغضب قاسيا جدا بحيث ان نارا هائلة اضطرمت وأحرقت الذين نجوا. وكانت الشرارات تتطاير وتحرق كل ما تحط عليه، وكانت الارض تثور وتغلي من كل جانب وتحرق كل ما يوجد عليها، وكانت الاسس والابنية تقفز وتتطاير صعودا ونزولا، وحاول الناجون الهروب، لكن النار كانت ترتطم بهم فيحترقون كالخشب، وكانت السلاهب تنزل عليهم من السماء كالمطر، وغدت المدينة كلها كأتون نار باستثناء بعض البيوت على سفح الجبل التي تداعت فقط. اذ لم يبق بيت او كنيسة او اسيجة دون ان تتصدع من أعماق الارض، حيث كان رمل رطب يثور صاعدا ممزوجا بعفونة البحر، وتتصاعد معه الاصداف. اما الكنيسة الكبرى التي شيدها قسطنطين الكبير، والتي يقال ان ليس لها نظير في بلاد الروم، فقد تصدعت ولكنها ظلت قائمة.

كوارث متنوعة:

وفي اليوم السابع شب فيها حريق فسقطت، وهذا كان مصير غيرها من الكنائس، قال يوحنا الانطاكي، ان الباقين على قيد الحياة أحصوا الذين اختنقوا فبلغ عددهم ألف ومئتين وخمسين، اذ كان في المدينة كثيرون من الغرباء الذين أموها بمناسبة العيد فاختنقوا. وفي اليوم الثالث لسقوطها، شوهد صليب من نور في الجهة الشمالية منها، فخاف الذين بقوا أحياء وصرخوا: ارحمنا اللهم. وظلوا ينظرون اليه مدة ساعة ثم توارى داخل الغمام. وبعد ثلاثين يوماً اكتشف رجال ونساء واطفال احياء، وكانت هذه معجزة من الله. اذ لم يهدأ الزلزال ليل نهار مدة سنة. وفيما كانوا يكتشفون جثث الذين اختنقوا، عثروا على جثة افروسيوس واسقليف الرهاوي في مرجل زفت، اذ صادف وان سقطا في الزفت فاختنقا، فيما عثر على رأسيهما على حافة المرجل من الخارج، وقد تعرفوا عليهما من وجهيهما، وكانت عظامهما داخل الزفت عارية عن اللحم. وكان بعض اشياعهما من الهراطقة قد شيعوا انهما اختطفا الى السماء. ولكي يفضح الله مكرهم، حفظ وجهيهما ليتعرفوا عليهما. كما طال دمار هذا الزلزال كلا من سلوقية سورية ودفنه القريبة من انطاكية، وما حواليها حتى على بعد عشرين ميلا طولا وعرضا. لقد دمرت هذه المنطقة كليا بفعل الزلزال.

لما سمع يوسطنيان بأخبار الزلزال، رمى بتاجه ونزع ارجوانه واغتم جدا، وأرسل خمسة قناطير ذهبا لاعادة بناء المدن. وفي هذه الاثناء تداعت بقية مدينة دروفين مركز مطرانية ابرشيات المنطقة، وكذلك مدينة قورنثوس مركز مطرانية للداء، ومدينة انازربا _ قيليقيا. هذه كلها تداعت من جراء الزلزال.

الفصل السابع عشر

ما حدث ليوسطنيان مع ملوك الهند والحبشة

تنصر الحميريين:

تقع مملكة الحميريين في الجهة المقابلة لبلدان مصر وتابيدا، بعيدا عن الهند. وقد حكمها حينا رجل يهودي، فقتل المسيحيين وألقى القبض على التجار الروم الذين كانوا في طريقهم الى بلاد الهند وقتلهم، لان المسيحيين في بلاد الروم كانوا يؤذون اليهود. فتوقفت، بسبب ذلك، التجارة مع الهند والحبشة. فأرسل ملك الحبشة الى اليهودي الذي حكم الحميريين يقول له: لقد اسأت جدا بقتلك التجار وإلغائك نظام مملكتي. فاذا أردت السلام، عليك ان تفتح طريق التجار. غير ان اليهودي لم يستجب، بل هدد وتوعد. فاستعد كل منهما للحرب، ووعد انزيغ ملك الحبشة باعتناقه المسيحية في حالة انتصاره باسم المسيح، فنصره الله وقُتل اليهودي، فاحتل البلاد. وعلى أثر ذلك وفد شخصان بارزان على راس منتي هندي، الى الملك يوسطنيان وطلبا اسقفا واكليروسا ليعلموهم مبادئ المسيحية، فرسم لهم يوحنا فيرمورا اسقفا وهو رجل بتول فاضل، فاصطحبوه مع نفر من الاكليروس الى بلادهم حيث تنصروا واعتمدوا، ثم استعان الملك الحبشي بالله واتقد غيرة وانطلق نحو مناطق الحميريين وقضى على اليهود الذين كانوا قد استعادوا نشاطهم وقوتهم في تلك المناطق، وأقاموا لهم ملكاً وشرعوا بالقضاء على المسيحيين، فقتله هو الاخر، واستأصل مملكتهم، وعين ملكا مسيحيا يدعى ابراهيم، فلمّ شعث المسيحيين المبددين، وجلب اسقفا من الاسكندرية في عهد البابا طيمثاوس الذي نبذ مجمع خلقيدونية ولم يتزعزع.

فصل
ايضا في ما تكبده المؤمنون مرة أخرى من ضيق واضطهاد في هذه الفترة من قبل أفرام الانطاكي المنافق وابراهيم ابن كيلي الآمدي

عندما جاء أفرام البطريرك الانطاكي الى المشرق، أخذ يضطهد المؤمنين ويطردهم بواسطة ابراهيم بن كيلي اسقف آمد. فاجتمع عدد كبير من الرهبان في دير تللا المدعو دير الندم. ولما شرعوا باعادة بنائه، أرسل اليهم رهطا من جند الروم وطردوهم، ولما تبين الروم ان صفوفا طويلة منهم يمارسون الخدمة، خافوا فتركوهم وشأنهم، لكنهم أخذوا يضغطون على ابناء القرى المجاورة ويحرضونهم على طرد هؤلاء الرهبان. فلما علم الرهبان بذلك، واستجابة الى بكاء وعويل ابناء القرى، تركوا ورحلوا الى منطقة "منقرة المذبح": وحلوا في دير الحوارينات، وكان عددهم نحو الف رجل او يزيد. ولما وصل أفرام المنافق الى الرها، طلب اليهم بواسطة أخيه ان يذعنوا له، فيأتي عندهم او يزوره وفد منهم للحوار. وكان موقع ذلك الدير ما بين الرهاويين والآمديين والشميشاطيين، فرفضوا اللقاء به، فاستشاط غضبا وأرسل جندا ليوثقوهم ويأتوا بهم اليه. ولما علموا بالامر، انقسموا جماعات جماعات، يقود كل فرقة قس وشماس، ولها ان تتجه حيثما تشاء. يقول يوحنا الاسيوي: "لقد كان من حصتي انا الضعيف، ولئن كنت ما زلت شماسا، نحو عشرة رجال". وترك الدير بما فيه من مؤن وكتب واثاث وغير ذلك. ترى من لا يذرف الدموع وهو يرى رجال الله الصالحين يجتازون الانهار في الشتاء والبرد القارص، والمرضى منهم يتعذبون؟ وقد سبق وكتب الى جميع المسؤولين محذرا اياهم من قبول اي منهم تحت طائلة عقاب الموت، وهكذا ظلوا يتعذبون في المغاور والكهوف. وكان المؤمنون يأتون لهم بالخبز ليلا خوفا، فيما اتجه آخرون الى اقليم كلوديا وهنزيط، في ذلك الشتاء القارص.

وأرسل ابراهيم بن كيلي جلادين الى اقاليم الاورطيين والهنزيط، فجمعوا الاكليروس والرهبان والمؤمنين لكي يلزموهم بقبول المجمع، فاجتمع نحو ١٤٠٠ رجل، ولما عرض عليهم الوالي والاسقف أجابوا: نحن لا نقبل بشارة أخرى عملاً بوصية بولس. فقال الوالي والاسقف: ان البطريرك والملك يقبلان بشارة أخرى. اجابوا: مثلما اننا لم نقل عنكم انكم قبلتم او ان الآباء علموا بشارة أخرى، هكذا ايضا لا نقبل منكم. فقال الوالي والاسقف: ان هذا هو تثبيت للايمان. اجاب الرهبان: ان ايمان المسيحيين ليس بحاجة الى تثبيت جديد، فانه لم يزعزع حتى يثبت او يعاد بناؤه. قال الوالي: أية اساءة سببها المجمع حتى تعرضون عنه، الأنه لقب العذراء بوالدة الاله أم لأنه حرم نسطور واوطيخا؟ اجاب الطوباويون، انه مكتوب، افحصوا كل شيء وتمسكوا بالاحسن واهربوا من كل عمل شرير. نرجو ان تزيدونا علما، فان معرفتنا ناقصة. كيف لقب المجمع مريم بوالدة الاله، ويهيبا الرهاوي هو احد رؤسائه؟ وهو الذي جدف على المولود من عذراء قائلا: "اني لا أحسد المسيح لانه صار الها، فاذا صار هو الها فانا صرت انسانا وهو بسيط مثلي"، وقوله ايضا: "اني اسجد للارجوان والذي يرتديه واحترم الهيكل والذي يسكنه". وكيف يحرم المجمع نسطور في حين انه تمسك بعقيدته في الطبيعتين والشخص الواحد؟ فاذا كان نسطور يعترف بطبيعتين واقنومين، فالمجمع يعترف بطبيعتين واقنوم واحد. انه لامر جدير بالسخرية، فكيف يمكن لاقنوم واحد ان يكون لطبيعتين، كيف يمكن لطبيعة ان تكون بلا اقنوم. فكيف لا يسخر الجميع من هذا ويقول: هوذا رجلان لهما راس واحد في شخص واحد. قال الاسقف: اترضخون لامر الملك وتقبلون المجمع ام لا؟ قال الطوباويون: لقد تعلمنا ان نطيع الله اكثر من الناس. قال الاسقف: اذن بحسب كلامكم فان الملك لا يطاع. قال الطوباويون: نحن نطيع الملك بما يجب ان نطيعه. قال الوالي: اذن يجب ان يطاع احيانا، واحيانا لا. ثم طردهم فعبروا الفرات الى اقليم كلوديا، وهم يحرمون المجمع.

فصل
في ممالك الهنود والاحباش والحميريين
والذين استشهدوا عام ٨٣٥
في عهد يوسطنيان مضطهد المسيحيين

ان ممالك الهنود هي ثلاث، واربع هي ممالك الاحباش في المناطق الجنوبية على ساحل البحر الجنوبي والشرقي الذي يحيط المسكونة، ويسمى اوقيانس الكبير.

نكبة الحميريين:

ففي الفترة التي اضطهد يوسطنيان الارثوذكسيين، قوي اليهود واقاموا لهم ملكا، لاسيما وان ملوك الهند الكبرى تنازعوا فيما بينهم. فقد تنازع ملك الهند الخارجيّة المدعو اكسدون مع ملك الهند الداخلية المدعو انزيغ. ولما حكم اليهودي قتل المسيحيين الذين كتب قصة استشهادهم الاسقف القديس شمعون المعروف بالمجادل، فقد قتلوا في مدينة نجران سنة ٨٣٥ وهي السنة الرابعة ليوسطنيان، حيث كتب الى رئيس دير جبول يقول: "تعلم محبتكم اننا خرجنا من حيرة النعمان في ٢٠ كانون الثاني من هذه السنة ٨٣٥، مع القس ابراهيم بن افروس المرسل من قبل الملك يوسطنيان الى منذر من اجل احلال السلام. وقد ذكرناه في الرسالة الاولى، فان جميع المؤمنين هنا يشكرونه لمساعدته جماعتنا، وهو يعلم جيدا بما كتبنا وبما سنكتب الآن. لقد سرنا في البرية جنوبا فشرقا نحو عشرة ايام ولحقنا بالمنذر امام الجبال المعروفة بالمخيفة، وفي نسخة اخرى (جبال الخوف)، وفي اللغة العربية "المظلمة". ولما دخلنا معسكر المنذر لاقانا عرب وثنيون ومعديون وقالوا لنا: ماذا تفعلون، فها ان الروم والفرس والحميريين قد طردوا مسيحكم، فتألمنا كثيرا لتعييرهم ايانا. وقد اصابنا ضيق آخر، حيث جاء وفد من ملك الحميريين الى منذر وسلموا له

رسالة تتم عن روح الكبرياء جاء فيها: "ان ملك الاحباش قد مات، وادركهم الشتاء ولم يستطيعوا ان يقيموا لهم ملكا كما فعل المسيحيون، لذا سيطرت على سائر اقاليم الحميريين، واني افكر بالقضاء على جميع المسيحيين، وقد قتلت ٢٨٠ رجلا، كما قتلت الاحباش الذين كانوا يحرسون الكنيسة، وأحلت كنيستهم الى مجمع، ثم اصطحبت معي ١٢٠ الفا الى نجران عاصمتهم، واقسمت لزعمائهم فخرجوا، لكني صممت على ان لا اكون صادقا بأقسامي مع اعدائي، فقبضت عليهم وطلبت ان يأتوني بذهبهم ومقتنياتهم ففعلوا، وسألت عن اسقفهم بولس، فقالوا انه مات فلم اصدق حتى اروني قبره فاحرقت عظامه، وألزمتهم بان يكفروا بالمسيح فرفضوا فقتلتهم، واحضرنا نساءهم ليشاهدن مقتل ازواجهن لكي يخفن فلم يخفن بل تدافعن نحو الموت فقتلت جميعهن، باستثناء رومي زوجة الذي كان عتيدا ان يصبح ملكا لهم. لانها كانت شابة، فطلبت اليها ان تكفر بالمسيح لتحيا، واعطيناها فرصة للتفكير، فخرجت تتجول في شوارع المدينة، والحراس يتتبعونها ورأسها مكشوف وهي تقول: ايتها النجرانيات، المسيحيات واليهوديات والوثنيات، اسمعن: انكن تعرفن جنسي وقبيلتي وابنة من انا، واني املك ذهبا واطيانا، واذا اردت الزواج فلي اربعة آلاف دينار ما خلا المصاغ والجواهر، وما عدا كنز زوجي الذي قتل من اجل المسيح، علما بان لا فرح للمرأة كفرح عرسها ومن ثم تأتي الآهات، عندما تلد او تتجرد. واليوم انا مجردة من كل شيء، ولكني مرتاحة ضميريا ومسرورة كسروري يوم عرسي، وقدمت بناتي الخمس العذارى للمسيح. انظرن الي ايتها الصديقات. لقد رأيتن وجهي مرتين، في عرسي الاول وفي هذا الثاني، فاقتدين بي وببناتي. فاني لست أقل منكن جمالا وافتخاري به هو ان اصونه دون فساد كفر اليهودية، وانا ذاهبة الى المسيح، ليكون جمالي شاهدا امام ربي، بانه لم يستطع ان يوقعني في خطيئة الكفر. واني لم أحب ذهبي وفضتي وكل ما أملك كآلهي. ولقد امهلني الملك الطاغية، كيما اكفر بالمسيح. فلم افعل، لاني آمنت به واعتمدت وبناتي باسمه. فقد تركت على الارض كل ما هو شهي لعين الجسد، لكي اذهب واقتني ما لا يزول. طوباكن ايتها الصديقات ان سمعتن

كلامي واحببتن المسيح. صلين من اجلي كي يقبلنـي الـرب. وعلـى الفـور اخذت بناتها بكامل زينتهن ومثلـن امـامي، وحلـت ضفيرة شـعرها ولفتهـا على يديها وأحنت رأسها وقالت: إني مسيحية. اما انا فقد طلبت اليهـا ان تقول فقط: ان المسيح هو انسان بسيط فلم تقل، وان ابنتها شتمتنا لاننا قلنـا ان المسيح انسان. فأمرت ان تذبح بناتها، وانسكب دمهن في فمها ثم قطـع رأسها، وأبقيت الفتيان والفتيات بغية ان يصيروا يهودا لـدى بلوغهـم. وقـد كتبت اليك بهذا لكي لا تبقي احدا من المسيحيين في بلادك".

حوار طفل مع الملك:

فيما كانت احـدى الامهـات مـع بعـض النسـوة يسـاقن للقتـل وهـي تحمل طفلها، رأى الطفل الملك بزيه الرسمي، فأسرع وقبّل ركبته، فعانقـه الملك وقال له: ما الذي تفضل ، الموت مع أمك، ام البقاء معي؟

اجاب الصبي: انـي افضـل المـوت مـع أمـي لانهـا قـالت لـي هلـم نمضـي ونموت من اجل المسيح، فدعنـي اذهـب مـع أمـي لئـلا تمـوت ولا أراهـا، لانها اخبرتني بان ملك اليهود أمر بقتل كل من لا يكفـر بالمسـيح، وانـا لا اكفر بالمسيح.

فقال الملك: من اين تعرف المسيح؟

اجاب: اني اراه كل يوم في الكنيسة عندما اذهب مع أمي.

قال الملك: اتحبني ام تحب المسيح؟

اجاب: احب المسيح اكثر منك.

قال الملك: اكفر بالمسيح.

قال الصبي: يا ويلي يا ويلـي انـك يهـودي، فعـض الملـك مـن فخـذه لكـي يتركه.

فقال له الملك: اذن لماذا أتيت وقبلت ركبتي؟

اجاب الصبي: لاني ظننت انك ملك مسيحي كالذي رأيته في الكنيسة.

قال له الملك: اعطيك جوزا ولوزا.

قال الصبي: لا وحق المسيح اني لا آكل جوز اليهود.

قال الملك: امكث معي وكن لي ابنا.
قال الصبي: لا وحق المسيح لا امكث عندك لان رائحتك كريهة وعفنة وليست لذيذة كرائحة أمي.
فقال الملك لمن حوله: انظروا الاصل الشرير فان المسيح قد أضله ليحتمل الالم منذ صباه.
فقال احد الزعماء للصبي: هلم لاخذك عند الملكة فتكون لها ابنا.
اجاب: سود الله وجهك، ان أمي افضل من الملكة لانها تأخذني الى الكنيسة.
بعد ذلك سلمه الملك الى احد الزعماء واوصاه ان يهتم به حتى يكبر، فاذا كفر عاش والا مات. فلما حمله احد العبيد اخذ يخبط بأرجله ويصرخ: هلمي يا أمي وخذيني لأرافقك الى الكنيسة. فقالت وهي تصرخ: امض يا بني فاني اسلمك للمسيح. لا تبك.
وبعد فترة جاء الى القسطنطينية فرآه يوحنا الآسيوي يتجول بين الكنائس بكل هدوء.

فصل
في الفترة الاخيرة
من حياة الملك يوسطنيان الاول الشيخ

كان رؤساء كهنة الكنائس في عهد يوسطنيان كالآتي:
_ في رومية: قام هرمازدوس بعد سومكس وخلفه ايوانيس.
_ في اورشليم: قام بعد ايليا، يوحنا.
_ في انطاكية: بعد مغادرة القديس سويريوس قام بولس اليهودي لمدة سنة. فطرد ومات، فخلفه اوفروسيوس المضطهد الذي اختنق على اثر زلزال. فخلفه أفرام الآمدي الاكثر سوءا.
_ في الاسكندرية: بعد ديوسقورس، قام طيمثاوس ١٢ سنة. ولدى احتضاره اسلم الكرسي الى شخص من نفس الكنيسة يدعى ثاودوسيوس.
_ في القسطنطينية: بعد طيمثاوس قام يوحنا وهو الاسقف الـ ٢٠، وبعد سنتين ونصف مات في السنة الثانية ليوسطنيان، فقام ابيفانوس الاسقف الـ ٢١ لمدة ٧ سنوات، ثم قام القديس انتيموس من طريغوزنطا الذي عين للقسطنطينية نظرا الى تقواه، غير انه تركها فيما بعد طوعا.

زواج يوسطنيان من تيودورة:

لقد اشرك يوسطنيان الشيخ ابن اخته يوسطنيان في الحكم، وعينه قيصرا وسلم اليه ادارة شؤون المملكة، وفي طريقه الى مملكة فارس في المشرق، عرج على منبج حيث تزوج هناك من تيودورة ابنة قسيس ارثوذكسي الذي رفض اعطاء ابنته تحاشيا من الاختلاط مع الخلقيدونيين، حتى تعهد له بعدم اجبارها على قبول المجمع. وبعد ثلاثة اشهر عاد الى القسطنطينية، وتوفي يوسطنيان الشيخ بعد حكم دام تسع سنوات.

عندما علم ماما اسقف ملطية وسوقرطيس اسقف قيصرية قبادوقية، بان الاساقفة يُكرهون على قبول المجمع، تعهدا فيما بينهما بان يجاهدا حتى الموت وحذرا اهل مدينتهما قائلين: من يقبل المجمع يعتبر وثنيا. ولكن لما ذهبا الى العاصمة، قبل الشقيان المجمع خوفا من السيف، ثم قالا: ترى بأي وجه سنلتقي ابناء مدينتنا؟ لذا طلبا جنودا رومانا لمرافقتهما، فلما علم بذلك أهل المدينتين، انزلوا صورهما وبصقوا عليها، واغلقوا ابواب قيصرية دونهما لدى وصولهما اليها، واعلنوا حرمهما، فنشب قتال. لكن الزعماء فتحوا الابواب خشية بطش الملك، فدخلا، وفي ملطية ايضا نالتهما شتائم ولعنات غير يسيرة.

فصل
في بداية حكم يوسطنيان الثاني

في هذه الفترة، ظهرت علامة الصليب في السماء وفي الجهة الشمالية، وبعد مدة وصل الفرس والعرب حتى انطاكية واوفيميا وسبوا مناطقهم واصطحبوا سكانها الى فارس. وحدثت فتنة في القسطنطينية، فقتل الوالي واحترقت الكنيسة الكبرى.

في السنة الثالثة ليوسطنيان الثاني، هاجم الفرس والهونيون ميافرقاط لكنهم فشلوا في احتلالها، وبعد (**نقص ٣ أسطر**) .... لما وافاهم خبر وفاة ملكهم قود، فاحرقوا كل المناطق المجاورة لها وعادوا الى بلادهم. وفي السنة الاولى ليوسطنيان الثاني، جاء اغريغاس ملك هورلا وابناء عشيرته ومستشاريه، وارتدوا الى المسيحية واقتبلوا العماد يوم عيد الغطاس، فاستقبله الملك يوسطنيان عند المعمودية وأغدق عليه مالا وفيرا. وفي تلك الاثناء، جاء الى العاصمة كوديوس ملك الهونيين مع جيش، فاهتدوا واعتمدوا. فاستقبله الملك هو الآخر عند المعمودية. ولدى عودته الى بلاده، حطم تماثيل الذهب والفضة التي كانوا يعبدونها. فلما رأى اخوه وقادة الجيش والكهان ذلك، تآمروا عليه وقتلوه وهربوا الى بلاد اخرى خشية ان يحاربهم ملك الروم وينتقم منهم.

لقد سن الملك يوسطنيان قانونا يمنع الاساقفة ومدراء البيمارستانات والوكلاء من توريث أي شيء، باستثناء ما كانوا يمتلكون قبل تقلدهم المناصب، وهذا ما اوجب تسجيل كل مالهم قبل استلامهم الوظيفة لكي يورث كل منهم ما كان له فقط. ثم لخص جميع قوانين الملوك وجمعها في كتاب واحد ضمنه شرائع العالم.

زلزال هائل:

في السنة الثانية من حكم يوسطنيان الثاني، حدث زلزال رهيب دمرت فيه مدينة فوفمفيلس حيث انشقت الارض من الطرف الواحد الى الطرف الثاني، وانهارت دور السكن بسكانها وتصاعد صراخهم المرير، ولم يجرؤ احد على مساعدتهم، ودمرت بهذا الزلزال انطاكية ايضا وللمرة السادسة، اي بعد اربع سنوات من الدمار الخامس. ورافق الزلزال صوت هائل في الفضاء. وكان يتصاعد من الارض صوت عويل كصوت الثور، وتساقطت جميع الكنائس والدور القديمة والحديثة والقرى المجاورة، وقد احصي عدد القتلى فبلغ اربعة آلاف وسبعمائة وسبعين، وهرب الناجون الى المدن الاخرى والجبال، وظلت فارغة مدة خمسة أشهر ثم عاد اليها نفر قليل من السكان. وفي تلك السنة كان الشتاء قارصا جدا حيث سقط الثلج بارتفاع ثلاثة اذرع. فرفع الذين سكنوها دعوات وهم يمشون في الثلج حفاة ووجوههم نحو الارض وقد اصفرت وتغير لونها، وفيما هم يرفعون الطلبات سمع بعض المؤمنين من يقول: ليكتب الذين ظلوا في انطاكية على الابواب التي لم تسقط عبارة "قوموا فالمسيح معكم". فكتبوا ودخلوا المدينة ومعهم البطريرك افرام الذي اخبر الملك بهذا فتألم كثيرا، وارسل ذهبا لاعادة بنائها، وأوعز ان يهدم السور الخارجي ويبنى سور في وسط المدينة، ويبقى معظمه ساحة خارج المدينة، وأمر ان يحصر وراء السور الذي أقيم، ويشيد جسر على النهر القريب من السور وهو يشق المدينة من طرف الى الطرف الآخر، وهكذا سد مجرى النهر وجرى الماء في جدول الى جانب السور......... وقد حدث مثل هذا، الشيء الكثير في العالم.

وبتأثير هذا الزلزال عينه، سد نهر الفرات كليا في اعلى منطقة كلوديا بسبب انهيار جبلي سقط فيه، فتراجعت مياهه وفاضت على القرى، ثم اندفعت مياه النهر الى الامام، كما تصدعت ايضا مدينة اللاذقية، وراح ضحية الزلزال سبعة آلاف وخمسمائة مسيحي وعدد من اليهود. اما الجهة

اليسارية التي تقع فيها كنيسة والدة الله الكبرى وغيرها من الكنائس فلم تسقط. وبالرغم من كل هذا، فان افرام الانطاكي لم يتورّع ولم يكف عن شره، ولم يخش كل هذه التأديبات، بل كان يثير الملك بحماس ضد المؤمنين حتى اصدر قرارا مجحفا بحق الذين لا يتناولون منه، ونفى الكثيرين واثار في المشرق اضطهادا لا رحمة فيه.

من سيرة القديس سويريوس:

عندما كان القديس سويريوس مقيما في دار الملكة تيودورة. اشتاق انتيموس بطريرك المدينة الى رؤيته، فأذنت له الملكة بعد التعهد المذكور اعلاه. فاستأذن وحضر. وبعد ان جلس اذن له بالصلاة، وكان هذا اشارة الى اليقظة الروحية، فلم يصلّ قط هذا الحارس الامين للايمان المستقيم مع الهراطقة. ولما صلى، أجاب القديس، آمين. وبعد ان جلس قال له القديس: اني اثني عليك، اذ تكاد تكون غير ميال الى الامور الجسدية. واني اصلي من اجل ان تزهو بايمان يثمر ما يغذي انسان الله، الامور التي اذا خلا احدها من أخر، غدا عديم الجدوى. فقال الشيخ للقديس: اني لم اقبل تحديد الايمان الذي أصدره مجمع خلقيدونية. بل وافقت على طرد نسطور واوطيخا. قال له الملفان: من الضروري ان تشهد على اخراج الهراطقة وتتمسك بالايمان المستقيم، وتقرع الخصوم بالتعاليم السليمة بحسب تشريع بولس الكبير. ثم استطرد: ان لم يكن للمرء ايمان قويم لا يستطيع ان يميز او يوبخ احدا ممن يظلمون ايمان بطرس، وينزع عنهم ذلك السلطان الذي اعطاه المخلص في اعقاب الاعتراف به "اعطيك مفاتيح السماء، فكل ما ربطت على الارض يكون مربوطا في السماء، وكل ما حللت على الارض يكون محلولا في السماء". فالمجمع والحالة هذه يكون قد ظلم ايمان بطرس اذ لا سلطة له على الحل والربط او التمييز. فلما سمع الاسقف هذه الكلمات ورسخت في ذهنه جيدا، خرج للحال تاركا كل شيء، الكرسي، والمنبر والكرامة والمجد وانضم الى صفوف المضطهدين، لاسيما وهو بطريرك وملفان.

توفي يوسطنيان الاول بعد حكم دام تسع سنوات وعشرين يوما. فخلفه ابن اخته يوسطنيان الذي شارك اولا خاله في الحكم مدة ثلاثة اشهر، وساس المملكة، ثم عينه خاله خلفا له بعد موته. فغدا امبراطورا في مطلع تموز عام ٨٤٠ يونانية، في الدورة الاولمبية الـ ٣٢٧. وقد حكم ٣٨ سنة و٧ اشهر و١٢ يوما (نقص ٣ أسطر).

القضاء على المانيين:

في هذه الاثناء، كان قود يحكم فارس، وقد سمح لابنه ان يدرس في بلده على المانيين، فخدعوه وجذبوه الى عقيدتهم، فتعهد بترسيخ عقيدة المانيين ما لم يسلم اليه الملك. وأكدوا له بانه سيتسلم الملك بقوة صلاتهم. فدخل مع والدته الى قود وطلب اليه أن يسلمه الحكم وهو على قيد الحياة، فعرف الملك أصل الدافع فغضب جدا. وخوفا من ان يظن الكهان المجوس بان الملك يريد القضاء على المجوسية، أمر بعقد اجتماع يحضره المانيون، ففرحوا اعتقادا منهم بان ابن الملك سيعلن ملكا. فاستدعى الملك اساقفة المانيين وقال لهم مخادعا: الآن علمت انكم تحبونني وابني لانكم فكرتم بمصلحتنا، فقفوا في جهة واحدة لنتداول معكم بخصوص ملك ابني، ففرحوا جدا وكشفوا انفسهم اكثر فاجتمع الاكليروس والشعب، فأمر الملك أن يؤخذ جميعهم بحد السيف ويحرقوا، وهكذا قضي على جميع المانيين. ثم أصدر قرارا آخر بحرق كل ماني، وأعطى كنائسهم للمسيحين.

في هذه الفترة تواجد في القسطنطينية جماعة من ضلال ماني، واذ لم يعودوا عن ضلالهم احرقهم بالنار. وفي الفترة نفسها ارسل بلسيريوس لمحاربة الفرس في اسبوع الآلام، فأوفد اليه زعيم الفرس من يقول: لنحترم العيد من اجل الناصري واليهود الذين معي، ومن اجلكم ايها المسيحيون، فوافق بلسيريوس، بيد ان قادة جيش الروم تذمروا ورفضوا احترام ايام العيد، واستعدوا للقتال عشية احدالفطير، وكان البرد شديدا والرياح ضد الروم، فشعروا انهم ضعفاء فهربوا. وسقط العديد منهم في

نهر الفرات وغرقوا وقتل بقية الروم. لقد خلف كسرى أباهُ قود، وكانت والدته معذبة من الروح الشريرة في حياة قود. واذ لم يسعفها المجوس والسحرة، التجأت الى موسى المتوحد في احد الاديرة في ضواحي دارا. فنالت الشفاء. واعطاها ذخيرة من عظام الشهيد مار قرياقس، فشيدت مصلى في بلادها، وصار فيما بعد دير موسى المعروف بدير ترمل. وارسل كسرى وفدا الى يوسطنيان، فحل بينهما السلام ودام سبع سنوات.

لقد أقام سامريو فلسطين رئيسا لهم، وجاءوا الى نابلس وقتلوا الاسقف ورهطا كبيرا ونهبوا واحرقوا عدة هياكل، فحاربهم الروم واحتلوا المدينة وقتلوا الزعماء ومعظم السامريين.

وقف الاضطهاد:

في مطلع حكمه، امر يوسطنيان الثاني ان تؤخذ كنائس الهراطقة، وان يقبلوا في الكنائس من أية هرطقة كانوا. وبعد ان أخذ كنائسهم، سيطر عليهم وادخلهم الكنائس. ولما رأى تصرفات المشرفين على الكنائس السيئة، حيث كانوا قد احالوها الى متاجر في عهد خاله واضطهدوا الناس تحت ستار مخافة الله، وخلقوا الذرائع لينهبوا أموال الشعب، وكل يسعى الى ما هو لصالحه صغيرا كان ام كبيرا، امر بوقف الاضطهاد ودعوة المضطهدين الى اديرتهم، فعاد عدد كثير باستثناء الاساقفة الذين لم يعودوا الى الكراسي.

لقد أولى الملك اهتماماً بسلام الكنائس، ولولا التعثر الذي حدث بسبب الاخطاء، لكانت الملكة المؤمنة تيودورة قد اهتمت اكثر بسلام الكنائس. فقد كانت تحث الملك على ذلك، وتستقبل المضطهدين وتقيتهم مدفوعة بروح الايمان والمحبة. وكان قصر هورمزدا الكبير يعيل اكثر من خمسمائة رجل سرياني ويوناني من الذين طردوا من اديرتهم، ويحظى ببركتهم. وعندما حضر القديس البطريرك الى العاصمة، آوته في

القصـر الملكـي لعـدة سـنوات برفقـة البطريركيـن ثاودوسـيوس وانتيمـوس وعدد من الاساقفة المضطهدين، وكانت ترسل الى جماعــات المضطهديـن امـوالا لاعـالتهم. وفيمـا كـان المجمعيـون يخلقـون اشـاعات كاذبـة لتشـويه سـمعته، كـانت تطمإنـه بحكمتهـا. كـام حققـت اشـياء اخـرى كثـيرة للارثوذكسيين بدافع ايمانها.

اضطراب في الاسكندرية:

لقد ازدادت آلام المؤمنين بسبب البلبلة التي حدثت بين الشعب. اما الكرسي الاسكندري فكان الوحيد الذي يتمتـع بالسـلام، الا ان الاضطـراب طاله هو الآخر فيما بعد، حيث انقسم الشعب هنـاك وصـاروا حزبيـن. فـإذ كان ثاودوسيوس قد نصب بطريركا بموجب القوانين الرسولية، اذا برجـل يدعى غانيا مريض بحب الزعامة، رشـى ابنـاء المدينـة ليقيمـوه بطريركـا وينحوا ثاودوسيوس الذي اذ علم بذلك، غادر. اما غانيـا فقـد اجلسـه علـى الكرسي بصورة غير شرعية، اسقف واحد وبعض العلمانيين والموسـرين، وكانوا يبحثون عن ثاودوسيوس ليقتلوه فلم يعثروا عليـه. فلمـا علـم الملـك بذلك ارسل قائدا على راس ستة آلاف جندي من اجـل الاصـلاح، اعتقـادا منه بان ثاودوسيوس لو عاد الى الكرسي لخضـع لأمره وقبل المجمع. فلما وصل الجيـش هـرب غانيـا، وظـهـر ثاودوسـيوس فأجلسـوه علـى الكرسـي بحماية ألفي جندي. ثم ألقي القبض علـى غانيـا، فنفـاه الملـك، وتوفـي فـي منفـاه. وحـدث قتـال فـي الاسـكندرية ذهـب ضحيتـه ثلاثـة آلاف، لانهـم انقسموا. حيث تبع قسم غانيا، والقسم الآخر تبع ثاودوسيوس. ونظـرا الـى غيرتهم العمياء، قال الاسكندريون: ان ثاودوسـيوس هـو مـن اتبـاع الملـك الذي ظهر انه ارثوذكسي. لكن هذا لم يكن صحيحـا. وظهـرت بدعـة فـي الاسكندرية باسم غانيا، وهـي ضـلال مبيـن، ومفادهـا ان العلمـانيين كـانوا يأخذون قطعة من الخبز باسم غانيـا ويتناولونـهـا علـى اعتبـار انهـا قربـان مقدس، مستبدلين اسم المسيح باسم ذاك. وقد امسـكت بعـض النسـاء وهـن يعمدن اطفالهن في البحر باسم غانيا.

وبعد ان جلس ثاودوسيوس على الكرسي، طلب اليه الملك ان يقبل المجمع فرفض، فنحاه. لكن ثاودوسيوس كان لا يزال على كرسيه حين كان القديس سويريوس يشتهر في البرية. لقد أجلس الطوباوي انتيموس على كرسي القسطنطينية من دون رغبته، وكان سابقا اسقفا لطرابلس ببنطس، وهو متزهد وناسك، وقد تحمل الضنك عدة سنوات، لم يذق خبزا ولم يشرب خمرا او زيتا، وهدى خلقا من الوثنيين، وكانت رزانته ووداعته موضع اعجاب الجميع، ولما طلب اليه قبول المجمع، رمى بجبته وترك، فأخفته الملكة تيودورة في بلاطها مدة ١٢ سنة. ولما ترك ثاودوسيوس كرسيه توجه هو الآخر الى العاصمة وأقام في بلاط الملكة، وكان البطاركة الثلاثة يتبادلون الاحاديث مع بعضهم البعض. وبعد ان استدعي القديس سويريوس بأمر الملك والملكة من اجل سلام الكنيسة، ظل سنة ونصف يعلن حقيقة الايمان ويكشف عن تجاوزات مجمع خلقيدونية، فجمع الملك نخبة من المجادلين لاقناعه، فخيب أملهم مرات عديدة، وثبت انهم منشقون وضالون، لكنهم لم يرتدعوا عن غيّهم، لذا استأذن وعاد مع الرهبان الذين رافقوه.

فصل
في اجتماع الرهبان والاساقفة في العاصمة في تلك الفترة ونتائجه

مذكرة الاساقفة الى الملك:

لما رأى الاساقفة المؤمنون الذين استدعوا الى العاصمة من اجل السلام والاتحاد، مع جمهرة من الرهبان الغيارى الثقات، ما يجري من الاحداث التي ذكرناها اعلاه، قدموا مذكرة الى الملك جاء فيها: "ايها الملك الظافر، لقد توج بعضهم رأسك باكليل الثناء بتوجيههم كلمة شكر للنعم التي أوليتها إياهم تشبها بآخرين. ونحن الذين شملتنا بفضلك ننسج لك اكليل مجد بهي شاكرين. وحيث اننا كنا في البرية، او كما يقال في آخر الدنيا، ندبر أمورنا بهدوء مصلين الى الله الصالح الرحيم من اجل مملكتك ومن اجل مغفرة خطايانا، واذا بحلمك تتنازل فتشمل ضعفنا بدعوتكم ايانا كتابة. وكانت هذه المبادرة بمثابة معجزة بالنسبة الينا، واذ فعل الملك هذا، ليس استجابة الى طلب منا، بل لطفا منه ولشعوره بالألم معنا نحن ابناء الآلام وهو يقول: "ادع لنا يا فلان. اما نحن فمن الواجب علينا ان نطيع عندما نؤمر، لذا تركنا البرية بسرعة وسرنا في الطريق بكل تؤدة دون ان يسمع صوتنا حتى وصلنا الى موطئ اقدامك، ونحن نرى الله الغني بالمواهب ان يجازي، عوضا عنا، حلمك والملكة التقية، بالمواهب الصالحة النازلة من العلاء. ويؤمّن لكم الأمن والسلام، ويجعل جميع المتمردين تحت اقدامك. واذ وصلنا الى هنا فها نحن نقدم لصلاحكم طلب الايمان الحقيقي. فلا نود ان نتحدث الى احد بما لا يليق كما كتب لئلا نجرح مسامعكم. وانه لمن الصعب جدا ان يخضع الانسان لارادة الخصوم وبخاصة اذا سطع الحق. وكما قال الرسول: ليس لنا ولا لكنيسة الله عادة مثل هذه. لذا فنحن نعرض ايماننا بكل حرية ايها الملك الظافر. والآن، وكما فعلنا في البرية، وأذعنا لأمركم بواسطة ثاودوطادوكس وكتبنا موضحين ما نريد، وقد منحتنا جلالتكم عهدا دون انفعال، اذ

تحركتم دعوتمونا اليكم، فاستحقينا رحمة اللــه: نحيط صدقكم علمـا، باننـا وبنعمة الله قبلنا ايمان الرسل منذ نعومة أظفارنا، وعليه ومعــه ترعرعنـا. ونحن نفكر ونؤمن مثل آبائنا الـ ٣١٨ المتشحين بالله، الذين حددوا ايمـان الحياة والخلاص الذي اقره وثبته الآباء الـ ١٥٠ الذين اجتمعوا هنا في يوم مـا. وأكدوا تحديد الاسـاقفة الابـرار الذيـن عزلـوا نسـطور المنــافق. واذ اعتمدنا على ايمان الرسل هذا، فاننا سنركز عليه ليتـأصل فـي قلوبنـا هـذا المفهوم للخلاص. وبهذا الاسلوب نفهم تحديد الايمان ولا نقبل غيره، لانــه كامل من كل الجوانب ولا يشيخ ولا يحتاج الى تحديد.

اننا نؤمن بالثالوث الاقدس المسجود له والمساوي في الطبيعة، لــه قوة وكرامة واحدة، ويعرف بثلاثة اقانيم. اننا نسـجد لـلآب ولابنـه الوحيد الكلمة الله المولود قبل كل الدهور. وهو معه دائما وبغير تغيير، وبـالروح القدس الذي من الآب ينبثق، وهو مساو للآب والابـن بـالطبع وأحد اقـانيم الثالوث الاقدس. اي اننا نقول: ان كلمة الله تجسد بارادة الآب من الـروح القدس في الايام الاخيرة من اجـل خـلاص البشـر، ومـن العـذراء القديسـة والدة الله. وأخذ جسدا ذا نفس، ونفســه ناطقـة وعاقلـة، مسـاو لنـا بـالآلام. وصـار إنساناً دون ان يتغير عن كونـه الهـا. وحيـث انـه مسـاو لـلآب فـي اللاهـوت، نعـترف بانــه مسـاو لنـا فـي الناسـوت. وعليـه فـان الكلمـة ابـن الكامل، صـار انسانا كاملا دون ان يعتريه تغيير، ولـم ينقـص شـيئا خــلال عمليـة خلاصنـا، لا كمـا يقـول ابولينـاريوس الحقـير، مـن ان مـا عملــه لخلاصنا لم يكن متكاملا. فاذا كان عقلنا غير متحد به كما يثرثر، فنحن لم نخلص، بل انخدعنا بالخلاص مما فينا من أمور جسيمة، لكن الامـر ليس كما يقول. بل ان الله الكامل صـار انسانا كاملا من اجلنا دون تغيير، وان الله الكلمة لم ينقص شيئا بتجسده كما قلنا. كما انــه ليس خيـالا كمـا يعتقـد ماني المنــافق واوطيخـا الضـال، ولأن المسـيح حـق ولا يكـذب ولا يخـدع عندما يقول، انه اله، وان كلمة الله قد تجسد حقا، بـالواقع وليس بـالخيـال، بآلام اراديــة لا غبـار عليهـا، قبلهـا بجسـدنا الطبيعـي القـابل لـلآلام، وذاق بارادته موتنا الذي أحاله الى قيامة جديدة بالله، وجدد طبعنا البشـري دون

تحديد او ميتوتية. كما انه لم ينقص ولم يظلل تجسده، اي تأنس الله الكلمة. كما انه لم يقسمه الى اقنومين وطبيعتين كتعليم نسطور عابد الانسان ومن جاراه في الرأي، والذين يفكرون مثلهم اليوم. وان تعليم هؤلاء يفضي الى هذه العقيدة التي حاربتموها بايمانكم، لقد قلتم في كتاباتكم، ان الله ظهر بالجسد، ذاك الذي يشبه الآب في كل شيء باستثناء صفة الابوة، أخذ طبيعتنا ودعي ابن الانسان، انه هو هو الانسان الذي ظهر لنا وولد طفلا من اجلنا، وصار انسانا من اجل خلاصنا. فلو كان هؤلاء يأخذون بالحقيقة ولا يتشبثون بالشكل فقط بالنسبة الى القضايا التي يختلفون فيها معنا، ويؤمنون كايمان آبائنا القديسين المتشحين بالله، اذن لوفروا عليهم الجدال في موضوع تركيب المسيح الاله من النفس والجسد بنفس ناطقة عاقلة. فقد صرح جهارا معلمو الكنيسة ومنهم ديونيسيوس الاريوفاغي الذي اهتدى ببشارة بولس من الضلال الى نور معرفة الله، في مقاله عن اسماء الثالوث الاقدس حيث قال: عندما نمجده كمحب للبشر نقول انه محب للبشر كما يليق لانه اشترك حقا بما لنا بشخص احد اقانيمه حيث جذب ورفع اليه ضعف بشريتنا التي نقول ان المسيح البسيط تركب منها، وأخذ حالة زمنية، ذاك الازلي والمتعالي عن الازمان، صار كطبيعتنا دون تغيير او تبلبل، ذاك الذي يتسامى فوق كافة الرتب والطبائع.

وفي مقال عن الايمان، وصف اثناسيوس اتحاد كلمة الله مع الجسد والنفس، بانه تركيب. وعن الاتحاد والتركيب يقولون، انه مجرد تفاعل بشري. فاذا كان كلمة الله لدى الآباء القديسين الذين اتبعتموهم، قد تجسد من العذراء مريم والدة الله، واتحد اقنوميا بجسد عاقل ذي نفس، وتركب منه بتدبير الهي، فمن الضروري ان نعتقد مثل آبائنا بطبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد بصورة تامة. فاذا أمكن تقسيمه بعد الاتحاد، فلا يكون كلمة الله البسيط قد اتحد بالجسد، وذلك عندما يقال "طبيعتان" كالانسان الذي خلق من طبائع متباينة كالنفس والجسد وغيرها، فانه لا ينقسم الى طبيعتين لان النفس اتحدت بالجسد لتكوين طبيعة الانسان

واقنومه، هكذا ايضا الله الكلمة الذي اتحد اقنوميا وتركب من النفس والجسد لطبيعتين او بطبيعتين، فانه لا ينقسم بسبب اتحاده بالجسد وتركيبه معه، اذا اراد كما يقول آباؤنا الذين تتبعونهم: ان الله الكلمة الذي كان قبلا بسيطا، يتركب من اجلنا من جسد عاقل ذي نفس ويصير انسانا دون تغيير، اذن فالله المتجسد طبيعة واحدة واقنوم واحد وفعل واحد رفيع ولائق بالله وبالأمور البشرية المتواضعة. فكيف اذن لا يتحاشى اخوتنا ما كتب في طومس لاون، ويدحضون ويفضحون براهينه وبراهين نسطور وثاودورس وديودورس وثاودريطس ومجمع خلقيدونية الذين يقولون بطبيعتين واقنومين بعد تجسد واتحاد الله الكلمة، متجاوزين براهين الآباء الذين علموا طبيعة واقنوم كلمة الله المتأنس. الامور التي نغض الطرف عن الكتابة عنها، لان ما كُتب ضد القائلين بالطبيعتين قد تناولناهُ، حتى قالوا: لا نقبل الطومس ولا تحديد خلقيدونية لكن نصون تحديد أبائنا الذين اجتمعوا في افسس ونحن ننبذ ونحرم الذين يتجاسرون ويضعون تحديدا أخر للايمان غير تحديد نيقية الموضوع بالروح. لقد استهان جماعة خلقيدونية بهذا التحديد وهذه القوانين كما يبدو من صحفهم، فهم والحالة هذه ملامون لانهم جددوا تحديد الايمان، وهذا ما يضاد تعليم الملافنة الذين نعتقد بانهم يلتمسون معنا من صدقكم، ان تدعموا حقيقة ايمانهم، تكريما لجهاد كهنوتهم، والذين بهم تثبت الكنيسة".

لقد قرأ الملك هذه المذكرة وغيرها من الاحاديث التي تبودلت خلال سنة او اكثر من قبل الاساقفة المؤمنين، والتي نسخها يوحنا رئيس دير ابن افتونيا. غير انه لم يبعد مجمع خلقيدونية من الكنيسة. ووجه القديس سويريوس رسالة الى الملك يبرر فيها عدم مثوله أمامه ومطلعها "الكلمة الله...".

محاولات فاشلة للسلام:

دخل الى الملك، البطريرك ثاودوسيوس والاساقفة والرهبان الذين معه، فرحب بهم بحرارة، فخرجوا مسرورين. وفي اليوم التالي، دخل جماعة الخصوم وهم متهيأون للشجار، وبعد نقاش طويل خرجوا منتصرين. وفي اليوم الثالث، وبعد حديث مطول عن الايمان، شعر الملك بانهم متمسكون بالحق، وان الخصوم قد دُحضوا وتزعزعوا، فاعتقدوا ان الملك سيميل اليهم فخرجوا فرحين، فتقدم حزب المجمع الى الملك وقالوا: أملنا ان لا تميلوا الى هؤلاء القلائل، اذ ليس بجانبهم سوى الذين رأيتهم. ولما علمت الملكة تيودورة بهذه الامور، أشارت الى المؤمنين ان يجتمعوا لاخجال الهراطقة. فدخل نحو ٦٠٠ اكليريكي الى الملك، وبعد المداولة في بعض الاحاديث مع الهراطقة، وبعد ان استمع اهل المدينة الى الهراطقة، تواعدوا وجاءوا في عيد مار بطرس وبولس الى ميدان هورمزدا، ورجع كثيرون منهم، لان الوقت قد حان ليوزعهم ايديتقليوس الذي كان قد استعد للشجار. ولما رأوا الجنود يتقلدون السلاح ويضعون الدروع، ظنوا ان الملك امرهم ان يقاتلوهم فخافوا ورحلوا. اما الذين اتقدوا غيرة واسلموا ارواحهم للموت، فمكثوا في الميدان المعروف بملعب الخيل، وكان عددهم نحو ١٨ او ٢٠ ألفا. ولدى نزول الملك للصلاة صرخوا قائلين: "ايمان واحد للمسيحيين" ورددوا العبارة نحو مئة مرة، فلما علم الملك هدفهم، بكى والمستشارون، فأمر وسكتوا. لكنهم استأنفوا الهتاف قائلين: من اجل سيدنا، نحن في عهدك، نتناول في كنيسة واحدة، واننا نعترف بالوهة ذاك الذي ولد من العذراء وصلب من اجلنا، وكرروا هذا الاعتراف نحو مئة مرة، ثم هتفوا: صلي من اجلنا يا والدة الله. و"اللهم يا من صلبت، افتح اذهانهم من اجل سلام كنيستك".

ثم قالوا، والدموع ملء مآقيهم، واعينهم شاخصة نحو السماء: "يا رب ارحمنا" واذ انهكهم البكاء والصراخ سقطوا على وجوههم، فأمر الملك باقامتهم، وطيب خاطرهم. ثم اجتمعوا للمرة الثانية وكرروا ما قالوا

وسمعوا. وكان هذا سنة ٨٥٠. كما ان اساقفة ورهبانا ومتوحدين كثيرين تناولوا موضوع الاتحاد وجاهدوا في سبيل الحق، ثم جاء جماعة من الرهبان المصريين وناقشوا وزجروا، ووجدوا ان لا مجال للسلام، فقفلوا راجعين. ثم وصل، للتحقيق، جمع كبير من العلماء والرهبان والفقهاء، صحبة ناقلي .... لان الملك افتتح الحديث عن الايمان مع هؤلاء الناقلين. فقالوا: نحن اناس دأبنا مصارعة البحر ولا خبرة لنا بالجدال. ثم استمع الملك الى نقاش الرهبان والعلماء فتعجب بهم، لانه كان خبيرا في الجدال، وكان يعتقد ان ليس هناك من يناظره. فمكثوا هناك نحو سنة وهم يتباحثون وينتصرون، لكنهم رأوا ان لا جدوى من ذلك، وقد تراءى لبعض القديسين من يقول: ان لا جدوى. فاستأذن القديس سويريوس وعاد الى البرية، وذهب كل من الاساقفة خفية الى جهة ما، وعاد الرهبان كل الى منطقته. وهكذا ارفضت هذه الاجتماعات دون اية نتيجة. وقد يكون هذا من احكام الله الخفية غير المدركة، وبمثابة دعوة لانتصار اصحاب الحق الذين يوضع لهم اكليل الظفر وهم يحتملون الكثير في جهادهم.

ارجو من القارئ اللبيب، عبر الاجيال، ان يصلي من اجلي.
ليغفر لكم يسوع الهنا الذي سبق وغفر. اغفروا يغفر لكم مع البقية لانـي عارف بكثرة خطاياي. لذا التمس بكل تواضع. تمت هذه سنة ٩٠٩ يونانية.

فصل
في اجتماع الاساقفة والرهبان الذين حضروا الى العاصمة من اجل الاتحاد، ومعظمهم بدعوة من الملك. مثل القديس سويريوس، وقد حضر بعضهم مدفوعين بالغيرة الآلهية مثل مار زعورا

لم يذعن البابا ثاودوسيوس للملك، ولم يقبل تحديد خلقيدونية الآثم، فترك الاسكندرية وذهب الى العاصمة حيث اختفى في بلاط الملكة. كذلك فعل القديس انتيموس حيث ترك الكرسي بدافع غيرته لله، وانضم الى البابا في المنفى. ثم دعي القديس سويريوس من البرية بأمر الملك. ودعي كذلك اساقفة ورهبان. ووصل الى العاصمة آخرون من دون دعوة كالقديس زعورا القصير القامة، الكبير في التفكير والاقوى من كثيرين. كان يعيش هذا القديس فوق عمود يجترح المعجزات مثل استاذه حبيب اسقف فيطر، ولما انزله اتباع المجمع من العمود، لعدم رضوخه لهم، اصطحب عشرة من تلامذته وجاء الى العاصمة، واتخذ من الملك موقفا صارما يفوق الحد لقبوله واضطهاده المؤمنين، وقال له: سينتقم الله منك يوم الدين على اعمالك هذه، فغضب الملك لكنه لم يستطع ان يلقي عليه القبض تهيبا من قداسته ووداعته، بيد انه لكم صدر الطوباوي بغضب وقال: ان المجمع شرعي، ولا أرضى ان اسمع مثل هذا عنه، ولو كنتم على حق لأظهر الله لي اعجوبة بواسطتكم. فاتقد الطوباوي غيرة، لدى سماعه الملك يهدد بالموت كل من يحرم المجمع، واتجه صوبه قائلا: ان المجمع الذي قسم المسيح، لا نحرمه نحن فحسب، بل وحتى الملائكة القديسين. وحيث انك تطلب آية. فاعلم ان المؤمنين لا يحتاجون الى آية كما كتب. وان الرب لا يظهر آية لسواك. وفي اليوم التالي ظهرت الاعجوبة التي ارادها، فقد ضرب على رأسه وفقد عقله، واخفى وجهه ورم رهيب. فلم يُعرف هذا في المدينة، غير ان الملكة ارسلت في طلب القديس ليأتي ويصلي من أجل شفائه، متعهدة بنشر السلام في الكنائس. فلما رآه قال له: هوذا الآية التي طلبتها. ثم صلى الطوباوي وللحال استعاد

عقله. فطلب اليه ان يصلي من اجل شفائه، ووعد بتنفيذ ما يأمر به. وبعد ان شفي تملكت عليه رهبة الطوباوي، وكان يستجيب لكل طلباته، لكنه لم يُقم في الكنيسة، لان ذنوب الاموريين لم تكن قد أمحت بعد، لكنهم تركوا القسوة، واخذ المؤمنون يعقدون اجتماعاتهم علانية.

جهاد القديس زعورا:

لقد ذاع صيت القديس زعورا في رومية بسبب ما صنعه من معجزات، الامر الذي اثار حفيظة بطريركها اغابيط، وافرام الانطاكي الذي سمع عن هذه المعجزات، وعن وصول زعورا الى العاصمة. وعلم ايضا ان البابا ثاودوسيوس صانع المعجزات هو الآخر، والمنطقي وصديق القديس سويريوس موجود هناك، كما علم باجتماع الرهبان الذين وصلوا الى هناك فخاف جدا وارتعب، لاسيما وان بطرس اسقف اورشليم لم يكن شجاعا، بل متقلبا بحسب الظروف. وفي تلك الايام توجه سرجيس زعيم راس العين الى انطاكية ليشكو اسقفها أسقل الى افرام، فلاحظ افرام ان سرجيس رجل قوي ومثقف وحاذق في الكتب اليونانية وفي تعليم اوريجانس، ويتقن السريانية، وقد قرأ تفاسير الآباء في الاسكندرية، كما كان خبيرا في الطب، وكان ارثوذكسي المعتقد كما يشهد فرلفوس وتفسير دونيسيوس وكتابه اللاهوتي عن الايمان الذي وضعه في عهد بطرس الارثوذكسي. لكنه كان شبقا ومغرما بالنساء وفاسقا غير عفيف ومحبا للمال. وقد تعهد له افرام بأن ينفذ كل طلباته. فأرسله الى رومية، فعاد حاملا رسائل من اغابيط، ثم عاد الى رومية حاملاً رسائل افرام الى اغابيط، يحرضه فيها على المؤمنين، فارتاح لها لانه كان يحمل حقدا على القديس زعورا، فرافقه الى القسطنطينية في شهر آذار اي في الربيع، وكان فيها آنذاك مار سويريوس وانتيموس وثاودوسيوس وزعورا وبقية الرهبان القديسين، فاشمأزت الكنيسة من وصول اغابيط المتعجرف، واخذت الشمس تظلم في النهار والقمر في الليل، وهاج المحيط وخرجت العامة لمشاهدته. لكن الملك استقبله باجلال لكونه من عنصره. ولم تكن له

خبرة في الامور العلمية والثقافية، ولم ينعت العذراء بوالدة الله، وكان يأنف شركة البطاركة سويريوس وانتيموس وثاودوسيوس. وأحال محبة الملك لهم الى قساوة،وتنازع مع الملك لانه لم يُبد كل من لا يعترف بالطبيعتين، وتم فيه ما كتب "غضب الجاهل يعرف في يومه" (ام ١٢) . اما يوسطنيان، فاستقبله بترحاب وسلام باعتباره كاهنا.

ألح اغابيط على الملك ان يصدر قرارا ضد الذين لا يقبلون المجمع. بعدم منحهم وظيفة، وان وجد بينهم موظف يطرد، ولا تقبل شهادتهم، ولا يرثون. وعن الطوباوي مار زعورا، قال للملك: لماذا تدع هنا هذا المضل السرياني ؟ فانه يقلق العالم بسحره. فقال الملك: ماذا افعل به، انه رجل صلب ولا يخشى انسانا. فقال اغابيط: إاذن لي وانا الزمه بالخضوع وإلا فعليه ان يترك كل المناطق. فقال الملك: افعل ما تستطيع. ففي بدء الصوم الكبير، توجه القديس الى فروسطيون في عبر نهر قوسوس حيث خصصت له الملكة مكانا لاقامته. فأرسل اليه اغابيط الوقح من يقول له: لقد امر الملك والبطريرك، اما ان تأتي او أتيتك انا. فان لم تنفذ امرنا لن تبقى في هذا البلد، فأجاب الطوباوي: ان قوانيننا لا تجيز ان نستقبل احدا في هذه الايام، ولاان نلبي دعوة أحد. وان الباب موصد دوننا بالطين، فتمهل حتى خميس الاسرار حيث سيفتح الباب، وان الله سيفعل ما يشاء. فاستشاط اغابيط غضبا وأمر الجلاد ان يجلبه مكبلا بالحديد، فذهب على ظهر زورق الى العبر، غير ان الرياح اعادت الزورق الى حيث اقلع، وتكرر هذا ثلاث مرات، فغضب الجلاد على النوتية، فلما تقدموا قليلا انبعث ما يشبه البرق وضرب الزورق، فانتزع منه لوح على طوله وارتفع في الفضاء على مدى نظر العين، فادرك الشقاة ان ذلك كان من عمل الله وبصلاة الطوباوي، وكاد يقضي عليهم، فأخبروا مرسليهم بكل ما حدث، فجدف ذلك المنافق وزاد من حقده على المؤمنين، وعزل من تلقاء نفسه القديس انتيموس واقام مكانه شخصا اسكندريا يدعى ماينا، واوقع الحرم على القديسين سويريوس وثاودوسيوس وانتيموس وزعورا، وأمر بعدم وصف العذراء بوالدة الله. لكن الملك زجره. اما الرب فقد

ضربه في لسانه ضربة قاسية، حيث تورم وتضخم حتى خرج من فمه ولم يستطع ادخاله الى فمه، فقطعه الطبيب مرتين فنتن وتعفن، واطال الله عذابه حتى خميس الاسرار الذي ضربه مار زعورا موعدا للقائه وقال في حينه: ان الله سيفعل ما يشاء. ثم مات الشقي بعد ان جحظ ناظراه، فخجل اتباعه وادعوا ان زعورا قتل اغابيط بسحره، ليكن ذكره للعنة.

فصل
في فترة يوسطنيان الثاني ايضا
والاحداث التي تلت الاجتماع

خلال اقامته في العاصمة، كان البابا ثاودوسيوس يتجول سرا، ويقوم بالرسامات لكنائس مصر، فيما كان يوحنا اسقف تل موزلت يرسم للشرق.. اقام الخلقيدونيون اسقفا للاسكندرية شخصا اسمه بولس ويعرف بابن قورسوس، بيد انهم عزلوه بعد سنة واقاموا زولوس. وفي رومية، اذ مات اغابيط بضربة من الله، قام سيليريوس الاسقف الـ ٥٥ لمدة ٦ سنوات، ثم خلفه بيغلوس، وفي تلك السنة عزل زولوس اسقف الاسكندرية واقيم ابوليناريوس. وفي ايام يوسطنيان، اكتشف رفات الشهيد مارينا خارج قرية جندريس في كورة انطاكية فوضعت في كنيسة مار يوليان في منطقة انطاكية نفسها، وكان جسده ملتصقا باللوح وظهرت عليه فتحات كبيرة، وكان موضع اجلال من قبل جميع المذاهب نظرا للمعجزات التي صنعها.

يوحنا الاسيوي مبشرا:

في هذه الفترة بالذات، تواجد في العاصمة عدد كبير من الوثنيين، فاكرهوا على اعتناق المسيحية فاعتمدوا. وان احدهم وهو رجل معروف يدعى فوقا، انتحر مسموما في الليل لشدة الضغط عليه لاعتناق المسيحية، فأمر الملك ان يدفن كما تدفن الحمير.. في السنة الـ ١٥ ليوسطنيان افتقدنا الله في بلدان آسيا وقاريا وعوديا وفريجيا، بالمؤرخ الثقة يوحنا للاسيوي، حيث اهتدى على يديه نحو ٧٠ الف نفس وبهمة الملك يوسطنيان الذي قدم نفقات عمادهم. فأعطى بسخاء، لذا اعتنقوا العقيدة الخلقيدونية في حين كان يجب ان يعتنقوا مذهب القديس الذي هداهم من الوثنية. ومن يرغب في الاطلاع على الجهود التي بذلت في سبيل اهتدائهم والمعجزات التي

صنعت، ليقرأ الكتاب الذي وضعه القديس حول اهتدائهم. وبسبب ذلك لقب القديس يوحنا الاسيوي بمتلمذ الوثنيين. وقد كتب باسهاب مدونا الحقائق عن كل ما حدث في ايامه بين ملوك الارض، وفي الكنائس.

الفرس يحتلون وينهبون:

حينما كان يوسطنيان الثاني في العاصمة، تمرد عليه دومنس في قرطاجنة، فأمر باعتقاله وجلبه مخفورا.. وفي السنة الـ ١١ ليوسطنيان وهي سنة ٨٥٠ يونانية، شوهد نجم هائل ورهيب في السماء ولعدة ايام.. وفي تلك السنة اخترقت معاهدة السلام، فصعد كسرى ملك الفرس وسبى مدينة سورا وانطاكية وحلب واوفيميا وجميع مناطقها، فنزل الروم الى فارس وسبوا مناطق الاكراد والارزانيين والعرب، ثم عاد كسرى واصطحب جيشا عرمرما وصعد الى قالينيقوس ومناطق ما بين النهرين فسباها وعاد. ثم صعد الى الرها واذ لم يتمكن من احتلالها، سبى بطنان وعاد، ولم يكن هناك من يصرخ او ينادي كما كتب. وصعد ايضا كسرى واشرفت جيوش الفرس على انطاكية، فاحتلوها واحرقوها وجلوها بالكلية، ونهبوا حتى قطع الرخام التي زينت بها الجدران واخذوها الى بلادهم وبنوا بها مدينة سموها انطاكية. اما افرام فلحقه العار واختفى لئلا يلقاه احد معارفه، ثم مات في مخفاه ورحل عن هذه الحياة لينتظر العدالة. اما الملك يوسطنيان فقد حزن جدا على انطاكية.

تصرفات شاذة:

لما وقف افرام على ما حدث وعلم ان سويريوس وانتيموس لم يُقبلا، اشتد طغيانه وطلب من الملك قوة من الجيش لترافقه الى المشرق، لكي يعظ ويطلب الى سكان المدن والقرى ليقبلوا مجمع خلقيدونية، ويستعمل القوة تجاه الرافضين، فاخضع بعضهم بالوعود والبعض الآخر تحت التهديد بالنفي، وطارد آخرين من منطقة الى اخرى، وقبض على

يوحنا التللي من جبل سنجار وسجنه في انطاكية حيث وافاه الاجل في السجن. اما بولس الذي خلف ثاودوسيوس في الاسكندرية لسنة واحدة، فقد خنق ارخدياقونه في الحمام بسبب ايمانه القويم، وحبس ابنه لئلا يذيع موت أبيه. وزاد بولس من نفاقه فألقى في الحمام الكثيرين ممن لم يذعنوا للمجمع فسلقهم، وهكذا قضى على العديد بطريقة لم يعرفها الوثنيون غير ان ابن الارخدياقون استطاع ان يهرب من السجن، فذهب الى العاصمة واخبر الملكة بالحادث فأخبرت بدورها الملك، فاشمأز وجميع قواته من فظاعة الحادث، فأمر بطرده ونفيه، فخلفه اوزليوس الفلسطيني، فلما رأى ان سلفه طرد لقساوته، غض النظر عن اضطهاد المؤمنين، غير انه مارس فيما بعد اعمالا رديئة فعزل. اما افرام الانطاكي فقد شيد كنيسة دائرية الشكل، وألحق بها اربعة ادوار، وبمناسبة تدشينها جمع ١٣٢ اسقفا من ضواحي المدينة قبلوا مجمع خلقيدونية تحريريا وحرموا مار سويريوس وكل من لا يقبل المجمع. اما الله المنتقم من الظالمين للمظلومين، فقد سلط عليه وعلى مدينته الاثوريين كقول النبي: "الاثوري هو قضيب غضبي ارسله الى الشعب الملتوي ليسبي سبيا وينهب نهبا". فصعد عليهم كسرى ملك الفرس واحتل انطاكية ودمرها تدميرا تاما. وجلا الشعب كله وجاء بهم الى فارس. فلما علم الملك يوسطنيان لبس الحداد. اما افرام اللعين فقد هرب.

ندرج هنا رسائل البطاركة الثلاثة القديسين التي تظهر بوضوح ان سبب تركهم كراسيهم هو غيرتهم لله وثباتهم على الايمان الحق.

رسالة القديس سويريوس
وهي جواب للقديس انتيموس

الى اخينا وصنونا القديس البار البطريرك انتيموس،سلام بالرب/ سويريوس.

يضع الرسول بولس مقدمات للرسائل الموجهة الى امثالك، والذي سبق وشكر الله على موهبته الفائقة الادراك، لقد أقريت المعتقد القويم لدى جلوسك على عرش بطريركية العاصمة، مستهينا بالزعامة التي من اجلها يضحي الغير بايمانهم. اما الذين يريدون اتباع الوصايا الآلهية، يوجهون فكرهم الى الرب كما كتب، سواء كانوا شمامسة أم قسوساً أم بطاركة، كل بحسب رتبته الكهنوتية.

هكذا ايضا ابراهيم ابو الاباء، بعد ان تغرب في بلدان واقاليم مختلفة، استقر في بلد واحد وكان يشرب من بئره الذي دعي بئر العهد، ونظرا الى وجود البرابرة بالقرب من ذلك البلد، اقسم متعهدا بان يغرس غرسا جميلا مثمرا، ولكي لا يشذ فكره، دعا هناك باسم الرب الاله الى الابد، وكأنه كان يقول: حذار من ان تفقد جمالك بسعيك وراء الامور الظاهرة، او تسمح للمناظر الجميلة ان تنسيك الله الذي هو وحده من الازل. ان الامور المنظورة هي لبهجة العيون فقط وللملذات الزائلة. ويستطرد الكتاب قائلاً: "وغرس ابراهيم حقلا عند بئر العهد ودعا هناك اسم الله الى الابد". وقد فسر بعضهم الحقل بانه ذات اشجار، وأخرون قالوا، انه حقل اعتيادي.

كذلك الامر بالنسبة الى طهرك، اذ انك تغربت في اماكن غريبة، ووصلت الى ذلك الحقل الجميل اي حقل العهد بجلوسك في العاصمة المليئة بمباهج العالم والثروة الوفيرة. ولما شعرت بان هناك من يحاول

جذبك الى تفكير سقيم غريب عن الفكر النيّر الغضّ النقي والخالي من الغش، فكر الايمان القويم، لم تغشَ بصيرتك بجمال هذا العالم وروعة ازهاره التي تذبل، بل تمثلت بابراهيم ابي الآباء في ايمانه حيث دعوت باسم الرب الاله الى الابد، الذي نحن عتيدون ان ندان امامه عما فعلناه، وقلت مع الرسول: ان الاشياء المنظورة هي زمنية. اما غير المنظورة فستبقى الى الابد، تلك التي اليها دعينا وبها آمنا واعتمدنا. فاذا كان رجاؤنا بالمسيح في هذه الحياة فقط فنحن اشقى جميع الناس". كان جديرا بمحبتك اذ تبشيرك ايانا بمثل هذه الامور في كتاباتك القانونية والكنسية، وحسنا فعلت. ففرحنا بها ونفرح معك كما قال الرسول بولس في رسالته الى اهل افسس. نحن نأخذ بالعقيدة التي كتبت عنها، ولا نعرف سوى تحديدا واحدا للايمان، ذاك الذي حدده الآباء القديسون الـ ٣١٨ في نيقية.. الكلمة وابن الله من الآب، اشراق الازلية وابنها والمساوي له وللروح القدس في الطبيعة. وتجسد وأخذ من طبيعتنا ولاجل خلاصنا، جسدا عاقلا ذا نفس وغير متغير، كما أن الجسد الذي أخذه لم يغير طبيعته او مزجها. وصار من طبيعتين، لاهوت الكلمة والناسوت، بواسطة الروح القدس ومن والدة الله. لقد ظهر عمنوئيل تاما غير منقوص وهو المسيح والابن والرب، اقنوم واحد وطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، ولا ينقسم الى طبيعتين بعد الاتحاد، كما أن التجسد لم ينتقص التغيير المعروف لدى اولئك الذين يعترضون على الاتحاد الفائق الوصف، لكنه تجسد حقيقي بالنسبة الى الذين ينظرون الى هذا السر العظيم بعين الايمان. فانه يتنزه عن الانقسام والبلبلة. تشبّه بنا في كل شيء ما عدا الخطيئة، لم يتنكر للآلام بالجسد بمحض ارادته. فاحتمل الجوع والعطش وتعب الطريق، اضف اليها الامور الخارجية، اي الجلد والضرب على الخد وثقب الايدي والارجل بالحديد على الصليب. فكيف أمكن للآله الكلمة الذي هو منذ الازل غير متألم وغير مائت، ان يتحمل تجربة آلامنا ان لم يصر شخصيا جسدا قابلا للآلام والموت. حتى وصل الى درجة التألم ؟ في حين كان منزها عن الالم بلاهوته. هكذا اذن نفتخر، اذ تألم بالجسد وحررنا من ربقة الموت، ومنحنا سببا خلاصيا، دون ان يمس عدم تألم لاهوته، وان تألمه لم يكن

ظنيا او خياليا. فاني استشهد لهذا بكلام الجامعة، لاسيما من اجل الذين انحرفوا عن هذا الطريق القويم وسلكوا طريقا معوجا، ويسرون بالاعوجاج الردئ كقول الروح في سفر الامثال.

واستنادا الى تشريعات الرسل القديمة المسلمة الى الكنيسة، فاننا نضعهم تحت وطأة الحرم، وقد ابتلي (نسطور) بمرض البحث عن عدم معرفة، وهو مرض يشبه البرص الذي لا يتطهر.. ان فصول كيرلس فضحت مناورة نسطور المزيفة، التي كانت، كقول حبقوق، كالسهام في النور واخترقت الدنيا فأنارتها، وانتقل من مكان الى آخر من اجل ان لا يتزعزع ايمانه. واني ارى فيك ملافنة الكنيسة، لانك وضعت السراج على المنارة بصورة جيدة وواضحة. واذ كنت تبهر بالقول والفعل، ساغ لك ان تبهجنا بتعاليم تصح ان تكون بديلة لكتاباتنا. ايها الاب البار. صل من اجلي الى المسيح الآله، ليدبر الايام التي تمر من حياتي كما يحسن له، وينجيني من التجارب التي احاطت بي، ويؤهلني لرحمته كي ارحل وانا على هذا الايمان، واجاهد من اجله بمقدار ضعف قوتي لكي يعترف بي امام ابيه السماوي بحسب قوله في الانجيل. يقرؤكم السلام الاخوة الذين معي. دم معافى بالرب، ليحفظك الله. اذكرني دائما وفي كل مناسبة ايها البار.

جواب البابا ثاودوسيوس
للقديس سويريوس بطريرك الكرسي الرسولي الانطاكي

الى القديس الطاهر في كل شيء، البطريرك مار سويريوس. سلام بالرب / ثاودوسيوس.

حسن جدا. ايها الاب الذي احبه بالمسيح اكثر من اي اسم آخر، وحافظ الايمان الطاهر غير المتزعزع. طوبى لزماننا الذي رأى تثبيتكم لكنائس

الله المقدسة. ونحن ايضا لنا رجاء صالح، واملنا انكم تتمتعون بمثله بلا لوم. لقد عرفنا فضائلكم، لكني لا اعرف بأي منها أبدي اعجابي اولا. فاذا أردت ان ابدي اعجابي بسيرتكم الحسنة، لرأيتني ان الكلمة تنقصني. ان فضيلة العفة تجذبني اليها وتطلب مني بعدالة صفاء الايمان الارثوذكسي المجيد، ومثلها ما تعانون من اتعاب الدنيا من اجل الله، واسفاركم من مكان الى آخر، وقد فضلتم احتمال كل شيء، عن ان تغيروا الايمان المستقيم، وهتفتم اكثر من مرة مع بولس "من يفصلني عن محبة المسيح، أشدة ام ضيق ام اضطهاد..."، او في اية كفة نضع حقيقة تعليمكم، لكي يخزى الضالون ويستأصل الغش. وينجو ذوو الافكار الجيدة في الايمان، ويرسخوا في الايمان القويم. ويبدو لي انني اسمع المسيح الله يقول عنك ما قاله نبي الله ارميا: " قد جعلت كلامي بفمك، انظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس" (١: ١٠).ثم ما قاله عن بولس "انه اناء مصطفى لي ليحمل اسمي امام الملوك والشعوب والممالك وامام كل اسرائيل". هذه هي مزاياك ايها الاب، وقد يكون الاعجاب بك سهلا، لكن تطبيقها، بكل عدل، ليس يسيرا.

لقد حصلت لكنيسة الله بالمسيح يسوع، خيرات جلى بفضل مأتي نفسك البارة، واذ كانت بعيدة عنها سابقا، اضحت الآن في متناول يدها. ان انتيموس البار الذي ينير بسيرة ايمانه وهو رئيس الكهنة وراعي العاصمة اختار بمحض ارادته ان يكون شريكا لنا ولكم ايها الاساقفة الابرار. فسار وراء ايماننا المستقيم، ورمى بمصيدة الشغب جانبا، ووطئ الغنى الزائل غير الثابت، مؤمنا بان العظمة البشرية ليست بشيء. فنادى بكل جرأة بالايمان القويم الذي لا يسقط والذي من اجله يحدث ما يحدث. فقد فرحنا وشكرنا الله، وكان لنا عيد روحي ايها الاب الجليل، لا نستطيع ان نصفه بالكلمات، بل يقيّم بكتابات رسمية وانه تعهد لدى كرسينا الانجيلي، كما سبقتم قداستكم وكتبتم مظهرين حقيقة الايمان السليم، وصححتم كل ما كان مغشوشا هرطوقيا. فنبذ وحرم، ووعد بان يعترف بما نعترف، وهو في شركة معنا، تلك الشركة التي تنادي وتبتهج بها

كنيستنا المقدسة، وقد نبذ كل ما نبذناه، وبنفس الاسلوب، حرم مجمع خلقيدونية ورسالة لاون. فاذا ما امعنا النظر في ما كتبه هذا الرجل وفحصناه بدقة لوجدنا انه لا يختلف معنا بشيء في ما يخص الايمان القويم. وقد سرنا ايضا افتضاح الاعداء هناك، واعجبنا بالاكثر بوصيتكم بخصوص ما يجري عندكم ايها القديس، تلك التي كتبها بصورة قانونية انتيموس البار بصدد التعاليم الالهية، فقد وجدناها مطابقة لما عندنا. واذ وجدنا هذا وعلمنا انها آراء متفقة وشركة القديس انتيموس، اختلج فيّ شعور النبي القائل: "تبتهج السماء من فوق ويمطر السحاب برا لان الرب رحم شعبه".وقد توفرت خيرات كثيرة مثل هذه لكنيسة الله المقدسة. ونحن بسطنا ايدينا مرحبين بهذا العمل في شركتنا بكل سرور، وسعينا ايضا الى مثل هذه العهود، وادخلنا في شركتنا ذلك الرجل البار، وتبادلنا معه الرسائل، اوضحنا فيها ايمان الآباء المستقيم، وفضحنا سخافة معتقد الدنسين وقلة عقلهم، واطلعنا الاجيال القادمة على الامور التي حفزتنا الى الشركة معه، وارسلنا صورها الى الآباء الذين عندكم، فنحن لا نود ان نخفي عليكم شيئا مما هو عندنا، لاسيما ما هو جار في كنائسنا المقدسة. وأرى لزاما علي ان اقول: ان من يحفظ الموقف الانجيلي يستحق كرامة اكثر، فقد برهنتم، بما كتبتموه لنا، على ان نفسكم البارة كانت مستحقة حقيقة، لانها اهتمت ان تعمل كل ما يتماشى ومشيئة الله، واني افصح عن رأيي جهارا فأقول: ان الكرامة الاعظم التي تدخل السرور اليّ هي، بكل ما يستحسنونه من اجل الكنيسة المقدسة، وأقترح ألا تكلوا عن العمل والشورة في كل ما هو لصالح الكنيسة.

اما بالنسبة الينا، ايها الاب القديس الجليل، فأقول: نحن الآن نحتمل المزيد من الضيقات والمضايقات من الناس، حيث ان مؤامرات قاسية تحاك ضدنا، فإما ان نهرب ونترك الكنيسة المقدسة ونفسح للغير المجال ان يضلوا الكنيسة هنا، او نحتمل الاضطهاد منهم. كنت أود ان اطلعكم على هذه كتابة لانكم تتألمون معنا كثيرا. نحن نلح عليكم لتصلوا من اجلنا، ولكن ليس من قبيل اضافة عبء على عبء، وثقل على ثقل،

واذ اقول هذا، فاني اشير الى الحاجة القصوى الى صلواتكم البارة، ولئن لا تدرك اهمية صلواتك ودعواتك لله من اجلنا. لقد فقدنا الرجاء من مدة طويلة، لا انتقاصا من حقيقة الايمان، حاشا، ولا فتورا في زخم الجهاد من اجل الايمان القويم، نحن نفضل ان نُطرد من بلداننا ونحتفظ بالصالحات. في اجابتي لأسئلة الخلقيدونيين استشهدت بكلماتكم الحكيمة وما زلت _لا بد ان عبيد الله الحكماء قد وصلوا اليكم_ وقلت وبكل دالة: اني افضل ان احتمل صنوف العذاب ولا اترك شيئا من تعاليم وعادات الآباء الذين اعتمدوا العناية الالهية لتثبيت الايمان الرسولي الحقيقي وعدم تزييفه ورد وتقريع كل كلمة بطالة ودنسة. اقرأ السلام على الاخوة بطرفكم. الذين معي يقرؤونكم السلام بالرب، اصلي الى الله من اجل ان تدوم معافى وذاكرا اياي.

رسالة القديس سويريوس الى ثاودوسيوس

الى البار والطاهر في كل شيء، ايها الاخ والزميل في الخدمة رئيس الاساقفة مار ثاودوسيوس. سلامنا بالرب / سويريوس.

قال الروح في سفر القضاة عن الاسباط، لقد حث سبط يهوذا سبط شمعون اخيه على الشركة في الحصة، ملتمسا منه مساعدة اخوية: بهذه الكلمات. قال يهوذا لشمعون اخيه هلم لنشترك بحصتك، فوافق شمعون. اما انا فلا احث رئاستك الاخوية وقداستك على الاشتراك في حرب او قتال، ولا اطلب يد العون من اجل حصة الارث، بل بالاحرى اسأل شركة الامن والسلام من اجل وحدة الكنيسة التي اقتناها المسيح بدمه زيادة في المعجزة.

ان القديس انتيموس رئيس اساقفة كنيسة القسطنطينية، اصابته حصة الرعاية فحطم وثاق وسهام الهرطقة المرة، وعنف يوما ما زمرة النفاق، وتمسك بالشركة معنا مؤمنا ايمانا سليما نقيا دون ان تكون له اية شركة مع الخصوم، وقد تحدث عنهم كثيرا، وارسل الى ضعفي رسائل عهد الشركة، مبينا استقامة ايمانه بصورة صحيحة، وحرم بصورة قاطعة كل هرطوقي او غريب، وان اراءه ليست بعيدة عن وصايا الرب واوامره التي خلفها لنا الآباء القديسون كشرائع مقدسة. والتي علينا جميعا ان ننظر اليها بعين التأمل مثل ايوب الخبير بالعمل والفضيلة فنقول: "عندما انظر العدالة لا أتوانى". لذا فاني سعيت الى هذا العمل الذي تم بارادة صالحة وكأنه عطية الهية، وردّدتُ قول الكتاب المقدس: "اليوم عرفنا ان الرب معنا، لكي تعرف جميع شعوب الارض ان بأس الله شديد" هذا ما جاء في سفر يشوع بن نون، وكان من الواجب ان يكون القديس انتيموس اول من

يقصد كرسيكم الانجيلي ويقدم لكم ضريبة الموافقة. فان ما غيّر النظام هو اضطراب الاحوال وبعد المسافة وسرعة الاعمال. حيث تم هذا بصورة سرية. فاني كخبير في الشؤون اللاهوتية، أدرك الحدث الذي اورده يوحنا اللاهوتي دون سائر الانجيليين: ان التلاميذ كانوا يغلقون الابواب لدى اجتماعهم خوفا من اليهود، وان الرب يسوع ظهر لهم داخل العلية باعجوبة والابواب مغلقة ووقف في الوسط وقال: السلام لكم. لقد ارفقت صورة اعترافي الخطية واعتراف محب الله رئيس الكهنة المذكور اعلاه، خوفا مما قد يحدث من قبل الهراطقة اليهود، وأكدت ذلك على قداستكم. لقد اخبرني القس بنطس والقس التقي والوكيل تومطس بأمر هذا التدبير، وقد اشترك معنا هو ايضا بهذا العمل، الذي تأكدت من ان تقواكم ستفرحون به لاسيما لدى عثوركم على نسخ العهود الرسمية.

اعلم ايها البار، يا من هو احب إلي من كل احد. ان المطاليب الخلقيدونية لا تختلف عن سحر العموني الذي اراد ان يقيم عهداً مع بني اسرائيل الذين قالوا: اعطنا عهدا فنعبدك. فأجاب بكل قساوة وخشونة: "اني اقيم بشرط ان تقلعوا اعينكم اليمنى، واجلب العار على اسرائيل". نحن بحاجة ماسة الى اليقظة والى ايمان غير قابل للتغيير، والى الصلوات والدعوات لئلا ينام وينعس حافظ اسرائيل، ويُرد العار على الموسرين والمتكبرين، لكي لا يلحق الهزء والعار بالذين حولهم وحيث رتل داود في الذين يسقطون عن الروحيات ويفقدون الماديات، فليس هناك من حقيقة لدى عديمي الايمان واعداء الله. اما انت فتدرك هذه الاشياء باعتبارك خبيرا بالشؤون اللاهوتية.

رسالة انتيموس الى ثاودوسيوس

الى القديس البار زميلنا البطريرك مار ثاودوسيوس. سلام بالرب/ انتيموس.

ان المسيح الهنا دعا البسطاء والصيادين ليجعلهم رسلا ومعلمين، كما سبق ودعا من رعاة المواشي ليكونوا ملوكا وانبياء، ذاك الذي اختار الضعفاء والمنبوذين كقول الرسول الالهي: دعاني الآن انا الضعيف لهذه الخدمة الروحية بموجب الاحكام التي يعرفها، لأكون رئيسا لكنيسة القسطنطينية. وعندما اتذكر انا الخاطئ كلمات الرب لحزقيال النبي اذ يقول: "وانت ايها الانسان قد جعلتك رقيبا على اسرائيل، فان سمعت من فمي عليك ان تسبق وتحذرهم مني، وتقول للخاطئ. ان اخطأت تموت موتا، وان لم تحذر الخاطئ ليعود عن ذنبه فيحيا، فانه يموت بذنبه، وأما دمه فاطلبه منك" (ف ٣٣). وحينما اتذكر وصية الرسول لطيمثاوس التي تشير الى ان تكون الاسقفية بلا لوم: تنتابني الرجفة. وعندما ارى البلبلة تزداد في الكنائس المقدسة من قبل الذين لا يختارون التفكير السليم، الذين اتخذوا التقوى تجارة، ويتكلمون بالاثم فوق رؤوسهم. ويقسمون الكلمة الذي تجسد دون تغيير وتأنس بشكل تام: ينتابني البكاء والحسرات وانا اتألم على نفسي لكوني لا استحق. ولكن رجائي بالله هو الذي يعزيني كما قيل. تأملوا وانظروا الاجيال الاولى، هل خُذل من أمن بالرب" او أهمل من خافه؟ او انه لم يستجب لمن يدعوه؟ ان الرب رحيم رؤوف، ويغفر الخطايا وينجي وقت الضيق.

لقد وضعت كل رجائي وفكري عليه، ذاك الذي وضع الاذن وفتح الاعين، يرى ويسمع كل قضايانا. ذاك الذي يزجر الذين يجعلون طرق الرب معوجة بشغبهم. اننا نقرأ كلمته لعبده الراعي الصالح الذي وضع نفسه من اجل خرافه. فقد قال ذاك الذي لا يكذب "ليس احد يخطفهم من

يدي". ذاك نفسه اقام قداستكم على كنيسة الاسكندرية العظمى، وان ايمانكم هو بمثابة مجاديف للكنيسة، ليس اثناء الاستقرار، بل اثناء اضطراب الامواج، وانتم كفء لان تتعدوا تلاطم الامواج وتوصلوا السفينة الى ميناء السلام، لتستقر في ميناء المسيح الهنا البهيج بقوة الروح القدس المسجود له والمحيي، بصلواتكم وصلوات ابائكم القديسين يا من أقمتم بنعمة الله، رئيسا يقظا للشعب محب المسيح الذي ائتمنتم عليه، الذي بايمان حقيقي ثابت يتبع التعاليم الآلهية قولا وفعلا. واذ تلتهب حبا بوفاقكم وبالتشريعات الكنسية، نعلن في هذه الرسالة، باننا متمسكون بتحديد واحد للايمان بعد العهود والتأكيدات وحروم الهرطقات. سلام وكفى.

من رسالة ثاودوسيوس الى أنثيموس

...... ومثلما يوجد رئيس كهنة حكيم ويقظ، فانك تظهر واضحا في اعمالك امام الله المخلص خالق الكل، وانت تهتف مع ارميا النبي الالهي: "اما انا فلم اتعب اذ سرت وراءك، ولم اشته يوم الانسان ما لم تستهن بكرامة الانسان". لقد تمسكنا بتقوى الله قبل اي شيء آخر، وما قمتم به هو عمل عظيم بلا منازع، وكان موضع اعجاب لدى جميع المؤمنين، لدى اذاعته في الكنائس المقدسة، الحق يقال ان حياتكم الرسولية لا تسمح باثارة الشغب او الانشقاق، وهذا لائق بك وانت الذي مرغت اعضاءك في التراب بدافع من زهدك، كقول الكتاب. فتستطيع ان تقول مع بولس: "مع المسيح صلبت فأحيا لا انا بل المسيح يحيا فيّ". فانت تعتبر عار المسيح افضل من الغنى الوفير وكنوز العالم مثل موسى. وتفضل ان تحتمل الضيق مع الله، على لذة الخطيئة الوقتية. اما انا فلكوني ضعيفا تعترضني صعوبات بسبب خطاياي. انه من المحتم علي ان احتمل لاني أمثل وجه الكنيسة التي هي تحت العرش الآلهي والتي اعجز عن الحديث عن الشرور الكثيرة التي تتحملها الآن. وسوف اردد ما قاله الرسول الالهي بولس: "لانه كما تكثر آلام المسيح هنا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا"

(ك٢: ١). كدت على وشك ان تتسيني كل ضيقاتي. فأي شكر استطيع ان اقدمه لله ايفاء لجميله؟ فاني هنا استعمل الكلمات الرسولية للتعبير عن مدى العون الذي أمد به كنائسه المقدسة التي اقامك الآن مثبتا اياها، وقد اثبت بانك البار والمجاهد الاول بسبب تقواك. ولك ان تردد قول الرب: "لا تخافوا ممن يقتلون الجسد، أما النفس فلا يستطيعون ان يقتلوها، بل بالاحرى خافوا ممن يستطيع ان يهلك النفس والجسد في جهنم". ولانك تؤكد ان آلام هذا العالم لا تتكافأ والامجاد العتيدة، لذا أضاء نورك قدام الناس. ان الله يتمجد بهذا. وان كنيسته الحقيقية قبلت اعدادا كبيرة ممن نالوا الخلاص. وهذا ما دعاني الى ان ارحب بحرارة برسائل سيادتك الرسمية، رسائل الحرص والوفاق التي سلمت إلي حديثا... ومثلما ان الانسان يتكون من نفس وجسد وهو واحد من اثنين، ويعتبر كلاهما طبيعة واحدة دون ان تتغير النفس الى جسد، او الجسد الى جوهر النفس، هكذا ايضا المسيح. ففي الوقت الذي هو من اثنين اي اللاهوت والناسوت، وكل منهما تام بذاته: هو واحد دون انقسام، ولا تتبلبل وحدته الفائقة الوصف. فانا مغرم بحبه واخوّته.

بمثل هذه الكلمات المقدسة، كان البطاركة الثلاثة يشجعون بعضهم بعضا، اولئك الذين آثروا الطرد من أجل تثبيت الايمان القويم. ويفرح أنهوا حياتهم بالضيقات، فربحوا الحياة غير الزائلة ونظموا في السماء على الكراسي الروحية حيث المتعة اللامتناهية، لكي بصلواتهم استحق انا العبد الضعيف ميخائيل الخاطئ واصغر الرهبان، محو الذنوب ومغفرة الخطايا، والتقرب من هؤلاء القديسين في العالم غير الزائل. آمين فآمين.

(تعليق الناسخ) ... وللاب القديس البطريرك مار ميخائيل الذي جمع بكل همة ونشاط هذا الكتاب. وانا نسخت عن نسخة نسخها صاحبها عن نسخة مار ميخائيل، وهو المطران موسى الصوري الذي نسخ عن النسخة التي خطها مار ميخائيل بنفسه، وانا نسخت عنها. من يقرأ ليصل علينا بمحبة من صلى وعرق من اجل كل واحد.

الفصل السادس والعشرون

في ما جرى في الكنيسة من احداث
في عهد يوسطنيان الثاني

رسالة القديس سويريوس الى رهبان المشرق، يشعرهم بمغادرته والقديس انتيموس القسطنطينية

الى محبي الله الكهنة والشمامسة ورؤساء الاديار والمدبرين، وسائر الطغمة الرهبانية المقدسة بالمسيح. سلام بالرب / سويريوس.

بعد ان غادرت المدينة المولاة على سائر المدن، وصرت خارج المعتقل الذي رآه بعضكم عندما كانوا هناك، رأيت ان اكتب اليكم شخصيا منبها اياكم على اهمية رفع صلوات الشكر، وموضحا اسباب مغادرتي، علما بان شؤوننا تدار بالعناية الالهية، وهذا ما يحفزنا على الحفاظ على الايمان المستقيم، وعلى اعداد ارادة جديدة ملائمة نرفل بها كحلة جديدة، ونهرب من كل المفاهيم الهرطوقية الغريبة كما فعل يعقوب رئيس الآباء الذي هرب من شركة البرابرة في شكيم محتملا الاتعاب والانصاب من اجل الله. وكان يحذر الذين معه من الاعتداءات التي كانت تحيط به. وانا بدوري احذركم من مثل هذه كما قال الكتاب: "قال يعقوب لبيته ولشعبه ازيلوا الالهة الغريبة من بينكم وتطهروا وغيروا ثيابكم، ولنصعد الى بيت ايل: ونقيم هناك مذبحا للرب لانه استجاب وقت الضيق ونجاني في الطريق الذي سرت فيه" فانه قد انقذني حقا من عار الخصوم الذين يبغضونني مجانا ويسخرون مني ويهزون رؤوسهم مرددين قول ايوب: "سقطت رجله بالفخ وامسكت شبكته، تنصب له الفخاخ ويتقوى عليه العطش، وحبله مخفى في الارض وشبكته في مسالكه".

غير ان الملكة التقية مُحبة المسيح، عوضت لي عن شرهم الذي لا يشبع من الدم، وقد ارشدني الله بصلواتكم الى ما يحسن له، كما يقول اشعيا للذين يترجونه: "لا تخف لاني فديتك، دعوتك باسمك، انت لي، اذا اجتزت في المياه فانا معك، وفي الانهار فلا تغمرك، اذا مشيت في النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك، لاني انا الرب الهك قدوس اسرائيل مخلصك" (اشعياء ٤٣). فالذي قال هذا، لم يمنحني خلاصا عجيبا فحسب، بل زيادة في حصة المؤمنين. الحق يقال، انه زاد في حصة الرب وحقل ميراث اسرائيل، كي لا يكون كالذين يوبخهم الكتاب بقوله: "باطلا تزرعون زروعكم". لقد رضي انتيموس البار رئيس أساقفة العاصمة ان يقاضى، في الوقت الذي كان باستطاعته المغادرة، لكنه لم يشأ. لانه، بحق وعدل وعن معرفة، كره نفاق هؤلاء، وقبل الشركة معنا ومع ثاودوسيوس الاسكندري وجميع الرعاة شركائنا في العقيدة. اذن، يضل اولئك الذين يدعون انهم لا يقبلون تجديد الايمان الذي حدده مجمع خلقيدونية، انما وافقوا فقط على ابعاد اوطيخا ونسطور. بمثل هذه الاقوال كان يروج ابوليناريوس ليخدعهم، لكنه لم يفلح. والآن تستطيعون ان تقولوا مع بولس: "لا أنخدع بآرائه .... وبقية الرسالة.

ظاهرة غريبة:

في السنة الـ ١٥ ليوسطنيان، وهي سنة ٨٥٤ يونانية، صعد الفرس مرة اخرى وسبوا منطقة ليميطون، وخربوا قالينيقوس وبيت بالش وأخذوا عظام الشهيد مار باكوس والذهب الذي كان مطليا به نعش مار سركيس .. سنة ٨٤٨ ي، حدثت اعجوبة فريدة في السماء، لم يُذكر ان حدث مثلها في الماضي، ولولا اننا وجدناها مدونة في عدة كتب موثوق بها، لما ادرجناها هنا نظرا الى صعوبة تصديقها. **يقال: ان الشمس أظلمت واستمر الظلام سنة ونصف اي ١٨ شهرا. وكان النور يظهر خافتا لمدة اربع ساعات يوميا، حتى ان الكل جزموا بصعوبة عودة النور**

الحقيقي الاول. لم تنضج الفواكه، وكان مذاق الخمر وكأنها معصورة من حصرم.

في عهد يوسطنيان، وجد بعض الاساقفة الخلقيدونيين سادوميين، وتمت فيهم قولة بولس الرسول في الوثنيين ابناء الضلالة الذين غيروا عبادة الخالق بالمخلوق، فرفضهم الله. وغيروا الاستعمال الطبيعي، الخ.. هكذا هؤلاء، اذ غيروا الايمان الحقيقي سقطوا، ولانهم أحبوا مجد العالم اكثر من الله، ادركهم العجز ففسدوا فسادا عظيما، ولما علم الملك بهذا أمر بقطع قضبانهم، وهؤلاء هم: اشعيا اسقف رودس، الكسندروس اسقف ديوسفالوس، اللذان جاءا الى القسطنطينية وصارا خلقيدونيين بمحض ارادتهما، وغارا على الهراطقة، ولما افتضح أمرهما، أمر الملك ان يُطاف بهما في المدينة وهما راكبان، وقد علقت اعضاؤهما المبتورة على رؤوس رماح وينادي المنادي: هكذا يجب ان يصنع للاسقف الذي لا يصون قداسة درجته. وعلى أثر هذا، سنّ قانونا يوجب قطع عضو كل من يضاجع ذكرا. فعم الخوف الجماهير.

تصرف شائن لابن كيلي:

في هذه الاثناء، أثار ابن كيلي اضطهادا في آمد بأمر الملك، حيث أمر بوجوب قبول مجمع خلقيدونية. لذا اجتمع الشعب الغيور في الكنيسة وصرخوا بنفس واحدة، لا نقبل المجمع والطومس اطلاقا، وأخذوا يقذفون الحجارة بقوة، فخاف الاسقف والولاة الذين حضروا هناك. وفي الليل توجه الاسقف الى توما الغوطي اسقف تللا ليساعده، فكتبا الى الملك وارسلا المدعو ابن يوحنا المحروم، الذي كان ينظر الى اجساد الحيوانات وكأنها افضل من اجساد البشر، ولم يكن ليشفق عليهم. وقد استقبله ابن كيلي وطلب اليه العفو عنهم. ولما وصل توما وابن يوحنا، زجّا في السجن نحو خمسين شخصا بعد ضربهم الى حد الموت. وصلب اربعة منهم، وطرد العديد من المدينة. ولكي نبين لذوي الالباب ما لحق بهؤلاء

المغلوب على امرهم من ظلم، نقول: ان احد شياطين اوسابيا الشهيرة بالصائمة عُذب. وفيما هو موثوق يتعذب صرخ وقال: انهم يعذبون شهداء جددا مظلومين، لكي يصيروا له ملجأ، فيُسمع من حيث لا يريد، الاجيال القادمة صوت الحق في آذان الناس، ليتجنبوا معاشرة الهراطقة. كما انه طرد رهبان الدير.

استمر ابن كيلي ثلاثين سنة، وكان جميل المنظر، يهتم بجمال جسمه حتى ان شعرات لحيته البيضاء يحيلها الى سوداء. وكان الامديون ينتقدونه على عمله هذا ويقولون: لقد عاد الزمن الشرير الى حداثته. ان معنى آمد هو الكآبة. وقد اعتاد اطلاق سراح المسجونين وتوقف تنفيذ العقاب خلال اسبوع الآلام، غير ان ذاك كان يضايقهم ليقبلوا، والا ارسلهم الى المحاكمة والسجن، وقد سُجن فعلا الكثيرون، واحتملوا المزيد من العذاب، واحترق بعضهم في خندق. وكانت تقام صلوات وطلبات ويقام القداس والتناول، خلال ايام الاربعاء والجمعة من كل اسبوع من اسابيع الصيام. وكان ابن كيلي الشيخ معتادا على الاكل في النهار، وكان يخجل من الناس دون الله، فيرتكب خطيئة محبة البطن، اذ كان يغذي جسده في النهار من العنابر المختارة والخمر ذات الرائحة الزكية، وفي المساء كان يقدم الذبيحة امام الشعب ويتناول. اني أدون هذا، ليس حقدا، بل من اجل الحقيقة بعد ان علمت هذا من كهنته وشمامسته. ومن اجل التحذير ولئن لم تكن لي رغبة في ذلك، لكيما اذا افتضح أمره امام القراء والسامعين، يصلّون من اجله ليغفر له الله، لانه تعالى رحيم غفور ولا يشاء بهلاك أحد.

لقد شاهد أحد الآباء المصريين المجاهدين، جثة أحد الخطاة تدفن بأبهة، فأمر بسحلها عسى الله يشفق على صاحبها اذا ما أهينت.

الفصل السابع والعشرون

في بدعة الخياليين التي أظهرها الشيطان في تعاليم يوليان اسقف ليقرنسيس، وفي اصحاب الضلالة الدنسين الذين ظهروا في هذه الفترة

قصة ظهور يوليان:

فيما كان القديس سويريوس يتنقل من برية الى اخرى تحاشيا للمضطهدين، ويعيش عيشة الرهبان، فيرتدي زي الفقراء ويضع غطاء على رأسه، ونعالا في قدميه، أخذ ينبت زيوان يوليان اسقف ليقرنسيس، قيصرية قاريا، حيث ذهب الى ما ذهب اليه ماني ومرقيان وبرديصان: من ان آلام المسيح لم تكن حقيقية بل خيالية. لان الرب جعل جسده غير قابل للموت والالم منذ اتحاده في الاحشاء. وقال ايضا: انه ظهر وكأنه يتألم لكنه لم يكن يتألم. وقد حاججه القديس سويريوس فلم يقتنع، بل كان يصر على ان الآلام كانت خيالية. فيما كان مار سويريوس يستشهد بالرسول بولس: "انه تشبه بنا في كل شيء ما عدا الخطيئة". ويقول: ان جسده كان خاضعا للالام والموت حتى القيامة، وبه تألم ومات حقا من اجلنا. غير ان يوليان لم يرتدع، بل ألب له حزبا وأشاع بان سويريوس يدخل الفساد الى جسد الرب وكأنه فسد ونتن في القبر، فاستغرب الكثيرون وتحركوا.

كان يوليان شيخا متميزا بالغيرة على الايمان في بادئ الامر، فلما طلب اليه ان يقول بالطبيعتين سقط في هذه البدعة.

والسؤال هنا: لماذا انتهى به الامر الى هذه الضلالة؟

والجواب: لما كان هذا الشيخ أميناً مع الاساقفة المؤمنين المضطهدين من قبل الخلقيدونيين، سأله أحدهم: ما هي عقيدة الكنيسة المقدسة؟ فتحدث ضد ذوي الطبيعتين، غير ان حديثه لم يكن نقيا. فعلم مار سويريوس فكتم

الامر، اعتقادا منه بان تصويبه سيؤدي الى انقسام العوائل على بعضها، ولكن بعد ان كتب يوليان الى سويريوس المفوه، نظرا الى معرفته به، أجابه القديس مرتين، فلم يذعن، فاضطر حينذاك الى فضح الضلالة بحذاقة وايمان من اجل فائدة المؤمنين.

أدون هنا جزءا من:

رسالة بولا الرهاوي الى كمالينا اسقف فاران تحذيرا من ان يضل أحد بهذا الاثم

علمت ان من بين ابناء فاران، بعض الاخوة يجهلون اديرتهم، وبينهم رؤساء أديرة معروفون. يشيعون وينسبون الى ذواتهم أكاذيب، منها انهم لا يأكلون خبزا ولا يشربون ماء ويمتنعون عن الخمر، كما علمت انهم يذنبون بحق جسد ودم ابن الله. واني لا اود ان اذكر ذلك اشفاقا على آذان السامعين، ولكن أرى لزاما علي بدافع من الواجب ان احذر من مثل هذا الزلل، فأتجاسر لأقول: ان ما لا يخشى هؤلاء من إتيانه، كونهم يتناولون جسد ودم الرب بالاثم وبدون تمييز، ولا أعرف كيف أمنعهم، فانهم يسدّون منه، نفاقا، حاجتهم من جوع وعطش طبيعتهم، ولا يمكن ان يمضوا يوما واحدا دون ان يقتاتوا من القربان، ولكن مصدر معظم قوتهم هو من القربان دائما، وهذا ما يجعلهم ان يهتموا كثيرا بتخمير خبز القربان ويخبزوه بكل عناية ليكون قوتا لهم وليس لسر جسد المسيح، وفي ازدحامهم كانوا يستعملون الخبز البسيط فيضعونه في أيدي بعضهم البعض ويأكلونه. وأحيانا كانوا يسدّون رمقهم من هذ الخبز ويطفون عطشهم، وهم في الطريق، مرتين او ثلاث، وفي المساء، لدى وصولهم الى المكان المعين يقيمون القداس ويتناولون وكأنهم صائمون. ويعملون الشيء نفسه خلال الصيام الاربعيني. والذين يدعون بأنهم ممتنعون عن الخبز والماء، يأكلون الخبز المقدس ويشربون الدم الغافر طيلة ايام حياتهم في مثل هذه الايام التي يصومها حتى أوضع الناس. يشهد لي بهذا ايها

الاخ، الروح الذي في داخلي. فاني أخشى ان اكتب الى وقاركم كل ما سمعت، لان ذهني لم يقو على تصديقه. فلا تظن ولن يظن اولئك، انني كتبت اليك ارتياحا مني للاخبار السيئة، ولكني أشك وأقول للآخرين، ان مثل هذه الخطيئة لا يمكن ان تقترف من قبل الذين اعتمدوا باسم المسيح. يقولون: اذا ما خدموا القداس بعفة لهم ان يأكلوا منه ما شاءوا. اما الكأس فانهم يمزجونها بالماء الساخن ويشربونها، ثم يملأونها ويناولون كل واحد.

يا له من اثم، لقد اتخذوا من آنية القدس الكريمة والرهيبة، آنية لخدمة بطونهم، ولم يتذكروا قصاص بلشاصر الذي استهان واستعمل آنية خدمة الله، كيف أرسلت اليه يد من السماء.......... بيته عقاب جسارته، فكيف تشبه آنية هيكل اورشليم بآنية جسد الله ودمه؟ ان خبز التقدمة لا يستحق ان يقارن بمجد السر السامي. فان كان الذي يأكل من خبز التقدمة الذي أكل منه داود، يعتبر زائفا، فكم بالحري الذي لا يميز جسد الرب ودمه. فذاك بالكاد يستطيع ان يطهر من الادناس الجسدية، عندما تشترك كافة أنواع المطهرات والشرائع. اما جسد الرب ودمه المحيي، فلا يغفر خطايا النفس والجسد فحسب، لكنه يجعل الله ان يعمل فينا بواسطة روحه، كما نحن ايضا ثابتون فيه بواسطة جسده "من يأكل جسدي ويشرب دمي، يقول ابن الله، يثبت فيّ وانا فيه، وأنا أقيمه في اليوم الاخير"، واخيرا نستطيع ان نفهم عظمة هذه الخدمة التي سلمها الينا الله. من العقاب الصارم على الذين يتعدون الناموس من ابناء العهد القديم، فقد قال: "اذا تعدى احد ناموس موسى يموت بلا رحمة على فم شاهدين او ثلاثة"، فكم بالاحرى الذي يدوس ابن الله معتبرا دم عهده مثل دم كل انسان، ويستهين بروح نعمته الذي به تقدسنا. فهذا هو خبز الحياة النازل من السماء. الذي باتحاده مع الله منح الحياة للعالم. فأي معتوه يشبّهه بخبز الوجوه؟.

ان جسد المسيح ليس مجرد خبز كما يظهر لهم، ولكن ذلك الخبز هو جسد الله غير المنظور، كما نؤمن به ونتناوله ليس للشبع انما لشفاء

النفوس. فالذين يتناولون الخبز المقدس بإيمان، انما يتناولون به ومعه جسد الله، والذين لا يأكلونه بالايمان، انما يكونون قد تناولوا مجرد قوت كسائر الاشياء. فاذا اختطف هذا الخبز من قبل الاعداء وأكل، فانما يكونون قد أكلوا خبزا بسيطا، لان أفواه آكليه لا تشعر بالايمان. ان حيوية هذا الخبز بمثابة سقف الفم الذي يتذوقه، والقوة الكامنة في الخبز يتحسسها بالايمان. فان جسد محيينا ليس ذاك الذي يؤكل فحسب، بل ما يشترك معه كما نؤمن، يشترك الجسد الذي لا يؤكل مع الجسد الذي يؤكل. وهو واحد لآخذيه، كما تشترك الاسماء الخفية بالماء فيولد منه ميلادا ثانيا. فالروح الخفي يرف على الماء الظاهر لتولد منه شبه دم سماوي حقيقي. فكما ان الاسماء غير المنظورة تختفي في الماء المنظور، فتعطي الماء غير المنظور لكل الذين يعتمدون بشكل منظور. هكذا ايضا بالنسبة الى الخبز المنظور الذي يضم قوة خفية، تمنح حياة لا تزول لكل من يتناوله باستحقاق. ونؤكد مع بولس بان الذين يتناولونه بغير استحقاق، سيطالهم الاذى نفسا وجسدا ولا ينتفعون ولئن يحصون بين المؤمنين. واذا امتثلوا لقول الرسول: "ليمتحن الانسان نفسه ثم يأكل من الخبز ويشرب من هذه الكأس، لان من يأكل بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه". وهو نفسه يقول: اي باهانتنا للجسد والدم، تترتب علينا، بكل عدل، أمراض مختلفة وموت فجائي، لذا يكثر بينكم المرضى ومعظمهم يرقدون. ولو اننا حاسبنا انفسنا لما وجدنا من يحاسبنا. واذا كان الله يديننا، فانما يؤدبنا تأديبا لئلا ندان مع العالم.

فهؤلاء يتناولون في ايام معينة، ويأخذون جوهرة حياة واحدة، فان لم تقترن بالندامة والخوف والاجلال والايمان، فالاولى ان لا يتناولوا، وبذلك لا يكونون قد ارتكبوا عملا مخالفا لايمانهم. ولكن عندما لا يميزون جسد ودم الرب يكونون قد أذنبوا اليه كقول بولس: ترى اي عقاب اكثر صرامة من الذي قضى به الرسول على مثل هؤلاء؟. ونضيف فنقول: ان هذا العقاب يلحق بالذين يتناولون بلا خشوع وبلا وازع من الايمان، بل لمجرد سدّ لجوعهم. يا للجسارة. كيف لا تستطيع خشية الله ان تردعهم،

ترى من لا يرتعب لمجرد سماعه عن جمرة النار الآكلة تلك؟ فيتناولونها وكأنها خبز بسيط يسد حاجة اجسادهم؟ من لا يخشى حتى من ذكر الجمرة علاج حياتنا، تلك التي اشار اليها السرافيم بملقط الحديد الذي امسكه بيده، معبرا عن جلال سرنا هذا الذي اذ نظرها تقدم بخشوع وأمسك بها. اما هؤلاء فيأكلون الجسد الذي أعطي من اجل حياة أفضل، وبلا خوف. فلا يفزع قلبهم، ولا ترتخي أيديهم ولا ترتعش ركبهم وكأنهم يتناولون مقومات حياة الجسد. وباستطاعتنا ان نقول ايضا ان الرب، بمعرفته فاحصة الامور المستقبلية، يعلم بما يفعلون. لذا فانه بارك اولا الخبز واعطى التلاميذ، بعد ان اكل الفصح الناموسي، لكي لا يقول هؤلاء، انهم شبعوا بعد ان بارك، فانه بارك بعد ان شبعوا، حيث اخذ المعلم وتلاميذه قطعة صغيرة من الخبز. وقال عن الكأس: "اشربوا منها كلكم". وبذلك يكون الاثنا عشر قد ارتووا من تلك الكأس الصغيرة. ويجب ان نقول: انهم اعتقدوا بان البسطاء المفطومين عن الخبز والخمر سيعجبون بهم، ولم يخطر على بالهم، ان سخرية المثقفين بهم هي اضعاف مديح أولئك الجهلة أمثالهم. وبذلك يكونون قد حملوا انفسهم اثما لا يغتفر، فانهم لم يحظوا حتى بثناء الموتى، وعليه فلا يصح ان يدعوا بشرا. بل، وبكل عدل، ينعتون بالكلاب الهائجة، وعلامة هذه الكلاب، هي: أنها تحاول أكل جسد صاحبها. فالذي امتنع عن الخبزعليه ان يتناول شيئا حتى الوقت الذي حدده. وهذا يتضح مما فعله شاول الذي قضى ان لا يأكل أحد ايام الحرب حتى المساء. فلما أكل يوناثان عسلا برأس عصاه، أدين بالموت لو لم ينقذه الشعب بالقوة، لان قوام حياة الانسان هو الخبز والماء. قال يشوع بن سيراخ: "من الخبز أعطى الاسماء لكل المآكل الأخرى".

يروى عن هؤلاء، انهم يتناولون القربان في النهار والمساء، وغيره من الاطعمة كالسلق المطبوخ والحبوب والجبن عوض الخبز، والسمك والفواكه الطازجة والمجففة مع شهد العسل والبيض المقلي. ونظرا الى حرارة الخمر التي يشربونها باسم المقدسات، فان العطش

يظمؤهم طيلة الصيف، وقد اعتادوا على شرب حليب الماعز بدلا من الماء حيثما تيسّر، وهذا دليل ذكاء، اذ قد أدركوا ان برودة الحليب باستطاعتها اطفاء حريق العطش الذي يلتهب في احشائهم. ولهذا السبب وبخ الله عالي حيث قيل: هوذا قد اعطيتكم جميع خيرات الارض لتتعموا بها ولكن بدون خطيئة، كما اعطيتكم جميع قرابين بني اسرائيل لتتمتعوا بها بلا لوم. فلماذا أذنبتم الي جسدي كما غدر اولئك بذبائحي؟ لذا قضيت ان يخدم امامي بيتك وبيت ابيك. اما الآن فيقول الرب: "حاشا لي، لأني اكرم من يكرمني وأهين من يهينني". هكذا يقول عن الذين لا يتفقون مع الانبياء ولا يسمعون للرسل، لكي يتعلموا من بطرس عندما طلب اليه قليميس ان يقوم بخدمته لوحده، فقال، بعد ان امتدح نشاطه واستهان بطعامه: من ترى يستطيع ان يقوم بالخدمة بقوة هذا فقط. أليس طعامهم هو الخبز والزيتون، واحيانا يضاف اليها بعض الخضروات. وان بولس باع قميصه سدّا لحاجته، حيث اشترى بثمنه خبزا كما كتب وجلبه اليه مع الخضروات، والرب نفسه كان يأكل خبزا واحيانا خبز الشعير. وبعد قيامته أكل معهم خبزا لكي يتأكدوا من جسده. ولكن، كما اعرف، ان هؤلاء لا يتبعون الضالين بأعمالهم، ولا يسمعون من المستقيمين، ولا هم نساك كطريقة المرقيانيين، ولا هم كالرهبان المسيحيين، فلا يشبهون اولئك الكفرة. انهم يأكلون صدقة فقط، او خبزا، ولا يشمتون بقرابينهم، ولا يشبهوننا نحن المؤمنين بأي شكل من الاشكال. / اما بقية الرسائل فمشحونة بالبراهين الكتابية.

انتهى بقوة يسوع هذا الخبر، اي التحذير من تناول الاسرار بشَرَه، حيث يستوجب على الانسان ان يستعملها بحسب ما هو مدون اعلاه.

نكتب اولا:

رسالة يوليان الى سويريوس

.........هناك من يقول ان جسده (المسيح) قابل للفساد، مستندين الى شهادات القديس كيرلس، اذ كتب الى سوقنسوس يقول: "كان جسد المسيح بعد القيامة هو الجسد المتألم دون ان يصيبه مرض بشري، ولكن لم يكن قابلا للفساد". فمن هذا التعبير، يحاولون ان يدللوا على انه كان قابلا للفساد قبل القيامة بعتباره اخذ طبيعتنا، ثم اكتسب عدم فساد بعد القيامة. والثانية، يستشهدون بما كتبه الى الملك ثاودوسيوس حيث قال: "انه لعجب عجاب ان يقوم الجسد الخاضع للفساد دون فساد". فالى هذه الاقوال وامثالها كانوا يستندون في نقاشاتهم. اما انا فقد وضعت فصلاً كاملاً، اجتهدت ان اجمع فيه آراء من الملافنة، لكنهم استشهدوا بكتابه الـ ٦١ الذي يتحدث فيه عن العذراء والدة الله، ويتضمن قوله: "ان جسد الرب لم يخضع لفساد الخطيئة البتة، لكنه كان قابلا للموت والدفن. وهكذا دحض آراءهم. اما انا فقد ظننت ان ذلك ما هو الا خدعة من الكاتب، لذا وفصلا للنزاع، أرسلت اليك ما كتب لكي تفحصه، واعتقد بان هذه هي آراء آبائنا. أسرع بالكتابة الي لكي أعرف كيف أتصرف، وعلى أي رأي أعتمد. لاني لا أميل الى القول بان الذي لم يفسد هو قابل للفساد. صلوا الى الله ليبارك حياتي بنعمته.

صورة الرسالة التي بعث بها
يوليان الى القديس سويريوس

بين يدي رسالة طهرك، أقرؤك كعادتي، السلام الذي اتوق اليه وتحثني انت عليه. ان الرسالة التي أرسلتها الي لأقرأها، بخصوص الذين يقولون عن جسد الرب انه قابل للفساد، وطلبتم الي ان ادرسها واعيدها الى تقواك، فقد لبيت الطلب طائعا. فانا رجل اتنقل من مكان الى آخر، وليس لدي وقت مناسب، ولا اطلب امورا اخرى. ولكن بقدر ما أتذكر، واعتمادا على تعاليم الآباء والكتب القليلة المتيسرة هناك، اعرف ان مثل هذا الادعاء وجد في العاصمة، فوضعت حدا للخلاف والادعاءات، استنادا الى شهادات الآباء. ورأيت ان ليس هناك ما هو جدير بالكتابة عنه اليك، وقد تعلمت هذه الاشياء من آباء الكنيسة المقدسة الذين تعاقبوا، لذا تباطأت في ارسال ما كتب الى طهرك خشية ان يعتقد بعضهم جهلا، ان هذه المراسلات هي نقاش حول خلاف بيننا. علما بان البحث المقترن بالمحبة مفيد، ولئن ظهر للبعض بانه علامة خلاف. فدعني اعلم اذن ما الذي يحسن لديك؟ وانا مستعد دائما ان انفذ ما يريح محبتك مستندا الى مشورة الرسول القائل: "كل ما تفعلونه، افعلوه بالمحبة".

رسالة يوليان الثانية الى القديس سويريوس

لقد كتبتم حول ما رأيتموه غير لائق في كتاباتي، وكان يجب ان تعلموني في رسالة وبالسرعة الممكنة، وتزيلوا الوهم عني. اعتقد ان كل ما كتبت لا يتجاوز اعترافي بتجسده منّا حقاً. واجتهدت ان اظهر بان آباءنا متفقون مع بعضهم البعض. فانا لا أرى ان لا نؤمن، او نفكر بانه قابل او غير قابل للفساد. ولئن اعترفنا بان الذي شفى الكل بالصفعة التي نتلقاها هو متألم، لكننا نعرف انه اسمى من الآلام، ولئن قلنا انه مائت، لكننا نعترف بانه غلب الموت ومنح الحياة بموته للمائتين. اذن ما قلتموه لي باني كتبت ما لا يليق، هو مجرد ظن، ولم تعلموني ما هو لكي ادافع عنه. لذا اطلب ان تتنازلوا وتكتبوا الي بما قاله الآباء اثناسيوس وكيرلس

وغيرهما. فاني اود ان اعرف رغبتكم. واعتقد اني تتبعت آثار الأباء الذين لا يناقضون انفسهم او بعضهم بعضا كقول بولس: "ان الخلاص هو بالايمان لا بالاعمال". اما يعقوب فيقول: "الايمان بدون اعمال ميت". فبقولهما هذين لا يخالفان بعضهما، بل يتفقان. فصلوا اذن لكي نستنير بالله ولا نستسلم للالم بارادتنا. فتشرح لنا القضية بإيجاز. فان القديس كيرلس يكتب ما يصعب علينا قوله: "ليس من الممكن ان يطال الفساد الجسد المتحد بالكلمة" وقوله: "انه لمن العجيب، ان الجسد الخاضع للفساد قد تسامى. فما هو ترى الرأي الذي يبديه والذي لا يناقض نفسه. فاذا لم يفكر بفساد طبيعة الذات، فانه قد أخذ ضعفنا بارادته وليس بمقتضى الطبيعة، ورفع خطايانا على الخشبة بجسده.

رد القديس سويريوس

يبدو لي انك ذهبت بعيدا يا محب الله، عندما اخذك الوهم وانت تفكر بما كتبته لك. فاني لم افعل شيئا اكثر مما طلبت، وما كنت لأربكك او اضعك في دوامة من التفكير لو لم ترسل الي بسؤالك وتعقيبك. وكان بوسعك ان تستعمل كلمات قليلة بدلا من حديث طويل. فالرسالة لا تستوجب سوى بضعة اسطر، لكنك بعثت الي بكتابات مطولة وكأنك تتاجر بها، لكي أمحصها. واني سوف ادرسها بتمعن ثم اوضح لك رأيي. لقد وأزنت الامور لكي اكتب الى سيادتك بكل دقة دون كذب. فاسمع ما كتبت. لقد ارسلت ما كتبت كحوار في خلاف، فافحصها وانظر اذا كانت متفقة والاسفار المقدسة ام لا لأن الآباء، كما اعتقد، اتفقوا على مثل هذه. واكتب الي عن الرأي الذي يحثوه، فانك فتحت امامي مجالا واسعا للكلام. فكيف تطلب مني في رسالتك الثانية بضعة اسطر، وبكلمة موجزة أدون لك حديثا يحتاج الى كلام كثير وشهادات من الاباء الطوباويين الذين تكلموا مسوقين من الله؟ قال الكتاب المقدس: "ان الرب يعطي الفكر والمعرفة". وفي مكان آخر: "ان الرب اعطى الحكمة، المعرفة والفهم هما منه وأعطى خلاصا للمستقيمين". فاذا اجتهدنا وسيادتك ان نظهر ان الآباء

لا يختلفون ولا في أي هدف مع بعضهم البعض. لقد احسنت القول بانهم لم يعلموا ما يناقض بعضهم البعض، كما لم يناقض بولس يعقوب بقوله: "الانسان بالايمان يتبرر" في حين قال الثاني: "الايمان بدون اعمال ميت". لان بولس تحدث عن الايمان الذي يسبق المعمودية، والذي سلم بقلب نقي دون ان يسبق فيأتي اعمالا صالحة في الحياة. لكنه يبرر هذا عندما يؤمن ويعتمد. اما يعقوب فقد عنى الايمان الذي يلي المعمودية، وعنه قال انه ميت بلا اعمال، اذا كان الانسان لا يرسخ الايمان بالعمل الصالح. ان العماد هو عربون السيرة الصالحة، لان الرب صار لنا قدوة عندما قدس المياه واعتمد من يوحنا واعطانا سر المعمودية. لقد صعد الى الجبل وقبل تحدي المجرب وقهر قوته، معلما ايانا وجوب الجهاد في العمل الصالح بعد الاغتسال الروحي، لنقاتل العدو بصورة شرعية مظهرين فضائلنا.

ورب قائل يقول: لقد ضرب بولس ابراهيم مثلا وقال: ان الانسان يتبرر بالايمان بدون اعمال. لذا فان هؤلاء يتباركون مع ابراهيم المؤمن الذي لم يعمل، لكنه آمن بالذي يستطيع ان يبرر الخاطئ، فحسب له ايمانه برا. ويعقوب ايضا قدم ابراهيم مثالا على عدم تبرير الانسان بالاعمال فقط. بل بالاعمال التي تثبت الايمان. فكيف لا يكونان متناقضين؟. فابراهيم هو مثال للذين لم يعملوا بل آمنوا، وللذين اظهروا الايمان بالاعمال؟. فانا مستعد ان اشرح ذلك استنادا الى الكتب. فالذي يتأمل زمن ابراهيم، المثال للطرفين، يؤمن بالخلاص بالايمان في المسيح قبل العماد. اما ذلك المقترن بالاعمال بعد العماد، فهو علامة ختانة الجسد القديم الذي يدحض كفر الغرلة، ويقرب الى ذخيرة ابناء الله. لذا أمر الله موسى قائلا: "هكذا قل لفرعون: اسرائيل ابني البكر"، وعليه فقد كتب بولس الى اهل كولوسي يقول: "الذي به ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية". لذا قال عن ابراهيم بانه تبرر بالايمان بدون اعمال وهو في الغرلة قبل ان يختتن، مشيرا الى الايمان قبل العماد بدون اعمال.

يقول في رسالته الى اهل رومية "فآمن ابراهيم فحسب له برا" ليس في حالة الختان بل في حالة الغرلة، فهو لم يكذب. يشهد على هذا ما قاله موسى عن الله بانه قال لابراهيم، فآمن ابرايهم فحسب له برا. ويعقوب هو الآخر ضرب ابراهيم مثلا على الخلاص بالايمان والاعمال في حالة الختان لا في حالة الغرلة، ولنا ان نتعلم منه. فقد كتب هكذا: "تريد ان تعلم ايها الانسان ان الايمان بدون اعمال ميت، ألم يتبرر ابونا ابرايهم بالاعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح"، ارأيت كيف ان ايمانه ساعد اعماله واكتمل بالاعمال، وتم الكتاب القائل: "آمن ابراهيم بالله فحسب له برّا ودعي خليله" انه لمن اليسر على من يطالع توراة موسى ان يتعلم من سفر التكوين، ان ابرايهم قدم اسحق على المذبح بعد ان اختتن ونفذ الامر فتبرر بالاعمال، مشيرا الى غاية الايمان بعد المعمودية التي هي ختان روحي، بانه يبرر الانسان بالاعمال، وكتب: لقد اختتن ابراهيم واسماعيل ابنه وابناء بيته وعبيده من الشعوب الغريبة. ثم امتحن الله ابراهيم وقال له: "خذ ابنك اسحق الذي تحبه واصعد الى ارض مرتفعة وقدمه هناك ذبيحة". فما قاله اذن كل من الرسولين لا يتناقض مع الآخر. وان ما كتب في العهد القديم هو واحد، نطق به الروح الواحد.

اما بالنسبة الى الايمان قبل المعمودية فنقول: ان نسبة ضئيلة من الايمان تبرر المتقدم، لان الخلاص الكامل هو في المعمودية، اذا رحل عن العالم مبكرا. اما الايمان الذي يلي المعمودية، فيتطلب اعمالا صالحة للوصول الى درجة الكمال، والانتظام في رتبة رفيعة. فما قاله يعقوب عنه اذن هو مناسب جدا، اي ان الايمان يكتمل بالاعمال، وهذا نفسه يعلمه بولس الحكيم في مكان آخر، اي عن الايمان الذي يكتمل بالاعمال. فبعد ان اعتمد الغلاطيون وحسبوا ابناء لله بالروح، مالوا الى اليهودية واختتنوا معتقدين ان الختان بالمسيح هو افضل من الغرلة. فوبخهم بقوله: "في المسيح يسوع لا الختان يفيد ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة". فمن هذا يظهر ان الايمان العامل بالمحبة بعد المعمودية يفيد ويخلص. فما هو العمل بالمحبة؟ يجيب بولس فيقول: "المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا

تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبّح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم، بل تفرح بالحق. وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء.. المحبة لا تسقط ابدا". فمن شأن هذه الامور والتعب والعرق ان تقوّم العمل. وكثيرون يستفيدون منها ويخلصون اذا آمنوا. فمن ترى يتجاسر ويعترض؟ لذا قال الرب: "ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي". وعلى مثال ذلك اقول: لنا كتب وقد علمنا آباؤنا. وهذا يتفق ودعوتهم. وقد كتب: "كل شيء معروف لدى الفهماء ويقوّم العارفين". هذا ما أردت ان أكتبه الى محبتك كما يجدر بالمسيحيين. ذلك اني عرفت من عدة جهات، وكما كتب الي، بانك اعطيته رسائل تتضمن تعليمك لا في الاسكندرية فحسب بل هنا وهناك ايضا. واني أدون الرواية بحسب معرفتي مستسلما للمسيح الاله وأضع الشرائع.

لقد كتبت الى الآخ القس توما ليحتفظ برسائلي ولا يسلمها لآحد، لاني اعتقد ان الملك يوسطنيان الثاني سيطلع على هذه وعلى رسائل قدسك ايضا، كذلك وبنفس الكيفية، تعليم الطيبي الذكر الاسقفين المنبجي وملوسينا اللذين وضعا كتابا في نظرية الايمان، وقد تفحصتهما اكثر من مرة فلم أجد فيهما ما يسيء. فعلينا ان نقوم بمثل هذه الاعمال بمحبة متبادلة، ونحن نفكر فكرا واحدا بعون الرب. اني لم اكتب رسالة او كتابا دعاية لنفسي او من اجل كرامة لدى الناس اكثر مما أنا عليه، لكني فعلت ذلك بارشاد الانجيل وتعليم الرسل. ولا يجوز ان نهمل الكفاح ضد الهراطقة في هذه الظروف، ونحن يخاصم بعضنا بعضا. فقد تتم فينا كلمة الرسول القائل: "فاذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضا، فانظروا لئلا تفنوا بعضكم البعض". فيجدر اذن بمحبي الرب ان يهربوا من مثل هذه الخلافات بكل ما أوتوا من قوة، ويحبوا بعضهم بعضا لكي يعم السلام على اسرائيل الله. اقرأ السلام على الاخوّة التي بطرفك. الاخوّة التي معي تحييك بالرب".

فلما تسلم يوليان هذه الرسالة غضب جداً وحنـق علـى سـويريوس وكتب اليه يقـول: انـه فقد مـن حياتـه سـنة وبضعـة أشـهر، ولـم يتمخـض بكرامته، وسرق....... فكتب سـويريوس حديثاً مطـولاً، ضمّنـه شـهادات الملافنة الذين يقولون بأن المسيح أخذ جسده منا، وهو قابل للآلام التـي لا لوم فيها حتى القيامة، ما خلا الخطيئة. هذا وقد صنّف القديس سـويريوس عدة كتب ضد فيلوقسموس وورومانس.

الفصل الثامن والعشرون

في الوباء الذي عمّ المسكونة وبخاصة المناطق الجنوبية

لما امتد الغضب الى العاصمة، تناول أولا الفقراء، فكان يقضي في اليوم الواحد، على خمسة آلاف واحيانا سبعة آلاف او اثني عشر الفا وحتى الثمانية عشر. وفي بدء الوباء، كان بعض الرجال يقفون عند مداخل الموانيء والمعابر ويحصون الذين يؤخذون خارج المدينة. ولو ان شخصا ما أحصى الجميع، لبلغ عددهم ثلاثمائة الف، فقد توقف العدادون عند رقم مئتي وثلاثين الفا. وكان هؤلاء الموتى قليلين نسبيا، لان الوباء طال الحكام ورجالات الدولة ايضا، والذين نجوا من موجة الموت تلك، ابتلوا بالطاعون المعروف ب "بونوبينوس". ولم يقتصر مفعول هذه الضربة على البشر، بل شمل الحيوانات ايضا حتى البرية منها، وبهائم المسكونة، حيث شوهدت الكلاب والبهائم وحتى الفئران ميتة وقد اندلعت احشاؤها.

وهناك ظاهرة اخرى، الا وهي ظهور علامة في كف الانسان شبه بثور سوداء وكثلاث نقاط من الدم لا تبرز الى الخارج، وكان ظهورها مؤشرا الى النهاية. وقد توفي بعضهم وهم يمارسون مهنهم، وآخرون في الحمامات، وغيرهم في الاسواق. وتعطلت حركة البيع والشراء، وأغلقت الحوانيت على اختلافها، وألغيت السوق الكبرى الخاصة بالمدينة، وحتى المواد الغذائية. الويل، ايها الاخوة على تلك النهاية المرة، اذ كانوا يقفون على ساحل البحر وبجرون الجثث الى السفن بمجاميع، كل مجموعة مؤلفة من ثلاثة آلاف او خمسة، واحيانا دون حد حتى نقص جدا عدد الذين يدفنون. وغدت تلك المدينة الكبرى مقبرة كئيبة لسكانها. وحيث انه لم يبق مكان للدفن، كانوا يجمعون الجثث في السفن ويرمون بها بعيدا كما ترمى النفايات.

ولما رأى الملك ما حدث، أمر بصنع ستمائة نعش، وعين مديرا للمالية، وأمره بصرف كل ما يتطلب من نفقات. ويستأجر عمالا لحفر خنادق ودفن الموتى الى جانب الجبل، ووضع في كل منها نحو سبعين الفا، وعين اناسا ليكدسوهم اكداسا مثل اكداس الهشيم. وبفضل هذه الهمة تخلصت المدينة من الجثث. وقد عثر أحد شمامستنا ممن كانوا يهتمون بهذا الامر، خلال تجواله، على بيت مغلق تنبعث منه رائحة كريهة، فلما دخل وجد نحو عشرين جثة يعبث فيها الدود. فجاء بمن يخرجها. وكان بينهم نساء وقد وضعن اطفالا ما زالوا احياء وهم يمسكون بأثدائهن ويصرخون. لقد كان التأديب في هذه المدينة شديدا اكثر من سائر المدن، ولم يسمع بكاء او نواح، ولم يكن هناك من يطالب بالارث او تنفيذ الوصايا، لان الورثة كثيرا ما كانوا يسبقون المورثين الى الموت. وقد يطال الموت شخصا وهو يلج حانوتا او مخزنا مفتوحا ليأخذ منه. ولم يعد الفقراء يقبلون عطاء من الاغنياء، والذين كانوا يأخذون يموتون.

لقد حاول بعض الفقراء ان يطلبوا، علهم، كما يقال يبقون على قيد الحياة، لكنهم قالوا: نحن لا ندخل بيوت الموتى بل نطلب من الاحياء، فذهبوا الى سوق كبيرة فوجدوا شيخا جالسا عند الباب فطلبوا منه، فقال: هوذا السوق امامكم، فدخلوا وحملوا ما استطاعوا حمله من الذهب. فلما حاولوا تخطي العتبة، أغمي عليهم وسقطوا مائتين. وان شابين سليمين ممن اعتادوا على دفن الموتى، كانا يتقاضيان اجورا مرتفعة. فقال لهما مديرمال الملك، اذهبا وتصرفا بما جمعتما، لكنهما اهتما بجمع المزيد، وفيما كانا يحملان جثث الموتى أغمي عليهما وسقطا مائتين فأحصيا مع البقية، فلما رأى ذلك الرجل ما حدث قال: ويل لك يا جشع آدم فلا شيء يسدك غير هذا الرقاد. فأمر بأخذ الذهب الذي معهما وأعطي أجورا لدفن الجثث. جمع آخرون ٤٥٠ دينارا، وقسموها خارج المدينة، ولما همّ كل منهم بأخذ حصته، أغمي عليهم وماتوا. وبقي المال. مثل هذه الامور، سأكون مثل الذي سقط في عرض البحر ولا يستطيع خوض غماره. ويعجز عن الوصول الى الشاطئ، فأوشك على الغرق.

عندما حاول الاشرار خداع الناس في المدينة نفسها، قالوا: اذا ما طرحت جرار من شبابيك الطوابق الى الشارع، يهرب الوباء من المدينة. فصدقت النساء هذا الجنون، وانخدع الناس، ولم يبق أحد في الشوارع لان الجميع اهتموا برمي الجرار لطرد الوباء، لكن دون ان ينتفعوا شيئا، لان الموت كان يزداد فتكا. لكن الاشرار زادوا في خداعهم بقصد السخرية من زي الكهنوت المقدس، فحينما كان يوجد راهب او اكليريكي، كان الناس يولولون هاربين اعتقادا منهم بانه هو الموت بالذات، فلم يعد يُشاهد أحد من اصحاب هذا الاسكيم في الشوارع، واذا ما تواجد، كان مشاهدوه يولولون هاربين صارخين: الى اين تأتي، نحن خاصة والدة الله، او نحن خاصة الشهيد الفلاني، واستمرت هذه الخدعة نافذة لدى بعضهم الى ما بعد سنتين من رفع التأديب. فلم يبق في هذه المدينة الكبرى سوى نزر يسير من تلك الربوات التي لم يكن لها حصر. لقد استمر هذا التأديب ثلاث سنوات.

كتب زكريا الفصيح في كتابه الذي وضعه باليونانية، عن هذا الوباء جاء فيه: لقد جاء ذكر الموت بالطاعون في نبوة حزقيال. حيث يقول: "كل الركب تصير ماء، وتتدنس كل الفخاذ بالقيح"، وبدلا من ان يقول عن سورية قال: ان هذا الوباء الذي يؤدي الى تورم حوالب الافخاذ والبرص، ابتدأ من الحبشة فمصر فالاسكندرية ثم ليبيا وفلسطين وفينيقيا والعربية وبيزنطية وايطاليا وافريقيا وسلوقيا وفرنسا ووصل حتى غلاطية وقبادوقية وارمنيا وانطاكية وارزون، والهلال الخصيب، ومن ثم الى فارس والشعوب التي في الشمال الشرقي، وهو يضرب ويدمر، واذا صادف ونجا بعضهم من الموت، كانوا يرتجفون. وقد عرف بانها ضربة الشيطان الذي سمح له الله ان يؤدب بها البشر.

كان راس يوحنا المعمدان في مدينة حمص، فاستشفع به كثيرون ونجوا، وكان الشياطين يتذمرون بألسنة الناس ويشتكون من القديس.

كتب يوحنا الآسيوي عن الوباء الذي تفشّى سنة ٨٢٥، وهي السنة الـ ١٦ ليوسطنيان، الذي لم يكن ولن يكون له نظير منذ انشاء العالم، لان العالم بأسره طالته هذه الضربة المرة. فقد ابتدأ من الشعوب الداخلية، جنوب شرقي الهند واليمن وبلاد حمير والخ.. ثم ظهر في البلدان المعروفة بالعليا في الغرب اي شعوب الرومان والطليان والفرنسيين والاسبان. وقيل ان الناس استكلبوا وصاروا كالكلاب وجنوا وتعلقوا ببعضهم البعض وصعدوا الى الجبال حيث عذبوا أنفسهم. وهذه كلها كانت كالنحاس الذي يرن. ثم حدث وان بلغ التأديب بلاد كوش على حدود مصر. ومن هناك انتقل الى مصر، وهكذا كان كالحاصد الذي يتناول خطا بعد آخر حتى يأتي الى النهاية. وبعد ان مات معظم الشعب في مصر التي خلت من السكان، انتقل الى الاسكندرية وأهلك كثيرا، والذين نجوا من الموت الرهيب، ابتلوا بأمراض رهيبة، ومنها مرض الحوالب، اذ يصاب أحدهما او كلاهما، فتنتفخ ثم تنفجر فتولد جروحا كبيرة وعميقة ويسيل دم وقيح وماء باستمرار. والى جانب هذه الضربة تسلط عليهم تأديب آخر يقضي عليهم بسرعة.

وقد تجلت رحمة الله للفقراء في كل مكان، لانهم ماتوا في المقدمة. وذلك **أولا:** لتظهر غيرة سكان المدن والفائدة التي تؤول اليهم بسبب دفنهم الموتى الفقراء. **وثانيا:** لو كان الغضب قد طالهم لما امكن اخراجهم مع قيحهم وعظامهم العارية من الشوارع، لان عدد المهتمين بذلك يكون قد نقص. لكن الفقراء ماتوا اولا عندما كان الناس معافين فكانوا يحملونهم ويدفنونهم خارج المدينة. وقد انتشرت إشاعة، مفادها، انه اذا دخل الموت بيتا وبدأ بالصغار، لم يعد هناك أمل بالحياة. حيث كان الجميع يموتون. وانتهى الامر الى دفع اثني عشر دينارا عن دفن كل جثة، وبالكاد يوجد من يحملها ويرميها خارجا كما للكلاب. وذات مرة وفيما كان اربعة يحملون نعشا، اذا بهم يسقطون موتى دفعة واحدة. وهناك من مات وهو يتكلم او يسير، او يأكل، وقطع كل واحد الرجاء من الحياة، وصار كل واحد يخشى الخروج مفضلا الموت في البيت. والذين

يضطرون الى الخروج، كانوا يوصون ان يشيعوا ويدفنوا. وكان كل شخص يعلق لوحة على ذراعه يكتب عليها: "انا فلان بن فلان من الحي الفلاني. اذا مت (في الطريق) اطلب بمحبة الله ورحمته، ان يبحث من يعثر علي عن بيتي ليأتي اهلي ويدفنوني".

لما اوشكت هذه المدينة العظيمة على النهاية، أخذ الناس يتحاشون السير في الشوارع، بسبب رائحة الجثث الكريهة والهياكل العظمية التي نهشتها الكلاب. ولما انتهى الوباء من ساحل البحر، اتجه نحو فلسطين واورشليم، وكانت تظهر في البحر أشباح مفزعة حيث كان الموت يجتاز من بلد الى آخر، ويشاهد الناس ما يشبه قوارب نحاسية يجلس فيها اناس سود من دون رؤوس ويجوبون البحر سريعا، واتجهوا نحو عسقلان وغزة، وحيثما مروا ظهر الوباء. وحدث في فلسطين اكثر مما حدث في الاسكندرية. وكان الذهب والاموال والسلع ملقاة. ومن تسوّل له نفسه ليأخذ اي شيء، أدركه العقاب. لقد دمرت كليا احدى المدن المجاورة لحدود مصر، ولم يبق فيها سوى سبعة رجال وشاب ابن عشرين سنة. فتجولوا في المدينة مدة خمسة ايام وتأكدوا من القضاء على الشعب برمته. ودخلوا بيوت الاغنياء وجمعوا ذهبا وفضة وكدسوها في احد البيوت، وللحال مات السبعة وبقي الشاب، فأخذ بالبكاء. ولما حاول الخروج التقى به رجل عند باب المدينة، فعاد به وأجلسه عند باب البيت المكدس فيه المال. وتكرر هذا الحادث مرات عديدة.

كان أحد الموسرين قد خرج الى قريته قبل الوباء، ولما علم بانتشار الوباء، أخذ يصلي عسى ان تطول حياته. وبعد فترة أرسل عبيده ليفتقدوا بيته. فلما جاءوا الى المدينة لم يجدوا فيها احدا من الاحياء سوى ذلك الفتى وهو يبكي، فاخبرهم بكل ما حدث، فدخل الطمع الوكيل وأمر عبيد سيده ان يحملوا الذهب فرفضوا، فدخل هو بنفسه وحمّل دابته ما استطاع، ولدى وصوله الى بوابة السور، رأى شبح رجل أوثقه مع الفتى وأعاد الذهب، فصرخ الباقون، ارجع وارم الذهب ربما تنجو، ولدى

بلوغهم ذلك البيت، كان قد مات مع الفتى. ونجوا هم. وفي مدينة فلسطينية اخرى، تـراءى شياطين بصـورة ملائكـة وطلبـوا الـى النـاس ان يسـجدوا لصنم من نحاس كان في المدينة، وكان أهلها يسـجدون لـه سـابقا لكـي لا يقترب منهم الموت. فـانخدعوا فجلبـوا لانفسـهم المـوت الثـاني مـن جـراء سجودهم للصنم. وذات يوم وفيما هم مجتمعون امام الصنم، دخله الشيطان بشكل زوبعة رفعته الى الاعلى نحو مئة قامة، وصدمته على الارض بقوة فتحطم وصار كالمياه، وادركهم الموت والدمار. وفي المسـاء لـم يبـق فـي المدينـة ايـة نفس حيـة. ثـم اجتـاح الوبـاء كـل منـاطق فلسـطين والشـمال والجنـوب والشـرق حتـى بلـدان قيليقيـا وسـورية وايقونيـة وموسـيا وآسـيا وبيثونيـا وغلاطيـة وقبادوقيـة، وخيـم الظـلام علـى جميـع مفـارق الطـرق فاقفرت. لقد تركت الاموال وتبددت في السهل والجبـل، وليس مـن يجمـع غلات الحقول او يحصد او يخزن. وانقضى موسم قطف العنب وليس مـن يقطف لان الناس انتهوا من كل المسـكونة، وبالكـاد سلم واحـد مـن ألـف. وزال هذا الغضب بعد ثلاث سنوات.

الفصل التاسع والعشرون

في فترة يوسطنيان الثاني نفسها، وخراب رومية ووفاة الملكة المؤمنة تيودورة، وانتقال القديس الكبير البطريرك سويريوس

بعد ان انتقل الطوباوي البطريرك مار سويريوس من حياة الدنيا، حيث رقد في الاسكندرية في شباط عام ٨٥٠ يونانية، في مكان يدعى كسوتا، اقام الارثوذكس على كرسي انطاكية بدلا منه، الرجل الفاضل سرجيس، لم يعش سوى مدة قصيرة فخلفه بولس الملقب بالاسود.

وبعد القديس انتيموس الذي ترك كرسي الاسكندرية، قام ماينا، اناء الغضب، وخلفه اوطيخس. وفي رومية، قام بيجليوس بعد اغابيط، ونقص عدد اساقفة مدن مملكة الروم، باستثناء كرسي الاسكندرية الذي خضع بعد عشرين سنة لبدعة ذوي الطبيعتين بواسطة بولا.. توفي فيلكسينوس المنبجي في غنغرا. وقبل ابن اخته فيلكسينوس المجمع لسبب لا أود تدوينه وتعين في قبرص. اما توما اسقف جرمانيقي وتوما اسقف دمشق وغيرهما من منطقة نفوذ الاسكندرية فانتقلوا من هذا العالم. وقد صمد في الجهاد كل من مارا اسقف آمد وسويريوس الراحل حديثا، وهما من القلة العاملين مشيئة الله، دون ان يتخاذلوا من جهة ايمانهما، فكانا يتجولان في العاصمة يرضيان الملك ويوصيان الملكة بالمؤمنين. كما كان قسطنطين اسقف اللاذقية، ويوحنا المصري وبطرس وثاودوسيوس وانتيموس وبعض اساقفة البلدة متمسكين بالتحديد الواحد للايمان. وكان توما اسقف دارا ويوحنا اسقف تللا، وانطونينا اسقف حلب وسرجيس اسقف شورا وبطرس اسقف راس العين، قد رحلوا، وخلا المشرق من رؤساء الكهنة. ونظرا الى الضرورة وقلة الرعاة في بلاد فارس، قام اسقف يدعى قيروس برسامة كهنة لمنطقة تمتد من فروطا حتى اوغدي، لكي لا يلام زعماء المؤمنين، ولا يمتهن الذين رسموا كهنة لبلاد فارس

من قبل الخصوم ويضطهدون. فغاروا بعدل وفكروا بالواجب الملقى عليهم، وباركوا ورسموا في العربية رؤساء كهنة، كل من الراهب تيودور، وهو رجل نشيط، وكان في العاصمة، ويعقوب المجاهد والشديد البأس والذي كان يتنقل من مكان الى آخر زائرا ومشجعا. وكان نحيلا وسريعا في الجري وناسكا. ويسير مثل الغزال. وهو احد كهنة دير فسيلتا من قرية غامو في جبل الازل. وقد انقذ الكثيرين من ابناء فارس بواسطة الوديعة المسلمة اليه.

حارث بن جبله:

في هذه السنة، توفي يوحنا بن قوريقوس الذي سجن في انطاكية، وكذلك يوحنا ابن افتونيا رئيس الدير. وفيها، رسم في العاصمة، هذان الاسقفان القديسان، يعقوب الذي من دير فسيلتا للرها، وتيودور لحيرة النعمان، بطلب من الحارث وبهمة الملكة تيودورة. وقد رسمهما البابا ثاودوسيوس، في الوقت الذي كان للخلقيدونيين في الرها، الاسقف امازون، وهو الـ ٣٨ الذي بنى وزين كنيستها الكبرى. اما يعقوب الفسيلتي الذي رسم للرها، فكان يتجول في سائر مناطق المشرق، ويرسم اكليروسا للارثوذكسيين وهو بزي المستعطي لاسيما في الطرقات خوفا من المضطهدين. ان حارث بن جبلة ملك العرب المسيحيين ومعارفهم، كانوا خصوما للمجمع، فلا يأكلون خبزا مع الخلقيدونيين. وكان افرام اليهودي الانطاكي قد أوفد اليهم من قبل الملك قبل وفاته. فقال لحارث: لماذا تشكون فينا وفي الكنيسة؟ اجاب: نحن لا نشك في كنيسة الله، لكننا نتهرب من الشر الذي ادخلتموه الى الايمان، حيث انكم علمتم بالرابوع بدلا من الثالوث، وتكرهون الناس ليتنكروا للايمان الحق. فقال افرام: اتعتقد ايها الملك ان مجمع الـ ٦٣٠ كان فاسدا ويستوجب حرمهم؟ لنعتبر جميعهم اساقفة فهل من اللائق نبذهم وقبول الاقلية وهم هراطقة؟ فأجاب الحارث قائلا: انا رجل عامي وعسكري ولم اقرأ الكتب. لكنني اقدم لك برهانا. فعندما آمر عبيدي ان يهيأوا طعاما للجيش، فيملأوا القدور بلحم الغنم

والثيران ليطبخوا، ويصادف ان توجد في القدر فارة نجسة. فاستحلفك بحياتك ايها البطريرك: هل يتنجس ذلك اللحم النظيف ام لا؟ فقال: نعم؟ فقال الحارث: فاذا كان لحم كثير يتنجس بفارة صغيرة نجسة، فكيف لا يتنجس المجتمعون الذين قبلوا البدعة النجسة؟ حيث وقعوا على قبول طومس لاون، الفارة النجسة. ولما لم يستطع افرام ان يجيب، حاول خداعه عله يتناول من قربانه، فقال له الحارث: انت اليوم مدعو معنا للغذاء، ثم قال لخدمه باللغة العربية: ان لا يقدموا شيئا سوى لحم الجمل. فلما أعد الطعام، طلب حارث من افرام ان يبارك المائدة، فارتبك ولم يفعل، اما حارث فأكل. فقال افرام: لقد نجستم المائدة باحضاركم لحم الجمل، فقال الحارث:لماذا اذن تضطرني الى ان اتناول قربانك وانت تتنجس من طعامي؟ اعلم ان قربانك محرم علينا اكثر من كرهك للحم الجمل الذي نأكله، لان الكفر كامن فيه، وانت خال من الايمان القويم. فغضب افرام وغادر دون ان يتمكن من اغواء حارث.

في السنة الـ ١٨ ليوسطنيان وهي سنة ٨٥٧ يونانية، احتل الروم مدينة رومية الكبرى الايطالية، ولما لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها، استقروا في بلدة الى جوارها، وتركوها خاوية خالية من السكان. ولكي تقف على مدى الخسارة التي لحقت بالروم من جراء احتلالهم اياها، سأدون تاريخها ولو بايجاز نقلا عن شخص خبير بشؤونها.

في رومية:

في السنة الثالثة لخراب مدينة ايلون التي دمرت في عهد شمشون وعالي الكاهن، اخذ الملوك يقيمون في مدينة رومية التي كانت تعرف سابقا بايطاليا، وعرف ملوكهم باللاتين. وفي أيام يوثام واحاز ملكي يهوذا، حكمها رملاوس واقام فيها بنايات ضخمة، فدعيت باسمه: رومية، ودعيت مملكته مملكة الرومان منذ عهد الملك حزقيا. كان فيها ٢٤ كنيسة مقدسة للرسل القديسين الفاثوليكيين، وبهْوان كبيران حيث يقيم الملك

ويجتمع معه المستشارون. و ٣٢٤ شارعا طويلا وفسيحا، وفيها........ كبيران، و ٨٠ تمثالا من الذهب، و ٦٤ تمثالا من العاج، و ٤٦ الف دار سكن، و ١٣٩١ قصرا للزعماء، و ١٣٥٦ قناة لتصريف المياه، و ٢٧٠ خبازا يموّنون السكان، ما خلا معاونيهم والذين يبيعون في المدينة. وفيها مقبرة دفن فيها خمسة آلاف. و ٣١ نصبا كبيرا من المرمر، و ٣٧٨٥ تمثالا من نحاس للملوك والحكام، و ١٢٥٠ تمثالا لآل ابراهيم وساره وهاجر والملوك من آل داود. هذه كلها نهبها اسفيسينوس لدى تدميره اورشليم، واخذ ابوابها النحاسية وغيرهما من المواد. وكان فيها ايضا تمثالان ضخمان لاثنين من الجبابرة، وعمودان من صدف، وملعبان مستديران وثلاثة مسارح. وفيها و ١١ ملعبا، و ٢٢ حصانا نحاسيا كبيرا وقويا. و ٥٦ حماما و ٤ و ٢١٤ تماثيل حصن نحاسية و ٤٥ و ٢٣٠٠ مخازن الدهن، و ٢٩١ سجناً، . والى جانب .... مرحاضا و ٦٣٣ حارسا يحرسون المدينة، يترأسهم سبعة. وكانت ابواب المدينة ٢٠٦ قدما ....، وهي ٤٠ ميلا. فطول المدينة من الداخل، من الشرق الى الغرب ١٢ ميلا. (١)

وفاة الملكة تيودورة:

لما احرق البرابرة هذه المدينة في هذه الفترة، حزن الملك يوسطنيان ومستشاروه ولبسوا الحداد. ومما زاد في حزن الملك، وفاة الملكة تيودورة الطيبة الذكر التي حلت في السنة الـ ٢٠ ليوسطنيان وهي السنة ٨٥٩ يونانية، وقد وزع مالا كثيرا لراحة نفسها، فقابل الملك القديسان انتيموس وثاودوسيوس، واطلق لهما حرية الرأي وعاشا بسلام.

في هذه الفترة، احترق دير مار سمعان العمودي في كورة انطاكية ودمر كليا، وعمت البلبلة والخلاف، في الكنائس بسبب مدخل الصوم

١- الفراغات هي لكلمات يونانية لم نعثر على معانيها (المعرب).

والفصح ولاسيما في القسطنطينية. وفي السنة الـ ٢٣ ليوسطنيان فاض النهر الذي يمر وسط طرسوس وقيليقيا. وفي هذه الفترة حدث زلزال دمرت على اثره مدينة مفولوبوليس ودفن السكان وكهنتهم وهم احياء. وكانت اصوات صراخهم تتبعث من داخل الارض لعدة ايام، ولم يستطع أحد اسعافهم، كما دمرت ايضا مدن اخرى في هذه المنطقة، وعلى ساحل بحر فينيقيا، فغرقت طرابلس وبيروت وجبيل وترواس ومدن الجليل واندفع البحر في اليابسة نحو ميلين، ورست السفن على الارض.

احداث مؤسفة:

في هذه الحقبة، عرف في الاسكندرية يوحنا فيلوفينوس، وفيها صعد الروم الى بلاد الاكراد والارزونيين والعرب، وصعد كسرى ملك الفرس فغزا بترا ووضع فيها حامية، فدافع عنها الروم مدة سبع سنوات واحتلوها بعد اندحار الفرس. وفي هذه الفترة صار قحط في الغلال وشحة في الثمار في هنطا، فحدث جوع ترك اثره في النفوس والاجساد، عقبه وباء، كان المصاب به يأكل بنهم وشراهة في وجبة واحدة نحو عشرة ارطال خبز ومعه مواد اخرى. فكان يتخم وينتفخ، وبالرغم من ذلك كان يشعر بالحاجة الى المزيد من الخبز ليملأ بطنه فيأكل ويموت. ثم تفشى وباء في الثيران في مختلف المناطق ولاسيما في الشرق، ودام سنتين، فخلت الحقول من الثيران. وحدث في شهر آب زلزال عنيف في العاصمة، فانهارت بيوت كثيرة وغدت قبورا لاصحابها، كما انهارت الكنائس والحمامات والسور المعروف بباب الذهب كما دمرت نيوقوميديا كليا بنفس الزلزال، واستمرت هذه الزلزال نحو ٤٠ يوما لكي تكون داعية للناس الى التوبة، ويحتفل بذكراهم سنويا في قمقون الكبرى التي تبعد ستة اميال من العاصمة، حيث تقام الصلوات.

وفي السنة الـ ٣١ ليوسطنيان، حدث زلزال رهيب، فانهارت أسوار العاصمة، سور قسطنطين الداخلي وهو قديم، وسور ثاودوسيوس الخارجي، وسقطت عدة دور، وتصدعت البقية، وحدثت فيها ثغرات

وسقطت فيما بعد. ولم ينج اي بنيان من التشويه بسبب هذا الزلزال الذي قلب عالي مدينة ريجن الى سافلها، حتى لم يعد يعرف انها كانت مدينة، وسقط ايضا نصب ارجوان الملك الضخم المقام امام البلاط، وتحطم كل ما كان عليه من تماثيل الملك، فمن شدة الهزة ارتفع عن الارض وعاد معكوسا وانغرس في الارض نحو ثمانية اقدام، وهكذا دمرت عدة مدن وقرى. ولم يسمع بمثل هذا الزلزال بين الزلازل التي سبقته، حيث كانت تتحرك هنا وهناك كتحرك الاشجار امام الرياح، واستمرت مدينة ترواس تهتز مدة عشرة ايام ثم سقطت، كما اهتز الجبل الملاصق لها والمعروف بجبل وجه الصخر، وانفصلت منه قطعة ضخمة وسقطت في البحر اذ قذفها الزلزال مسافة طويلة داخل البحر مقابل المدينة، فاندفعت مياه البحر الى داخل المدينة.............. الى جانب واحد من البحر. كما حدث للميناء الكبير العجيب الذي بامكانه ان يستقبل سفنا كبرى. وبتأثير هذا الزلزال اندفعت مياه البحر الى داخل المدن الساحلية لمسافة ميلين مثل بيروت وغيرها _وقد ظهر قعر البحر وشوهدت فيه اشياء كثيرة، منها سفن غارقة ملأى بالمواد التجارية، وبدلا.................... على النكبات، سعى هؤلاء............ ليغتصبوا كنوزا مخفية............ دخلوا وحملوا ليخرجوا، واندفع آخرون، غير ان البحر الرهيب اندفع بقوة ودفعهم الى اعماقه باشارة خفية من الله. اما الذين ما زالوا على ساحل البحر، فاذ رأوا المياه تتدفع هربوا ونجوا، غير ان الهزة هدمت البيوت عليهم فدفنوا. حدث هذا في كافة المدن الساحلية. لاسيما في بيروت التي اندلعت فيها النيران فدمرتها، حيث استمرت النيران نحو شهرين، واحترقت حتى حجارتها، فأرسل الملك يوسطنيان مالا كثيرا، وانتشلوا جثث الغرقى ودفنوها واعادوا بناء قسم من المدينة.

ظهرت في الاسكندرية بدعة اغنقيطا اي غير العارفين الذين فسروا عبارة "لا أحد يعرف اليوم ولا الساعة" تفسيرا غبيا، فقالوا: ان الابن لا يعرف ذلك اليوم، وينكرون على ابن الله حتى تلك المعرفة التي اعطيت للانبياء بالنعمة، وجمعوا من الكتب بعض الشهادات السخيفة التي أضافها الاسقف الذي تزعمهم، والذي حرمته الكنيسة واياهم.

الفصل

في المجمع الذي عقده يوسطنيان في القسطنطينية وعرف بالخامس، والاضطهاد الذي فتك بالارثوذكس، والبدع التي ظهرت في عهده

بعد وفاة الملكة تيودورة المؤمنة، حرض بعضهم الملك ليجمع الذين رفضوا المجمع، علهم يخافون فيقبلونه. فدعا الملك يوحنا الاسيوي اولا، وطلب إليه ان تكون دعوة اساقفة سورية باسمه ووعده بالمناصب والنفقات. ولما اعتذر يوحنا، كلف آخر، وهكذا حتى بلغ عدد الرجال اربعمائة، وامضوا سنة كاملة في الجدال. وعندما رأى الملك انهم لا يتراجعون، اطلقهم، فانصرف كل الى بلده..

توفي مانيا اسقف القسطنطينية، فاقيم اوطيخا من ماسيا. غير ان الملك طرده عندما افتضح امره بكونه من اتباع بدعة "السمفاطيين"، وعين مكانه يوحنا الذي تبادل واوطيخا الحرم، وحرم الله كليهما.. كان قسطنطين اسقف لاذقية سورية، فريسة الاضطهاد هو الآخر، وقد اعتكف زاهدا، ابتداء من عيد الدنح حتى القيامة، وحيثما ذهب عكف نفسه، ولما استدعي الى العاصمةن قصده الاعيان رجالا ونساء وتناولوا منه نظرا الى حسن سمعته وايمانه. فطلب اليهم بعضهم ان يتخذ خطوة تبهج الملك، فأجاب: اية خطوة تتخذ تجاه الحق سوى كونه حقا؟ فاذا اردتم حلا ما فلنتبع الحق، فهو يجد لنا حلا لا نحن، وانا شخصيا لم اعرف ولن اعرف شيئا غير الحق. ولما خاصم الهراطقة امام الملك، ألقي اللوم عليه، فتشجع الملك ليقول له: اليوم هو السبت، وعليك ان توقع قبل الاثنين، فتشجع هو الآخر وقال: ان كان الله يحبني فلا يدعني ادرك يوم الاثنين لئلا أرى وجوهكم، فانصرف الى مكان اقامته ووقف امام المذبح وصلى قائلا: يا رب خذ نفسي، فمرض للحال، وفي صبيحة يوم الاثنين دخل الى المذبح مرة أخرى وسجد مصليا وردد نفس العبارة، فتوفي هناك. واذ ابطأ دخل خادمه، فظن في بادئ الامر انه مازال ساجدا في الصلاة، فلما نطق كلمة

"بارك يا سيد" ولم يستجب، دنا منه فوجد ان روحه قد انتقلت، فأسرع وأخبر رفاقه، وتجمهرت الآلاف، واشترك الملك والزعماء بتشييع الطوباوي تشييعا مهيبا. لينقذ الله كنيسته وشعبه بشفاعته الى الابد.

في هذه الاثناء، استدعي رئيس اساقفة افسس الى العاصمة لكي يقبل مجمع خلقيدونية فاستمهلهم ثلاثة ايام، فدخل ورمى بنفسه أمام المذبح وهو ساهر يصوم ويصلي. وفي ختام الايام الثلاثة، دعا الاكليروس وقال لهم: اختاروا لكم اسقفا، فها اني راحل الى ملك الملوك كي لا اشترك مع الذين يقسمون المسيح الى طبيعتين. فرقد في تلك الليلة، فاندهش الجميع بقوة صلاته. فخلفه اوفاط، وسرعان ما عزل اذ اكتشف انه مانوي، فقام اندراوس.

مار آحو دامه:

ظهر في هذه الفترة مار آحو دامه اسقف فارس، وهو رجل عالم وقديس، خاصمه نساطرة نصيبين وضواحيها، واضطر ان يقابل كسرى ملك الفرس، فاستدعوا جاثليق النساطرة وتجادلا فانتصر القديس بعد ان قدم براهين من الكتب والطبيعة، فتعجب كسرى ومن معه من حكمة ومعرفة مار آحو دامه، واثنى عليه. ثم امر الملك واجتمع الطرفان، وظهر ان الارثوذكس كانوا خمسة اضعاف النساطرة، فسمح لهم كسرى ان يبنوا كنائس ويظهروا علانية، فاندحر بذلك النساطرة.

المجمع الذي عقده يوسطنيان

في السنة الـ ١٦ ليوسطنيان وهو سنة ٨٦٤ يونانية، عقد مجمع لمجرد الاعلام، في العاصمة القسطنطينية عرف بالمجمع الخامس. حضره ثلاثة بطاركة، اوطيخا بطريرك القسطنطينية، وابوليناريوس بطريرك الاسكندرية، ودميان بطريرك انطاكية. اما بيجليوس الروماني،

فبالرغم من وجوده في العاصمة على اثر خراب رومية، الا انه لم يحضر، لئلا يُهان اذا ما تساوى مع الثلاثة الآخرين. وهذا امر غير منطقي وبمنتهى العجرفة. ولو حضره البطاركة الاربعة، لقيل انه كان افضل كل المجامع. وحضره مطارنة واساقفة كثيرون، ومنهم خلقيدونيون الذين جاءوا ليدافعوا عنه لانه لم يعترف بعقيدة ثاودوريطس وثاودورس، كما لم تتل وتُقبَل رسالة يهيبا الى ماري الفارسي. لذا اكد حرم اوريجانس الذي كان يوسطنيان قد فرضه، وحرم ثاودورس وتعليمه وثاودوريطا وكل ما كتب، ورسالة يهيبا، فعمت البلبلة في كافة انحاء ايطالية أي رومية. واحتج بيجليوس بشدة على حرم ثاودريطس بعد موته بـ ١٣٠ سنة. غير انه قبل المجمع فيما بعد. لكن الخلافات كثرت، ولم يقبل من الجميع. وضع المجمع ١٤ فصلا يناقض بعضها بعضا، فمنها ما يمتدح مجمع خلقيدونية، ومنها ما يناقضه.

فصول المجمع الخامس

☆ محروم من لا يعترف بطبيعة وجوهر الاب والابن والروح القدس. ثالوث واحد مساو في الطبيعة، ويسجد بثلاثة اقانيم. فالله هو واحد على الكل، وواحد هو الرب يسوع المسيح الذي به صار كل شيء. وواحد هو الروح القدس المحيي ورب الكل.

☆ محروم من لا يعترف بميلادين لكلمة الله، الاول روحي بلا جسد، الذي من الآب الازلي، وقبل الدهور والازمان، والآخر في آخر الزمان عندما نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء الدائمة البتولية.

☆ محروم من يقول: ان كلمة الله الذي صنع المعجزات هو غير المسيح المتألم، او يقول، ان الله الكلمة كان مع المسيح المولود من امرأة،

او كان فيه وما الى ذلك. ولا يعترف بكونه واحدا، وهو الرب يسوع نفسه، اي كلمة الله المتجسد والمتأنس، واليه بالذات تنسب المعجزات والآلام التي احتملها بالجسد من اجلنا بارادته.

☆ محروم من يقول، ان اتحاد اللاهوت بالناسوت كان بالنعمة او بالانفعال او التدرج بحكم المساواة بالكرامة والسلطان وبالتبعية والتسامي، او كأنه تم تحت ضغط، او بحسب ارادة الله الكلمة الذي فضل على الناسوت كما قال ثاودورس الحقير، او بالتواطؤ كما يسمي النساطرة الاغبياء، الله الكلمة مسيحا وابنا. وعن الناسوت يقولون، مسيح وابن كما يقال. ويعترفون جهارا بشخصين، ويحابون فيشيعون اقنوما واحدا للابن والمسيح في الصفات والكرامة والتدرج والسجود، ولا يعترفون بالوحدة المركبة، اي ان اتحاد كلمة الله كان اقنوميا بالجسد ذات النفس الناطقة والعاقلة، مثلما علم آباؤنا القديسون. لذا فان اقنومه هو اقنوم واحد مركب وهو الرب يسوع المسيح أحد الثالوث، لان مفهوم الوحدة يختلف باختلاف الناس. فبعضهم ينساقون وراء ابوليناريوس واوطيخا اللذين يعتقدان بان الاتحاد يلاشي ما اجتمع وتركب، وظهور التبلبل.وآخرون يذهبون مذهب ثاودورس ونسطور معتقدين بالثنائية ويقسمون الوحدة ويفهمونها بانها مجرد حب متبادل. اما كنيسة الله المقدسة فتتسامى عن نفاق هاتين البدعتين معترفة بوحدة اقنومية لله الكلمة المتجسد والمركب، وتحتفظ بما اجتمع دون تغيير او تبلبل. وتؤمن بتركيب غير قابل للانقسام. اما الذي يرى ان اقنوم الرب يسوع المسيح يمكن أن يتقبل عدة اقانيم معروفة، فيكون قد تجاسر وأدخل الى سر المسيح اقنومين وشخصين. وبهذا فقط يرجح ان يكون شخص واحد للاقنومين خاضع للتغيير والكرامة والسجود، كما ذهب ثاودورس وزميله بالحقارة وظلموا مجمع خلقيدونية المقدس بقولهم: ان تصرفه في ما يخص الاقنوم الواحد كان تجديفا، ولا يعترفون بان الله الكلمة اتحد اقنوميا بالجسد. وهذا ما اعترف به مجمع خلقيدونية المقدس. فلم يطرأ على الثالوث الاقدس اضافة اقنوم او شخص لدى تجسد الله الكلمة احد الاقانيم الثلاثة.

☆ محروم من يقول عن العذراء انها والدة الله بشكل مجازي او خيالي وليس بالحقيقة، او من يقول انها ولدت انسانا بسيطا، او من يفكر مثل الهراطقة بان الله الكلمة كان تابعا للانسان في ولادته، وبهذه الصورة يمكن ان تدعى والدة الله، ويظلم مجمع خلقيدونية. وان العذراء هي الاخرى تعتبر ولادتها بمثل هذه الصورة كما قال ثاودورس، او اذا سماها احد والدة الانسان او والدة المسيح على اعتبار ان المسيح ليس آلها. لان ذاك المولود من الآب ازليا، تجسد منها في آخر الازمان. واستنادا الى هذا فان مجمع خلقيدونية يدعوها بحق العذراء مريم والدة الله.

☆ محروم من يقول بالطبيعتين دون ان يعترف باللاهوت والناسوت الذي يعرف بالرب يسوع الواحد فقط، حيث يشير الى تغيير الطبائع، ومنها الاتحاد الفائق الادراك الذي تم دون تبلبل، حيث ان الكلمة لم يتغير الى طبيعة الجسد، ولا الجسد الى طبيعة الكلمة، وقد حافظ كل من الجوهرين على طبيعته، في حين تم الاتحاد الاقنومي، وهو يأخذ هذه اللفظة عن سر المسيح بمفهومها قبل الاتحاد. أو اذا قال أحد بتعدد الطبائع، لان يسوع المسيح الآله المتجسد هو واحد، وان ما تركب منه لم يتغير ولم يتلاش ولم يختلف من جراء الاتحاد، فهو واحد من كليهما، وبسبب ذلك فلا يخضع للتعددية اطلاقا، على اعتبار ان الطبائع قابلة للانقسام، ووحدة الاقانيم.

☆ محروم من لا يعترف بان الاتحاد تم من طبيعتين اي اللاهوت والناسوت، او من يقول بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد، فهو لا يُفهم كذلك كما علم الآباء القديسون أي أن المسيح هو واحد من اتحاد اقنومي بين اللاهوت والناسوت، بل يتجاسر ليدخل عبارة "الطبيعة الواحدة" اي جوهر اللاهوت والناسوت.

☆ عندما نقول ان الله الكلمة المتجسد متحد اقنوميا، فهذا لا يعني اختلاط الطبائع ببعضها وتبلبلها، بل يعني ان الطبيعتين بقيتا على ما هما

عليه، عالمين ان الكلمة اتحد بالجسد، وعليه فان المسيح هو واحد. آله وانسان، مساو للآب في اللاهوت، ومساو لنا في الناسوت. وان كنيستنا المقدسة تعرض عن، بل وتحرم الذين يقسمون ويبلبلون سر تدبير المسيح ولاهوته.

☆ محروم من يقول ان المسيح يسجد بطبيعتين، فيقدم سجدتين، الاولى خاصة بالله الكلمة، والثانية بالانسان. او من يقول بتلاشي الجسد او اختلاط ما اتحد اي اللاهوت والناسوت على اعتبار عدم امكانية الطبيعة الواحدة. وعلى هذا الاساس يسجد للمسيح، ولا يقدم بالحري سجودا واحدا لله الكلمة المتجسد، كما تعلمت كنيسة الله منذ البداية.

_ محروم من لا يحرم المنافقين اريوس وانوميوس ومقدونيوس وابوليناريوس ومؤلفاتهم الملوثة، وسائر الهراطقة الذين أدينوا وحرموا من الكنيسة القاثوليقية المقدسة، ومن المجامع الاربعة المذكورة، وكل الذين ارتأوا رأي هؤلاء او سيميلون اليهم، ولا زالوا مصرين على موقفهم الآثم.

_ مجروم من يدافع عن ثاودورس المنافق اسقف مفسوسطا الذي قال ان الله الكلمة شيء والمسيح شيء آخر، ذاك الذي كان يتحسس بشكل او آخر آلام النفس وشهوات الجسد، ثم تخلص منها رويدا رويدا حتى وصل الى درجة الكمال في الفضيلة، واكتمل كإنسان بسيرته واعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، واقتبل نعمة الروح بالمعمودية واستحق البنوة، وهو يسجد بشخص الله الكلمة كصورة الملك. وصار بعد القيامة كاملا وغير قابل للتغيير في فكره المنزه من الخطيئة.

☆ لقد قال ثاودورس المنافق ان اتحاد الله الكلمة بالمسيح كان كالشكل التالي: اي كما قال الرسول بالنسبة الى الرجل والمرأة، "يكون كلاهما جسدا واحدا". ثم اضاف الى تجاديفه الكثيرة قوله: ان نفخة الرب

في تلاميذه بعد القيامة حين قال: "اقبلوا الروح القدس"، كانت شكلية. وبهذه الصورة كان اعتراف توما الذي قال: "ربي وآلهي" بعد ان لمس يدي وجنب الرب بعد القيامة، ولم يكن اعترافا من توما بان المسيح هو اله. لكن توما عبر عن مجد الله مندهشا باقامته للمسيح. والانكى ان ثاودورس في تفسيره لأعمال الرسل يشبّه المسيح بأفلاطون وماني ومرقيان وأبقراط، ومثلما أثر كل من اصحاب التعاليم هؤلاء في تلاميذه فنسبوا اليه، فقيل افلاطونيون، مانيون، ابيقراطيون، مرقيانيون. هكذا المسيح ايضا الذي جاء بتعليم خاص، نسب اليه المسيحيون. فالذين يدافعون عن مؤلفاته والذين يقبلونه ويأخذون برأيه، ليكونوا محرومين. والذي يدافع عن ثاودريط المنافق وعن مؤلفاته القذرة التي وضعها ضد مجمع افسس الاول المقدس. وضد القديس كيرلس وفصوله الاثني عشر التي كتبها ضد ثاودورس ومن لف لفه، وينعت معلمي الكنيسة بالمنافقين لاعترافهم بالاتحاد الاقنومي لله الكلمة مع جسده، ورفض حرم المؤلفات المذكورة، اي مؤلفات ثاودورس وثاودريطس ونسطور ومن على شاكلتهم ممن كتبوا وانتقدوا فصول القديس كيرلس الاثني عشر وماتوا وهم على ضلالهم، ليكن محروما.

☆ محروم من يدافع عن يهيبا الغبي ورسالته الى مار فرسيا الهرطوقي المفعمة نفاقا، ولا يحرمها، او انه يقول انها صحيحة كليا او جزئيا، او ينحلها اسم آباء مجمع خلقيدونية القديسين، ويصر على ذلك.

لقد أقرت وحددت هذه الامور. واذا ما تجاسر احد ليعارض ما تحدد بالاستقامة فليكن غريبا عن الاسقفية والاكليروس، وليحرم اذا كان راهبا او علمانيا.

بدع متنوعه:

البدع التي ظهرت في عهد يوسطنيان الثاني هي: البربورينيون الذين نسميهم بلغتنا مليونيين وهم شيعة من المرقيونيين. فلما طرد المانيون من بلاد فارس، وجاءوا الى ارمينيا. كانوا يرتدون زي الرهبنة، كما ارتدت نساؤهم الاسود ايضا، ليظهروا للناس انهم اتقياء. وجاءوا الى سورية واستولوا على الاديرة التي هجرت بسب الاضطهاد ومارسوا فيها شعائرهم. ولما افتضحت قذارتهم، اشمأز الناس منهم. وقد اعتادوا خلال اعيادهم الدنسة، ان يأخذوا طفلا ابن سنة واحدة، ويخزون جسمه بالابر كما يفعل المانيون، ويعجنون قربانهم النجس بالدم الذي يسيل منه، ويمزجون مع دم الانسان دم دجاجة بيضاء. واذا صادف ان أكل منه مؤمن يجنّ ويتبعهم حتى الموت. ثم يجتمعون في احد البيوت ويطفأون النور ويبسط الرجال ايديهم الى النساء دون ان يتكلموا، فيمسك كل رجل بامرأة اية كانت حتى ولو كانت اخته، ويضاجعها حتى الصباح (بمثل هذا المضجع الدنس تتميز بدعة ماني عن هؤلاء). وفي الصباح يخرجون وهم مرتدون الزي الاسود ويتجولون مدعين انهم مسيحيون.

ظهر في هذه الفترة في الرها، كاتب يدعى اسطيفان بن صوديلي، وأخذ يفسر كما يشاء. ويتظاهر بالنسك فيخرج من ديره ويتوجه الى فلكسينوس المنبجي ليخدعه ويؤمن بنهاية الدينونة مثله، وبأن الانسان يتعذب بقدر الذنب الذي اقترفه، ان كان سنة او اكثر او اقل. ويتمتع الصالحون فترة ثم يختلطون مع الاشرار، متوهما بما كتبه بولس، من ان الله هو الكل بالكل. وألغى عبارة "الحياة الابدية" او "العذاب الابدي". ولما نبهه المنبجي بان هذه هي بدعة اوريجانس الذي حرم بسببها، لملم كتبه ليلا وهرب الى فلسطين، ولما لم يرتدع، رغم النصح الموجه اليه، حرم.

وفي هذه الفترة نفسها ظهر في اوفيميا، أحد المتوحدين اسمه يوحنا، ذهب الى الاسكندرية وتبع ذوي العلم المدني والطب وانخدع بهم،

وقال: ان الله ازلي لا بداية له، لكنه أنجب بعد فترة سبعة اولاد. وهؤلاء أنجبوا ما لا يحصى. وان كل قوة عقلية التي لله وللذين أنجبهم تولد أشخاصا احياء. ولما خرج الى البرية وضع كتبا في الفضائل دسّ فيها بدعة تعرف بمؤلفات يوحنا المتوحد. وقاومه فيلكسينوس المنبجي وهدم ديره في انطاكية وأتلف كتبه. ولكن ما عتمت هذه البدعة حتى انطفأت بعد فترة وجيزة.

في هذه الفترة بالذات، ابتدع يوليان اسقف اليفرنسوس قاريا، بدعة تتمثل بقوله ان الرب جعل جسده غير قابل للآلام والموت والفساد وهو لا يزال في احشاء العذراء. وان الآلام والموت بعد الميلاد ليست سوى خيال............ وبخه القديس سويريوس ودحضه مستندا الى شواهد من الكتب المقدسة، غير ان بدعته عبثت في افكار بعضهم في العديد من المناطق الرومانية والفارسية والهندية والحبشية والحميرية والارمنية، وشيع اتباعه بان سويريوس أساء الى الكلمة بزعمه ان جسد الرب فسد ونتن في القبر.

في الفترة عينها، ظهرت بدعة الطريانيين على يد يوحنا اسقصناغيس اي خف الزق، ويعتقد هؤلاء بالتعددية في الثالوث في ما يخص الطبائع والازلية واللاهوت، وتبع يوحنا، صموئيل الملقب بطرس من راس العين الواقعة في الهلال الخصيب، وتثقف بالعلوم السريانية، وتميز بالتفسير والسيرة الصالحة، وخلال عشرين عاما تبحر بالعلوم اليونانية المدنية. واذ تثقف بالعلوم، سقط في بدعة الاريوسيين فوبخه صموئيل فتراجع، ثم خلف صموئيل في العاصمة، وتظاهر بانه فيلسوف، فمثل امام الملك، فسأله عن معتقده فأجاب: انه يعترف بتعدد الطبائع والازليات والالوهة كتعدد الاقانيم، فغضب الملك وقال: ان مسيح هذا الرجل هو وثني، اطردوه من امامي فطردوه. قال يوحنا الاسيوي: ونحن أيضا سخرنا منه وشتمناه، ومن خجله وضع كتاب "النتف"، زعم فيه ان الآباء عددوا الطبائع والالوهة في الثالوث. وكان كل من يراه يبكته ويقول

له: اذا كان الامر كما تقول، فالابن ليس ازليا كالآب، لانك تنادي بانفصال الالهة عن بعضهم. وكان ذلك المنافق يجيب، انا لا اضع الثالوث في نطاق ضيق وفقري في حين انه يرغب في التوسع. فأشعر البطريرك ثاودوسيوس به ففصله وحرمه، وعندما كان يعنف، كان يتظاهر بالتواضع وبانه مظلوم.

كما نشر القس بنطس الانطاكي كتبا في العاصمة قال فيها بتعدد الازلية والالوهة، ولمّا عاتبه البابا ثاودوسيوس ترك للحال. غير انه عاد كالكلب الى قيّه. كما انحرف الراهب ثاودوسيوس القبادوقي فجدف بقوله: ان لاهوت الابن ليس كلاهوت الآب. لذا رذله الجميع وحرم. وكذلك اثناسيوس حفيد الملكة تيودورة الذي كان الراهب امونيطيوس الرهاوي قد رعاه، وبعد وفاته تبنى رعايته القس سرجيس التلي الذي صار بطريركا لانطاكية، وهو الآخر تورط ببدعة ثلاثية الآلهة، وكان يعتبر يوحنا خف الزق قديسا، وقد ورث اثناسيويس البطريرك سرجيس وطلب الملك الى ثاودوسيوس ان يعين اثناسيوس قسا للاسكندرية، فأقسم بانه لن يرسم احدا خارج نطاق كرسيه. ولما توفي ثاودوسيوس، اراد الملك ان يقيم اثناسيوس مكانه، فلم يشأ الله ان يتم ذلك، لان الملك اشترط ان لا تتم رسامته دون موافقة الاسكندريين ومشاركتهم. فلما طلب الى الاسكندريين ذلك، أجابوا: أبعد ابوليناريوس وعينه بدلا منه، فلم يوافق الملك. ولما مات ابوليناريوس خلفه شخص آخر دون اثناسيوس، واذ خاب أمله، أخذ يغذّي بدعة ثلاثية الآلهة، علما بانه شخص بسيط، وتبعه قانون اسقف طرسوس قيليقيا، وأوجين اسقف سلوقية سورية. وقبل ان يموت ثاودوسيوس كتب مقالا ضد تعدد الآلهة، ونصح جميع المؤمنين ان يتركوا الخلاف، لكن الخصوم اشاعوا بان البطريرك يعترف مثلهم. فاضطر ثاودوسيوس وكتب مقالا ضد الاريوسيين الجدد الذين يعترفون بثلاثة آلهة، وضد السابليين الذين يعتقدون باقنوم واحد للثالوث بثلاثة اسماء. ويقولون: ان الثالوث تجسد، فلما استدعي خف الزق ولم يرتدع عن

تجديفه، حرم من الكنيسة ولم يعش طويلا فمات، ولـم يسـمح ثاودوسـيوس بدفنه، إلا بعد إلتماس ملح.

ثم ظهر امفيكس على رأس فئـة يقولـون: مـن لا ينسـب لكـل مـن اقانيم الثالوث، اقنوما وجوهرا وطبيعة وألوهة، فانه يظلم الثالوث، ومن لا يؤمن بإله واحـد وليـس بثلاثـة، فـان ايمانـه يهـودي، وأوردوا شـواهد مـن الآبـاء. واخـيرا قبـل امفيكـس وابـن خـف الـزق مجمـع خلقيدونيـة، وهكـذا تدهـور مـن هـوة الـى هـوة. وان الشـهادات التـي جمعهـا ابـن خـف الـزق وصلت الى يـد اثناسـيوس فأرسـلها الـى يوحنـا النحـوي فـي الاسـكندرية، فوضـع كتابا حول هذه العقيدة وأرسله الـى اثناسـيوس فـي العاصمـة، فلمـا عرفـ الاسكندريون حرموه مع كتبه، لانه يقول بثلاثة آلهـة كثلاثـة رجـال ذوي طبائع مختلفة عن بعضها البعض، واجتمعوا في جلسة نقاش مـرات عديدة، فيذعنون للحق ولكن سرعان ما يعودون الـى قيهم. ومكثـوا علـى مائدة اثناسيوس مدة ١٣ سنة، ومعهم أبوي الخياط وقانون وأوجين، فذهب اثناسـيوس الـى الملـك وشـكا الاسـاقفة الاسـكندريين علـى انهـم يحـاولون الهرب، فظهر انه كاذب، وأهان ايضـا يوحنـا الاسيوي واتهمـه بـاختلاس ٧٠ قنطار ذهب من الخزينة العامة.

لقد كتب ثاودوسيوس يقول: ان كلا من اقانيم الثالوث له طبيعة ما من الذات لدى ظهوره، فانقسموا قسمين وقالوا: انه يعترف بطبائع وذوات متعددة، فنبذ بعضهم المقال وقبلوا البطريرك. وانقسم الخلقيدونيون قسمين، ونحن ايضا كنا قسـمين، فصـارت اربعـة اقسـام. وقـد تراجـع الآلاف مـن جراء هذا الانقسام وقبلوا مجمع خلقيدونية قائلين: انه من الحكمـة ان نتبـع القائلين بالطبيعتين وليس القائلين بأربع طبائع.

توجه حـارث ملـك العـرب الـى الملك ومعـه رسـائل مـن يعقـوب والمشـارقة، جـاء فيهـا: ان الثـالوث هـو الـه واحـد وطبيعـة واحـدة وذات واحدة، وليحرم من لا يوقع على هذا الاعتراف. فقال قانون وأوجين: نحن

لا نوقع، بل نناقش الرسالة، فقال حارث: الآن عرفت انكم هراطقة. اما نحن وقواتنا فنسلم بهذا ونقبل يعقوب والمشارقة. ثم التقى يعقوب بأوجين في قرية عريدس من منطقة مرعش ونصحه كثيرا ليعود ومن معه عن الهرطقة، فلم يذعن فقطعه ومن معه من الكنيسة. ولما توجه الطوباوي تيودور زميل يعقوب الى العاصمة، جاءه قانون وجماعته، فسأله عن اعترافه هذا، فلم يجب، فقال تيودور: ان لم تحرموا كل من يقول بتعدد الطبائع والذوات في الثالوث، وان التعدد يقع فقط في الاقانيم والاسماء والصفات، لان الذات والطبائع تبقى خارج نطاق العدد، فهو غريب عن الكنيسة. وهكذا ابعدهما هذا ايضا بعد ان عزلوه عن الكهنوت. أعني الذي من عريدس والذي من العاصمة، من قبل كلا رئيسي الاساقفة. كما نشر بوليقربوس احد اتباعهم، عقيدة تعدد الآلهة في مناطق آسيا وقاريا عن طريق توزيع المال.

بعد وفاة ثاودوسيوس، عهد الاسقف يعقوب ادارة شؤون الارثوذكسيين في العاصمة الى يوحنا الاسيوي فحسده قانون وأوجين، واختلقا ضده قضايا خبيثة وأرسلاها الى المشرق، غير ان افتراءهما افتضح فيما بعد. ورد الرب كيدهما على نحريهما، فقد حذفا اسم يعقوب الذي رسمهما اسقفين من دبتيختهما قائلين: انه ضل وجن وفقد عقله، واخيرا تجاسرا وعزلاه مع زملائه، في حين انهما محرومان ومعزولان. فلما شعر الطرياتيون بان الجميع ممتعضون منهم، طلبوا الى الملك ان يحاكم خصومهم الذين يتهمونهم ويقولون: ان سويريوس وثاودوسيوس يعترفان بتعدد الطبائع والذوات والالوهة، وحتى كبار الآباء، فمنع الملك وبطريرك مدينة الشمس من ذكر اسمائهم، اي ان لا يذكر اطلاقا اسم اي من هؤلاء الآباء الذين تقبلهم كنيسة ذوي الطبيعتين، بل يقتصر على ذكر اسم سويريوس وثاودوسيوس. فلم يستعملوا سوى هذه.

سنة ٨٨١ دعا بطريرك الخلقيدونيين، الارثوذكس الى اجتماع، فحضره الربوات، وكانوا يمطروننا بالتعبيرات والسخرية. فقد اداننا

بطريرك ذوي الطبيعتين واساقفته، وبعد مباحثات مطولة، قدم جماعتنا دفاعا حول الايمان وانتصروا، وخجل جماعة قانون، وفي يوم آخر عقد اجتماع ثانٍ، فرفض حزبنا الجدال ما لم تقدم شهادات من كافة الآباء، واذا اقتصروا على شهادات سويريوس وثاودوسيوس، فسوف لن يجيبوا عليهم، فقدموا اوراق قانون وقد تضمنت شهادات من مار سويريوس وثاودوسيوس ومن الـ ٣١٨ (اسقفا) منها. نور من نور، اله حق من اله حق. وعن النار التي نزلت من امام الرب، وقول الرب لربي: "اجلس عن يميني"، ثم قرروا حرم من يقول بثلاثة آلهة، وغضوا النظر في ما يخص الذوات والطبائع. وفي اليوم الثالث اجتمعت ايضا ربوات، وسألوا يوحنا الاسيوي وبولس، عما اذا كان الثالوث قد تجسد؟ فأجابا بكل تحفظ. ثم طرحت اوراق معلمهما ثاودور، وقد جاء فيها: ان لاهوت الابن هو غير لاهوت الآب. وتلي منشور ثودوسيوس، وفيسه حرم لهذه العبارة، ثم ارفض الاجتماع. وفي اليوم الرابع قدموا ما فيه غبن لسويريوس وثاودوسيوس، على اعتبار انهما يعترفان بالطبائع والذوات. ثم قدم حزبنا وثائق بشهادات الآباء، وفيما هم يتلون، وصلوا الى العبارة التي كتبها بولس وهي: "حيث انه لا آله لاسرائيل، فانت تلتجئ الى بعلزبوب اله فرعون". فاعتقد بطريرك الخلقيدونيين انها موجهة اليه، فانتهر القارئ فتوقف، وأمر بان لا يجتمعوا ثانية، فارفض الاجتماع. وكان اساقفة المجمع يساندون اولئك بقصد جذبهم اليهم. وهكذا انطفأت هذه البدعة.

يقول يوحنا العمودي: لما اطلع هؤلاء الطريانيون على مؤلفات الآباء القديسين، ووجدوا فيها، ان كل واحد من اقانيم الثالوث الاقدس عندما يظهر بذاته بصورة منفصله، يُعترف به الها وطبيعة وجوهرا. واحيانا يقولون، طبيعة ما او جوهر ما: اعتقدوا وأصروا على القول: ثلاثة آلهة وثلاثة جواهر وثلاث طبائع، لان ما يضاف يعتبر جوهراً أي طبيعة ما وهي تشير الى طبيعة خاصة وجوهر خاص كما يقرر الفلاسفة المدنيون، ويجب الاعتراف بثلاث طبائع وثلاثة جواهر. وحيثما وجدت كلمة جوهر او طبيعة دون زيادة، يوجد ما يقال بانه جوهر عام اي طبيعة

عامة، ويشير هذا الى انه كناية عن هذيان الفكر. واسم غير فعلي يطلق فقط على اقانيم اللاهوت الثلاثة من ناحية الجنس، كما يطلق على سائر البشر، لان قوامه مستند على الاقانيم وليس شيئا ذاتيا. بهذا الشكل حدّدوا الجوهر الآلهي، واعتبروه مجرد اسم فارغ، الامر الذي يسفهه الملافنة الذين يعتبرونه حقيقة وعمليا، اي انه شيء حقيقي وعملي في الاقانيم. اما اولئك فاعتبروا ثلاثة آلهة وثلاث طبائع وثلاثة جواهر بمفهوم وثني لا مسيحي، وأضافوا، بقصد التضليل، المساوية في الجنس والطبيعة، وليس من جنس آخر او طبيعة أخرى كما يقول اريوس وانوميوس.

بدعة منكسي الرؤوس:

ظهر في هذه الفترة في الرها، شاب يدعى زكا معلم الاطفال وكاهنان هما يوحنا وزينون، اللذان تجاسرا وأقاما زكا اسقفا، فعاد هو ورسمهما اسقفين، ونادوا بضرورة اعادة معمودية ورسامة الذين يتراجعون عن مجمع خلقيدونية، متظاهرين بالغيرة على الايمان، فانتهرهم الارثوذكسيون، ونزع اسقف دارا زي الاسقفية عن زكا زعيم هذه الضلالة، ثم رسمه افودياقونا. وفي هذه الفترة ايضا ظهرت بدعة القاطفقولتيين اي منكسي الرؤوس. ذلك ان مصريا آخر ظهر في العاصمة، وقال لصاحب الدار، ان الذي ينكس رأسه ثلاث ساعات في النهار وثلاثا في الليل لمدة عشرين يوما يتطهر من الشر، ويتسامى عن الشهوات ويصير غير قابل للشهوات. وحينذاك اذا أكل أو زنى وأكمل كل رغبات قلبه، يكون احساسه روحيا ولا تحسب له خطايا. فأضل الكثيرين اذ كان يأكل ويشرب ويضطجع، ويقول: ان ضد المسيح قد قرب فلنأكل ونشرب قبل ان يُرمى الذهب كالنفايات. وبهذه الحجة كان يكمل شهواته، وكان يأمر اثنين او ثلاثة لينكسوا رؤوسهم بعد العشاء، ويوقف البقية في صف واحد ليصلوا من اجل المنكسين لكي يكتمل سرهم دون الم. وكان المنكسون يشهدون، بدافع من الشياطين، بانهم بلغوا الى درجة عدم التألم، وقد تطهرت أنفسهم، وكان الناس يتقاطرون اليه ويقدمون له ما عندهم من

الذهب. اما هو فقد اختار منهم رسلا وأرسلهم ليضلوا الناس. ولما سمعت المرحومة الملكة تيودورة بأمره، حيث كانت ما زالت على قيد الحياة، قبضت عليه فألقي في السجن، فاعترف بضلاله، فطرد من المدينة، ولم يُقبل في اي مكان آخر.

فصل
في فترة يوسطنيان الثاني ونشاط الخياليين

مار سويريوس والخياليون:

سنة ٨٦٠ يونانية، انضم في افسس الى جماعة يوليان الخيالي، اسقف يدعى بروكوبيوس، فقرعه بعضهم فندم، غير انه عاد الى قيه ثانية. ولما بلغ من العمر عتيا، طلب اليه جماعته ان يعين اسقفا مكانه، ولكن بالرغم من ضلاله، ظل ملتزما بالقوانين، فقال: "ان القوانين لا تسمح ان ارسم اسقفا بمفردي". ولما توفي اجتمع سبعة كهنة وأتوا بالراهب اطروفيوس فتمدد على الجثة ورفعوا يد الميت ووضعوها على رأسه، وتلوا صلوات رسامة الاسقف بدلا من الميت، فرسموه اسقفا خلافا للشريعة، وقد زاد اوطروفيوس الشقي، الاناء الفارغ، من شره وعين عشرة اساقفة وأرسلهم الى كافة الجهات لكي يحاموا عن الضلالة. فنزل احدهم الى حيرة النعمان وبلاد الحميريين، وهو سرجيس الذي كان حبيسا ثم قص شعره وصار اناء فارغا، فعاث في هذه المناطق فسادا، مقيما كهنة. وبعد ان أمضى ١٣ سنة في بلاد الحميريين، واقام بدلا منه اسقفا يدعى موسى، مات في تلك البلاد. وشخص آخرون الى اماكن بعيدة وأضلوا الكثيرين. وأشاعوا عن مار سويريوس اخبارا كاذبة وافتراءات زاعمين انه قال: ان جسد الرب انحل وفسد في القبر ونتن وعبث به الدود. لكن الجميع يعرفون ان مار سويريوس يسفه هذا الرأي في كل كتاباته، ويحرم كل من يتفوه او حتى يفكر بان جسد الرب خضع للفساد. او انه انحل في القبر، وينبذ من ينكر تجسد الرب او يقول، ان الرب ــ بالاتحاد ــ جعل جسده غير قابل للآلام والموت وهو لايزال في الاحشاء. ذاك الذي من اجلنا تنازل وتجسد كما يقول الرسول. تشبه بنا في كل شيء ما عدا الخطيئة، اما الآلام والموت فلحقت به فيما بعد وبشكل خيالي لا حقيقي. لا بل كرأي ماني. وهذا ما نريد ان نعلنه للذين تورطوا بضلال الخيالية واقتبلوا منهم المعمودية او الرسامة، لئلا يشتركوا بأي

شكل كان في شعائر الكهنوت والمعمودية، لانهم بطبيعة الحال، غدوا موتى بالضلال الهرطوقي.

ثم اتحد الخياليون مع الغنوصيين في الاسكندرية واقاموا لهم بطريركا غير شرعي بواسطة احد الاساقفة، واقام هذا بدوره عدة اساقفة وأرسلهم الى كافة انحاء مصر والحبشة واماكن بعيدة اخرى، لكي يسقطوا الاخرين في شراك بدعتهم. ثم انقسموا على انفسهم وشكلوا فرقا، فمنهم من تبع امونيوس الذي قال: ان جسد الرب لم يكن مخلوقا، ولا نهاية له، ولا مدركا. وحل في احشاء العذراء لانها هي الاخرى غير مخلوقة وغير مدركة وغير متناهية، فحين كان في احشائها، كان في الوقت نفسه، في احشاء كافة النساء بصورة غير مدركة وغير متناهية. واذ كان الجسد في الاحشاء، كان في السماء ايضا في الوقت نفسه، واذ كان معلقا على الصليب. كان في السماء ايضا، وما الى ذلك من القيء والكلام الفارغ والحكايات التي لا نهاية لها.

كان اسقفان منهم مسجونين في نصيبين، فجاء مبعوث الروم وشفع فيهما لدى كسرى فأطلق سراحهما بعد سبع سنوات. وكان احدهما يدعى يوسف، فلما اطلق سراحه اختلى وشكر الله الذي انقذه، اما الثاني واسمه دودو، وكان مغرما جدا بضلال يوليان الخيالي، فكان مثل الحيوان الذي اطلق من قيوده، حيث توجه فورا نحو الشمال ووصل الى ارزون وارمينيا وطلب الى الاساقفة ان يحرموا سويريوس بحجة انه يحاول ادخال الفساد الى جسد الرب، فتضايقوا منه كثيرا وانفذوا رسائل الى البطريرك ثاودوسيوس في العاصمة، مستفسرين عن صحة ما يقوله دودو. واذ تأخر وصول الرسائل، عاث في تلك المناطق فسادا، فانجذب الى ضلاله سبعون اسقفا. ولما وصلت الرسائل بعد موت البابا ثاودوسيوس، صارت موضع شك فلم تجد نفعا.

هزات ارضية:

في السنة الـ ٢٨ ليوسطنيان الثاني، تمرّد اليهود والسامريون مرة اخرى في قيصرية فلسطين باسم الفرس والنبطيين، وقتلوا المسيحيين ودمروا الكنائس وأهانوا الاقداس، فأرسل الملك قوات بقيادة امونطيس فألقى القبض على العديد من المتمردين وعدمهم، ثم مثل بهم وأحرقهم.. في هذه السنة حدثت هزات ارضية عنيفة في عدة مناطق، منها هزة في العاصمة، حدثت في الساعة الثالثة لدى تلاوة الانجيل في الكنيسة الكبرى، فسقط الذي كان يقرأ الانجيل ومات، وانهارت الكنيسة، وتعذر سحب ما تبقى منها لان قسما كبيرا من السقف سقط على احد الجوانب وصار كالتل، فلم يستطيعوا ان يصعدوا فوقه او يجتازوا من تحته، وبعد قليل حدثت هزة اخرى وتداعت القبة الجميلة ودمرت الاعمدة ودفنت مع المذبح والشرفات. كما دمرت في تلك الفترة نصف مدينة قوزيقوس وغيرها من المدن. وبأمر الملك تمت صيانة ما تبقى بعد بذل جهود مكثفة، ثم أعاد بناءها ورفع موقعها نحو عشرين قدما في بعض الجهات، و ٣٠ في جهات اخرى، وانفق اموالا طائلة. وجاء بناؤها متينا جدا حتى قيل، ان ليس بناء آخر في العالم يضاهيه متانة.

هيكل بعلبك:

كان في عهد يوسطنيان، في مدينة بعلبك في فينيقيا، ما بين لبنان وسانير، هيكل عظيم للاوثان. يقال انه احد الهياكل الفخمة التي بناها سليمان، طوله ١٥٠ ذراعا وعرضه ٧٥، وقد شيد بحجارة ضخمة منحوتة، طول كل منها نحو ٢٠ ذراعا، وعرضها في الاساس نحو ١٠ أذرع، اما اعمدته وسقف فمصنوعة من ارز لبنان، وقد صفح من الاعلى بالرصاص، وابوابه من نحاس، وفيه رؤوس اكباش نحاسية في الاعلى، ويوجد تحت كل قطعة من خشب سقفه نحو ثلاثة أذرع بارزة، وغيرها من الامور الاخرى التي كانت ضربا من المعجزة. ولان الوثنيين كانوا

مغرورين بعظمته ويقدمون فيه الذبائح للشياطين، لم يجرؤ أحد على هدمه، غير ان الله اضرم فيه نارا من السماء فالتهمته واخجلتهم، فأتت على جميع اخشابه ونحاسه ورصاصه وما فيه من اصنام. ولم يبق فيه سوى بعض الحجارة التي تآكلت بسبب الحريق، وعم الحزن جميع الوثنيين حتى قالوا: لقد انقرضت الوثنية من على وجه الارض.

رسامة الخلقيدونيين:

حدثت في هذه الفترة، مناظرة بين الارثوذكسيين بخصوص الذين يعودون من الخلقيدونيين، فانقسموا فريقين، يقول احدهما، بعدم قبول رسامة الخلقيدونيين، في حين يقول الآخر، ليس من اللائق اعادة رسامتهم. فنوقشت هذه القضية جديا من قبل المتولين زمام شؤون الكنيسة، وقالوا: "نحن لا نقبل رسامة المجمع، ولا نرسم احدا ممن قبلوا المجمع، لان الـ ٦٣٠ الذين اجتمعوا كانوا اساقفة قبل المجمع ولم يقتبلوا الرسامة من المجمع، ولكن بسبب ميلهم الى المجمع، ابعدوا انفسهم عن الكهنوت وسقطوا من درجة رئاسة الكهنوت الارثوذكسية وحرموا مع الذين يعودون منهم. ولكن عندما يفكر بعضهم بهذا التحدي والانحراف عن الحق، ويعودون الى الحق مرة اخرى، ويسفهون تعديهم للشريعة ويصلي عليهم الارثوذكسيون، ويرفضون قبول الكهنوت من المجمع، فانهم يقتبلون رتبة الكهنوت الحقيقية التي سقطوا منها، وينتظمون في رتب الكهنوت الحقيقية الارثوذكسية، لان الكهنوت موهبة سماوية أعطيت للرسل القديسين، ومنهم تسلسلت فوصلت الينا وستبقى كذلك حتى الانقضاء. وهذا الكهنوت هو بعينه الذي اقتبلناه ونقتبله، ونحن نقتبل الذين تعدوا الناموس وعادوا عن الهرطقة". واذ صار هذا القرار تعليما، أرسل من العاصمة الى الذين في المشرق بواسطة الطوباويين يعقوب وتيودور. لكن الكثيرين عارضوهم في ذلك. وظل الخلاف قائما بينهم حتى اتضح لهم الأمر تدريجيا عبر تبادل الرأي، فقبلوا التأديب، وعلموا ان معمودية وكهنوت المجمعيين لا يُقبلان، ولكن في الوقت نفسه لا يجوز إعادة

معموديتهم، الأمر الذي أتاح ظهور البدع التي أشار اليها.. ولا يمنح الكهنوت للمجمعيين باستثناء الاميين والعاميين منهم الذين يقاومهم العامة. وان هذا الاجزاء لا يشمل الحاقدين والذين في نفسهم مرض شيطاني.

ان قرار الارثوذكسيين بخصوص العائدين من هرطقة ذوي الطبيعتين هو ان يمضوا فترة توبة أمدها سنتان، سواء كانوا اساقفة ام كهنة ام شمامسة، وفي نهاية فترة التوبة يصلي عليهم الاسقف فيثبت فيهم كهنوتهم.

اهتداء شعب تابيدا:

وجد في مجمع البابا ثاودوسيوس قسيس اسمه يوليان، غار على الشعب القاطن في اعلى حدود تابيدا الشمالية داخل مصر، وكان يأخذ جزية من الروم مقابل اقلاعه عن العبث. وذات يوم طلب الى ملكتنا تيودورة الطيبة الاثر التي اهتمت بتثبيت الايمان، ان تطلب بدورها الى الملك ليرسل يوليان لمساعدة ذلك الشعب. اما الملك فأراد ان يرسل اسقفا خلقيدونيا. فأرسل للحال الى دوكوس اسقف تابيدا ليرسل بدوره احد اساقفته. فلما علمت الملكة بهذا، انفذت رسالة الى دوكوس تقول فيها: "لقد اتفقت مع الملك على ارسال شخص الى تابيدا، وهو يوليان، فأود ان يدخل هو اولا". لذا اخر دوكوس موفدي الملك حتى وصل يوليان وعاد. ولما علم بذلك رسول الملك مزق ثيابه ثم دخل، فلما مثل يوليان امام ملك تابيدا، سرّ به، ثم تليت رسالة الملكة فآمن وكل الشعب واعتمدوا. فشرح لهم يوليان انشقاق خلقيدونية. ولما وصل رسل الملك، قالوا لهم: لا تتبعوا المطرودين. فأجابوا: نحن نحترم الملك ونبعث اليكم احترامنا، اما عقيدته الفاسدة فلا نقبلها. واذ استحقينا ان نكون مسيحيين فنحن نتبع ثاودوسيوس الذي ترك كرسيه حفاظا على الايمان الحق. وحاشا لنا ان نسقط في فخ ايمان فاسد بعد ان تحررنا من الوثنية. وهكذا صرفوا رسل الملك.

أمضى هناك قرابة السنتين، وكان يتحدث يوميا من الساعة الثالثة حتى العاشرة، وقد تعرّى واتزر بمؤزر وهو وسط غدير وقد غطس في الماء حتى لم يعد يرى سوى عنقه، فعمد الملك والشعب برمته. واذ كان قد اصطحب احد الاساقفة من تابيدا، سلم اليه ذلك الشعب، وعاد الى العاصمة حيث توفي. ولما حلت وفاة ثاودوسيوس، أمر بتعيين لونجينا لهم، فمنعه الملك من الذهاب هناك، لكنه استطاع ان يهرب بعد ثلاث سنوات ويذهب الى ذلك البلد ويشيد كنائس، وعلم الشعب الطقوس واسرار المسيحية المقدسة. وبعد ان أمضى لونجينا هناك ست سنوات، أرسل المؤمنون بطلبه لكي يقيم بابا للاسكندرية، فجاء الى مريوط حيث كان الشعب هناك خاضعين للكرسي الاسكندري ومتمسكين بالعقيدة الارثوذكسية.

فصل

في الغضب الذي حل بآمد في عهد يوسطنيان، وغيره من الاحداث

_ في انطاكية، قام للخلقيدونيين بعد افرام، دومنس الذي لم يكن ليهتم سوى ببطنه. حتى انه كان يركب فرسا ويطارد لكي يهضم ما في معدته. ثم خلفه انسطاس فطرد وغادر، وعين غريغوريوس الهرطوقي فطرد هو الآخر. فعاد انسطاس ثانية.

_ وفي رومية، قام بعد بيجاليوس المذكور، سلبستروس.

_ وفي القسطنطينية، قام بعد اوطاخي يوحنا السرمي.

_ وفي اورشليم، قام بعد يوحنا، بطرس، وبعده مقريس وهو الـ ٥٨، غير انه لم يقبل مجمع خلقيدونية اطلاقا..

_ وفي الرها كان الاسقف الـ ٤٠ أبيفانيوس. وكان للارثوذكس، ثاودوسيوس بابا الاسكندرية الذي رقد هو الآخر سنة ٨٧٧ في ختام حياة يوسطنيان.

_ وفي العاصمة قام للمؤمنين، يوحنا الاسيوي.

_ وفي سورية كان كل من يعقوب من دير فسيلتا وتيودور، اللذين رسمهما البابا ثاودوسيوس.

نكبة آمد:

بعد ان عصفت بمدينة آمد في ما بين النهرين، نكبات جمة، وبعد اربعين سنة من الاضطهاد من قبل الهراطقة، ونهب ثروتها وابادة كهنتها، لحقت بها مجاعة مدة ٨ سنوات، ثم اشفق عليها الله وانتهت المجاعة، وأخذت الزروع تنبت بصورة جيدة. وفي سنة ٨٧١ يونانية، عصفت بها ضربة قاسية هي مرض الجنون. فقد وردت انباء كاذبة عن دخول ملك الفرس المدينة فتركوها وتاهوا في مختلف الاتجاهات وهم يقولون: اتركوا المنطقة، فان الفرس قد احتلوا امد. وقد عرف ان ابليس يجربهم، فأخذوا

ينبحون كالكلاب، ويثغون كالشياه، ويصيحون كالديكة ويتشبهون بكل اصناف الحيوانات. وأخذ الشبان والشابات يمسكون ببعضهم البعض ويركضون نحو المقابر وهم يغنون ويعضون بعضهم ويتفوهون بكلمات بذيئة ويتسلقون الحيطان وينكسون رؤوسهم ويصرخون كالاطفال. ونسوا بيوتهم. واذا اخذ الى الكنائس من تبقى فيهم بعض العقل، كانوا يزبدون ويعربدون ويقولون: نحن كذا ربوات، ولولا ان الرسول توما يوقفنا، ويمنعنا الرسل والشهداء الموجودون في هذه المدينة من تدميرها، لقتلنا ونهبنا المدينة برمتها. ولما كان بعضهم يسجدون في الصلاة، كان آخرون يقفزون عليهم ثلاث او اربع مرات. وامتنع العديد من المجيء الى الكنيسة تحاشيا من سماع كلمات بذيئة، واستمر هذا الجنون مدة سنة. وفي الرها وتللا، حدث ايضا مثل هذا الابتعاد عن الله، وباسناد من الشيطان، حتى كان الناس يهيجون ويدنسون بعضهم بعضا داخل الكنائس، فمنعوا من بعض الاكلات، واقتصروا على التقديم لهم خبزا يابسا وماء فقط. وبعد فترة التجربة وعودتهم الى رشدهم، لبسوا الحداد تكفيرا عما فرطوا فيه، وأخذوا يقصدون اورشليم زرافات زرافات. ثم أدبت آمد بالموت، فمات منها اكثر من ثلاثين الفا واقفرت من السكان.

فصل

في اخريات حياة يوسطنيان، والكنائس التي شيدها وذخائر الشهداء التي اكتشفت في عهده وبقية الهراطقة الذين ظهروا في هذه الفترة

في سنته الـ ٢٩ شيد يوسطنيان مقبرة ملكية داخل بيت الرسل، كما بنى الكنيسة التي دفن فيها الملوك من آل قسطنطين. وبينما هم يحفرون موقعا للمذبح لغرض توسيع الكنيسة، عثروا في الاساس على ثلاثة نعوش من رصاص الى جانب بعضها، كتب على احدها اندراوس، وعلى الآخر لوقا، وعلى الثالث طيمثاوس. فساد المدينة فرح عظيم لان الاجساد كانت سليمة، وقد وضع صليب على كل منها. وحينذاك فقط عرف الناس ان سبب تسمية الكنيسة باسم الرسل هو وجود هذه النعوش. فوضعت الاجساد بحفاوة في نفس المكان. ثم ارسلت يمين رجل من سبسطية في السامرة على اعتبار انها ليوحنا المعمدان. الا ان الشك فيها خامر الكثيرين لان مرسلها كان مارينا الخصم وهو وثني قولا وفعلا. وبالرغم من ذلك فقد استقبلها الملك والمدينة برمتها، باجلال وتبركوا منها، ووضعت في صندوق ذهبي.

لقد شيد الملك يوسطنيان كنائس واديرة عديدة كما يشهد يوحنا الامدي بقوله: لقد شاهدناها بأم اعيننا، اذ اننا امضينا سوية ثلاثين سنة منذ ايام الشباب حتى الشيخوخة. فلم يهدأ من بناء الكنائس والاديرة ودور الغرباء. فقد بني بواسطتي ٩٦ كنيسة و١٢ ديرا، واربعة بيمارستانات في اربعة بلدان من آسيا وقاريا وفروجيا ولوديا. وأهدى كتبا وآنية فضية للخدمة، واهتدى (في عهده) سبعة آلاف نسمة واعتمدوا، وكذلك اهتدى واعتمد بهمته آلاف أخرى كثيرة في افسس ومغنيسيا ونوسا وطروليس. وعلى يد يوحنا الامدي المعروف بالاسيوي لانه عمد في اسيا فيما بعد ٢٣ الفا. وفي السنة الـ ٣٥ ليوسطنيان، انتشرت الوثنية وكتب السحر في

العاصمة، فألقي القبض على خمسة من كهنتهم، واحد من آثينا الدا واثنان من انطاكية واثنان من بعلبك، وجمعت كتبهم واحرقت، وفي آسيا، أحرق يوحنا نحو ألفي كتاب.

سنة ٨٥٧ يونانية، حدثت بلبلة حول بدء الصوم. فهناك من بدأ الصوم بعد اسبوع، وآخرون بعد اسبوعين. وفي العاصمة بدأوا الصوم بعد اسبوع. ولكن لما ثبت للملك والزعماء ان بدء الصوم هو بعد اسبوعين، أوعز الملك الى القصابين ان يبيعوا اللحم، فرفضوا، فأمر بذبح جميع الغنم والثيران. وكان سكان المدينة ينظرون الى اللحم وكأنه لحم جثة. باستثناء الشرهين، والقى بعضهم عليه كلسا وترابا فنتن ولم يُبع. وأمر الملك ان يستمروا في الذبح وهو يدفع الثمن من الخزينة. في السنة الـ ٣٩ ليوسطنيان، شوهد كوكب عجيب شبه حربة نارية ولمدة ثلاثة اشهر، كما شوهد ثانية حين وفاة الملك.

في السنة الـ ٢٧ ليوسطنيان، صعد منذر الشقيقي الى بلاد الروم وعبث في عدة مناطق، فلحق به حارث بن جبلة وحاربه وقتله في عين العوديين بمنطقة قنسرين، كما قتل في هذا القتال جبلة ابن حارث فدفنه والده في احد بيوت الشهداء في البلدة. بعد ذلك وصلت قوات الهونيين والصقالبة وأحاطوا بالعاصمة وثلموا السور الخارجي، ونهبوا وأحرقوا جميع ضواحي المدينة، وأسروا كل من وجدوه ورحلوا. ثم أعادوا الكرّة ثلاث مرات. ولما قوي جانب الروم دمروهم في الحرب. فهرب صغارهم ولم يشاهدوا في اي مكان، وهكذا تخلصوا منهم.

كان في منطقة فروجيا قرية تدعى فافورا، فيها اسقف واكليروس من اتباع مونطوس، كانوا يسمونها اورشليم، ويتعدون على المسيحيين ويقتلونهم، فذهب يوحنا الاسيوي وأحرق مجمعهم بالنار، بأمر الملك. ووجد في البيت صندوق مختوم بالرصاص ومربوط بكلاليب حديدية، وقد كتب عليه "انه لمونطوس وزوجاته". ولما فتح وجد مونطوس وزوجتيه

مكسيملا وفريسقلا وقد وضع على فمهما طاسات من ذهب. فلحق بهم العار لما رأوا عظاما نتنة، حيث كانوا يدعون بانهم ارواح. فقيل لهم: اما تخجلون باتباعكم مثل هذا النجس، وتزعمون انه روح، والروح لا جسد له ولا عظام؟. فلما احرقت العظام، بكى المونطانيون وولولوا وقالوا: لا بد وان ينقلب العالم الآن. كما وجدت بعض كتبهم الدنسة وأحرقت، وطهر البيت وأحيل الى كنيسة.

قبل هذه الفترة، وفي عهد يوسطنيان الاول، نقل بعضهم الى الملك وصية مونطوس لأقربائه قبل وفاته وهي: ان يدفنوه على عمق خمسين ذراعا، لان نارا ستنزل وتلتهم وجه الارض، وكان اتباعه يشيعون، بتأثير الشياطينن بان عظامه تطرد الشياطين، وكانوايستأجرون البعض بخبز بطنهم ليشهدوا بانه شفاهم. فلما أمر الملك اسقف المنطقة ليخرجوه ونساءه ليحرقوا، أعطى اتباعه خمسمائة درهم للاسقف وأخذوا العظام واستبدلوها بعظام اخرى. وفي الصباح احرق الاسقف تلك العظام دون علم احد بالسر، باعتبارها عظام مونطوس وشريكه قريطس. ولكن ارخدياقونا فضح الاسقف، فنفي.

في رسالة لابولو شريك بولس، ذكر ان مونطوس هذا هو ابن سيمون الساحر، هرب من رومية بعد هلاك والده بتأثير بطرس، وتاه في الدنيا، فذهب ابولو بقوة الروح الى حيث كان فرآه جالسا يغرر بالناس فزجره قائلا: مالي ولك يا ابولو، فان كنت نبيا فانا كذلك، وان كنت رسولا فأنا كذلك، وان كنت معلما فأنا كذلك. فقال له ابولو: ليُسد فمك باسم الرب، وللحال سكت ولم يعد يستطيع الكلام. فآمن الشعب بالرب واعتمدوا وقلبوا كرسيه. اما هو فهرب ونجا.

فصل
في كيفية ميل يوسطنيان الى بدعة الخياليين قبل وفاته وشهادات ملافنة الكنيسة ضد الخياليين

موقف ضد الخيالية:

كان يوسطنيان طيلة مدة حياته يكره الناس على قبول مجمع خلقيدونية، ويحرم رسالة يهيبا ولم يكن ليصدق ان مجمع خلقيدونية قبلها، وقد ثار ثائره عندما أبلغه بيجاليوس اسقف رومية بقبول المجمع اياها. فقال ثلاث مرات: احرم المجمع الذي قبل رسالة يهيبا، فأعرض عن المجمع لكنه لم يتجه نحو الارثوذكسية بصورة جدية، فتتبعه اسقف سخيف من مدينة ايقون بفلسطين، وأفسد فكره بالبدعة الخيالية، فأخذ يقول: ان جسد الرب غير قابل للآلام والفساد، ووجه رسائل الى البطاركة واللاساقفة في كل مكان، يأمرهم فيها بقبول رأيه، غير ان ابوليناريوس الاسكندري واساقفته رفضوه فنفاهم، كما رفضه اسقف اورشليم واوطيخا اسقف العاصمة. اما انسطاس الانطاكي واساقفته، فلما قرأوا رسالة الملك اهتزوا وانحلوا. فأمر الملك واجتمع لدى انسطاس الانطاكي ١٩٥ اسقفا، ولما تلي المنشور قال لاونتي اسقف حيصارت وابراهيم اسقف الرصافة، اذا قبل هذا المنشور، قضي على الكنيسة، فانه يحرم الذين يقولون ان جسد المسيح قابل للآلام والفساد دون ان يشير الى اي نوع من الفساد. فسأل: اي نوع من الفساد يعنيه الآباء بالنسبة الى جسد المسيح؟ فأجاب: يعرف الفساد على اثني عشر نوعا، وذلك استنادا الى ما سبق وقرأه في رسالة لدانيال رئيس دير الصلحي الموجهة الى رهبان مار بس الموجودة في احد الكناشات (مجاميع). فأحضروا كتب مار سويريوس الكبير ضد يوليان المكتوبة باليونانية والسريانية. واذ اختلفوا، قال انسطاس والاساقفة، اننا مستعدون ان نتنازل عن كراسينا ولا نأخذ بالخيالية. وهذا هو اكليل البر، او المسيحية الاسمى من كل الملوك، والسير الكامل بمخافة الله والحفاظ على الايمان المستقيم، كشاهد حق على ذلك.

ان بولس اللاهوتي الذي جاهد الجهاد الحسن، يبسط يمينه لتسلم المكافأة، ويحني رأسه ليوضع عليه الاكليل، فهو يتحدث مقارنا الآخرين به، وحاثا على الجهاد بمخافة الله، حيث قال لطيمثاوس: "أكملت سعيي وحفظت الايمان، وقد حفظ لي اكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديان العادل، وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره"، فاكليل البر هذا يوضع فوق تاج رأسكم. فاخشَ الله، لنا أمل كبير في ما حدث. فانت سرت كالجبار في طريق الوصايا من السماء الى راسك، بشرت بالوصية التي بها صرت ملكا، وجمعت ووفقت ما بين ابناء الله المبددين، وأحللت السلام بين البعيدين والقريبين وحافظت على سمات الايمان الصحيحة التي تتميز من الامثلة الرسولية.

من هنا نقول لكم يا محب الله، ان الاكليل العتيد يفوق كل اكليل وحتى هذا الموجود. وسوف يبقى معكم الى الابد، وان الاجر هو للسعي التام من اجل الايمان غير المنحرف، وبنعمة الله تجازون، يا محب الله، لسعيكم الذي لم يكل لاسيما الآن. ايها المؤمن اكثر من كل واحد في هذه المؤسسة الكنسية التي اعطيت لنا. لقد تلونا منشوركم الذي يسمى باللغة الايطالية (ابمعهم)، ونحن مجتمعون، ولاحظنا فيه اشياء كثيرة تدين البدع القديمة، ونحن نعلم انكم اعتدتم، يا محب الله، على عدم الاكتفاء بالنظر، اذا ما نبت اصل مر ودنّس الكثيرين لاسيما البدع التي انتهت منذ مدة، لكنكم تلاحقونها بالكلمة لئلا يفلت شيء منها ويبدأ بالنمو مرة اخرى في الوقت المناسب. لكنا سمعنا امورا حديثة متنوعة على غير العادة المألوفة، وان غنم الله ترعى بنعمة المسيح وببساطة القلب وبهمتكم وبوداعة الاغنام، في ارض العشب والفرح الروحي، وتسقى من مياه الراحة التي لا تعرف ان تسقي الارتداد. فقد علمنا، كما اخبرتنا، يا محب الله، بان الذئاب الخاطفة هجمت على القطيع كله، وليس على جزء منه فقط.

فالرب يسوع قد أخذ نفسا وجسدا، وان هؤلاء يتشبثون فيما بينهم بهذه الامور الجليلة، بشكل مخالف وخبيث لكي يفترسوا سر التجسد الآلهي. اولئك الذين وحدوه في الاقانيم وهو ما زال في احشاء سيدتنا والدة الاله البتولي. وهو وحيد الله وكلمته. ذاك الذي هو احد الثالوث المساوي في الجوهر والطبيعة، وسواء عن علم او جهل، فانهم يزعزعون خصائص النفس الالهية ويشوشون ما للجسد الكريم، سواء عن طريق الفساد او عدم الفساد. فهذه الامور تفزعنا، وتصرفاتكم تشوش الشعب المؤمن الذي يخشى من دخول مبدأ آخر وابعاد المبدأ الاول. ونقول كما يقول الكثيرون: انهم الآن يسعون نحو المعمودية، فيما كانوا قابعين سابقا. واحيانا كثيرة كانوا يقولون عن المعرفة بانها ليست معرفة. كما هو شأن تدبيرنا العجيب. وبحسب التقليد المذكور آنفا، فان ربنا والهنا الذي تكمن فيه كنوز الحكمة، يعرف كيف يحكم على الكلام ويوزع الطاقات البشرية..................... نطالب بالاوقات والازمنة التي جعلها الله تحت سلطانه. فان قولنا ان جسد الرب غير قابل للفساد، لا يعني انه غير قابل للآلام والموت، بل لا يقبل فساد الخطيئة، لان الفساد يقال على انواع مختلفة، ومنها فساد الخطيئة كالقول: "فسدوا ورجسوا بأعمالهم"، والانحلال الكلي كما هو قائم. كالقول: اما انت فنزلت الى بئر الفساد، فلا يقال عن جسد الرب يسوع المسيح، انه قابل للفساد بمثل هذه المعاني، فانه لم يرتكب خطيئة ولم ير جسده فسادا. فان الكلمة سابق للجسد. قيامة دون فساد، وان فساد الخطيئة لم يدن منه. ويدعو يوحنا القيامة، عدم الانحلال. فلا ينبغي ان ننسب الفساد والانحلال الى الجسد لانه كان بلا كلمة، بل نعتبره غير قابل للآلام والموت، قبل اقتباله للكلمة، كما هو بلا فساد بعد القيامة، فانه بالقيامة أخذ عدم التألم وعدم الموت. فاذا عزونا اليه هذا فأين الآلام غير الملامة؟ او اين صلبان الموت؟ وقد نفقد الايمان ان لم يكن هناك موت ولا قيامة. "ان كان المسيح لم يقم فباطلة كرازتنا وباطل ايمانكم، لكن المسيح قد قام من بين الاموات وصار باكورة للراقدين"، فالجسد قابل للآلام والموت قبل القيامة، فقد قبل الفساد، لكي تبتعد عنه فكرة الظن والخيال. فاذا كان الألم الطبيعي ثانويا، فهو قابل للفساد، فهذا

ثابت. اما الفاسد فهو الذي يقبل الفساد، والثابت هو ضابط الذات كما يقال: انهم لكي ينموا بشيخوخة ناضجة ويكونوا قابلين للألم، وبالضرورة لذوي النفوس، فان موت الجسد يثبت بالألم القابل للفساد. وان لم يكن الامر كذلك، فلا يمكن ان يكون هناك موت، لاسيما وان هذا هو الموت بالذات، وهو انفصال النفس عن الجسد. ومن هنا، فان بولس الرسول الالهي يصف الالم بانه موت. وعندما اراد مجمع الـ ٣١٨ الكبير ان يعرف الالم والموت قال: انه نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام في اليوم الثالث، على اعتبار ان صفة الالم تشير الى الموت. ومن هنا نعتقد ان الآباء المتشحين بالله، يضيفون في عدة أماكن، عبارة "قابل الفساد" مع كلمة "المائت" وهم ينظرون الى الالم بكونه اكبر قبولا للفساد.

يقول كيرلس في كتابه الثاني المعنون بالكنز: بما أنه أخذ جسدا قابلا للفساد والموت، وخضع لمثل هذا الالم، فمن الضرورة ان يجعل الآلام مقترنة بالجسد وهو يتحملها، وحيث انه احتملها، لذا نقول: صلب ومات، اذ لم يتألم بالعذاب، لاسيما الكلمة.. ويقول اثناسيوس الكبير في المقال الثالث في الثالوث ضد الاريوسيين: "ان ما هو جسد لا يمكن ان يكون بلا جسد، فان لم يأخذ (المسيح) جسدا قابلا للالم والموت، اذن لكانت مريم التي أخذ منها الجسد ميتة. لذا يجب ان يعزى الى جسده، الالم والبكاء والتنهد، لان هذه هي من خصائص الجسد". ونظرا الى ما ذكر، فانه غير قابل للألم والموت والفساد. واذا كان قابلا للالم والموت، فمن الضرورة ان يشبك معه ايضا كلمة "الفاسد" فهذه هي الخيالية بالذات. وهنا يتوارى الحق الكامن في الطبيعة.

واذ نخرّ امام وداعتكم، نرجو ان لا نقول شيئا دون تعقل. فقد تعلمنا من الكتاب المقدس ومن الآباء القديسين، ان نقول عن جسد الرب، انه كان قابلا للألم والموت قبل القيامة، اما بعد القايمة فهو غير متألم ولا مائت. لان الفساد وعدم الفساد يطلق على كل اسم، وانه يقسم بالتساوي بين فترتي الالم والقيامة. هكذا قال بولس بالنسبة الى الالم والموت: "أقامه

من بين الاموات" فلا يعود يخضع للفساد، فان جسده لم ير فسادا في القيامة، كذلك الامر بالنسبة الى الالم وعدم التألم. يقول بولس: "فاذ عرفنا المسيح بالجسد فالآن لا نعرفه هكذا". وفي تفسيره للرسالة الثانية الى قورنثوس، يقول يوحنا القسطنطيني في المقال الـ ١٢: ان عبارة "المسيح بالجسد" تعني انه متألم بالطبيعة. كيف؟ لانه يجوع ويعطش ويتعب وينام. وان لم يكن بالجسد، فهو متحرر من هذه الامور فقط وليس متحررا من الجسد. وقد يأتي معه لدينونة العالم، لكنه سيكون غير قابل للالم والموت.

كتب اغناطيوس في رسالته الى اهل افسس ما يلي: "واحد هو الجوهر الجسداني والروحاني، مخلوق وغير مخلوق، آله في انسان، كان غير قابل للالام سابقا، ومن ثم قابل للآلام، يسوع المسيح ربنا". ويميز غريغوريوس النوسي الازمنة بالاعمال في المقال الثالث ضد انوميوس بقوله: "كانت آلام الجسد حقيقية، وانتهت بانتهاء فترة الآلام، وتسامى الجسد بواسطة عدم ميتوتة الله، فانتقل من الفساد الى عدم الفساد". ويتساءل ابيفانيوس اسقف القبارصة قائلا: "لماذا دخل والابواب مغلقة؟" ذلك لكي يظهر امكانية الجمع بين الكثيف وغير الكثيف في وقت واحد، وبين المائت وغير المائت، والفاسد وغير الفاسد.

(لا يستقيم المعنى هنا، نعتقد بوجود نقص في الاصل).

يقول يوحنا القسطنطيني في المقال ٨٢ من تفسيره في انجيل متى للآية: "**من الآن لا اشرب من نتاج الكرمة هذا، الى ذلك اليوم حينما اشربه معكم جديدا**".
ما هو الجديد؟ الجديد هو الابعاد، اذ لم يعد لي جسد غير قابل للآلام، بل وغير مائت ايضا، وغير قابل للفساد. فهنا يوضع "قابل للآلام" ازاء "غير قابل للفساد وغير مائت". وان كيرلس الحكيم في رسالته الى سوقندوس يتحدث عن عبارة "قابل الفساد" فيقول: "كان بعد القيامة نفس الجسد الذي تألم، لكنه قد تحرر من جميع الاهواء البشرية وغدا غير قابل للفساد".

ويضم غريغوريوس اللاهوتي صوته الى صوت هؤلاء فيضع "غير قابل للفساد" في موضع معاكس، وذلك في مقاله عن الانوار حيث يقول: "لذا فان الاشياء غير القابلة للامتزاج امتزجت، ليس فقط بولادة الله، ولا بصيرورته جسدا، ولا في وقت بلا زمن، ولا في حجم غير المتناهي، بل بولادة من عذراء، واهانة تفوق كل كرامة، وتألم من لا يتألم، وفساد من هو غير مائت". ويقول ايضا يوحنا القسطنطيني في تفسيره للآية: "**صعد الله في الهتاف**" (مز ٤٦). " لو كان قد جاء الى السماء قبل الصليب وهو ما زال لابسا جسدا كريما وقابلا للالام، لما شك احد".

تأمل بعقلك الراجح هذه التي قيلت، ايها الملك الاكثر ايمانا من الكثيرين، وان العقل يركز على النتيجة، حيث قال: "ان خلاصنا ليس خياليا وليس للجسد فقط، بل للانسان كله، فالخلاص بالحقيقة هو خلاص النفس والجسد"، ويضيف: "بل خلاص الذات" وبذات الطبيعة التي من مريم بحسب الكتب المقدسة، ومن ثم ضد الخيالية التي نسبها الى الجسد، فجسد المخلص هو حقيقي. هنا نلاحظ وفرة النعمة وحقيقة الروح الذي يفحص كل شيء من اعماق الله. فهو لا يتقيد بالالفاظ، كما يلاحظ مرات عديدة لكي لا يفهم كخيال، بل هو حقيقي، لان جسده هو مثل جسدنا.

ان باسيليوس الكبير الذي يتحدث
عن الروح بنفس النعمة، يجعل الآلام طبيعية بعكس الذين يعتبرونها وهما. وذلك في حديثه مع اهل سوزوبوليس. من هنا يظهر ان الرب اقتبل آلاما طبيعية لدى تجسده، وليس وهمية تماما. فكل ما هو طبيعي ممكن اعتباره حقيقيا، ولكن ليس كل ما هو حقيقي يفترض ان يكون في الطبع.

يؤيد الآراء المشار اليها، القديس كيرلس في تفسيره لانجيل يوحنا، حيث يقول في الكتاب الثامن: "كان يجب ان تظهر الطبيعة بانه صار انسانا من امرأة، في هذه الامور، وليس بالوهم والخيال". وينسب اليه كل الامور البشرية باستثناء الخطيئة، خوف وفزع وآلام طبيعية

مجردة من الخطيئة. كذلك القديس فروموس اسقف العاصمة، أيد نفس الفكرة حيث يقول في رسالته الى الارمن: "ليختاروا واحدة من اثنتين. اما ان ينكروا الآلام بالطبيعة ويذهبوا مذهب المانيين، وحينئذ سيدرجون مع المنافقين، او يتقبلوا فوائد التجسد، اذا اعترفوا بآلام تتناسب والطبيعة".

فما الذي يفترض بنا نحن عبيدكم، ولنا المزيد ان نقوله للملك الحكيم؟ ليس فقط لكي يعلم، بل بامكانه ان يعلم. اما انتم فقد تعلمتم من الله كما هو واضح من رسالتكم. فقولنا بالطبيعة هو غير قولنا بالنعمة. ولقد تصرفتم بحكمة اذ جاهرتم بان الطبيعة هي الاساس، اذ ليس الامر كذلك بالنعمة، لان ما

يقول امبروسيوس اسقف ميدولينس في المقال الخامس عن الايمان: "الجسد متألم واللاهوت بعيد عن الموت، وان تألم الجسد يدخل في نطاق الناموس الطبيعي". ويعقب باسيليوس على هذه في مقاله عن الايمان فيقول: "مثلما ان الرب رضي بالجوع، استوجب ان يكون له طعام حقيقي، فقد شعر بالعطش عندما زالت الرطوبة الموجودة في جسمه، وتعب فتمددت الشرايين والاوردة اكثر بسبب تعب الطريق. اللاهوت لا يخضع للتعب، لكن الجسد قبل الاعراض التي تأتي من الطبيعة. كذلك عرق، اذ سمح لأعراض طبيعة الجسد ان تظهر.

ومن براهين باسيليوس وأخيه غريغوريوس اسقف نوسا، في المقال الرابع عن التطوبيات، قوله: "ذاك الذي اشترك معنا في كل شيء ما عدا الخطيئة، وشاركنا في احساس الجوع دون خطيئة. ولم يبعد عن نفسه تجربة الألم، لكنه قبل شدة نمو الطبع عن طريق الغذاء، حيث ظل اربعين يوما دون طعام واخيرا جاع. وهذا يعني، انه عندما يريد، يسمح للجسد ان يقوم بأعماله الخاصة.

لنأت الآن الى الحديث عن عبارة "**الالم الطبيعي والارادي**".

يقول اثناسيوس الطوباوي في مقاله عن الايمان ضد ابوليناريوس "هكذا صار الموت حيث قبله الجسد بالطبيعة. اما الكلمة فتسامى بالارادة، وكان يسلم الجسد من موقع الاقتدار لكي يتألم بصورة طبيعية من اجلنا ويقوم بقوة الهية". فاذ ندع هذه الامور وغيرها في داخلنا، نكون قد رفعناكم فوق مستوى سائر المؤمنين، لكي لا يأخذ الوهم مكان الحقيقة، وتحت اسم "غير قابل للفساد". نضفي على الالم صفة الوهم. فهو قدوس في الكل وصانع الحياة وغير قابل للفساد. نحن نعلم ان الجسد اتحد بالكلمة اقنوميا في الاحشاء دون خطيئة، بتوسط النفس الناطقة والعاقلة، ولكن نعرفه ذا طبيعة متألمة ومائتة، لانه هكذا كان اتخاذه للجسد، ان يتألم بما يلائم الالم، وان يأخذ الكلمة غير المتألم ما هو لنا ويفي دين الموت عوضا عنا، وبه يجعلنا غير مذنبين، ثم يتحرر عن جسده دونما فساد.

يجمل يوحنا القسطنطيني كل ما قيل في تفسيره الرسالة الى اهل رومية بقوله: لم يكن للمسيح جسد خاطئ، بل جسد يشبه جسدنا الخاطئ، له نفس طبيعة جسدنا دون خطيئة. ومن هنا نعلم، ان طبيعة الجسد ليست شريرة، فالمسيح لم يأخذ جسدا آخر عوض الاول. ولم يغير هذا في جوهره، وهكذا هيأه للكفاح من جديد، وتركه ثابتا في الطبيعة ليظفر باكليل النصر ضد الخطيئة، وأقامه بعد الانتصار وجعله غير قابل للموت..

واننا، نسجا على منوال آبائنا القديسين، ذكرنا لتقواك كل شيء بصورة متكاملة. انهم يقولون: "متألم ومائت قبل القيامة، وغير متألم وغير مائت بعد القيامة" حيث يستعملون الالم والموت باسم الفساد، وعدم الموت وعدم التألم باسم عدم الفساد. وان نحن أوردنا براهينهم، نخشى ان نخدّش مسامع تقواكم، ولكن عندما نقدم هؤلاء الآباء المبجلين من اجل الدعاء، نسألكم بحق الكرامة التي لكم عند الله، ونلمس بدموع، بركتكم المقدسة، لتوبخوا الذين خلقوا مناخس غريبة على غير العادة، لكنيسة الله.

وتدحضوا الكلام الباطل الذي لا طـائل تحتـه، لكـي تعيـدوا السـامعين الـى رشدهم، وتصونوا بسلام وبقلـب يمـلأه الايمـان العجيـب.................. فتكون موضع فخركم، مثل حزقيا القائل: " هكذا قولوا للرب بدالة، اذكر يا رب خطواتـي امـامك بـالحق والايمـــان، وبقلـب مملـوء صنعـت امـامك الصالحات".

ليمنحكم رئيس الرعاة اكليل البر عوض غنمه. ولتحيوا مـدة حيـاة بارة، ولتهتف جوقات الكهنة آميـن فـآمين. ملـك مسـيحي اكـثر تقـوى مـن الجميع.. لقد قيل لما تسلم الملك هذه المذكـرة، ثـار فـي داخلـه حقـد علـى الاساقفة فنفاهم جميعا. ويقول آخرون، انه ندم وتاب، واهمل كلتا البدعتيـن ورسخ في الارثوذكسية، ولكن اجله دنا فمات بأمر الله، بعـد ان حكـم ٣٨ سنة.

في اثناء وفاة يوسـطنيان، رأى احـد المشـهود لهـم بـالتقوى رؤيـا، واذا برية واسعة وفي وسطها أتون نار يرتفع لهيبه الـى السـماء، وتسـاءل خائفا عن ذلك. فقيل له: ان هذا الاتون بحر ليلقى فيه يوسطنيان لانـه افسد الايمان عن غير معرفة، لكنه نجا منه نظـرا الـى اعمـال الرحمـة السـخية للفقراء، وبنائه الكنائس.

انتهى المقال التاسع الذي تناول فترة ١١٨ سنة، حكم خلالها ستة ملوك على الروم، وخمسة على الفـرس. وهـي السـنة ٦٧٠٣ لآدم وسـنة ٥٦٧ مسيحية.

المقال العاشر

استعين بالرب يسوع الاله، الذي حسن له ان يسمى لدى تجسده بحرف الياء، الحرف العاشر، وانا ابدأ المقال العاشر الذي يتناول الفترة من السنة ٥٦٨ لميلاد المخلص من العذراء مريم، وسنة ٦٧٠٣ من آدم وبحسب التاريخ اليوناني سنة ٨٧٨

ظواهر غريبة:

في السنة الاولى ليوسطنيان، وهي سنة ٨٧٨، ظهرت في تموز وفي الجهة الشمالية، نار هائلة وارتفعت في الفضاء كسلهبة رهيبة.. وفي السنة نفسها ظهر في السماء مرات عديدة نيزك ناري، وقال الناس عن الظاهرة، انها تشبه رؤية المعجزات. ولقد أمر الملك باحضار ما يشبه منجنيق (؟) ضخم مصنوع من خشب صلب يسمى (سنور رامون)، فكان بعضهم يمسكون بالنار بصورة فنية ويصعدون عليه وينزلون امام ربوات من الناس الذين جاءوا لينظروا هذا المشهد المريع. وفي تلك الليلة اندلعت النار في السماء شمالا وشرقا. واخيرا انتهت تلك اللعبة. وفي اليوم التالي تجمهر الناس، ومات العديد موتا شنيعا من جراء تلك الظاهرة، حيث انقطعت الحبال بسبب ثقل الحجارة الضخمة التي تدحرجت نحو الاسفل، فتلطخت ادمغتهم بعظامهم. وظهرت تلك النار ايضا في السماء، في ايلول وتشرين، وكان لهيبها أشد هولا. وفي الخامس من تشرين الاول حدث زلزال وهز الارض كالشجرة. وتكرر هذا الحدث بعد عدة ايام. وفي تشرين ايضا نزل من السماء سخام وكأنه من حريق يشبه سخام القصب او الورق المحترق، طول كل قطعة منه نحو ثلاث اصابع، وقد ملأوا منها عددا من القفف وحفظوها في البيوت. وتاب الكثيرون عن شرورهم بسبب هذه الظاهرة.

وفي طريقه الى الحمام، ترك الملك المدينة، خوفا، ودخل كنيسة والدة الله المعروفة بـ "ذات القرن"، وكانت ترفع في جميع الكنائس، أدعية مقرونة بالبكاء والتنهد والتضرعات من قبل الاطفال والتلاميذ والنساء المحصنات. ولما أقيمت الطلبة صباح الجمعة في الكنيسة الكبرى، ظهر فجأة في الساعة الثالثة، صليب كبير كسحابة نيرة محاط بنار ملتهبة، فهتف الملك والبطريرك والبقية: يا رب ارحم، وبكى الشعب وتنهد حتى ارتفعت النار. وفي اليوم التالي دخل البطريرك الى الملك وقال له: لقد تراءى لك الصليب في السماء كما تراءى لقسطنطين. فعليك ان تحصل على قطعة من خشب الصليب الموجود في اوفيميا سورية. وللحال أوعز الملك الى احد القواد فذهب الى اوفيميا، وبعد محاولة شاقة وبمساعدة الاسقف، اخذ الخشبة عنوة من الذي كانت مخبأة عنده وجاء بها الى انطاكية، فنشرت طولا، وختم نصفها واحتفظ به في انطاكية بقصد اعادته الى اوفيميا، وأرسل النصف الآخر الى العاصمة، فخرج الملك وكافة المدينة لاستقباله في ١٠ كانون الاول. واستمروا يجولون به في الكنائس لمدة عشرة ايام ليتبارك منه الشعب، وصنع الملك صندوقا ذهبيا ووضع فيه الصليب وزينه بأختام متنوعة، وأودعه كنيسة المدينة الكبرى.

الروم يعضدون الارمن:

لما توفي يوسطنيان سنة ٨٧٨ يونانية، خلفه ابن اخته المدعو هو الاخر يوسطنيان، وتسلم الحكم مع امرأته صوفية في تشرين. وهو من تراقية،وكان يشكو ألما في رجليه. تميز بالشدة، فتوارى المجرمون ولم يحدث ما يزعج في منطقة نفوذ الروم.. في هذه الفترة حكم كسرى الفرس، فتمتع الجميع بسلام حقيقي في بادئ الامر. وبحسب العادة المألوفة بين الملوك لدى تنصيبهم، ان يتبادلوا الهدايا، أرسل يوسطنيان في السنة الثانية لملكه، يوحنا بطريق قالينيقوس حاملا الهدايا الى ملك الفرس، لكي ينشر السلام وينشد الوحدة بين الكنائس. لكن الفرس أخذوا يشدون الخناق على الارمن فيما بعد، لكي يسجدوا للنار كالمجوس، حيث كان

الارمن انذاك تحت سلطتهم، فتمرد عليهم الارمن واستعانوا بالروم فأمدوهم بالعون وانتصروا على الفرس. فارسل كسرى الى يوسطنيان مطالبا باعادة الارمن، قائلا: ليس من اللائق ان تمد يدك الى شعب تمرد على ملكه. فان لم تعد الشعب الي، أعد الي المنطقة الخاضعة للجزية. أجاب يوسطنيان: اني لا اسلم اليك شعبا مسيحيا هرب من عبادة الشياطين والتجأ الي، فكتب اليه كسرى للمرة الثانية قائلا: ان كنت لا تعيد الشعب ولا تعطي المنطقة، فعلى الاقل ادفع المال الذي اعتاد ملوككم دفعه عن الارمن ليستمر السلام بيننا. فأجاب يوسطنيان بعنف: انسي اطالبكم بالمال الذي أخذتموه في وقت ما. وان الذي يسعى وراء سلامه، عليه ان يدفع الجزية. فكيف تطالبوننا بالمنطقة الشمالية، في حين نحن نريد نصيبين لانها كانت للروم واعطيت للفرس تحت شروط كما هو مدون في الكتب؟.

محاولة يوسطنيان من اجل سلام الكنيسة:

لدى تسلم يوسطنيان الحكم، أولى اهتماما بنشر السلام بين الكنائس، اذ سبق واهتم بهذا الامر منذ عهد خاله. فلما اراد البابا ثاودوسيوس الدخول اليه، أمر بان يدخل بثيابه البطريركية، فرحب به ووعد ان يعمل من اجل السلام ويعيده الى كرسيه، غير ان القديس ثاودوسيوس توفي في تلك السنة. فأمر الملك بإقامة تشييع حافل له، وابّنه الراهب اثناسيوس المنحدر من السلالة الملكية، وحرم جهارا مجمع خلقيدونية. وأمر الملك باطلاق الاساقفة الذين كانوا تحت إقامة جبرية في انطاكية. ولما شاع الخبر عن حفاوة الملك بثاودوسيوس، ووعده بخصوص السلام والوحدة، حضر الى العاصمة رؤساء وشخصيات معروفة، فجمع الملك الاساقفة الموجودين في القسطنطينية وأوعز الى الطرفين بالبحث عن الحقيقة. وطلب اليهم ان يتحدوا، فأمضوا قرابة سنة في دار البطريركية يتحدثون ويستمعون. غير ان الكنيسة لم تحظ بالسلام بسبب الخطايا.

ثم طلب الارثوذكسيون الى الملك ان يعمل من اجل السلام، فأجاب: نحن على أتم استعداد ان نرسل بطريقا الى المشرق من اجل سلام الكنيسة، فسافروا بالسلام واجتمعوا به لدى حضوره الى المشرق. فسبقوا الرسول الموفد الى المشرق منتظرين قدومه، وقد حضر الى العاصمة الاسقف يعقوب واجتمع بالرهبان هناك، فدخل يعقوب سرا الى الملكة وحثها على العمل من اجل سلام الكنائس، فاستقبلته بحفاوة كبرى، واستدعت يوحنا وأمرته امام المطران ان يهتم بسلام الكنيسة، وطلب ان يمثل يعقوب امام الملك ليسمع منه. واراد الملك ان يرسل يوحنا الاسيوي برفقة يوحنا، لكنه لم يذهب لانشغاله بمعمودية الوثنيين.

في هذه الايام، حدث شقاق آخر، وسببه ان بولس الذي كان مع البابا ثاودوسيوس، اقتبل الرسامة لكرسي انطاكية من يعقوب وأوجين، ثم طمح الى كرسي الاسكندرية. اما الاسكندريون فأرادوا اثناسيوس حفيد الملكة تيودورة، فكتب بولس الى الاسكندرية يقدح بأثناسيوس. ولما علم اثناسيوس بذلك، بحث عن سيرة بولس. فكتب الاسكندريون مذكرة مفعمة بتهم فاضحة عن بولس، وركزوا على صحتها لانه كان من مدينتهم. فأطلع اثناسيوس الملك عليها، فرشى بولس الاسكندريين من المال الذي ورثه عن ثاودوسيوس. واذ لم يجد ذلك نفعا، شخص الى حارث بن جبلة، فأمر ان ينادى باسمه في كنائس الارثوذكسيين. اما الاسكندريون فلم يشكوا ببولس فقط، بل وفي المطران يعقوب الذي رسمه دون موافقة سائر الابرشيات، ايضا.

فصل
في نتيجة زيارة البطريق يوحنا للمشرق

سعي الملك من اجل سلام الكنيسة:

ارسل الملك يوسطنيان، البطريق يوحنا الى كسرى حاملا توصيات من اجل سلام الكنائس. ولما وصل الى قالينيقوس، اجتمع هناك بربوات من المضطهدين فبشرهم بالسلام الذي يزمع الملك تحقيقه، وتحدثوا اليه، والعبرات ملء مآقيهم، بسبب ما يعانونه من الاضطهاد والضيق من قبل المجمعيين، فقال البطريق للاسقف يعقوب: سنجتمع في مدينة دارا لدى عودتي من فارس. فاهتم يعقوب بجمع الاساقفة ورؤساء الاديار والرهبان. ولدى عودته إلتقوه في دارا. وفيما هم يتحدثون عن السلام، وصلت رسائل من الملك الى يوحنا يحثه على تحقيق سلام الكنائس، قبل عودته. لذا حثّ يعقوب والذين معه ليسبقوه الى قالينيقوس ريثما يزور عاملي الملك. وارسل الملك اوجين اسقف قيليقيا والربان ابوي من العاصمة. وحضر الى قالينيقوس من كل الفئات لان الاجتماع كان من اجل السلام. وهنا عارض بعضهم اوجين مطالبين اياه بحرم كل من يستعمل كلمة "جواهر"، فأجاب: ان الوقت ليس مناسبا. لكنهم لم يسكتوا لاسيما وانهم كانوا ينتقدونه خفية منذ مدة طويلة، اما الآن فجهارا. فنشأ عن هذا الموقف خلف بين المؤمنين فانقسموا قسمين، يضم الجانب الواحد قانون واوجين والاسقف تاونا واثناسيوس وابوي والراهب فوقا. ويضم الجانب الآخر، يعقوب وتيودور اسقف العربية وبولس ويوحنا الاسيوي واسطيفان ولوجينا واليشاع، وبطولماوس. فتراشق المؤمنون بالسباب. واتهم اتباع يعقوب جماعة قانون بتعدد الالهة، وبالمقابل اتهم جماعة قانون اتباع يعقوب بانهم سابيليون.

ولما وصل البطريق يوحنا، جمع فلاد رئيس دير مار بس وانطيوخ اسقف العربية، ويوحنا القرتميني وغيرهم من الشخصيات

المعروفة والاكليروس، وقال لهم بتؤدة: ان ملكنا محب السلام يريد الوحدة، فأرجو ان تتقبلوا ذلك بارادة صالحة. فنحن نعلم من الكتب، ان الأباء ليسوا وحدهم الذين تنازلوا عن امور كثيرة، وعن بلاغة الكلام، ونظموا شؤون السلام من اجل خير الناس. بل ان الرسل ايضا فعلوا ذلك كما جاء في الكتب المقدسة. من ذلك أن بولس تلمذ طيمثاوس على الطريقة اليهودية اولا، اي بالختان، ثم قدمه للعهد الجديد، وقد فعل ذلك لان اليهودية كانت ما زالت مسيطرة، ولم تكن المسيحية قد انتشرت بعد، ولكن لما اتسعت رقعة المسيحية، قال بوجوب ابطال الختان. اما طيطس فكان وثنيا ولم يحتج على الختان. ولما رأى بولس ان بشارة المسيح تتسع اكثر فأكثر كتب الى الغلاطيين يقول: "انا بولس اقول لكم، ان اختتنتم فالمسيح لا ينفعكم شيئا". فالذي ختن طيمثاوس خوفا من اليهود، نادى بعدم جدوى الختان للناس. كذلك القديس كيرلس فانه قبل يوحنا الانطاكي الذي تورط بالنسطورية لمجرد اعترافه بان مريم هي والدة الآله، ووجه اليه رسالة الرضى والشركة. وقد فعل هذا ليس بقوة البلاغة، بل بالتنازل من اجل خير الناس. لا يمكن ان يتم في الكنائس ما تريدونه وانتم خارج كراسيكم. ولكن عندما يسمح الله، لاسيما وان ملكنا الظافر أمر بتنفيذه، ستقبلونه كلكم وتصيرون من اهل البيت، وعلى مرور الزمن سوف يصطلح ما تبقى. وحيث اني اعرف ما هي ارادة الملك، وانه لن يسعى من اجل السلام في الكنائس، والنزاع قائم، لذا أشرت عليكم ان تقبلوا ما هو جدير به خشية ان يتلاشى سلام الكنيسة اذا استمريتم على اصراركم. واخيرا ستندمون وتضطرون الى اتيان امور اخرى. فان ما نلتمس منكم اليوم قبوله، سوف تلتمسونه انتم بعد فترة ولا يعطى لكم.

وبعد ان تحدث بهذه الامور وغيرها الى الشعب ورؤساء الاديرة، طلبوا اليه ان يطلعهم على خطة الملك، فارسل لهم منشور الملك بيد زكريا ارخدياقون ارقطروس، فقالوا: اننا لا نقبل سوى الوثيقة التي تتضمن تحديد الايمان من قبل الـ ٣١٨ والذي أكده الآباء المجتمعون في القسطنطينية وافسس. ولا نقبل تحديدا آخر. فنحن نؤمن باله واحد والى

آخر التحديد. ونعترف بكلتا ولادتي الكلمة، الولادة التي قبل الدهور من الآب، والتي من العذراء مريم في آخر الازمان. ونعترف بكلمة الله الوحيد حقا، والذي لم يتغير في لاهوته وهو الذي تألم بالجسد، وصنع المعجزات بلاهوته، وليس آخر وآخر. وليس المسيح شيئا، والله شيئا آخر، لكنه واحد من طبيعتين الهية وبشرية، اقنوم واحد وشخص واحد، وليس اقنومين او شخصين، ولا ابنين بل اقنوم واحد لله الكلمة المتجسد. ونحرم كافة الهرطقات لاسيما اريوس وانوميوس ومقدونيوس ونسطور المحروم من قبل الآباء. كما نحرم ايضا قالسطينوس، وكيرلس وثاودورس ورسالة يهيبا ومؤلفات ثاودريط وسائر الذين يذهبون مذهبهم نفاقا. ونقبل الطوباوي البطريرك مار سويريوس ونحل الحرم الذي أوقَع عليه ظلما، كما نحل شفاهيا الحروم التي أوقعت بالقديس كيرلس سابقا ولاحقا.

مذكرة الاساقفة:

بعد اطلاعهم على المنشور، قدم الاساقفة مذكرة جاء فيها: نحن على ثقة تامة بان سيادتكم تولون اهتماما بوحدة الكنائس، وانتم ذو ارادة نقية ومحبة للمسيح ربنا، وانكم تعطون المكانة الاولى للروحيات. ولنا كل الامل بان الرب يشارككم الارادة ويسهل عملكم المجيد، ونرجو ان يكون كل هذا التحرك لصالح الايمان الذي يناط به خلاص الانفس، كما نرجو ان تتقبلوا ما نكتبه بحلم وطول اناة. وان يتخذ كل اجراء بعد التحقيق والتدقيق. وقبل كل شيء نحيطكم علما، بان المنشور الصادر عن سيادتكم جيد، ولكن يجب ان تضاف اليه كلمتان. فنحن نقول: طبيعة واحدة من طبيعتين اي اقنومين، ومعنى هذا اقنوم واحد لله الكلمة المتجسد، ولا يقال إبنان او شخصان ولا اقنومان ولا طبيعتان كما جاء في المنشور، وان فصول كيرلس الاثني عشر تحرم من يرتئي بخلاف ما جاء فيه، كالحرم الوارد فيه بالذات، ويحرم اشخاصا من كلا الجانبين.

من البديهي ان يدرج اسم القديس سويريوس في الدبتيخا، ويلغى القرار الصادر ضده وضد انتيموس وبطرس وزعورا، لانه ليس قراراً عادلاً. فاذا لم تكن صعوبة في اضافة هاتين النقطتين [الى المنشور]، فاننا نقبل هنوطيقون زينون الذي يتضمن حرم من يضع تحديدا او تعليما آخر للايمان في اي مجمع كان، او في اي مكان او زمان، او يخالف تحديد الاباء الـ ٣١٨. واذا ادرج اسم سويريوس في الدبتيخا وألغي القرار المجحف المذكور، وليعمَّ الفرح، استوجب كذلك ادراج في الدبتيخا اسماء جميع الاساقفة الذين استشهدوا في الاضطهاد. فاذا قبل انسطاس الوحدة، بقي على كرسيه، والا فليجلس عليه غيره.

لقد اعدت هذه المذكرة في دير مار زكا باتفاق آراء المجتمعين، لارسالها الى البطريق يوحنا. غير ان بعض الرهبان ضجوا، مطالبين بالاطلاع عليها قائلين: اذا كان ما جاء فيها صحيحا وافقنا عليها والا فلا. فأوعز الاساقفة بقراءة المذكرة، فضج الرهبان، وقد تجاسر احدهم، ويدعى قوزما ويعرف بابن الاخريات، وهو من دير قبرس قالونيقية، ومزق المذكرة امام الحضور، فاضطربت الامور. فلما علم البطريق يوحنا بالامر، استشاط غضبا، فاجتاز نهر الفرات تاركا الطعام الذي هُيئ له _وكان هذا من عمل الشيطان_ وامتعض الناس لعدم تحقيق وحدة الكنائس. وللحال لحق بعض الاشراف بيوحنا والتمسوه ان يقبل مذكرة اخرى يكتبها الاساقفة عوضا عن التي مزقت، فوافق، فتوجه اليه يعقوب وتيودور وأوجين وأبوي وفوقا وغيرهم، وقالوا: لا ينبغي ان يقضى على سلام الكنيسة بسبب نزاع اثاره بعض الوقحين مبغضي السلام، فهدأ روعه، فكتبوا مذكرة اخرى. ولما عاد يعقوب ومن معه الى الرهبان، واخبروهم بكتابة مذكرة اخرى وتسليمها ليوحنا. قالوا ليعقوب: ان كنت لا تحرم تلك المذكرة وتتعهد بعدم قبولها، فاننا سنحرمك انت ولن نرضى ابدا ان تكون لنا اسقفا، وهكذا اضطر الى حرم المذكرة. فعاد يوحنا غاضبا الى الملك وأطلعه على ما جرى، فصرف النظر عن موضوع السلام وأخذ يضطهد المؤمنين.

اما المضطهدون، فاجتمعوا ولعنوا البطريق يوحنا. وفي اليوم نفسه دخله الشيطان وهو ماثل امام الملك فسقط، وفتح فاه كالمعزة ومات، فعم الخوف الجميع.

ولما علم بان الرهبان كانوا وراء الاضطراب، عاد واهتم بالسلام، وكتب رسالة الى سركون والي دارا جاء فيها: بأمر جلالتنا، ليشخص يعقوب وتيودور الى هنا لأغراض تتعلق بشؤون الكنيسة. اعمل جهدك لينفذا أمرنا، لاننا _يشهد الله_ نود ان تكون كنيسة واحدة، فعليك الاّ تتماهل في هذا الخصوص من اجل خلاص النفوس. ونحن لا نود ان نضطهد هؤلاء المستقيمين، ولا نريد ان يحدث مثل هذا في عهدنا، بل نرغب في المصالحة، لانه بسبب خطايانا، تواجد بعض الوسطاء الاشرار وقضوا على السلام. افضح سيرة بولس الالثغ الرديئة، ذاك الذي نهب اموال الطيب الذكر البابا ثاودوسيوس وهرب الى الاسكندرية، وادعى انه اسقف ولم يقبل فعاد الى انطاكية ولم يقبل ايضا. ترى من يقبل ذلك الشيطان، اذا كان كل ما يقال عنه صحيحا؟ هذا هو المسيح الدجال، ليخزه الله. نأمر بان لا يذكر اسمه في الكنائس. ونوصي الجميع بان يحذفوا اسمه من الدبتيخا. لقد أودعنا السجن اسطيفان ولونجينا اللذين يدافعان عن بولس، لانهما تعهدا بحضوره ولم يحضر، فألقينا القبض عليهما لئلا يدعي اتباع بولس بانهما سجنا بسبب الايمان.

هذا ما رأيناه ضروريا ان نطلعكم عليه. نعوذ بالله من ان نلقي القبض على اي احد او نسجنه بسبب الايمان. اهتم كثيرا بارسال يعقوب وتيودور الينا، وقد كتبنا الى اسطيفان ليعطيهما النفقات. فأرسل سركون نسخ الرسالة الى كل الجهات، فعم السرور الجميع، فصعد تيودور واستقبل بحفاوة بالغة. اما يعقوب فانصاع الى ثورة الرهبان، فلم يصعد، الامر الذي اغضب الملك كثيرا.

فصل
في النزاع الذي نشب بين اساقفة سويريوس والبلبلة التي حدثت بسبب الصوم

في هذه الفترة، نُحي انسطاس البطريرك الانطاكي الخلقيدوني، وأقيم غريغوريوس الناسي، الرزين المتوضع، المهتم بشؤون المرضى والغرباء، وبحل المشاكل، وكان يستقبل الرهبان الصالحين، ويستقبلنا نحن الارثوذكسيين بمحبة، ويحاول ان يعيش بسلام مع الجميع. اما بولس وأوجين فكانا خصمين، يشتم احدهما الآخر بدون خجل، ولا يتناول احدهما من الآخر، وكانا يتجولان في مناطق جماعة قانون ينشران فكرة "الجواهر"، ويحاولان جمع البراهين من كتب الاباء لاثبات معتقدهم السقيم. اما يعقوب فكان يتجول في سورية، متنقلا من مكان الى آخر خوفا من الملك، ويجري الرسامات سرا. وبعد ان أطلع جماعة أوجين الذين لم يكفوا عن الخصام، على الرسائل، كتب اليهم مرتين، لكنهم لم يذعنوا، واخيرا جمع اساقفة سورية، ووقعوا على حرم قانون وأوجين وكل من يستعمل كلمة "الجواهر" للثالوث. وقد أمهلهم ثلاثة ايام. فلما علم بذلك جماعة قانون وأوجين، كتبوا هم ايضا حرما بحق يعقوب وجماعته وأرسلوه الى المشرق. وكان الاساقفة الذين مع يعقوب اكثر عددا من الذين مع قانون وأوجين، واذ حرم بعضهم البعض استغل جماعة قانون وأوجين ذلك، وقدموا التماسا الى الملك ليستفسر عن المبررات التي من اجلها حرموا من قبل يعقوب قائلين: انه يعتقد باقنوم واحد مثل فابيوس. فأرسلهم الملك الى البطريرك يوحنا للنظر في امرهم، ولما دخلوا الى يوحنا للمناقشة، شهر بعضهم على بعض سلاح الشتائم والظلم، فعجز يوحنا عن مصالحتهم، وهكذا خرجوا مهانين، لان يوحنا لم يزكِ أيّا من الطرفين. فكان جماعة يعقوب وبولس يتهمون جماعة قانون وأوجين بانهم طريانوسيون. وفي الوقت نفسه، اتهم هؤلاء اولئك بانهم سابيليون، فنبذ الملك جميعهم. وعندما كانوا يطلبون اليه العمل من اجل السلام، يجيب:

كيف تريدون ان اسعى من اجل سلامكم وانتم منقسمون بخصوص السلام؟. وبسبب هذا، أخذ الملك يضغط علينا اكثر ويضطهدنا.

واخيرا، ندم جماعة قانون واوجين قائلين: ان سبب هذا الشك هو كلمة "الجواهر"، وما نريده هو رفع الحرومات. اما يعقوب وجماعته فقالوا: لو رفعت هذه الحرومات لفسح المجال للكثيرين ان يعتقدوا بالثالوث كما يشاؤون. لذا استمر النزاع بين الطرفين. اما الملك فاذ رأى بولس واسطيفان ويوحنا الاسيوي وبطليموس ولونجينا واليشاع، يتصارعون مع اوجين وقانون وتاونا، وعلم ان اصل العلة هو الكرسي والكبرياء البشرية، اشتد عليهم غضبه. فأكره بعضهم، ووعد البعض الآخر بالعمل من اجل سلام الكنيسة على يد البطريرك يوحنا، والزامهم بقبول منشوره والمجمع، فتناولوا في الكنيسة الكبرى امام الشعب، وكتب الملك الى كافة المدن ليهينوا الارثوذكسيين.

سنة ٨٨١ يونانية وهي الرابعة ليوسطنيان، ونهاية التاسعة عشرة بحسب تقويم اوسابيوس، وهي سنى (٥٠٣٢)، حدث نزاع حول موضوع الصوم. فكتب المشارقة بذلك الى يوحنا بطريرك القسطنطينية، وكانت الاعياد قد حددت بحسب التقويم المذكور، فانتظم كل من عيدي الميلاد والدنح، اما غيرهما فلم تنتظم بعد. فكان المفروض ان يدخل الصوم في تلك السنة في ٢٣ شباط في حين بدأه بعضهم في السادس عشر منه. وآخرون في الـ ٢٩ منه. واخيرا رفعت التوصيات ليحتفل الجميع بالفصح سوية. وكان الفصح اليهودي في ٦ نيسان، اي نهاية فترة الـ ١٦، لكي تبتدئ الـ ١٦ الاخرى في ٢٥ اذار. وانتهت هذه السنة بنهاية الـ ١٩، يوم الاحد ٦/٥ نيسان. اما بالنسبة الينا فكانت النهاية في الـ ١٣. لقد حدثت مثل هذه البلبلة سنة ٩٧٦ حيث كان الفرق بين هذا وذاك ٥ سنوات، في السنة
٤-٩ من الدورة ٣٢- ٤٠، وبعد ١٩٠ سنة حدثت نفس البلبلة بسبب بدء الصوم، سنة ١١٦٦ يونانية. وفي الدورة ٢٣٢ وهي السنة ٣٩٩.. حدث

في هذه الفترة زلزال رهيب ما بين شميشاط والرها، راح ضحيته شعوب برمتها، كما حدثت كوارث قاسية.

اضهاد الارثوذكسيين:

في مطلع الجزء الثالث من تاريخه، يقول يوحنا الاسيوي. مثل بكاء ارميا وعويله على اورشليم، هكذا ينبغي ان نبكي على كنيسة الله، وعلى الكوارث التي داهمت المؤمنين. ففي السنة الـ ٦ ليوسطنيان الثالث، كان الارثوذكسيون يتمتعون بالسلام لمدة اربعين سنة، ويعقدون اجتماعاتهم بكل حرية حتى في العاصمة، غير ان يوحنا السرمي، اثار عليهم، بدافع خبثه، حفيظة الملك، فأمر بمنع اجتماعاتهم وهدم مذابحهم، وزجّ رؤساء الكهنة وكهنتهم في السجون. وهكذا هبّت عاصفة هوجاء على سفينة الكنيسة الارثوذكسية المقدسة الآمنة، كالعاصفة الثائرة ومثل بخار السحب الكثيفة الحالكة التي تنزل بردا. فهناك من سجن مع القتلة، وغيرهم في ܦܪܛܘܪܐ وآخرون في ܕܩܘܣܛܘܣ ، وغيرهم في زنزانات تحت المستشفيات، وآخرون في المنفي، او في دور الكنائس. وقد هرب الكثيرون وتشتتوا في كل مكان. والانكى انهم كانوا يعيدون رسامة رؤساء الكهنة، ويطلبون اليهم ان يقدموا عهد ايمان. وان اللسان لعاجز عن وصف ما احتمله الارثوذكسيون في السجون، والاقسى انهم لم يسمحوا لايّ من معارف الاساقفة بزيارتهم او التكلم معهم. وان الطعام الذي كان يقدم لهم بالكاد يسد الرمق، وكانوا يشددون الخناق اكثر على المسجونين في الاديرة، لو صحت تسميتها اديرة، فكانوا يحدقون بهم شزرا ويصبون عليهم ماء غسيلهم، ويعطون خلا بدلا من الخمر، او ما يُظن انه خمر، او ماء عكرا ملوثا بالطين، بغية ان لا تطول حياتهم.

لما سجن القس اسطيفان الملتهب غيرة آلهية، اخذ يحرمهم جهارا، فسلموه الى الوالي فقال للوالي: ايها المنافق الشرير والذين ارسلوني اليك. ما بالك تحتفظ بالمسيحية في حين تدين المسيحيين وكأنك وثني، فانت

لست من البشر الاحياء، ان لم تسرع فتحرقني انا الشيخ المسيحي وتأكلني مشويا. فخاف الوالي، وارسله الى الاسقف فأرسله بدوره الى السجن في ارمينيا تراقية، فأمضى فيه سنتين، وكان القمل يزعجه، ومرض وأشرف على الموت، وحذر من ان يدفنه المجمعيون، او يصلي احد منهم عليه. وفي موته هيأ الله بعض الروم الارثوذكس فدفنوه. وقد ادركت العاصفة ايضا اديرة الرجال والنساء، اذ كانوا يهجمون على اديرة النساء كالذئاب ويفترسون نعاج المسيح، ويقدمون لهن قرابينهم، لكنهن كن يفلتن من امامهم كالعصافير. وكان يقبض على بعضهن ويوضع القربان في افواههن قسرا، وكان البعض يسقطن على وجوههن على الارض، وكن يُحرمن، وهن يبكين، كل من يحاول مناولتهن بالقوة. وكانوا يسلمون بعضهن الى ايدي الجنود الروم، ليفعلوا بهن ما نحبذ ان نلوذ بالصمت عن ذكره.

فصل

في المنشور الذي اصدره الملك يوسطنيان، واضطهاد الهراطقة للمؤمنين وما تحمله الارثوذكسيون في العاصمة

تكالب يوحنا السرمي:

بعد ان تمتع الارثوذكسيون بالراحة والاستقرار مدة اربعين سنة في العاصمة، كما اسلفنا، ثارت عاصفة الغضب، وكان وراء هذا العمل الاجرامي، يوحنا السرمي الذي اقيم بطريركا في العاصمة للمجمعيين. فهذا لما رأى الملك يوسطنيان مهتما بقضية السلام، وانه يفكر في ارسال وفد الى رومية لهذا الغرض، وتأهب للسفر بولس الذي كان بطريركا لانطاكية سابقا، ويوحنا الاسيوي وثاودور ولوجينا واسطيفان واليشع وبطلماوس، ثارت حفيظته، لانه لم يكلف وجماعته بهذه المهمة. فجمع زبانيته ودخلوا الى الملك وقالوا: ان لم يوافق بابا رومية، فان هؤلاء سيعزلونه ويقيمون آخر بدلا منه. وهذا ما ستؤكده الاسكندرية ايضا، لان البطريرك نرسيس يذهب مذهبهم. فصدق الملك خدعتهم وألغى ارسال الوفد، ومال الى اكراههم، واذ رفضوا حنق عليهم وسلمهم الى عدوهم يوحنا، فشرع يوحنا السرمي منذئذ يتجول بين الكنائس والاديرة، وحثّ الملك ليتجول هو الآخر، فيكرهان الناس على الغوص في الحمأة. وكانت روح الخصام والحقد مالكة على هذا الاسقف، وقد كلّت بصيرته من جراء عدائه كالذي يغشى بصره، فأذعن له العديد من الكهنة، وخدموا كل برتبته مرات عديدة. ثم راوده فكر همجي آخر، فتصرف تصرف شاب ثائر ومتعجرف ونشوان بالسلطة الكهنوتية عنده، وقد سبقوه في كهنوتهم الاول بـ ٣٦ مرة. وكتب الى بقية المناطق ان يفعلوا مثله، لكي لا يقتصر اللوم عليه فقط.

ظهرت في هذه الايام، رؤيا لرجل بار، واذا بجبل كبير، في جهته الجنوبية صف من الكنائس الجميلة، وفجأة وصل يوحنا السرمي فهدم

جميعها.. لقد ارسل يوحنا في طلب اسقف شيخ بسيط يدعى بولس وكبّله بالحديد. وبعد ان أكرهه على الاذعان له، أمر ان يرسم من جديد في انطاكية قارئاً، وبحسب اعتقادهم، جردوه من كهنوته الاول ورسموه ثانية باعتباره شخصا عاديا، فصار موضع سخرية حتى من اتباعه، اذ سموه بذي الصبغتين، فمات كمدا. وعندما حاول اكراه اليشاع قال له: لقد صرت اسقفا باستحقاق، وليس بامكانك أبدا ان تجعلني كذلك، فان كنت تعتقد ان الطقس يمكن ان يجردني من الكهنوت لتعيد رسامتي، فجردني من المعمودية ايضا. فقال له مخادعا: سأضع عليك الجبة فقط، وعندما لم يذعن نفاه. ثم استقدم اسطيفان من السجن بعد ما تحمل منه ما تحمّل من عذاب، فعنّفه بقسوة بسبب اعادة الرسامة، لذا اعاده الى السجن، وأوعز الى الجند ان يعذبوه بلا رحمة، حتى سال منه الدم. ثم عاد واستقدمه وأكرهه على قبول الرسامة ثانية، فصرخ قائلا: ايها الشيطان، اني ارفض رفضا باتا ان ينزع عني الكهنوت، اللهم إلا اذا جردتموني من المعمودية، فحدثت فتنة كبرى وتمكن اسطيفان من الدخول الى الملك فصرخ، لقد تلاشت المسيحية وديست القوانين والانظمة. فانا اسقف منذ عشرين سنة، وهو يحاول ان يجردني من الكهنوت الارثوذكسي بعد ان أذعنت لأمركم، ويعيد رسامتي بحسب طريقته. فليبرهن على اية قوانين استند؟ فاما انه يجهل القوانين الكنسية، او انه يتخطاها بصلافة فتلحق بجلالتكم الملامة بسببه. واذا كان اتخاذه هذا الاجراء بإيعاز منكم، فأمروا ان تنزع عنا المعمودية فنعتمد ثانية.فان القانون الـ ١٩ الذي سنّه الاباء الـ ٣١٨ يشير الى اعادة معمودية اصحاب بدعة بولس الشميشاطي، ومن ثم يقتبلون الكهنوت. فليبرهن عن مصدر صلاحيته في حلنا ورسامتنا ثانية. فاندهش الملك وكأنه استفاق من النوم، ونبذ هذا الاجراء، فأمر بايقافه، وللحال اصدر اعلانا منع بموجبه التجريد من الكهنوت، باستثناء ما يخص البدع التي اشارت اليها القوانين.

ثم استقدم البطريرك بولس ويوحنا واسطيفان واليشاع، موهما بانه فعل ذلك من اجل الوحدة. فعنفوه وجادلوه: بخصوص الايمان، والتجريد

عن الكهنوت، وقالوا لـه: من اين تعلمت ان تجرد كهنة اكبر سنا من والدك، وتعيد رسامتهم؟ والأنكى، انك تفعل بمن خدموا معك ٣٦ مرة. واذ أفحم اخذ يهذي بكلام سخيف.

ـ منشور الملك يوسطنيان ـ

قال الاله يسوع: "سلامي أعطيكم، سلامي أترك لكم". هذا ما نادى به للناس، وهو لا يعني سوى ان جميع المؤمنين به، اي نحن جميعا، عليهم ان يجتمعوا تحت ظلال كنيسةواحدة. ويؤمنوا الايمان المسيحي الواحد، وينبذوا ما يخالفه. فخلاص الناس منوط قبل كل شيء بالايمان الصحيح. ففي الوقت الذي ننفذ الوصايا المقدسة وتحديدات الآباء. علينا ان نحث الجميع نحو وحدة الكنيسة.

فنحن نؤمن بالله الآب الواحد وبالابن وبالروح القدس. ثالوث بطبيعة واحدة والوهة واحدة وجوهر واحد، قولا وفعلا. وقوة واحدة وسلطة واحدة وفعل واحد، بثلاثة اقانيم وثلاثة اشخاص. باسمهم اعتمدنا، وبهم نؤمن. وحدة في الثالوث، بهذه الوحدة نسجد لثالوث مميز في العقل وواحد في الجوهر واللاهوت. وثالوث في صفات الاقانيم والاشخاص. يتميز بعدم الانفصال، ويتحد بانفصال. فاللاهوت هو في ثلاثة، وهذه الثلاثة التي يقوم بها الثالوث هي في واحد. نقول بصورة أوضح بالنسبة الى اللاهوت: الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس، نقول ذلك كلما ذكر احد هؤلاء الاقانيم منفردا. فما يتميز به هؤلاء غير المتميزين، هو كون ثلاثتهم اله واحد. لانه هو هو في حركة الطبيعة، اذ يجب ان نؤمن باله واحد ونعترف بالاقانيم الثلاثة وصفاتهم. فنحن نعترف بالكلمة الوحيد بأنه ولد من الآب قبل الدهور، وفوق الازمنة، وهو غير مخلوق. وفي الزمان الاخير نزل من السماء من اجل خلاصنا، وولد من مريم الدائمة البتولية، وهو الرب يسوع المسيح، وهو احد الثالوث، يتمجد مع الاب

والروح القدس. ولم يُضف (بتجسده) شيء رابع الى الثالوث، لان الذي تجسد هو هو الرب يسوع المسيح المساوي للآب في اللاهوت، والمساوي لنا في الناسوت، متألم بالجسد وغير قابل للآلام باللاهوت. ليس الذي يصنع المعجزات شيئا، والذي تألم شيئا آخر. لكنه واحد، به نعترف وهو الرب يسوع المسيح، الله الكلمة المتجسد والمتأنس بصورة تامة. وهو واحد، له المعجزات والآلام التي احتملها بارادته في الجسد لاجل خلاصنا. ولم يكن مجرد انسان ذاك الذي وضع نفسه من اجلنا بارادته. واذ نعترف بانه اله، لا نظلم كونه انسانا. واذ نعترف بانه انسان، لا نظلم كونه آلها.

فنحن نعترف بربنا يسوع المبارك، بأنه واحد، وهو هو من طبيعتين الهية وبشرية، ولا ندخل البلبلة الى الاتحاد، فانه لا يتحاشى كونه انسانا، على اعتبار انه آله، لانه انسان مثلنا، وظل الها كما هو انسان. وهو انسان بالرغم من عظمة لاهوته، فهو كلا الامرين. وعمنوئيل هو اله واحد وانسان واحد. فان ما نعتقده باللاهوت نعتقده بالناسوت انه تام. كما لا ندخل تمييزا او انفصالا بين تلك التي اتحد منها. فنحن نقول عن اقنومه المركب، انه اختلاف في الطبيعة، لا يطال الاتحاد. فلا طبيعته الالهية امتزجت ببشريته، ولا طبيعته البشرية بلاهوته. لكن لكل واحد منها تحديدا وتعريفا خاصا بطبيعته. هكذا نؤمن بالاتحاد الاقنومي. فالاتحاد الاقنومي يشير الى الاله الكلمة اي اقنوم من ثلاثة اقانيم اللاهوت، لم يتحد بالاقنوم السابق، بل هيأ له بذاته العذراء جسدا من طبيعتنا، يتألم مثلنا ما خلا الخطيئة، له نفس ناطقة وعاقلة، وهو رب واحد يتمجد مع الاب والروح القدس. عندما نتأمل اتحاده الفائق والارادي، نعترف بان لله الكلمة المتجسد طبيعة واحدة. اما نظريا، فاننا نرى اختلافا في الطبائع، فنقول طبيعتين دون ان ندخل مفهوم الانفصال، فكلاهما موجودان فيه، ونعترف بان المسيح الرب هو هو واحد، ابن واحد، اقنوم واحد، شخص واحد، وهو اله وانسان. ونحرم كل الذين هم خارج هذا النطاق، وهم غرباء عن كنيسة الله المقدسة.

وبناء عليه، نحث الجميع على ان يتحدوا في كنيسة واحدة، بل ونلتمس ولا نرفض، ولئن كنا في عظمة الجلالة. علينا ان نستعمل مثل هذه الكلمات من اجل وفاق المسيحيين. فلا يجوز ان يعارض احد متذرعا بذريعة الاشخاص او التحديدات".

هذا هو المنشور الذي اصدره الملك يوسطنيان، وأمر بان لا يعود أحد ويثير الحديث عن الايمان اطلاقا. بل على كل واحد ان يؤمن بموجب هذا المنشور، والذين لا يقبلونه يجب ان يضطهدوا اينما كانوا.

الفصل السادس

في الاضطهاد الذي اثاره الملك يوسطنيان، والاساقفة الذين تخاذلوا ثم ندموا وعادوا الى الارثوذكسية

ارسل الملك يوسطنيان، منشوره الى الاساقفة المسجونين، ليعدلوا فيه اذا وجدوا فيه ما يحتاج الى تعديل. فأعادوه بعد اجراء التعديلات، فأطلع الذي حمله، البطريرك يوحنا وحزبه على التعديلات، فامتعضوا وعربدوا ودخلوا الى الملك محتدين. اما الملك فقد اعجبته التعديلات، بينما هم زادوا في العربدة. ثم علم الملك ان رأيهم يقارب رأى نسطور، فتوعد انسطاس قسطور قائلا: سأقطع رأسك ان لم تعد لي هذا المساء عشرين نسخة من المنشور، فخاف النساطرة واختلفوا وأخذوا يطنّون كالزنابير. وتحت إلحاحهم الشديد، ترك لهم الخيار. ولما وصل المنشور الى الاساقفة ولم يشاهدوا عليه التعديلات ما خلا نتف بسيطة، أهملوه، لان الخصوم شوهوه. فمن جانب كان يعارض المجمع، ومن جانب آخر يدافع عنه. فأجاب الاساقفة، لو ازيح مجمع خلقيدونية عن الكنيسة، لكانت الوحدة قد تمت منذ زمان، ولكن كلما ناديتم بالمجمع فنحن لن نستطيع ان نتحد معكم. ان الندم يعذبنا لاننا قلنا اننا نتحد معكم دون ازاحة المجمع.

حديث خاص عن يوحنا الاسيوي

حينما كان يوحنا الاسيوي، الذي هدى الوثنيين، مسجونا، ارسل اليه الملك والبطريرك يقولان: هلم التحق بأخويك بولس واليشاع فتنجو من العذاب الذي انت فيه، فلعن الموفدين اليه. وفي اليوم التالي أرسلا ايضا في طلبه بحجة توحيد الكنيسة، فلعنهم هم الآخرين. ثم جاء خفية الى اسطيفان وأخبره بما فرض عليه من عذابات دون ان يفتر عزمه. وخلال اقامته في السجن اصيب بقروح في رجليه ويديه، وصار كالميت، لا يستطيع ان يتقلب من جانب الى اخر، وكان القمل والبراغيث تملأ غرفته،

وفي النهار، كانت تجتمع رفوف من الذباب والبق آتية من قذارة المستشفى، وكانت في غرفته خلية للقراد التي كانت تخرج وتدب على بطنه ووجهه حتى تورمت عيناه، في حين كان البق يحرقه كالنار ليلا. كما عششت الفئران تحت وسادته وكانت تحفر وتصرصر. ربما اعتبر الذين لم يبتلوا بمثل هذا، ان ذكره يدعو الى السخرية، لكن صلوا لئلا تدخلوا في التجربة كقول ربنا.

وفي خضم هذه التجارب، رأى رؤيا مفادها: ان فتى وسيما دخل اليه ظهرا والباب مغلق، وعليه قميص ابيض نقي من قزّ، فقال له: السلام عليك ايها الاب، لِمَ تصرخ؟ فاندهش لما رآه، ظننا منه انه احد الاثني عشر العظام الواقفين امام الملك، ثم أردف بلهجة تنم عن حزن وخيبة أمل. انظر العذاب الذي انا فيه. فقال له، تشجع ايها الاب واشكر الله، وثق بأني سأنقل الى مسامع الملك العذاب الذي تتحمله. بمثل هذا الكلام شجعه، ثم سأله: هل انت عطشان؟. فأجاب: نعم. فخرج وعاد يحمل كوزا ممزوجا وناوله اياه فشرب وارتاح من ألمه وهدأت أعصابه، وشكر الله. ثم قال: ليرحمك الرب يا بني، اذ زرتني وآنستني، فتحدث اليه كثيراً محذراً إياه من الفتور ومبرهناً على صواب المعتقد الارثوذكسي، وموضحاً ما سيلحق من خسران بالذي ينحرف عنه، داعما قوله بشواهد من الكتاب المقدس.

فاستغرب يوحنا وقال في قلبه، كيف يعرف هذا الفتى كل هذه الكتب! واستمر يظهر له يوميا ولمدة ثمانية ايام ويقول: تشجع وابتهج لان مكافأة عظيمة محفوظة لك لقاء ما تحتمله من عذاب. وبعد ثمانية ايام جاء اليه كاتب البطريرك ليقف على رأيه، فاستقبله باللعنة والحرومات وهو يقول: لا يجب ان نتحد معكم حتى ولئن كان معتقدكم صحيحا، وقد منعتم عني كل شيء حتى لم تدعوا احد تلامذتي يخدمني في مرضي. قال الكاتب: لا تشتمنا فقد كنا نجهل أمر مرضك، ثم أرسل احد تلامذته ليخدمه. ولما حضر التلميذ لم يعد الفتى يظهر، فسأل عنه حارس السجن،

فأجاب: لم أره. ثم جاءوا بمجموعة من الخدم، فشهدوا بانهم لم يروا احدا بمثل هذه المواصفات يدخل السجن. فقال له ܡܐܛܪܘܣ ، ايها الاب. لو جاء الى هنا احد الرجال الذين لهم مقدرة على ان يتراءوا خفية وبالهيئة التي تتحدث عنها، لأرتج نصف المدينة بمجيئه. فكن على ثقة. اما ان الله قد ارسل احد القديسين لزيارتك، او احد الملائكة. فتذكر آنذاك يوحنا كلام الفتى، بانه سيخرج في اليوم الفلاني. وفي ذلك اليوم بالذات أخرجوه بعد ان أمضى في السجن سنة و ٩ ايام، وأرسلوه الى احدى جزر البحر، واخذ يهدي الوثنيين مدة ٢٨ شهرا، ثم اعادوه الى العاصمة، ووضع تحت الحراسة مدة ثلاث سنوات حيث توارى يوحنا السرمي.

لقد اقسم يوحنا على حقيقة ما كتب قائلا: انني اشهد امام الله بان هذه الامور قد حدثت فعلا وحقا وامام رأى الناس، وليس تخيلا اطلاقا.

على اثر تلاوة التحديد الوارد في المنشور، قبل بولس الانطاكي مجمع خلقيدونية، دون ان يتحقق عما كان يصبو اليه، لذا ندم فيما بعد. وبعد ان اشترك مع المجمعيين مرة واحدة، عاد وحرم المجمع وهرب واختفى لئلا يقبض عليه. اما اسطيفان فاذ قبل المجمع واشترك معهم، عينوه اسقفا لقبرص، لكنه ندم وهرب من هناك. وعينوا بطليموس راعيا لأحد بيوت الشهداء، وظل اليشاع يتجول في العاصمة، وهرب لونجينا الى منطقة لوجيمين، حيث كان اولا كاسقف عند الشعب المدعو بالمو. اما يوحنا الاسيوي، فقد اشترك مع المجمع مرة واحدة، اعتقادا منه بان الملك سيزيح المجمع، ولما لم يحدث شيء من ذلك، ندم وانفصل عنهم، لذا هدده الملك وألقاه في السجن، ولما لم يذعن وصرح بان اشتراكه معهم كان مشروطا بوعدهم، ولم يكن قبولا منه بالمجمع، أرسلوه الى المنفى. اما أوجين وتاونا فهربا. اما قانون فلم يذعن رغم الضغوط، فأسلمه الملك الى فوتيس في فلسطين حيث القاه في السجن هناك. فظل يعقوب وحده في المشرق، يبني الكنائس. وختم تيودور حياته هناك. وعلى هذه الصورة انتهى هذا الحدث.

يذكر المؤرخ يوحنا الاسيوي نفسه حدثا آخر عن الاساقفة المضطهدين، تم في السنة الخامسة ليوسطنيان وهو: بعد مناقشة دامت ٣٣ يوما، استدعوا الاساقفة من السجن، وعرضوا عليهم الاتحاد، وقالوا: افحصوا ضمائركم فانكم تعيقون الاتحاد. فأجابوا مكرهين: لو كان هناك عدالة لقلنا: لسنا نحن الذين نحبط الاتحاد، بل انتم، لان قلوبكم مليئة صدى الانقسام الخلقيدوني، وتحاولون ان تظهرونا نحن المحبطين، في حين ليس في نفوسكم حتى ولا ظلال الاتحاد، لكنكم تريدون جذبنا، عن طريق الاتحاد، الى الكذب الخلقيدوني. فقال البطريرك يوحنا والذين معه: نقسم امام الله، نحن والملك على ان نطرح جانبا مجمع خلقيدونية اذا اتحدتم معنا، ولا يمكن ان يتغير ما نطقنا به. ولما تم الاتفاق على هذا الاساس، أخذوا ينتقدون اساقفة الطرفين، الذين لا يريدون السلام. وبعد ان زجوا في الشركة وحرموا المجمع علانية، غيّر الغشاشون كلامهم وقالوا: لقد كتبنا الى بابا رومية فاذا وافق، طرحنا المجمع جانبا. فردّد الاساقفة ما قاله يونان: "لم يكن هذا كلامنا والخ...". وهكذا ظهر ان الاساقفة لم يكونوا معوقي السلام. ترى من يستطيع ان يصف الاسف الذي اعترى الاساقفة لاشتراكهم مع الهراطقة؟ لقد تورمت اعينهم من البكاء، ولم تهدأ حسراتهم، وأضربوا عن الطعام وكأنهم قد انتهوا من هذه الحياة. فلما علم الملك استدعاهم وقال: لماذا كل خيبة أمل هذه، كأنكم قدمتم الذبيحة للأوثان. ثقوا بالله اننا نعمل من اجل ما يرضيكم. فعاتبوه لعدم صدقه معهم. فقال لهم: تمهلوا علي حتى أذهب الى الحمامات، ولدى عودتي سأعمل ما يرضيكم. وبعد ٣٠ يوما عاد الملك، وقبل ان يدخل المدينة التقاه يوحنا السرمي وجماعته وأخذوا يكيلون الاتهامات ضد الاساقفة. ثم فكروا ان يخدعوهم ثانية، فأرسلوا اليهم قائلين: ان رضاكم يهمنا جدا، ولدينا معلومات عن اشهر المدن، ولكم ان تختاروا المكان الذي تشاؤون. فأجابوا: نحن لم نضح بأنفسنا لنكون اساقفة في المدن، بل على أمل الاتحاد وبناء على ما وعدتمونا به، بإزاحة المجمع ومن ثم الاتحاد. وان لم يُزح المجمع فلا شركة معكم الى الابد. فانزعج الملك، واستدعى في

اليوم التالي الاساقفة للمحاكمة، لكي يشتركوا مع المجمعيين، اما هم فنددوا بقوة بالظلم الذي لحق بهم من جراء الوعد الكاذب، وحرموا مجمع خلقيدونية امام مجلس المستشارين، فغضب البطريرك وأمر ان يسحبوا خارجا ويُنفوا، كل الى جهة، ولم يرهم أحد من اتباعهم.

ان كاتب هذه الاحداث، هو يوحنا الاسيوي وكان واحدا منهم، فقد كتب ما رآه وما سمعه من الملك والبطريرك، وليس اعتمادا على السماع. وما كتبه ان هو سوى جزء يسير، وقد أقسم الاساقفة بان لا تكون لهم شركة مع اولئك، لذا نفوا للمرة الثالثة.

عندما كان الراهب بولس سجينا في دير مار ابراهيم، دوّن الاحداث التي طرأت على الكنيسة، من قبل يوحنا السرمي، فانتزع منه الكتاب، وأخذوه اولا الى الملك، فغضب اذ قرأ ما كتبه عنه، فسأل بولس عما اذا كان هو كاتبه، فاعترف ولم ينكر، فتوعدوه بالموت، فشفع فيه اسطيفان لدى الملك الذي قال: اذا أذعن لنا وقبل المجمع سنغفر له ذنبه، فبلغه اسطيفان رغبة الملك فقبل خوفا، فجمع يوحنا السرمي الاسكندريين، واضطر بولس على التناول، لكي يسخروا منه. ثم تقرب بولس كثيرا من الملك، لانه كان فقيها في الكتاب (المقدس) فخاف منه يوحنا، وتركه دون حراسة، فهرب لئلا يشترك مع المجمعيين.

فصل

في الجنود والعلمانيين الذين اضطهدوا في هذه الفترة من اجل الايمان، والاضطهادات التي اثيرت ضد المسيحيين في فارس للسبب نفسه، وفي جاثليق الارمن الذي زار القسطنطينية بخصوص الاضطهاد

اضطهاد فارسي:

قال المجوس لكسرى ملك الفرس، ان الروم يُكرهون الجميع في سائر ارجاء بلادهم، على اعتناق مذهبهم. ولهم أمر باعدام من لا يذعن. فلم لا نفعل نحن ايضا هكذا؟ فشرع كسرى باضطهاد المسيحيين، وقبض على ثلاثة اساقفة وجمع من المؤمنين، فعذبوهم جدا، وسلخوا جلود الاساقفة، فتكللوا بالشهادة، وهدم جملة كنائس وأديرة، وأمر بإقامة هيكل للنار في ارمينيا وفرض على الارمن السجود له. فقاوم الشعب بناء هيكل للنار وخاضوا حربا مع الفرس مدة ست سنوات، فتوجه جاثليق مدينة آوين الارمنية في منطقة الفرس مع جملة اساقفة الى العاصمة، والتقوا ببطريرك المدينة بسهولة، ولم يكونوا قد سمعوا بجريمة المجمع في بلاد الروم. فلما انتشر الخبر في بلادهم، هدد الاساقفة الجاثليق ومن معه بقولهم: ان كنتم تشتركون مع المجمعيين اي مجمع خلقيدونية فلا نقبلكم، لا بل نحرمكم، فعزلوا انفسهم، وكانوا يجتمعون لوحدهم في احدى الساحات. وبعد سنتين توفي جاثليق الارمن في القسطنطينية.

كان اضطهاد المسيحيين يشتد في بلاد فارس طيلة فترة حياة كسرى. وكلما كانت، اخبار الاضطهاد تصل الى الروم، كلما زاد الفرس في اضطهادهم.. وفي هذه الاثناء توجه جماعة من الفلاسفة والمعلمين من الاسكندريين الى العاصمة، وأمضوا سنة كاملة في النقاش، ولم يستطيعوا ان يمسكوهم، لانهم كانوا يصدرون اليهم الحنطة، لذا عادوا بسلام.. وفي الفترة نفسها قبض على قانون زعيم شيعة الطرياتيين الذين يؤمنون بتعدد

الجواهر والطبائع الآلهية واللاهوت. وطلبوا اليه ان يصدر وثيقة يعترف فيها بانه هرطوقي، وأقسم الملك بانه لن يقبله ما لم يصدر الوثيقة.. كان فوتيس ابن بنت بيليسريوس عسكريا، فقصّ شعره وترهب، ثم التحق بخدمة الملك، وصار لصا وخاطفا، يسلب الاموال ويرسلها الى الملك. وفرض على كل اسقف كمية من ارطال (الذهب)، ومن لم يدفع، عذبه دون شفقة، ومن أصر على عصيانه، علقه، اما منكس الراس أو من منكبيه، واستمر على هذه الممارسات البشعة لاسيما مع الارثوذكسيين مدة ١٢ سنة. وأخيرا جاءته ضربة قاضية فتعذب عذابا اليما ثم مات. فلما رأى يوحنا السرمي ان مضطهد الارثوذكسيين قد هلك، دخل الى الملك ليزيد من تحريضه ضد الارثوذكسيين، فأجابه الملك بغضب، هل ان هؤلاء الذين تحرضني على اضطهادهم وثنيون؟ فأجاب: كلا. فسأله ثانية: هل هم هراطقة؟ أجاب: ولا هذا يا سيدي. فقال الملك: اذن تشهد بانهم مسيحيون، فكيف تطلب مني ان اضطهد المسيحيين مثل ديوقلطيانس وغيره؟ اذهب والزم كنيستك ولا تتعبنا.

جهاد معترفين:

لقد فرض الملك على اندراوس مدير ادارة المملكة وأمين خزانة الدولة، ان يقبل المجمع، لكنه رفض وتحمل الضرب، فيما فتر الكثيرون تحت وطأة التهديد، واشترط عليه ان يتناول القربان منهم، وإلا طرد من القصر، وللحال نزع جلبابه ورماه امامهم وقال: لقد انقذتموني من عبودية البشر، لكي اعبد خالقي، فزج في قصر هرمزدا، وأرسلوا من يلتمس منه شركتهم فأبى وطلب ان يسجن في دير دلطو وهو أبعد الاديرة. وبعد ثلاث سنوات اطلق سراحه وترك القصر.. وان ثلاثة من الولاة هم يوحنا وبطرس وادمون صبروا هم الآخرون على العذاب، وبعد ضرب وجلد شديدين، أعيدوا الى كراسيهم، كما صمد تجاه الضيقات القس المؤرخ سرجيس، وسرجيس آخر، واحتملا ضربا مبرحا ولم يتخاذلا، وأخيرا زجا في السجن، واخرج اندراوس السجين وهدموا سجنه وسحبوه في

الشوارع، وكان يصرخ ايها الشيطان، انا مسيحي ومع ذلك اضطهد، فأخذت الغيرة بعضهم، وحاولوا قتل المضطهدين فهربوا واختفوا، فأفلت هو الآخر وهرب.

كان للارثوذكس في العاصمة، قاعتان، شيد احداهما بولس الانطاكي، ولم يكن يجتمع فيها ذوو الطبيعتين ابدا. ولما وشي بالارثوذكسيين بانهم يجتمعون فيها، اخرج القنمقام ثالوس الاكليروس والرهبان منها، تحاشيا للحرومات، ثم اتخذها الوالي مقرا له، يستمع فيها الى شكاوى الفقراء. وخلال هذا الاضطهاد، اغتصبت الساحة وعلق عليها لافتة السفسطائيين، وأزيلت منها القاعة، واتخذ المؤمنون مكانا آخر يتناوبون فيه على الخدمة، وتعميد الفقراء.. بعد ان احتملت انتيفاطرا وألزمهما بكنس الدير.. كانت الملكة الارثوذكسية صوفيا تتناول القربان من القس اندراوس الذي كان يقيم الذبيحة في داره. وعندما كان يحمل اليها القربان كانت توصيه بترك جمرة تحت الغطاء، خشية ان يتناولها يوسطنيان الذي كان يتهرب من التناول من المجمعيين، غير انها قبلت الشركة اخيرا. وقبل ان تستسلم الملكة صوفيا لشركة المجمعيين، كانت تتراءى لها رؤى جميلة كما قالت. وقد تشوشت افكار الملكة بسبب ازدياد الجدالات والضجة في العاصمة بخصوص الطرياتيين، ولان الكنائس والكهنة والشعب كانوا في ضيق، فرأت والدة الله في الرؤيا تقول لها: انظري يا بنيتي، احذري من بدعة الطرياتيين الذين يقولون بثلاثة آلهة وثلاث طبائع، فقالت: أعوذ بالله يا سيدتي، واستطردت قائلة: اني اعترف بالآب والابن والروح القدس اله واحد. فأمسكتها من يدها وقالت: أحسنت الاعتراف. فاندهشت وأيقظت الملك وقصّت عليه الرؤيا.

فصل
في الاحداث التي جرت بين الروم والفرس في السنة الثانية ليوسطنيان، وفي رؤساء الكهنة

في السنة الـ ١٨ ليوسطنيانن حدث في حزيرانن زلزال عنيف جدا في المسكونة، فتمايلت الارض كما تتمايل اوراق الاشجار امام الريح، ولكن لم يُخبر عن تدمير ما في اي من المناطق. وكان ذلك بفضل عناية الله الذي يدير الكل باشارة منه. وكان اشعارا لقليلي الايمان ليدركوا ان الله يؤدب بشكل او آخر متى واين وكيفما شاء، وهو الذي يأمر بالضربات المدمرة. وحيث ان تأديب الزلزال هذان لم يلق الرعب في اناس هذا الزمان الذين نظروا اليه كحلم عابر، او كأنه لم يكن، فان الله كرر ضربته بغضب وأدّب الناس بالطاعون الذي كاد يصيب المعمورة بأسرها تقريبا، وكانت تُخرج من القسطنطينية ثلاثة آلاف جثة يوميا.

عزل القائد مرقيان:

في السنة الـ ٨ لملكه، عين يوسطنيان ابن خالته قيصرا، وأرسله الى نصيبين مع قوات الروم. ولما بلغ مدينة دارا، أرسل قسما من قواته الى بلاد الفرس، فدمروا وسبوا الشيء الكثير وعادوا الى دارا. فخاف الفرس من الروم كثيرا، وتوجه مرزيان نصيبين الى منطقة الحدود للالتقاء بمرقيان، واستطاع ان يقنعه بتأجيل الحرب مدة اربعة اشهر. وخلال هذه الفترة اخبروا ملكهم، وادخلوا الى نصيبين ارزاقا كثيرة، وأتلفوا جميع البساتين المحيطة بها، وطردوا منها المسيحيين. غير ان الملك أمر مرقيان بالتوجه الى نصيبين دون تأخير، وبعد ان عيّد مرقيان في آذار، تقدم في منتصف نيسان نحو نصيبين وأحاط بها من كل جانب، حتى خُيل انها أوشكت على الاحتلال. وفيما هم يتأهبون للحرب، وصل من لدن يوسطنيان، رجل بربري متحمس يدعى ايقوس لكي يعفي مرقيان من منصبه. واذ علم مرقيان ان رجلا شريرا جاءه من غير تعقل، قال له:

تمهل علينا قليلا، فأنت ترى كم من سواتر وأبراج ومنجنيقات قد أقمنا، وان المدينة في حالة ضيق شديد، وهي على وشك ان تُسلم الينا بنعمة الله، تمهل يومين وسوف نحتلها، ومن ثم نفذ أمر الملك بي. فغضب وهاج، وألقى القبض عليه وأخذ يجره ذات اليمين وذات اليسار، وقطع نطاقه. ولما رأى الجيش ذلك، ظنوا ان الملك قد مات، وإن القائد عزل، لذا تذمروا وهرب كل الى جهة.

لم يعرف في بادئ الامر، سبب غضب الملك على مرقيان، ولكن اخيرا عرف وهو: ان عربا من منطقة فارس جاءوا وحلوا في الحيرة بعد وفاة حارث والد منذر ملك العرب، وكان العرب في فارس آنذاك فريقين، العرب الفرس اي العرب، وبينهم مسيحيون، والعرب المسيحيون. فلما دخل العرب الفرس ارض العرب المسيحيينن نهبوا كل مواشيهم وجمالهم، فجمع منذر جيشه وتتبعهم ودمرهم، ولم ينج سوى القلة، واستمر في تتبعهم حتى دخل منطقة قابوس. فجاء رجال الكمائن ونظروا الخيام المضروبة هناك، فظنوا انه مضرب ملكهم قابوس، فلما دخلوا قبض عليهم منذر وقتلهم واستولى على اموالهم. وبعد ان أعاد منذر ما نهب من الاموال والجمال، جاء قابوس ليحارب المنذر فقهر، فاستنجد بالفرس، فأخبر منذر الملك بكل هذه الامور وطلب منه مالا ليوزعه على الجيش احتمالا لمجيء الفرس. غير ان الملك فكر بسخافة ان يقتل منذر لانه طلب مالا، فأنفذ رسالتين، احداهما الى منذر وفيها: "لقد أوعزنا الى مرقيان ان يفاوضك في امور هامة لا يجوز ذكرها في الرسالة، فحال قراءتك هذه الرسالة توجه اليه في المعسكر المحيط بنصيبين". والثانية الى مرقيان وفيها: "لقد كتبنا الى منذر ان يتوجه اليك. وحال وصوله اقطع رأسه وأخبرنا".

واذ كانت هذه خدعة خبيثة، اختلف الامر، سواء أكان عن طريق الخطأ، ام بتأثير شيء ما، ام بسماح من الله، حيث كتب على رسالة المنذر اسم مرقيان، وعلى رسالة مرقيان اسم المنذر، فأخذ الرسول

الرسالتين وغادر، فجاء اولا الى المنذر وفتح الرسالة وقرأها أمامه، فارتعب منذر وقال: ألأجل اعمالي في بلاد الروم أكافأ بقطع رأسي! فغضب وأمر بطرد الجنود الروم من جيشه. فلما علم العرب الفرس بهذا، وأدركوا ان المنذر لم يعد يشكل خطرا عليهم، دخلوا بلاد الروم ودمروا وأحرقوا حتى انطاكية، فغضب الملك على مرقيان اعتقادا منه بانه هو الذي أخبر المنذر، وأمر بإلقاء القبض عليه وارساله الى دارا. واذ رأى الجيش ان خيمته رفعت، ظنوا انه هرب امام الفرس، لذا تركوا خيامهم وهربوا، فخرج الفرس من نصيبين ونهبوا معسكر الروم، فكانت لهم هذه النهاية المخزية.

في رومية، كان الاسقف الـ ٥٧ بلاجيوس. وفي اورشليم، كان الاسقف اسطاثاوس هو الـ ٥٩. وفي انطاكية، كان الاسقف الـ ٥٥ انسطاس. وفي القسطنطينية، كان يوحنا السرمي وهو الـ ٥٥. وهو الذي أوقع المصائب بالارثوذكسيين. ولما توفي عاد اوطيخ، وكان يبدو عفيفا وهو راهب، ولكن بعد ان جلس على الكرسي ١٢ سنة، طرد لافتضاح أمره، فأقيم يوحنا السرمي ١٣ سنة. وبعد وفاته، عاد اوطيخ مرة اخرى واستقبل بحفاوة من قبل الناس الذين عبروا عن ارتياحهم من شرور يوحنا المتعجرف الهمجي.

لقد كتب ارخدياقون رومية ما يلي: "اذا كان حقا قد قبل اوطيخ، فلا بد ان يكون يوحنا قد سقط من الكهنوت. واذا كان يوحنا ما زال في صف الكهنة، فلا يكون اوطيخ كاهنا، لان كلا منهما حرم الآخر، وجرد احدهما الآخر من الكهنوت، فلا يجوز تسميتهما بطريركين، اذ لا بد من ان يكون احدهما مجردا. واذا كان يُنادى بكليهما، فهما ليسا رئيسي كهنة بحكم القانون". فزجره الملك قائلا: "دع عنك قوة القوانين". وهكذا ديست عندهم القوانين.

لما كان اوطيخ في ديره في أمصيا الشمالية، وضع كتابا سخيفا ضمنه التعليم بالرابوع بدلا من الثالوث. ولما جاء الى العاصمة، نشر كتابه فحدثت ضجة كبرى، فخاف فسحب الكتاب. لكنه ظل على معتقده، ثم مال الى بدعة جماعة يوحنا النحوي الاسكندري، الذين يأخذون بمبدأ تعدد الجواهر والطبائع في الثالوث. وكان يقول: "ان هذه الاجساد لا تقوم، بل غيرها هي التي ستقوم بدلا منها، وكان ينتمي سابقا الى بدعة السمياطيين، وابتكر ممممن ، فثارت المدينة ضده فخاف وخفف من حدة سخافته، وصار موضع هزء من قبل الجميع، في حين كان يظن أن الارثوذكسيين فقط أهانوه، فصمم على خداعهم، وحرض بعض البرابرة على ان يهجموا عليهم اثناء إقامتهم الذبيحة ويجروهم ويهدموا مذابحهم ويرموا قرابينهم وينهبوا أمتعتهم ويلقوهم في السجون. فانتقدهم البعض لانهم داسوا القربان مثل الوثنيين. واخيرا كانوا يلقونهم في النار ويحرقونهم. وكاد اوطيخ ان يقضي على الارثوذكسيين لو لم يمنعه الملك. فقد دخل اليه ذات يوم وأخذ يحرضه على محاربة المؤمنين. فأجاب الملك: كفانا حروب البرابرة فلا نستطيع ان نثير حربا أخرى ضدنا ونجعل المسيحيين ان يحارب بعضهم البعض، اذهبوا والزموا الصمت. فان عجزتم عن اقناعهم بالكلام والنصيحة، عليكم ان تلتمسوا منهم، وإلا فاترك ولا تضطهد، فخرس وسكت.

فصل

في الضربات التي حلت بيوحنا السرمي ومن ثم بيوسطنيان وبكل الذين اضطهدوا المؤمنين. وفي الغضب الذي لحق بالجماهير كافة

ظهرت في هذه الفترة، معجزة في العاصمة وهي: ان المجوس أعطوا فيلة للمسيحيين باشارة من الله. وكلما اجتازت امام الكنائس التفت الذي في المقدمة نحو الشرق وأحنى وسجد، ثم يرفع خرطومه ويبارك ويرسم علامة الصليب فيتبعه الباقون وعددهم اربعين فيلا، ويقول المؤرخ، انه شاهد ذلك بأم عينه. وفي سباق الخيل، كانت الخيول تنحني بكل ما اعطيت من قوة، لدى وصولها امام الملك وتسجد له وتحرك شفاهها راسمة علامة الصليب. وكان هذا لمجد الله، في حين كان الناس ينجسون مجده، وبخاصة رؤساء الكنائس والملوك.

جنون يوسطنيان:

عندما جن جنون يوسطنيان وارتكب شرورا جسيمة، أدبه الله تأديبا قاسيا. فلأنه قتل الكهنة وهدم المذابح عن طريق يوحنا السرمي، أرسل الله عليه غضبا وضيقا، عن طريق ملاك شرير. ففقد عقله وتعذب جسده، وأخذ يصرخ كالحيوانات. فينبح كالكلاب ويثغي كالمعز والهر ويصيح كالديكه وينتقل من مكان الى آخر. وكان شبح الدينونة يرهبه، حتى انه كان يتسلل تحت السرير او يجلس في النافذة، فيمسكوه ويهددوه بمجيء الحارث فيخاف ويهدأ. وظل على هذه الحال مدة خمس سنوات. وكان المشعوذون يلهونه بعجل خشبي يجرونه، او بعزف على القيثار. وذات يوم دخل عليه البطريرك ليمشحه، فأبى وقال له: اذهب وامشح نفسك، فأنت مجنون، فوضع هراره على رقبته وصرخ: من يشتري قللا؟ وما الى ذلك من هذيان.

عقابا لهدمهم مذابح المؤمنين وقاعاتهم في العاصمة، سلط الرب على المجمعيين برابرة من الذين يضفرون شعورهم. اذ وصلوا الى سور المدينة ودكّوا الكنائس في تراقية ونهبوها. وأضرموا النيران هنا وهناك ودمروا كل المناطق، وبذلك يكون الله قد عاقبهم أضعاف أعمالهم الشريرة.

احتلال دارا:

في سنة ٨٨٦ وهي السنة الـ ٩ ليوسطنيان، وبعد ان أخبر كسرى ملك الفرس برحيل جيش الروم من نصيبين، جاءها فوجد المنجنيقات والمركبات وغيرها من الاعتدة التي تركها الروم فغنمها واتجه نحو مدينة دارا، واستقدم النقارين ليقطعوا الجبل الشرقي، ويسدوا مجاري المياه، واذ كان صلبا، أضرموا نارا ورموا فيها خلا ليفتتوه. وحاربها مدة ستة اشهر، وأقام تلين ترابيين وأحاطهما بسور من لبن. واذ شعر بعجزه عن احتلالها طلب خمسة قناطر ذهب ليرحل عنها، غير ان الرسول المكلف لم يخبر اهلها بذلك، ولما لم يصله الذهب، ازداد غضبه وواصل الحرب. اما الروم فظنوا انه من المستحيل احتلال المدينة، فنزلوا من الاسوار وانهمكوا بالاكل والشرب. فلاحظ الفرس ان السور قد فرغ، فصنعوا سلالم خشبية مدّوها بين التليّن والسور وصعدوا، وفاجأوا الروم وهم فوق السور، فحاولوا الهرب، غير ان القادة كانوا قد أغلقوا الابواب وأخفوا المفاتيح، فاضطروا على الحرب التي استمرت سبعة ايام، فعجّت المدينة بالجثث. واخيرا شعر الفرس بعجزهم عن قهر الروم، فصعدوا الى السور واقترحوا السلام، فصدقهم الروم الاغبياء، وتعهد الفرس بإلقاء سلاحهم، واختلطوا ببعضهم البعض. لكن الفرس الوثنيين نكثوا بعهدهم وقبضوا على الروم وسبوا الشعب وجمعوا نحو اربعة قناطير ذهب. ثم قال كسرى لمسؤولي المدينة، لينتقم الله منكم للشعب الذي هلك. لانكم لم تفتدوا النفوس بالمال، فأقسموا بان الرسول لم يفاتحهم بموضوع الذهب، فغضب عليه كسرى وسمل عينيه. وبلغ عدد الاسرى نحو تسعة آلاف نفس،

والقتلى ١٥٠ ألفا، غير ان قتلى الفرس كانوا اكثر. ثم ارسل كسرى المرزبان اردمومن فسبى بيث بالش وقنسرين وبيث دما والجبوليين وضواحي قنسرين والجزيرة والجبل وكورة انطاكية. وكان الملك قد جاء يوما الى اوفيميا فاستقبله الشعب ودخلها وشاهد فيها سباق الخيل، ولم يمسهم بسوء. لذا خرجوا الآن ايضا لاستقبال المرزبان وهم يرتدون ثيابا بيضاء. لكنه خدعهم، وبلغ عدد المسبيين ٢٩٢ الفا وأرسل جميعهم الى فارس وعاد الى كسرى. وكان جيش كسرى يتألف من ١٢٣ ألف فارس و ١٠٤ آلاف راجل.

ان مجموع السنين من بناء مدينة دارا في عهد انسطاس حتى خرابها ٧٢ سنة.. عندما جلا كسرى الشعب ونهب كل ما فيها، ترك فيها خمسة جيوش وعاد. ولما علم الملك باحتلال دارا في ١٥ تشرين الثاني، تألم جدا وأمر بإقفال الحوانيت وإلغاء البيع والشراء، وحاول ان ينزل الى المشرق لكنه أصيب بالجنون، فأرسل زكريا الى كسرى من اجل السلام، ومعه ٦٥٠ رطل ذهب، لقاء عدم تحريك الحرب على دارا، لفترة ١٥ شهرا. وكان كذلك.

لقد أرسل الله من السماء عقابا، الى المضطهدين القساة وأصحاب المنافي الرهيبة التي أعدها المجمعيون الذين ارتكبوا شرورا لا تحصى، والذين تعاملوا بمنتهى القسوة دون ان يلجموا ذواتهم بلجام مخافة الله. وأعني بهم يوحنا السرمي والملك يوسطنيان نفسه وقد جنّ كلاهما. والى جانب هذا الشقاء، فقد ضرب يوحنا ضربات اخرى، فابتلي بمرض الاسهال والقروح ولم يفلح الاطباء في اسعافه، فأدرك ان ضربته هي من الله، فقال للاطباء وهو يبكي، لماذا تتعبون أنفسكم معي فانكم لن تشفوا أمراضي لانها عقاب عادل لي. ومثلما عاملت الكثيرين بلا رحمة، هكذا وبلا رحمة جاءتني ضربة من يد الله. واخيرا اندلعت احشاؤه، فطعن نفسه بالسكين ومات بعد عذاب استغرق سنتين.

في فترة عنفوانه، انزل يوحنا صور الآباء ووضع صوره مكانها. فجاء اوطيخ وأنزل صور يوحنا ووضع صوره، وهكذا عوقب ابيمالك بمثل ما فعل.. ان الشماس ثاودور الذي كان يظهر عفيفا وفاضلا وقد ائتمنه الملك يوسطنيان ليوزع مالا على الفقراء، أذنب هو الآخر مثل يوحنا. فكان يشعر بلذة في تعذيبه للمؤمنين، فضربه الله هو الآخر ضربة قاسية، فغرقت زوجته وابناؤه في البحر، وتعذب مدة ثلاث سنوات وهو يردد: الويل لي ان لعنات المضطهدين صنعت بي هذا. والى جانب ذلك هاج عليه [illegible] ، وأخبر الملك عن الذهب الذي جمعه، فطالبه الملك بثلاثة قناطير، فأقسم بأنه لا يملك قنطارا واحدا، وبعد فترة توفي، فاكتشف عنده اكثر من مئة قنطار ذهب، فدفن تلاحقه اللعنات. كما ان قسطاس وهو من حماية الملك، أذاق هو الآخر المؤمنين الامرين. وفيما كان يسجد للصليب في عيد اكتشافه دخله الروح الشرير، واتضح انه لم يكن يسجد للصليب. وكان أصلا سامريا فتتلمذ ليوحنا السرمي واضطهد المؤمنين ليحسن في عينيه، ولما دخله الروح الشرير شكر الشعب الله، فاهمل حتى هلك. فعم الخوف المدينة بأسرها.

فصل
في الرسول الذي بعثه يوسطنيان الى الاتراك، والعذارى المسيحيات اللواتي قدمن هدية من ملك فارس الى ملك تركيا، فرمَين بأنفسهن في البحر

شهيدات العفة:

ان كسرى ملك الفرس، وقد سكر بنشوة الكبرياء للغنائم التي غنمها من دارا وغيرها من مناطق الروم، أمر باختيار ألفي عذراء وتزيينهن بثياب ملكية مذهبة وارسالهن هدية للبرابرة، وهم اتراك داخل فارس، بقصد ان يستأجرهم للحرب ضد الروم، وأوصى بتأمين وسائل الراحة لهن لئلا يخورن في الطريق. وكن عفيفات، فذهبن متألمات لكونهن مسيحيات ولان اجسادهن سوف تتدنس من قبل البرابرة، وكن يطلبن الموت من الله بتنهد ولما وصلن الى مسافة خمسة فراسخ من البرابرة، اعترضهم نهر كبير فعسكرت القافلة هناك فتشاورن فيما بينهن ليقدمن على الموت، فلا يفقدن ايمانهن وطهارة أجسادهن بالاختلاط مع الشعوب الوثنية، فتعهدت جميعهن على ذلك، وطلبن الى حراسهن الابتعاد مبدين رغبتهن في السباحة، فامتثلوا، فطلبن القوة من الله ورسمن علامة الصليب المخلص على وجوههن وصرخن بصوت واحد، ايها المسيح الهنا ارحمنا وتقبلنا، ثم رمين انفسهن في النهر الكبير وغرقن. فلما سمع الحراس صراخهن، أسرعوا اليهن فوجدوهن غارقات.

ان قيام الحرب وانعدام السلام بين الروم والفرس، كان: اولا: بسبب الارمن. وثانيا: لان يوسطنيان في سنته الـ ٧، أرسل الى ملك الاتراك رسولا اسمه ديمركوس لكي يستأجرهم لمحاربة الفرس. وكان في تركيا آنذاك تسعة ملوك، فلما التقى بالاول وأطلعه على هدفه أخذ يذرف الدموع، ولما هدأ روعه، سأله الرسول وجنوده عن سبب بكائه، فأجاب: لقد قال لنا آباؤنا: عندما يأتي رسل من الروم في الغرب الى الاتراك،

سيحل الدمار في الارض كلها، ويهلك الناس بعضهم البعض. فلما رأيتكم تذكرت كلام الاولين فانتابني حزن وكآبة فبكيت للدمار الذي سيحل. فسأله الرسول: هل يصدق الفرس بقولهم ان الروم عبيدنا ونحن نتقاضى منهم الجزية؟ أجاب: كلا، انهم يكذبون، لان الروم يهجمون عليهم دائما ويسبونهم ويدمرون بلادهم، ولما نزل عليهم طريانس استعبدهم وأقام له تمثالا في بلادهم، ولا يجرؤ أي منهم حتى اليوم ان يجتاز من أمامه وهو راكب. ثم استدعى ملك الاتراك جماعة من الفرس وناقشوا الروم أمامه، فهزموا امام رسل الروم، فغضب ملك الاتراك على الفرس وطردهم، واحتفى بالروم.

(ناقص صفحتين وربع)..................

مملكتهم كانت قد اضمحلت. قام ١٨ ملكا يونانيا في الاولى التي اضمحلت، منذ فرونوس المقدوني وانتهت بفرسوس سنة ٢٨٨، واضمحلت الآن سنة ٨٨٦ عندما ملك طيبريوس.

ومن اساقفة مصر الذين لم يحرموا المجدف يوحنا النحوي، لكنهم يسخرون من آرائه، وينادون بتعاليم قذرة، وبينهم كهنة وشمامسة... واذ تعلمون هذا ايها الاحباء، اسعوا دون تردد نحو أمكم الكنيسة المقدسة، وانتم متزرون بازار الايمان القويم، وبذلك تحافظون على الايمان وتفوزون بملكوت السموات، بالنعمة والرحمة ولطف المسيح الهنا.

فصل
في الاحداث التي جرت خلال مرض يوسطنيان
حين كان طيبريوس قيصر يدير دفة بلاط الروم

في هذه الحقبة، عم خوف من الفرس، سائر مناطق الروم في المشرق، فانهمك الصناعيون ليل نهار وفي الاعياد والآحاد، في بناء أسوار المدينة وحصونها، وقد أخذ الفزع منهم مأخذا.. وفي هذه الفترة ايضا، تنمّر الوثنيون على المسيحيين في مدينة ايلوبوليس وحاولوا قتلهم بحد السيف، فلما علم طيبريوس قيصر، أرسل ثاوفيلس على راس جيش من الروم، فاحتلها وأعدم وقتل عددا غفيرا، ثم أرشدوه الى الوثنيين المنتشرين في كل مكان وغير المعروفين، وعلى روفين الانطاكي، وايتوفروكوس القائم بأعمال الوالي، ولما طلب روفينوس الوثني، ظهر انه كان في الرها يحيي ذكرى زوس. فهرب الوثنيون، اما روفينوس، فاذ علم بمصيره ولم يجد له مهربا، استل سكينا كبيرة وطعن قلبه وشق بطنه فمات.

لما وصل ثاودوروس، حجزه انطوليوس والي الرها، وأشعل فتنة فضحت الجميع، وكما قيل، فانه أثار فتنة مع غريغوريوس بطريرك انطاكية واوجيوس الذي صار للاسكندرية، بادعائه بأنه كان معهما عندما ذبحا طفلا في دفنه، فاهتزت المدينة على اثر ذبحه، ولما عرف هذا سيطروا على المدينة ورفعوا تقريرا بهذا الى قيصر. وذهب بعضهم اخيرا الى انهم أخفوا الامر تكريما للدرجات الكهنوتية ولكي لا يهان الكهنوت. اما انطوليوس فقد وضع ايقونة الرب في بيته للتضليل، ولما دخل المسيحيون لمشاهدتها انقلبت تلقائيا، فأعاد انطوليوس وجه الايقونة كما كان، لكنها عادت وانقلبت ولثلاث مرات. ولما رفعوا الايقونة، وجدوا داخلها تمثالا لأبولو نحت بشكل فني، فقتل انطوليوس كما قتل ايضا ثاودورس لئلا يفضح الاسقف.

روقبت تصرفات الوثنيين في العاصمة، والتهب الشعب غيرة، وأقاموا أتونا كبيرا لحرق المدينة بغية احتراق الوثنيين، فأحرقوا أحدهم مع زوجته، وكسروا الأقفال والابواب وأخرجوا السجناء قائلين: لقد أطلقنا الوثنيين، فلم يسجن المسيحيون؟. ولما دخل قيصر المدينة، أمر باحراق الوثنيين.. لقد تآمر الوثنيون زورا على اوطوخس اسقف اورشليم لانه كان ضدهم، فعزل من منصبه.. كان في جبل طرقليس دير أسّسه يوحنا الكاتي في عهد يوسطنيان، في المكان الذي كان فيه ١٥٠٠ صنم، فحطمت بنعمة الله وبني على انقاضها هذا الدير المعروف بدير اريرا، وكان الشياطين يتجمعون حوله خلال بنائه حانقين متألمين، مثلما تتجمع الذباب على القروح وتحوم حولها. وقد رمى الشياطين اكليريكيا من كهف الى كهف حتى اعتقد الذين شاهدوه يرتفع ويهبط بان عظامه قد تهشمت، لانه هبط اكثر من مئة ذراع، لكنهم وجدوه حيا، فشكروا الله القادر على كل شيء الذي أنقذه من الشياطين. حدثت في هذا الدير معجزات باهرات، منها الاشفية، وذلك في فترة وجوده في حوزة الارثوذكس.

هزيمة الفرس:

لقد ثمل كسرى ملك الفرس بنشوة الكبرياء، في اعقاب احتلاله مدينة دارا وسبيه للعديد من مناطق الروم، لذا وجه أنظاره نحو أرمينيا، فقاومته القوات الرومانية وهزمته، فانتقل الى مدينة اخرى فلاحقه الروم وكسروه، فلما علم ان أمنيته لن تتحقق، ترك الجبال الشمالية ووجه أنظاره نحو قبادوقية بغية احتلال قيصرية، فلاحقه الروم وقهروه في الجبال نفسها، وعجز عن مقاومتهم لكنه استطاع ان يفلت منهم بالحيلة ويعود الى بلاده، فخرج على سبسطية وأحرقها لان السكان كانوا يهربون أمامه، فتتبعه الروم ايضا، وعندذاك ترك خيمته وأفراد أسرته وهرب. فسيطر الروم على معسكر الفرس ونهبوا حتى معبد النار المتنقل، ولولا انقسام الروم لأجهزوا على كافة المجوس وملكهم. لكن الروم انقسموا على بعضهم كعادتهم، وهرب كسرى نحو ملطية وأضرم فيها النار. فأرسل

اليه الروم وهو يجتاز الفرات يقولون: لا يليق بالملك ان يحرق المدن، او يتجول جاعلا نفسه لصّا. فنحن مجرد جنود للملك، ونستقبح مثل هذه الاعمال، فكم بالاحرى وانت ملك؟. فمن شأن الملك ان يحارب، واذا انتصر اشتهر، وليس ان يدخل المدن كاللص ويحرق. وعليه، فقد قرر البدء بالحرب في اليوم التالي في الميدان الذي يبعد قليلا عن المدينة شرقا. فتقابل الطرفان استعدادا للحرب، بيد انهم لم يبدأوها حتى الساعة التاسعة، ولم يتحرك أي منهم. وفي الليل هرب كسرى، ووصل الفرس قبل الفجر نهر الفرات الذي يبعد ستة اميال عن ملطية، فطارده الروم وغرقت معظم قواته، ولم ينج منها سوى اليسير الذين أسرعوا فابتعدوا عن الروم واتجهوا نحو الجبال الشاهقة، وبمشقة بالغة استطاعوا التخلص من تلك المنطقة، وعاد الملك الى بلاده، وسنّ قانونا يمنع الملك من الخروج الى الحرب.

بعد ان انتصر الروم، احتلوا الشعوب الشمالية وسبوا ونهبوا بلاد الفرس وغنموا فيلهم، واعتقدوا ان الحرب قد انتهت بعد عودة ملك الفرس الى بلاده، فتركوا الخيل ترعى وشأنها، وفكوا سلاحهم، واذا براصديهم يقولون: ان الفرس قادمون دون كسرى، فاحذروا. وفجأة بدت جيوش الفرس، فدبّ الذعر بين الروم، وأطلقوا سيقانهم للريح لان خيلهم كانت بعيدة، ورموا أسلحتهم، فطاردهم الفرس ساخرين منهم، وجمعوا أسلحة ودروعا وتجهيزات أخرى.

البطريرك بولس والاسكندريون:

في هذه الفترة التي كثرت الحروب بين الممالك، هدأت حرب الكنائس.. كان يعقوب في سورية عندما جاء اليها بولس المدعو بطريرك انطاكية والذي اشترك مع الخلقيدونيين بحجة الاتحاد فنُبذ، ولما جاء الى سورية وقدم توبة خطية، قبله الشيخ يعقوب بعد ثلاث سنوات. بتوسط منذر بن حارث، وبعد ان حرم مجمع خلقيدونية وكان يقول بالطبيعتين

للمسيح بعد الاتحاد. ولدى سماع المصريين ان بولس قبل لدى مجمع المشارقة، أرادوا ان ينشقوا، فاضطر السوريون الى عزل بولس. وكتب الاسكندريون الى يعقوب وهو يتنقل من مكان الى آخر يقولون: ان قبلت بولس فسوف ننفصل ولن نرضى ان تكون اسقفا لنا، فاحرج يعقوب، لان رهبان كورة انطاكية ارادوا بولس. وعليه أجاب يعقوب الاسكندريين وقال: نحن قادمون اليكم، وسوف نعمل على ما يناسبه الشعب. وهكذا هدأ تذمر الطرفين.

اما سبب شك الاسكندريين في بولس بهذا المقدار، فهو، ان المجمع الشرقي أوفد يوحنا اسقف مار بس والاسقف جرجيس الاورطي الى لونجينا وتيودور اسقف فيلون لمعرفة رأيهما في قبول بولس او عدمه: فلما جاءا اليه في ماروطا سر بهما اذ كان مزمعا ان يرسم بطريركا للاسكندرية. وبعد ان اطلع على الموضوع قال: نحن لا نستطيع ان نفعل شيئا من دون بطريركنا الانطاكي، فأرسل واستدعى بولس. وخلال اجتماعاتهم، رسم لونجينا تيودور بطريركا فلم يقبله الاسكندريون، لكن بولس أقسم بانه لم يشترك في رسامة تيودور، لانه لم يكن قد بُرئ بعد من ذنبه، فشك فيه الاسكندريون، لانه رسم لهم بطريركا دون علمهم وقبل ان يتبرأ. ولما وصلت رسالة لونجينا الى الاسكندريين وعلموا ان تيودور هو البطريرك، وانه لا يستطيع دخول المدينة خوفا من ذوي السلطة، تنمروا بالاكثر على بولس، ثم أتوا برجل شيخ يدعى بطرس وأقاموه لهم بطريركا كما أسلفنا. وبسبب هذه البلبلة وفقدان النظام لدى الشعب الجاهل، تمكن الحقد بين الجانبين مدة ٥٨ سنة.

يقول يوحنا المؤرخ: مثلما ان المصاب بقصر النظر لا يحسن النظر الى الاشياء جيدا، ولا ان يتصرف المصاب بحمى شديدة كما يتصرف السليم، كذلك الذين يستسلمون للحقد وينقادون وراء الغضب، لا يستطيعون ان يتمحصوا الامور بدقة ومن ثم يشرعون بالعمل، وهذا ما حدث لمثقفي واكليروس الاسكندرية الذين لم تكن تعوزهم المعرفة، ما لم

تعكرهم حمأة الغضب. ويشوشهم الحقد. فتم فيهم قول الكتاب عن الذين تتقاذفهم الامواج والرياح والزوابع، فانهم اهتزوا كالسكارى وتلاشت معرفتهم، كالحدث الذي صار في الكنيسة دون ترتيب وبصورة همجية. وحيث انهم لم يعرفوا انه صار اسقفهم بحكم الظروف، لذا أقاموا آخر. وكان المفروض فيهم ان يقيموا لهم بطريركا خلال السنوات العشر التي عقبت وفاة ثاودوسيوس، وليس بعد ان علموا بإقامة تيودور، فأقاموا بطرس في ساعة التهاب الغضب، لان بعضهم يعتبره فاجرا، اذ قد فجر بزوجة صديقه، فرسمه اثنان باجتهاد خاص منهما ومن دون وجه شرع او قانون، فقام بدوره برسامة سبعين اسقفا كما قيل، هؤلاء الذين لو طُلبوا لفلاحة الارض، لما أعدوا بمثل هذه الفترة الزمنية القصيرة. وماذا نقول عن اولئك الذين يختطفون. اما كان يجدر بالكهنة ان يبحثوا عنهم بدقّة. ولكن مهما كان الامر، ومثلما تكون بداية عمل ما مزعجة، كذلك تكون نهايته أيضاً. فقد حرضوه ليعمل على الانشقاق بين السريان والاسكندريين متذرعا بعزل بولس المقام بطريركا لسورية، وينحو باللائمة على يعقوب، كأنه هو وغيره الذين قربوا بولس من المجمعيين، ذاك الذي حرم من قبل الذين ظلموا، واحتجوا لدى الكنيسة، وأوقعوا الحرم على أنفسهم فيما لو كان قد عرفوا بذلك، سرا أو علانية.

فصل
في الشك الذي خلفه بطرس الاسكندري والذي سبب خلافا بين يعقوب وبولس

سنة ٨٨٩ التقى جيشا مملكتي الروم والفرس عند مدينة دارا الخربة، وتبادلا التهم حول مسبّب الحرب، وأمضوا سنة في مناقشة هذه القضية، ثم طلب الفرس ذهبا من الروم فوافق طيبريوس قيصر. وخلال مناقشة موضوع السلام، طالب القيصر بدارا في حين طالب الفرس بأرمينيا مقابل ذلك، فامتعض القيصر لانه لم يشأ ان يسلم مؤمني ارمينيا. فانتهوا الى النزاع مرة اخرى. وبعد ان عاد الفرس الى فارس، والروم الى روما، جمع المرزبان أدرقلون قائد جيش كسرى ملك الفرس، جيشا، فنهب ودمّر كلا من الداريين والتليين والراسعينيين، وتلبسما وعاد بغنائم وفيرة. فطلب طيبريوس من قوميس موريقي قائد جيشه ان يتدبر الامر. فخاف الفرس لدى علمهم بهذا الاجراء، وتظاهروا بأنهم متجهون صوب أرمينيا، وأخبروا سكان مدينة تيودوسيوبوليس ليستعدوا للمنازلة بعد ٣٠ يوما، فاستعد الروم بعد تبلغهم الرسالة. اما الفرس فاتجهوا سرا صوب ميافرقاط في بلاد الروم، ودمروا منطقة الصوفانيين وكنائس وأديرة منطقة آمد التي أحرقوها حتى أسوارها. وحلوا فيها لمدة ثلاثة أيام، ونهبوا منطقة الهلال الخصيب وعادوا الى بلادهم. فلما علم موريقي، جمع جيشا ووجه أنظاره نحو منطقة أرزون الفارسية، فسبى المنطقة حتى نهر دجلة واصطحب مسيحيي المنطقة الى بلاد الروم بأمان.

ثم دخل منذر وموريقي (مع الجيش) أرض الفرس، فوصلوا الى جسر كبير وإذا به قد قطع فعادا أدراجهم. واعتقد موريقي بان المنذر هو الذي أشار الى الفرس ليقطعوا الجسر، لكن هذا لم يكن صحيحا. واذ علم الفرس ان الروم والعرب الذين مع منذر وموريقي قد تغلغلوا في بلادهم، تغلغلوا بدورهم في منطقة الروم فدمروا التليين وأهل راس العين، ثم اجتازوا الى منطقة الرها وأحرقوا ودمروا منطقة ازرادينا برمتها. ثم

تجمعت القوات العربية التي مع الفرس لمحاربة منذر، غير انه هجم عليهم بصورة مباغتة ودمرهم، وبالكاد استطاع عدد يسير منهم النجاة. ثم جمع موريقي جيوش الروم مرة ثانية، ومعه منذر وعربه، فدخلوا المناطق الفارسية وأحرقوا ونهبوا وسبوا أعدادا كثيرة وأموالا وفيرة وعادوا. هذه كلها حدثت سنة ٨٨٩ يونانية.

الخلاف بين يعقوب وبولس:

ولئن هدأ اضطهاد المؤمنين بسبب الحروب بين الممالك، غير ان الشيطان خلق شكًا آخر، بسبب الانقسام الذي حدث بين جماعة يعقوب وجماعة بولس الاسود، حيث تبع كلا منهما مجموعة من الاديرة والاساقفة. وكان الفريقان يتبادلان الشتائم ويشقان الشعب، ويبتعدان عن بعضهما خلافا للرويّة ومخافة الله، وقد امتلأا بروح الخصام. فالى مثل هذه البلبلة والبغضاء أوصلهم ذاك الذي يغربل الناس كالحنطة، والذي لم يجرؤ، بكل وحشيته وهمجيته على ان يفعل هذا مع الوثنيين واليهود والهراطقة. لاسيما وان هؤلاء لا يختلفون بشيء في ايمانهم. وفيما كانت هذه التصرفات البهيمية تأخذ مجراها، كتب بولس الى يعقوب يقول: لِم كل هذا الاضطراب في الكنيسة؟ هلم لنجتمع ونناقش على ضوء القانون، فاذا تبين بأني مذنب فلينزل بي قصاص ثلاثة أضعاف ما استحق، واذا ظهر انك انت المذنب، فانا أقبل العقاب عنك بملء ارادتي. غير ان حاشية يعقوب لم تدعه يجتمع به او يتصالح معه، بذلك كتابة. وقد طلب اليهما منذر بن حارث، الرجل المؤمن، ان يتصالحا. بيد ان جماعة يعقوب رفضوا، كما ان بولس لم يكن راغبا في ايضاح الحقائق. واذ لم يصغ الى طلب منذر انقسم العرب، فتبع بعضهم يعقوب، والبعض الآخر بولس.

يقول المؤرخ يوحنا الاسيوي في هذا الصدد: لا نريد ان نظهر الغلبة لطرف، ونكيل اللوم للطرف الآخر، وكان يوحنا الشيخ قد اقتبل الاسقفية من يعقوب في افسس قبل اربعين عاما، وقد ائتمنه بعد البابا

ثاودوسيوس، على ادارة شؤون الارثوذكس التابعين لكرسي العاصمة حيثما وجدوا. واذ لاحظ ان الحجج التي تذرع بها جماعة يعقوب ضد بولس، واهية وتافهة، لم يبتعد عن ايّ من الجانبين، بل أسدى نصحه لكليهما. وقد حاول كل من الطرفين جذبه الى جانبه. ويقول: لا يستوجب على خادم المسيح ان يحارب الحق. لكن يعقوب كان وديعا وتقيا، وصار أكثر بساطة في شيخوخته، فكانوا يغيرون أفكاره كالطفل. لذا فبعد ان عيّر بطرس الاسكندري مرات عديدة على انه غير شرعي، وقد وصفه في احدى رسائله بانه متصلف ومتعجرف، تراجع وأراد ان يتحد معه، ويخذل بولس، في حين ان جماعته ومحبي الشغب، أمالوا الشيخ الى الاسكندريين، بحجة الاتحاد ما بين الاسكندريين والسريان. وكان معروفا ان الاسكندريين يحسدون بولس ويكنّون له العداوة، وقد نصحه الكثيرون أن لا يدخل الميدان وحده، فلم يقنع، بل دخل وسط شعب معاند أخضعوه لشركة بطرس فوافق على عزل بولس. فهدأ حقدهم اللئيم اذ أزيح عن كاهلهم نير بطريركهم بولس. وطلب يعقوب اتخاذ قرار العزل دون الحرم. وبعد ان خلقوا هذه البلبلة أرسلوا ثلاثة اساقفة الى سورية ليعلنوا عزل بولس، فانشقت الكنيسة، والذين وافقوا يعقوب وتمسكوا به دعوا "يعاقبة".

اتجه لونجينا وتيودور الى بلدان الشرق بسبب الاضطرابات التي عمّت كل الجهات. فمكث تيودور لدى جماعة بولس في صور، ليشير الى ادانته جماعة يعقوب. اما لونجينا فوصل اخيرا الى منذر من آل حارث بن جبلة، وأطلعه على الحقيقة، فتحرك منذر لمصالحتهم، فلم يوافق جماعة يعقوب، بل اجتمعوا في دير حنانيا في البرية ويعقوب معهم، وأوفدوا الى لونجينا اسقفا يدعى يوحنا ليحتال عليه ويقول: نود ان نتحدث في موضوع السلام انا وانت ويعقوب، فأسرع الينا. فوثق بهم وحضر فأقاموه وسط جمع من الرهبان وأخرجوا ورقة وطلبوا اليه قراءتها، فقال: لانكم استقدتموني بالحيلة فاني لن أقرأ، فحاول ان يخرج لكنهم أمسكوا به، ولما أطلقوه وضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع. وفيما هم

يجرونه صرخ: معاذ الله، لماذا أموت قتيلا ولي ملك؟ فحدثت فتنة. فانسحب عنهم وهرب دون ان يرى يعقوب. وبعد ان أقام لونجينا سنة كاملة في سورية من دون جدوى، عاد الى مصر. اما بطرس فمات بعد ثلاث سنوات من جلوسه. ونظرا الى حقدهم الشديد لتيودور، لم يوافق الاسكندريون على اقامته، بل نصّبوا شيخا يدعى دوميان من اصل سرياني، فوافق على ما فعله بطرس فأرسل نشرة الى يعقوب. قال المؤرخ قورا في حقه: "لان دوميان كان رجلا مهذبا ومتمرسا في السيرة الرهبانية".

فصل
حول مجمع دوميان بابا الاسكندرية - مقتبس من الرسالة نفسها

من دوميان برحمة الله اسقف الاسكندرية، الى المؤمنين الحقيقيين القديسين في كل مكان، يعقوب ومن معه من اسقفة وكهنة وشمامسة ورؤساء الاديرة والرهبان الاتقياء، ولفيف شعب المشرق.

أقول وأردد بكل حق واعتراف واعجاب قول النبي الآلهي داود: "من مثل الرب الهنا. يجلس في العلى وينظر العمق، ويرفع البائس من الارض والمسكين ليجلسه مع عظماء الشعب". أقول هذا للذي أهلني انا الصغير الذي أحب حياة الوحدة وعدم الاختلاط، وهدوء الاموات وسعيت وراءها بكل ما أعطيت من قوة، طلبا للفضائل، ورغبت في تطهير نفسي من الشوائب بدموع التوبة، وهيأت نفسي للخروج من هذا العالم والقيام أمام المنبر المهيب الذي لا يستطيع أحد ان يهينه، وأنا أتنهّد وأبكي بمرارة، وأتذكر كيف أنني دعيت من قمة مدينة السكينة المحببة إلي، من قبل المجاهد ورئيس الاساقفة أبينا بطرس، وسلمني الى اكليروس هذه المدينة العظيمة بين مدن الاسكندريين، ومنحني كرامة الكهنوت دون اكراه، بل بمحبة وبوضع يده الطوباوية. وبعد انتقاله الى الله، شملني تعالى برحمته الفائقة الادراك، ذاك الذي يدير شؤوننا بحكمة ودون معرفتنا عن طريق توقيع وانتخاب من رؤساء الاكليروس القديسين ومحبي الله رؤساء الاديار خدام الله الاتقياء. وسواهم من العظماء والفقهاء الذين هم شريحة من الشعب المؤمن التقي، وبموافقة كل الذين تواجدوا في هذه الفترة من الاساقفة، أهلني لكرسي مار مرقس الرسول واللاهوتي والطوباوي، ولكي أتأمل عظمة كرسيه الانجيلي وخدمة رئيس الكهنة، وأفطن الى ما يتطلب من الحنكة والفضائل من الذي يتقدم الى هذه الخدمة. وكلما تأملت بالناموس الرسولي وبالكمال الذي يطالب به، تأخذني الرعشة، وأبدأ أحفر الارض باصبعي وأنا أنظر الى ضعفي غير

المستحق. وكذلك عندما أتأمل كنيسة الله وما يحيق بها من الاضطراب وخصام الهراطقة والانقسام، أطلب ان يساعد ضعفي فيعطي كما كتب: "طول أناة لصغار النفوس، وحياة لمنكسري القلوب". وألتجئ الى دعواتكم الصالحة وصلواتكم الشفاعية لدى الله التي تقدم بصورة مستمرة وحقيقية من اجل رعاياكم فيفوزوا بالغلبة. انتم يا ممجدي الله وزملاؤكم الاساقفة. واني أستمد منكم الشجاعة فاشجع نفسي، مستندا الى الرجاء الصالح ومستمدا العون منكم بعد الله. وان صلواتكم ترافقني كما قلت، وصلوات بقية التلاميذ الروحيين الذين بينهم رؤساء كهنة، الذين عاشوا معكم وزينوا أنفسهم بالفضائل، ويماثل جهادهم جهاد الرسل العجيب، وقد جاهدتم جميعا منذ فترة حبا بالله، جهادا لا ينقص شيئا عن جهاد الآباء القديسين، لان جميعهم، اينما كانوا، نشأوا في احضان الكنيسة، وجميعهم يهتفون بصوت واحد.

لهذا، أرى من الضرورة القصوى ان اكتب رسالة السلام الاخوية هذه وانا متمسك بتعاليم الآباء، **اولا:** لكي اقدم نفسي الى سيادتكم محبة الله. **وثانيا:** من اجل الايمان المستقيم. معلنا رأيي الذي يتفق ورأيكم. فأنا أتبع الايمان الذي حدده مجمع الـ ٣١٨ في نيقية ومجمع الـ ١٥٠ في القسطنطينية، ومجامع الآباء في افسس.

أومن بان الثالوث الاقدس اله واحد مساو في الجوهر وغير مخلوق، وذو طبيعة واحدة قولا وفعلا، بحسب اثناسيوس الرسولي الذي قال: ثلاثة اقانيم نيرة وكاملة، ثابتة دون تبلبل ومتميزة بصفاتها. فليس الاب ابنا، ولا الابن أبا، ولا الروح القدس أبا أو ابنا. يحافظ كل اقنوم على خواصه بصورة سليمة دون ان تلتحم او تمتزج بالبعض. فخاصيّة الآب هي الابوة، لانه لم يولد من شيء آخر، لذا فهو غير مولود. وخاصيّة الابن هي البنوة التي قبل الدهور، وهو ابدي ولد من الاب دون زرع. وخاصيّة الروح القدس الازلية الفائقة الوصف هي الانبثاق من الاب بصورة مستمرة وغير مدركة. فلا الآب يتغير ليصير ابنا او روحا،

ولا الابن يتغير قط ليكون أبا او روحا، ولا ينتقل الروح القدس الى خاصيّة الاب او الابن، فخواص الاقانيم ثابتة وغير متبلبلة وغير متغيرة اي مثل الجوهر. فالثالوث الاقدس هو مساو في الجوهر وغير مخلوق، وقابل التعددية في اقانيمه. اما جوهر اللاهوت فهو واحد ولا تعدد فيه، لذا فهو يشكل ثلاثة اقانيم هي الآب والابن والروح القدسن غير متبلبلين وغير متميزين بصفاتهم لدى قولنا، أزلية واحدة، لاهوت واحد في الاقانيم الثلاثة، ونعترف بذلك قولا وفعلا، ناهجين نهج اثناسيسوس الرسولي الذي كتب في مقاله عن الايمان: نؤمن بأن الابن مساو للآب والروح القدس. ومن لا يعترف بوحدة جوهر الثالوث الاقدس قولا وفعلا، نحرمه كما حرم ذاك النحوي الذي قال بتعدد الجواهر والطبائع في الثالوث الاقدس، حيث انه قسم بين الاقانيم، الجوهر غير قابل للانقسام والذي لا يتجزأ. ويقول ذلك الصلف: "جواهر متساوية" ولا يعير أية أهمية للآباء، ولكي لا يظن أحد ممن اعتادوا على اللوم، اننا اتهمناه باطلا او اننا نلوم سرا من لا يستحق اللوم. (يكتفى بهذا المقدار من هذه الرسالة اللاهوتية..........).

حيث اننا متفقون مع مصر في ما يخص علم اللاهوت، نراه لزاما علينا ان نتحدث لمحبتكم بإيجاز عن تجسد الله الكلمة أحد الثالوث. ذاك الذي هو من جوهر الاب قبل الدهور، وقد أشرق قبل كل العوالم. خالق كل المخلوقات المنظورة وغير المنظورة، الذي له كل ما للآب ما خلا الابوة. لما رآنا وقد سقطنا عن صورة الله التي خلقنا عليها، وفقدنا نعيم الفردوس وعدم الميتوتة، التي أعطيناها من الله بالنعمة، واستوجب علينا الموت العادل، أعاد الينا، كرما منه، نعيم الفردوس وتلك الصورة التي كانت لنا من قبل. وأراد ان يرفعنا الى السماء، وقد ترجم الرغبة بالفعل. حيث نزل من السماء الى الارض دون ان يترك السماء، ودون ان يترك حضن أبيه الذي منه يأخذ ملء كل شيء، وهو في كل شيء، وفوق كل شيء. غير المتناهي الذي وسعه الحضن البتولي فولد منه ومن الروح القدس، واتخذ جسدا ماديا لنا في الطبيعة، متألم مثلنا باستثناء الخطيئة او التغيير او التبلبل، وجسده ذو نفس ناطقة وعاقلة. هكذا ولد الله اذ صار

جسدا وتأنس كما أعلنت العذراء بعد الولادة، لذا فهي بحق ورسميا تدعى والدة الله. فهو لم يولد مجرد انسان بسيط كما يقول الذين يحسدوننا على الخلاص وينكرون جسده، وانه لمن الاعجاز ان تبقى التي ولدته عذراء بعد الولادة.

ونحن نعترف بميلادين للابن الواحد، الاول من الآب من فوق قبل الدهور، وقد تم بلا أم، والثاني بالجسد في الازمان الاخيرة من عذراء مريم وبلا زرع وبلا أب، وهو هو ذاته. فلا نقول مسيحين ولا ابنين ولا طبيعتين ولا فعلين، بل ابن واحد وطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، واقنوم واحد وشخص واحد وفعل واحد. ذاك الذي كان وما زال قد ولد وأخذ صورة عبد ورضي ان يكون مثلنا ومن أجلنا. ذاك الذي هو فوق كل الخليقة صار جسدا دون ان يتغير الى طبيعة الجسد، بل ظل على طبيعته، وأخذ طبيعة لم تكن له. واحد من اثنين كاملين، فهو مركب من اللاهوت الذي كان موجودا قبل الدهور، والذي جاء الى الوجودبكل ما لم يكن. ومن الناسوت الذي تواجد ففي الكلمة نفسه، وبه كان له بدء كما قال اثناسيوس الرسولي في رسالته الى يوينينوس اغسطس: "في لحظة تكون جسد الله الكلمة، وفي لحظة كانت نفس ناطقة، وفي لحظة كان جسد الله الكلمة ذا نفس وعقل، وبه ثبت. لذا فنحن نعترف بان هذا هو من طبيعتين متكاملتين كما سبق الحديث عنه. ونؤمن بأنه ابن واحد، وطبيعة واحدة واقنوم واحد، له المعجزات والآلام.

نسأل الذين يقسمون المسيح الى طبيعتين بعد الاتحاد، او يحددون له طبيعتين بشكل نهائي بعد عملية الاتحاد: ونقول، اي من الطبيعتين رفعت على الخشبة؟ اننا نحصي هؤلاء مع اليهود قتلة الله، اولئك الذين قالوا له، لا نرجمك من اجل الاعمال الصالحة، بل لانك وانت انسان تحسب نفسك آلها.فإما ان يتركوا جديا موضوع الثنائية ويتخلصوا من الطبائع، ويعترفوا بان المولود من العذراء هو اله حق. او اذا لم يتركوا الثنائية، عليهم ان ينكروا الوحدة الاقنومية، فلا يصفون العذراء بوالدة

الله، اذ لا يمكن ان تتحول احداهما الى الاخـرى، فـانهم يخدعـون انفسـهم وليس شخصا آخر، اذ ركبوا الاتحاد المغشوش عكرا، شوشـوا فيـه افكـار السذج. وبسبب هذه الخدعة الشريرة بخصوص الايمان، نحن نحرم مجمع خلقيدونية الشرير، وكل الذين يقولون بطبيعتين للمسيح بعد الاتحـاد. لقد صار هذا المجمع سببا في عقد مجمع لنبذ اوطيخـا المنـافق، فقد أكدت ادعاءات نسطور الباطلة، وابطلت أقوال أبينا كيرلس رئيس الاساقفة، التي ان وصفها أحد بأنها دستور الايمان القويم لا يكون قد خرج عـن الحقيقـة. كمـا نبـذوا عبـارة: "مـن طبيعتيـن" وعبـارة: "طبيعـة واحـدة للـه الكلمـة المتنجسد" التي كانت موضـع تنـاحر بيـن الاب الكبير ونسطور الغاشم، ووضعوا بدلا منها عبارات مخالفـة لهـا تمامـا. فبـدلا مـن "طبيعـة واحـدة" أدخلوا عبارة "طبيعتين" وبدلا من عبـارة "مـن طبيعتيـن"، قـالوا: أن العقـل يوحي ان تكون "في طبيعتين".

ان عبـارة " مـن طبيعتيـن" تـدل علـى جمعهـا بيـن اختـلاف الفعـل والاتحـاد الكامل، فلا يجوز ان يحل الاتحاد بسبب اختلاف العبارات، كهـذه العبارة السخيفة التي يرددونها. ونحن نحـرم محبـذي هـذه الحيلـة الشـريرة وهـم ديـودورس وثـاودورس ونسـطور وثـاودريطس ويهيبـا وانـدراوس وايريناوس الذي اشتهر بزواجه الثاني، وطومس لاون الغاشم وازلامهـم. وفـي الوقـت نفسـه نؤيـد الاعمـال التـي يثبتهـا القديـس ورئيـس الاسـاقفة ديوسقورس، التـي وافـق عليهـا خلفـاؤه المسـتقيمو الـرأي ودعـائم مجـامع الكنيسة، ومنهم طيمثاوس الاسكندري وثاودوسيوس وبطرس الاجلاء، كما نحرم ايضا الاثمة المنشقين الذين ابتدعوا فكرة "الخيالية"، وفي طليعة من بشر بها مرقيون وقلطيوس وماني واوطيخا، والذين شربوا من هذا الوعاء العكر، والذيـن يقولـون: ان جسـد الـرب غيـر قـابل لـلآلام والمـوت بعـد الاتحـاد، ولا يعـترفون بـأن آلامـه طبيعيـة واراديـة ومقبولـة، كـالجوع والعطش والنوم والتعب، والضيق والاضطراب والحزن والصلب الارادي صانع الحياة. تألم بجسد يمكنه ان يتألم ويموت. وهـم يقولـون: انـه قضـى على الامنا بجسد غير قابل للالام والموت، وهذا لعمري نوع من الجنـون

وقلة العقل. فانه قبل بارادته، شرعا لا اضطرارا، ذنبنا لكي ينزل للجهاد. وقد أعاد الحياة الى جسدنا الذي كان قد وهن ولكن بلا خطيئة، وخارج عن نطاق الفساد، لكي ينتصر بهذا الذي وهن، على ذاك الذي يجبّر علينا، ولكي يمنحنا عدم التألم وعدم الموت بذاك المتألم والمائت. وليس أمرا فائقا او غريبا ان يبطل الموت بجسد غير قابل للألم والموت. وإلا لما كان من الممكن القضاء على الموت بمثل هذا الألم لو تهرب من جسد غير قابل للموت، فجسد كلمة الله الذي تأنس من اجلنا هو قدوس وصانع الحياة. وكان قبل القيامة قابلا للالم والموت والفساد والنزعات غير السمجة، يشعر بتعب الطريق، لكنه تغير بعد القيامة، فأصبح غير قابل للفساد والموت والتألم ولم يعد بحاجة الى الطعام والغذاء والشراب، ولئن شوهد يأكل بعد القيامة، فانه فعل ذلك ليس لحاجته، بل من اجل تثبيت ودعم أدلة القيامة. فلما قام من بين الاموات تجرد عن كل صفات الفساد كما قال كيرلس اللاهوتي. ان وجد من ينسب، اعتمادا على معطيات المعرفة هذه، ولا يعتقد بان جسد الرب ذا النطق والنفس قد أثرى بواسطة الاتحاد بالمجد الآلهي وبكل عمل لائق باللاهوت كالمعرفة. فاننا ننبذ هؤلاء كسائر الهراطقة الآخرين ونحرمهم لاسيما اريوس وانوميوس واوطيخا وسابيليوس الليبي ومقالاته. ونقبل رؤساء اساقفتنا ثاودوسيوس وخلفه بطرس وهما نموذج للرسامة التي تتم بفيض الايمان وبنعمة الله. كما اني اقبل الحرم الذي صدر عنكم ايها الابرار وعن اساقفة مصر، ضد الذين أبوا حرم النحوي وبولس الذي سلم الايمان وألحق ضررا بالكنيسة. فنحن لا نحمّل الكهنة عبئا ما.

لقد سررنا جدا بجوابكم، وأرسلنا فلانا وفلانا، وفيهم الكفاية، ليطلعوا قداستكم بالكلمة الحية على محبتنا ورغبتنا. فنحن اليوم موثوقون بمحبتكم لكي تكون وجوهكم باشة دائما، وتخبرونا عن صحتكم التي نصلي من اجلها، ولاجل ترتيب سلامكم وسلام المعمورة بأسرها، لكي تخضع لكم اذا أصبحت جسدا واحدا. ونطلب ان تسألوا الله، لكي بواسطة

مسيحه، يملأ قلوبكم محبة، والكنيسة سلاما ووفاقا، فنسلك بالبر والصــلاح في حياة السلام والراحة التي نريد ان نحياها.

توقيع: دوميان، برحمة الله اسقف الاسكندرية. لقد وقعت، وانا أقرأ السلام لسيادتكم، على الوحدة في الثالوث اي الهنا ليحفظ الوحدة غير منقسمة آمين.

هذه هي الرسالة التي أنفذها دوميان الــى يعقوب كما يقول قورا البطناني. يقول يوحنا الاسيوي، لقد ارسل يعقوب جوابا لدميان يؤكد نفس الحقيقة والوحدة، ان رسالة يعقوب ليست في حوزتنا، فهي محفوظة لدى الاقباط.

فصل
في مرض يوسطنيان الذي استمر خمس سنوات، وتتويجه لطيبريوس، وزيادة الاضطراب في كنيسة الارثوذكسيين. بسبب يعقوب وبولس الاسود

محنة الكنيسة:

في فترة مرض يوسطنيان وأواخر حياته، أخذ بولس الاسود البطريرك السابق لانطاكية، يجول ويصول ويثير الفتن بعد ان نُبذ في الشرق والغرب، في سورية ومصر.. وفيها توجه الى العاصمة سرجيس سكرتير يعقوب والاسقف يمين، وأخذا ينددان بجماعة بولس ويشتمانهم. فتأثر بهذا بعض الاعيان المتمسكين ببولس وانتقلوا من جانب يعقوب الى جانبه، واستمروا يكيلون اللعنات والشتائم لبعضهما البعض مدة سنة كاملة. وعقد الاسكندريون الذين قدموا الى العاصمة، اجتماعات ضد جماعة بولس، كان بعضها يعقد باسم يعقوب، والبعض الآخر باسم بولس، والبعض الآخر كانت تستغل اسم بطرس. فحدث نزاع في العاصمة، حتى صرنا عارا لدى خصومنا الخلقيدونيين الذين استغلوا هذه الظروف وأثاراوا اضطهادا ضدنا وكبّلوا الاسقف يوحنا بالحديد وزجّوه في السجن في خلقيدونية مدة سنة، وقد اعترف الخصوم أنفسهم بأنه كان يتنبأ عن أمور مستقبلية، فاضطروه لكي يقبل شركتهم ووعدوا بفك القيود الحديدية عنه، لكنه قال: لا تشغلوا بالكم بفك قيودي، لأني سأتحرر في اليوم الفلاني ولئن دون رغبتكم. وقد توفي في اليوم الذي حدده ودفن باحتفال مهيب، حيث اشترك الجانبان بتشييع جسده الطاهر، وتبرك منه الارثوذكسيون والخلقيدونيون.

لقد تنازعت الاديرة في الشرق والغرب مع بعضها الى درجة سفك الدماء، واقتيد العديد من الرهبان السجناء الى المحاكم، ووجهت اليهم جريمة القتل، كما ان شيوخا طاعنين في السن، وقد استرسلت لحاهم

واتسعت أطراف ثيابهم، ألقوا وراء المغاليق. ترى من لا يتألم لهذه المحن ويئن كإبن آوى على الملح الذي لم يفسد فقط، بل نتن وتنجس ووطئ؟.

في فترة النزاع هذه، اختار رؤساء الاديرة ثلاثة رجال مقتدرين ليقيموا لهم بطريركا، وفي الاجتماع الذي عقد في دير مار حنانيا، تحفظ بعض الاساقفة لان بولس كان ما زال حيا ولم يُدن قانونيا، واعتبروا عملهم لعبة الاطفال، فانفرط عقد ذلك الاجتماع. ثم قادت الغيرة يعقوب الشيخ ليزور الاسكندرية ثانية، وظن بعضهم انه ينوي إقامة بطريرك لانطاكية هناك، وقال لغيرهم: انه ذهب من اجل الاتحاد مع جماعة بولس، غير ان قصده لم ينحل، اذ توفي في احد الاديرة على الحدود المصرية يدعى رومانا وقوسين، وكان معه بعض الاساقفة وكتّابه. وكان قد توفي أولا الرجل الفاضل يوحنا اسقف دير قرتمين الذي صالح الرهاويين المنشقين بسبب لفظة "الجواهر"، وبعده بثلاثة ايام توفي الشيخ نفسه، ثم توفي شماسه، وكان سكرتيره سرجيس قد توفي قبله. لقد توفي هؤلاء خلال ١٢ يوما. وكانت وفاة الشيخ يعقوب في ٣٠ تموز ٨٨٩ يونانية، وخدم رئاسة الكهنوت ٣٣ سنة، وبلغ عدد الذين رسمهم من الاساقفة والكهنة والشمامسة مئة ألف كما جاء في مذكراته. فانتقل دوميان من الاسكندرية الى هناك، وقد تأثر جدا لانه لم يلتق به قبل وفاته، فأراد ان يأخذ جسده المقدس الى الاسكندرية فرفض أهل الدير، فدفن هناك. وكتب دوميان رسالة تعزية الى سورية بوفاة يعقوب الكبير.

اما عن اضطراب الكنيسة فنقول: ليس انه لم ينته فحسب، بل ازداد بعد موت يعقوب البار، وقد قال جماعة بولس: ان الله أخذه لانه قرر إقامة بطريرك مكان بولس، فرد عليه اتباعه قائلين: بل لانه فكر في اعادة بولس الى الكرسي، فأخذه الرب لئلا يشترك في ادانته، فنُخسر نفس رجل الله هذا.

يوسطنيان يعود الى رشده:

بعد ان اشتد مرض حصر البول على يوسطنيان واحتمل بسببه كثيرا، عاد الى رشده وبكى وقال: ان الله سينتقم لي من الذين غرروا بي ودفعوني الى اضطهاد المؤمنين والقديسين. وفي ٧ كانون الاول ٨٨٦ يونانية، استدعى يوسطنيان طيبريوس قيصر وتحدث اليه بحديث عجيب، وقال ان ملاكا كان يلقنه الكلام من اذنه. فقال وهو يبكي بمرارة، هلم يا بني طيبريوس واستلم مملكة يوسطنيان الشقي الذي أغضب الله، فانتزع منه الملك وهو حي. هلمّ يا بني وأبعد ذاك الذي ظلم خالقه الذي اهّله للملك، أبعده ولتنظر عيناه كيف سقط عن ملكه ونبذ. وبعد ما فاه بهذا، جلس يبكي، والتفت الى الوراء وقال لقواده: يا بَنيَّ افتحوا ابواب حراسة المملكة ودعوا الناس يدخلون ليروا يوسطنيان الشقي وقد سقط وانتزع منه ملكه، لانه أغضب ذلك الملك الحقيقي الذي ملكه بغير استحقاق. والآن يا ابني طيبريوس، اتخذ مني عبرة واخشَ الرب الملك الابدي، واحذر من ان تغضبه كما أغضبته أنا بتصرفاتي، فانتزع مني الملك وأنا على قيد الحياة، لأني أسأت ادارته. انظر، لا يغرنك هذا الثوب والهيئة الملكية الجميلة كما غرتني، فيضلك فتتكبر وتتعجرف، فيدركك غضب الله كما أدركني، وتسقط من الملك كما سقطت أنا اليوم. انظر هذا الذي يقف الى جانبي ويهمس في اذني هذا الكلام. فاني أوصيك وأحذرك، لكن لا أنا بل ملاك الله. انظر اليّ واملأ قلبك خشية الله، لا تذعن للناس الاشرار الذين يشيرون اليك بالشر. انظر يا ابني طيبريوس واعلم ان نعمتك هذه هي من الله وليست مني، فاحترمها لتحترمك، احترم أمك التي كانت سيدتك، لا تفرح بسفك الدم ولا تشترك في القتل، ولا تجاز الشر بالشر ولا تتشبه بشروري. لقد سقطت في شرور كثيرة، وفي مقدمتها اضطهادي للمسيحيين، وان المسيح سينظر في دينونتي ودينونة الذين أشاروا الي وأضلوني. احترم الجبلة ليحترمك جابلك. تأمل ماذا كنت وماذا أنت الآن، فلا تتكبر أبدا. فأنت تعلم ماذا كنت وماذا صرت فيما بعد، وما انا عليه الآن. فاذا فكرت في مثل هذه الامور، فانك سوف لن ترتكب الكبائر. كل

الواقفين هنا هم ابناؤك، فعندما تنظر الى هؤلاء فكأنك تنظر الى جمهورك بأسره. تعرف بأني عظمتك أكثر من الذي تربطني بهم صلة الرحم. اهتم بالجيش ولا تقبل الوشاية، لا تسمع الذين يقولون لك، اعمل كما عمل من سبقك. أقول لك هذا نظرا الى ما حدث لي.

اما طيبريوس فكان ساقطا على وجهه وهو يبكي وينتف شعره، فأمر وأقاموه وألبسه بيديه وتوجه بالتاج وسماه قسطنطين. ثم التفت الى الشعب وقال: ان رضيتم بهذا الملك الذي اعطاكم الله، فلنصعد سوية الى ساحة الالعاب وننظم وإياكم ܐܘܪܫܠܡ ، ونصلي من اجل نجاح قسطنطين طيبريوس قيصر الابن الذي أعطانا الله، لكي ينصره تعالى على اعدائه، فيحسن الى الذين هم تحت سلطانه. وكان الكتّاب يدونون كل ما يقال، غير اننا نسينا بعضا وأهملنا بعضا نظرا الى كثرته.

فصل

في بدء فترة حكم طيبريوس ملك اليونان الاول، وهو الحادي والخمسون للروم. وموت كسرى ملك الفرس، وبدء حكم ابنه هورمزدا وكيفية سير أمور الكنيسة في هذه الفترة قبل وفاة الشيخ يعقوب

كان كسرى ملك الفرس يطالع كتب الفلاسفة ويقارن بين كافة الاديان، فامتدح كثيرا تعاليم المسيحية، فجمع بين النساطرة والارثوذكس، وتكلم جاثليق النساطرة مطولا، فرد عليه رئيس الارثوذكسيين الاسقف آحودامه. ولما وقف كسرى على تعاليم الارثوذكس استحسنها جدا وقال: هذا هو الحق. وسخّف نسطور. ثم توجه القديس يعقوب الى فارس وزار كسرى، وأقام هناك جاثليقا للارثوذكسيين وشيدت كنائس في فارس.

وبعد وفاة القديس يعقوب التي حلت في دير قوسين كما أسلفنا، كتب دوميان الاسكندري رسالة تعزية الى سورية ضمنها ما يلي:

رسالة دميان الى الكنيسة السريانية

(الى محبي الله الاتقياء أساقفة وكهنة ورؤساء الاديار وسائر الاكليروس الخاضع لنفوذ المشرق / دميان).

"ان اللسان يرتعب والكلمة ترتعش عندما تحاول ان تنقل الى المؤمنين في كل مكان خبر الحزن الشامل. فهذه اللحظات بحاجة الى ارميا النبي او من هو نظير له، لكي يرثي بما فيه الكفاية. وربما قد سمعتم عن هذا الخطب، اما بالرؤى او عن طريق زلزال او كارثة ما. او بضيق خيم على النفوس، وما الى ذلك من وسائل مشابهة. وقد اعتدنا ان نبادر بالاعلان عن مثل هذه المصائب الكبرى، ولكن ليس بصفة النذير بالشرور. ولكن اليوم سأكون نذيرا بنقل هذا الخطب عن يعقوب رجل الله

الطيب ذي الاسم الحلو، اكليل الكهنة، الزاهد منذ صغره، ليس بالشَعر بل بالروح، أساس المؤمنين ومثبت الكنائس، الجبار في الاضطهاد والشجاع في الضيقات. ذاك الذي طلب ما للمسيح اكثر مما هو لذاته، وعاش لا لنفسه، بل للذي تألم من اجلنا. الذي ينسى ما هو وراءه وينظر الى ما هو أمامه. ذاك الذي أرشد غير الكاملين مثل بولس حتى تصور المسيح فيهم. لقد غادرنا هذا (الرجل) وحلق منتقلا الى يسوع، فأنّى لنا ان نجد تلك العبارة الكهنوتية "كبير قوات اسرائيل". ذاك الذي سيطر على الكل بزخم المحبة. ذاك الذي كان يمرض مع المرضى، ويحترق مثل بولس في سبيل ألا يعثر أحداً ولو يسيراً. وكان ينظر الى الضيقات المتتالية وكأنها مرج مفعم بالزهور من اجل الخدمة التي ائتمنه عليها المسيح. وكان يحتمل دون تذمر، الاضطهادات التي كانت تضطره الى التنقل من مكان الى آخر ومن جبل الى كهف، فلا الجوع ولا العطش او العري او الحر او مختلف المخاطر، استطاعت ان تفصله عن محبة المسيح. ام ماذا أقول: أأتوجع مع النبي وأصرخ: أحشائي أحشائي، توجعني، جدران قلبي، تئن فيّ قلبي". لا استطيع السكوت، لان خيامي قلعت بموت وكيل سرائر الله. تتشقق طرق صهيون كقول النبي لان الرب اخذ العزيز من وسطها، دعاني الزمان وحرمني من معين، لذا أنوح وتسيل دموعي ماء، لان المعزي ومعين نفسي قد ابتعد عني. بسطت صهيون يديها وليس من يعزيها سوى الرب آله اسرائيل الذي جذب اليه الطوباوي، تاركا لنا ساداتنا الاساقفة، مار يوحنا ومار سرجيس ومار جرجس والبقية الذين نعرفهم، من الاخوة الاحباء، الذين ارتاحت بهم نفسه كما ارتاحت روح ايليا على اليشع، هؤلاء الذين يرشدونكم ويساعدونكم. فاثبتوا ايها الاخوة الاعزاء ولا تتزعزعوا، فليس من اللائق ان يلهج دائما مجمعكم الكهنوتي بذكر الموت. ويسرع نحو الخدور العلوية، فيتزعزع ايمان ذلك الرجل القويم الذي انتقل الى الراحة الابدية وهو بعيد عن خميرة الهراطقة وأصحاب الانشقاقات، حيث انه حافظ على رباط وحدة كنائس المشرق وكنائسنا في مصر طيلة مدة حياته الجسدية، وترك ذاته قدوة لنا، وقد أظهر الله انه لم يكن متمسكا بالوحدة كالمرسى الثابت عندما كان بيننا

فحسب، بل وحتى بعد انتقاله من هنا ظل متمسكا بنفس الارادة، ولا يريد ان يرى انقساما ما في الكنائس، وببقائه عندنا وتردده عندكم، رسخ روابط المحبة. فلا تحزنوا تلك النفس البارة التي ارتفعت الى السماء، ولا تميلوا نحو اليمين او اليسار، ولا تتعدوا الحدود التي وضعها آباؤنا. فما هو ترى ناموس الحدود؟. هو قبل كل شيء ان تهربوا وتسخفوا وتحرموا كل الهرطقات التي ظهرت في السابق، او تظهر الآن ولاسيما مجمع خلقيدونية القذر وطومس لاون، وكل من يقول بالطبيعتين بعد الاتحاد الفائق الوصف، ويقسمون سر التقوى العظيم، وكذلك يوليان الليقرنيسي الذي تورط بالخيالية حيث اعتبر آلام الكلمة المتجسد خيالية وغير حقيقية وارادية، كما اعتبر تجسده خياليا ايضا، محاولا احياء آراء ماني المنافق عن طريق الخداع، واولئك الذين يحاولون ان يصفوا المسيح الهنا الحق بعدم المعرفة بأي شكل من الاشكال. وسائر بدع الطرياتيين أي القائلين بتعدد الآلهة بقولهم بتعدد الجواهر. اما من جهة بولس الاسود، فلا حاجة ان نكتب اليكم عنه، فنحن نعلم انكم لا تعيرونه اهتماما، ولا تحصونه بين الكهنة، ولا كعضو في مجمعكم او مجمعنا، فهو لم يقصر في محاربته كنيسة المؤمنين كما تعرفون فعلا، اذ لكم فكر المسيح وبإمكانكم ان تعلموا الآخرين.

هذه هي الامور التي نلتمس ان تحفظوها بدقة لكيما يستمر السلام بيننا وبينكم راسخا، فتنتعش روح ذلك البار والطيب الذكر، ذاك الذي لم يهدأ حتى الرمق الاخير، من الدعاء لكي ينتقم لي الرب من بولس، حتى ان الحضور كانوا يندهشون كيف كان يرفق دعاءه بالتنهدات دائما. لينتقم لي الله من بولس. احترزوا ايها الاخوة، لكي تبنوا على نفس الاساس، ولكن ايّ هو البنيان؟ ان البنيان هو ان تلتمسوا من اخوتنا وزملائنا الاساقفة في كل مكان، الذين عز عليهم فراق أخينا القديس: ان يقيموا لكم رئيس كهنة مؤمن، وكما يقال، يعرف كيف يتصرف في بيت الرب الذي هو كنيسة الله، لئلا يسخر منكم الاعداء وقد أسرت الى الاخوين والزميلين الاسقفين يوحنا وجرجس بعض الشيء الذي لم أناسب كتابته،

وسوف ينقلانه اليكم شفهيا. فهما كفؤ ان ينقله بسرعة فيكونان عزاء لكم لفقد ذاك البار الذي ولئن شاءت ارادة الله ان تفصله عنا جسديا، لكننا نبتهج لانه يشفع فينا في السماء. ومثلما انه لم يهدأ من الصلاة من اجل جميع المؤمنين، عندما كان على قيد الحياة، فانه الآن يشفع فينا بالاكثر، ويستدر رحمة ذاك الرحيم بطبعه. وان بعض الظروف القاهرة والمتاعب المحيطة بي تحول دون قدومي اليكم لأعزي وأتعزى. فالحزن شامل وعام. وأرجو أن لا تعتبروا الزميلين الاسقفين يوحنا وجرجس أقل مني.

قال الرسول الالهي: "أريد ان تعرفوا ايها الاخوة ان لا تحزنوا على الراقدين كالذين لا رجاء لهم". فاذا كان هذا بالنسبة الى سائر المؤمنين، فكيف بالاحرى يجب ان يكون بالنسبة الى النفس التي ارتفعت الى السماء، والتي كانت تلهج دائما بالسماء وتشتهي ان تنزع عنها عبء الجسد وتصل بسرعة الى الخدور العلوية، اذ لم يكن لها هنا مدينة باقية، لكنها كانت تنظر الى اورشليم السماوية التي صنعها الله. لينجكم الرب من كل التجارب والارواح الشريرة، ويحفظ مسامعكم بلا لوم، ومساكنكم بلا اضطراب بصلاة جميع القديسين. أرجو ان تصلوا من اجل ضعفي ومن اجل الاكليروس المتواجدين الآن في العاصمة من اجل الايمان المستقيم، لكي يجمّلهم الله بالصبر والحق لبنيان وتثبيت الكنيسة الارثوذكسية في كل مكان. / دميان، برحمة الله اسقف الاسكندرية. هذه الرسالة موقعة.

لقد ساس طيبريوس مملكة الروم خمس سنوات دون ان يسمح بأن ينادى به ملكا، حيث كان الملك يوسطنيان قد توجّه كما أسلفنا. وبعد ان مات الملك يوسطنيان نودي بطيبريوس ملكا في ٦ أيلول سنة ٨٩٠ يونانية.. لقد طلب كسرى ملك الفرس عدم نقض عهد السلام بين المملكتين. ويقال ان وثيقة الاتفاق على رسم الحدود كانت موضوعة على سارية، وجاء فيها: "لكي يرى الله الساكن في السماء بأني لست سبب نقض السلام، او الحرب التي تنشب في الارض، ولا أدخل أرض الروم بارادتي ما لم أضطر على ذلك". ولما أنبأه برفضه تأدية الذهب الذي كان

الروم يؤدونه للفرس من اجل استمرار السلام. لم يأبه لذلك. غير ان طيبريوس رماه بإهانة أخرى عندما قال: "ان لم تعطونا دارا ننقض السلام الذي بيننا". لذا تنمر الفرس ونقضوا السلام فنشبت الحرب.. توفي كسرى بعد ان حكم ٤٨ سنة. فملك ابنه هورمزدا الذي تسلم الحكم سنة ٨٩٠ ي. واشتهر بمآثره الكثيرة بين الفرس، ولكن أعماله تشير الى انه كان صبيا متوحشا ومؤذيا وقليل العقل بحيث انه عندما تسلم زمام الملك تصلف ولم يُرسل الى ملك الروم بحسب العادة الجارية هدايا المملكة كما فعل طيبريوس لدى تتويجه قبل فترة قصيرة، حيث أرسل هدايا الى والده كسرى ولئن لم يكن سلام بينهما. وأعاد رسل الملك بالشتائم ودلاهم على طريق جبلي وعرضي كادوا يموتون، وقالوا للادلاء كان الافضل ان تقتلونا من ان تأتوا بنا لنتعذب في هذه الجبال. وبعد فترة أثار حربا طائشة في منطقة الارمن والفرسن فعبأ قوريس القائد الروماني جيشا في المساء، وهجموا عليهم في الفجر كالنار التي تضطرم في الغاب، وكالسلهبة التي تحرق الجبال كما يقال. ودمروهم تدميرا قاسيا، ولم ينج سوى النزر اليسير، عادوا الى فارس يجرون أذيال الخجل والعار. وعاد القائد قوريس وقد أسر كبار قادة الفرس، ذلك ان الله يضع المتكبرين ويسقط المتشامخين ويخزي المتعجرفين ويكسر قرن عجرفتهم. وكانت فرحة كبرى وتعزية لجيش الروم، ولكل الشعوب والامم التي تحت نفوذهم.

فصل
في الاحداث التي جرت بين الملوك والكهنة
في السنة الثانية لطيبريوس

صوفيا تمنع زوجة طيبريوس من اللحاق به:

حدث في هذه الفترة نوع من التعدي على الشريعة في مملكة الروم وهو: ان الملكة صوفيا زوجة الملك يوسطنيان، لم تسمح لزوجة طيبريوس بدخول العاصمة مدة خمس سنوات، وهي الفترة التي كان طيبريوس يسوس المملكة خلال مرض يوسطنيان. ولما عاد يوسطنيان الى رشده، عاتبها قائلا: انك ترتكبين خطأ جسيما بمنعك زوجة طيبريوس عنه وهو شاب ولم يعتد جسده على التعفف، فأجابت: انا لم أفقد عقلي مثلك لكي أعطي ملكي لآخر وأنا على قيد الحياة. فظلت زوجة طيبريوس في هورمزدا. وبعد وفاة يوسطنيان، حاول طيبريوس جلب زوجته فطلب الى صوفيا ان تسمح بمجيئها فلم توافق. ثم دخل بطريركهم السخيف المجرد عن الايمان والذي لا قانون له، الى طيبريوس وعرض عليه ترك زوجته والزواج من الملكة صوفيا او ابنتها _وهكذا ظهر ان الاكليروس الخلقيدونيين لا تهمهم الشرائع والقوانين ولا الايمان، بل الامور العالمية الباطلة_ فتألم الملك طيبريوس كثيرا ونفر من ذلك المدعو بطريركا وقال له: ألا تخشى الله ان تطلب مني ترك زوجتي الشرعية التي أنجبت لي ثلاثة أولاد، وقد رافقتني أمام منبر كنيسة الله عندما كنت فقيرا؟ كيف أتركها وقد رفعني الله؟ حاشاي ان أفعل هذا. اني ألاحظ ايها البطريرك انك لا تعير اهمية للشريعة، وقد برهنت على انك لا تتمتع بايمان قويم. واذ احرج البطريرك قال: ان كبار المسؤولين هم الذين اضطروني على ذلك من اجل سلامة المملكة، فتشدد طيبريوس وقال: افضل ان أترك المُلك ولا أدوس الشريعة. فخرج البطريرك منكس الرأس. فخافت الملكة صوفيا وأمرت باستقدام زوجة طيبريوس والاحتفاء بها. فلقبها الشعب

وهي تدخل (العاصمة) بهيلاني. واحترم طيبريوس الملكة صوفيا وابنتها كثيرا وزاد في اكرامهما، حيث أوعز بان تسكنا قصرهما.

في فترة قيصريته، كان طيبريوس يوزع العطايا ويقول: لِم كل هذا الذهب مكدس هنا في حين ان الجوع يقضي على العالم، فكان ينفق ويوزع بلا حساب. وفي يوم تتويجه فتح الخزينة الكبرى ووزع كما يقال ٧٢٠ قنطارا، ما خلا الفضة وأنواع ܠܠܛܣܣܡ وغيرها، فأثرى الاغنياء ولم ينتفع الفقراء شيئا. وفي السنة التالية قصر يده ولم يسعف أحدا بشيء، ولم يقبل اي طلب يُقدم اليه. وقد أحسن صنعا بتغييره العملة، لان عملة يوسطنيان كانت تحتوي على تمثال يشبه تمثال فروديت. اما هو فأوعز ان يوضع صليب بدلا من التمثال. وقال انه أوحي اليه بذلك.

بعد سماعه بموت يوسطنيان وتتويج طيبريوس، توجه منذر بن حارث الى العاصمة وقابل الملك، فعاتبه الملك لعدم تحركه نحو الفرس لإعادة ما نهبوه من اوفيميان وعلى غيرها من الامور، فقال منذر: كل ما قلته حق، ولكن يجب ان تعرف السبب. فأطلعه على الرسائل التي كتبها يوسطنيان والمار ذكرها في الفصول السابقة، حيث كان يوسطنيان قد كتب رسالتين واحدة لمنذر واخرى لمرقيان الذي كان يحاصر نصيبين. ولو نفذ محتوى الرسالتين لنكب المسيحيون بأشر النكبات. لكن الله شفقة منه على المعمورة جعل الكاتب يسهو فيغير الاسماء دون معرفته، فكتب على رسالة منذر اسم مرقيان، وعلى رسالة مرقيان اسم المنذر. فاطلع طيبريوس على ما كتبه الى مرقيان وهو: "لقد كتبت الى منذر ان يتوجه اليك، اقطع رأسه بحكمتك". ثم اطلع على الرسالة الموجهة الى المنذر وجاء فيها: "لقد كتبت الى مرقيان. فتوجه اليه". فاندهش وشكر الله الذي فضح خداع يوسطنيان. فأكرم منذرا كثيرا وأعطاه الهدايا بسخاء، فتعهد منذر بقسم بأنه سيقاتل الفرس بعنف. وبطلب من منذر، أرسل الملك رسائل الى كل مكان بخصوص سلام الكنيسة ولاسيما لغريغوريوس البطريرك الخلقيدوني في انطاكية، وأمر بأن يتعبد كل واحد بالطريقة التي

يشاء. ويجتمع حيثما يرغب. وكان منذر يساعد الارثوذكسيين كثيرا لأنه منهم. لكن غريغوريوس الانطاكي رفض السلام، ولم يسمح بتلاوة رسالة الملك. وفي الوقت الذي كان منذر يهتم بتلاوة الرسالة في كل مكان، وصل رسل من لدن أولاده وأخبروه بأن الفرس يتهيأون لدخول منطقته، فأسرع في العودة وترك قضية سلام الكنائس، فعطل الهراطقة أمر الملك وقرروا إيذاء المؤمنين.

في هذه الفترة وصل دوميان بطريرك الاسكندرية الى سورية، وأخذ يتجول بين الاديرة زائرا. فتقاطر الاساقفة للسلام عليه، وذهب الى الرها لزيارة أخيه الوالي، ولدى عودته راودته فكرة سخيفة وهي إقامة بطريرك لسورية بالرغم من وجود بولس على قيد الحياة، كما كان الامر بالنسبة اليه والى بطرس، حين كان ثاودور ما زال حيا. فلما طلب موافقة اساقفة سورية رفضوا قائلين: إن لم يُدن بولس قانونيا لا نستطيع أن نقيم آخر بدلا منه. غير ان البعض وافقوا، فرشحوا شخصا ثم آخر ثم آخر. فرفض جميعهم، وأخيرا عثروا على شخص يدعى ساويرا فأخذه دوميان مع اسقفين الى كنيسة قسين في انطاكية، وأعطى للمقيم ١٨ دينارا ليفتح أبواب الكنيسة ليلا فيرسمه هناك. فعلم البطريرك الخلقيدوني بهذه المؤامرة، فأرسل رجالا ليقبضوا عليهم، فقبضوا على ثلاثة رهبان في البيت الذي اجتمعوا فيه. اما دوميان والاساقفة الذين معه ومرشحهم فقد نزلوا الى القبو، ومنه الى المزبلة التي في البيت، وخرجوا من الكوة. فخجلوا مما لاحقهم من عار اكثر من فشل مؤامرتهم.

ثم توجه دوميان الى العاصمة، وقابل المنذر بن حارث المتواجد هناك لتهنئته بالملك، فدعا منذر اساقفة واكليروس الطرفين وترجاهم ناصحا ان يكفوا عن الشقاق ويتصالحوا. وفعلا تصالحوا واتحدوا خلال وجودهم في العاصمة. وأقسم دوميان أمام المنذر ان يزيل الشكوك حول بولس لدى الاسكندريين. وحيث ان المنذر حظي بكرامة لدى الملك، شفع لديه في الاكليروس الاسكندري المسجونين هناك، فأخلى سبيلهم. كما

طلب منذر الى الملك ان يوقف الاضطهاد، فكان له ما أراد. غير ان دوميان والاكليروس انقلبوا مثل آبائهم، ورفضوا رسالته وعجزوا عن الرد عليها.

وفي العاصمة، وُجد جماعة من المشاغبين القذرين الذين لم يرق لهم السلام، فألبوا حزبا ووجهوا رسائل الى سورية ومصر، فاضطربت أمور المؤمنين بسبب الشقاق وتراجعت الى الوراء، فاجتمع اساقفة سورية مع الرهبان في دير مار حنانيا في البرية، وأقاموا احد الشبان يدعى بطرس بن بولس من قالينيقوس، بطريركا لكرسي انطاكية. وكان يعقوب في حياته قد رشح بطرس هذا مرتين للمنصب البطريركي ولم يذعن حيث قال في حينه: "اني أرفض لطالما أن هناك شخصا ما زال لم يُدن قانونيا"، لكنه الآن استجاب، فنصب من قبل دوميان بالرغم من وجود بولس. وبعد تنصيبه وجه رؤساء الكهنة رسائل الى يوحنا اسقف افسس الذي كان في العاصمة ليقبل البطريرك الذي أقاموه، غير أنه وبخهم بعنف لأنه تأثر لما خلقوه من اضطراب، وأوضح لهم انهم تصرفوا خارج نطاق القوانين، قائلا: "اني متألم جدا لما يحدث من انشقاق بيننا، واستشهد الله فاحص الكلى بأنني لم أجد ببولس علة، لذا لم أنفصل عنه ولا عن يعقوب".

فصل
في عهد طيبريوس نفسه
وما حدث بين الملوك والكنائس

وصل الشعب ذو الشعور المضفورة الى بلاد الروم في عهد يوسطنيان، فاعطوهم ذهبا وفضة. فاعتادوا، لسبب او آخر، أن يرسلوا جماعة منهم ليأخذوا المال. فتذمر المستشارون على الملك لتبديده أموال الدولة واعطائه للبرابرة. وفي إحدى المرات قال لهم، لن نعطيكم شيئا، فاستاءوا، فسجنهم مدة ستة أشهر في خلقيدونية ثم أطلق سراحهم، فاحتالوا عليه وطلبوا صناعيين وبنائين لبناء بلاط وحمام لملكهم، فسر الملك بهذا آملا ان يكسب صداقتهم فأرسل لهم مطلبهم، ولما وصل الفنيون أشهروا عليهم السلاح وألزموهم أن يبنوا جسرا على نهر دونبيس، مهددين إياهم بالقتل، فاحتجوا على اعتبار ان إقامة جسر على نهر أشبه بالبحر، صعب، فقتلوا اثنين منهم فخاف البقية وباشروا بالعمل، فأحضروا أخشابا طويلة وضخمة ومدوا جسرا قويا. واذ علم طيبريوس بذلك، قرر قطعه، فلم يستطع في حينه لانشغاله بالقتال مع الفرس والذي استمر نحو عشرين سنة. وقد زاد الطين بلة، هذا الشعب ذو الضفائر المدعو اباريس والقادم من أقصى الشرق. وشعب اسقليقيا الغربي، والشعوب المعروفة بـ "لونجنبرد" والتي كانت تحت سيطرة ناجين ملك اباريس، ثم مدوا جسرا آخر على نهر دنقيس.

في السنة الثالثة لطيبريوس، خرج شعب اسقوليا اللعين وعبث في الادا وتسالونيقي وتراقي، فخربوا وأحرقوا وانتشروا في كل الأرجاء، وحجزوا خيول الملك وتعلموا الحرب، في حين انهم أناس سذج لا يتراءون خارج الغابات والحصون، ولا يعرفون معنى السلاح. ولم يكونوا اكثر من قبيلتين او ثلاث، لكنهم سيطروا داخل بلاد الروم فترة طويلة، كما هدد شعب اباريس طيبريوس قائلين: إما ان تعطينا مدينة سرمين سلما وتفتدي سكانها بالمال. او نأخذها حربا ونقضي على سكانها. فأخذ يتماطل

بوعود يوما بعد آخر، على أمل أن يباغتهم من الخلف بشعب "تجبرد". ولما لم يأت هؤلاء، اضطر الى أن يسلمهم المدينة بعد ان عمّها الجوع بسبب الحصار الذي استمر سنتينن لجأوا خلالها الى أكل القطط وغيرها من الحيوانات، لأن جوعهم لم يكن أقل شدة من جوع السامرة. ولما دخل البرابرة رثوا لحال المعذبين بالجوع وأشفقوا عليهم، وأدانوا المسيحيين الذين لم يرأفوا بهم. فقدموا لهم خبزا مختمرا، فأكلوا بِنَهَم نتيجة جوع استمر سنتين، ولكن ذلك أدى الى موتهم بسرعة، والذين ظلوا على قيد الحياة، جمعوا كل ما لديهم وغادروها، فسكنها البرابرة، وبعد سنة اضطرمت فيها النار فأتت عليها، فهرب البرابرة وهم عراة، وغدت خالية تماما. واذ شاهد الروم ما حدث لسرمين، تراجعوا قليلا عن شرورهم.

سنة ٨٩٢ قال مرزبان أعور متعجرف لملك الفرس، سأجتاز بلاد الروم وأدمرها. فاحتقره الرب الذي يمقت المتكبرين. فلما بلغ مدينة تل موزلت، فاجأته جيوش الروم، وكان رجل شجاع يدعى قسطنطين قد قبض على جاسوس، واستفسر منه عن هيئة المرزبان طمكسرى. فلما شخصه بين القوات الفارسية، هجم على المعسكر الفارسي وصوب اليه السلاح وضربه وطرحه أرضا من على فرسه وتقدم منه وقتله، لكن قسطنطين الجبار قُتل هو الآخر، فدبّ الذعر بين صفوف الفرس فهربوا، وطاردهم الروم وأجهزوا على آلاف منهم.

موت البطريرك بولس:

لما رأى بولس بطريرك السوء، ان زوابع قد ثارت بسببه، اختفى، فظن بعضهم أنه في جبل ايسوريا، واخيرا ظهر أنه كان يقيم في جبل العاصمة لأربع سنوات. ولما مرض دخل العاصمة خلسة حيث توفي فدفن ليلا في دير للنساء، وأقسم بعض اتباعه بأنه ليس هو، وبمثل هذه السرعة رحل هذان الرجلان العجيبان يعقوب وبولس. فتفطرك بطرس بصورة غير نظامية مكرها من قبل بعض السوريين لان بولس كان لا

يزال حيا. وحيث ان بطرس كان مثقفا وعالما ومتضلعا من اللغتين، ومشهودا له بالسيرة الحسنة، وبخه ضميره لأنه لم يجلس على الكرسي بطريقة شرعية، فدخل الاسكندرية وقال: اني استقيل اذ لا أود أن ينشأ نزاع بسببي، فقاومه الاسكندريون فخرج كئيبا. وفي تلك الاثناء وصل خبر وفاة بولس، فثبت بطرس، لكن بعضهم اعتقدوا ان بطرس كان يعرف بموت بولس، لذا دخل الاسكندرية بطريقة ذكية ليقول: اني أستقيل.

تنصر شعب الودوس:

في هذه الفترة، وصلت أنباء الى الشعب المعروف بـ "الودوس" وهم من الحبشة الداخلية، تفيد بأن شعب نبدوس قد تنصر، فسألوا ملك نبدوس ان يوفد اليهم الاسقف الذي هداهم ليهديهم هم ايضا. ولما علم الاسكندريون حاولوا الاّ يقبل لونجينا فكتبوا يقولون: انه عزل مع لونجينا، فلا يجوز ان يوفد لمثل هذه المهمة. غير ان ملك نبدوس لم يقتنع بكلام الاسكندريين الذين تجرأوا ووجهوا الى شعب الودوس في الحبشة الداخلية، رسائل مفعمة بالشتائم للونجينا الذي كان ما زال ضالا، فأرسلوا اسقفين ليقولا: انه غير مسموح لذاك ان يمارس أية خدمة كهنوتية، وان الله قد انتقم منه. فأجاب الاحباش: نحن لا نقبلكم، بل نقبل الذي هدى شعب نبدوس، ولونجينا الذي عمد الملك وكافة الشعب. وكانوا قد رحبوا به كثيرا كما يبدو من رسائل ملك الودوس التي بعث بها الى ملك نبدوس. تم هذا الحدث سنة ٨٩١.

كان الملك طيبريوس يجهل الامور العقائدية، فاضطره أصحاب المجمع ان يضطهد المؤمنين، فحاول تأجيل ذلك، فدخل اليه أوطيخ ووشى بالارثوذكسيين، فقال الملك: لا تزعجني، تكفيني الحروب الخارجية، فاهتم انت بشؤون الكنيسة، وأنا بريء من أية خطيئة. فحنق أوطيخ على الارثوذكسيين وهدم مذابحهم ونهب ونفى وصب غضبه بكبرياء على عبارة "يا من صلبت لاجلنا". ثم قصد الراهبات الشرقيات اللواتي كن

يؤدين خدمتهن كالعادة، وتوعدهن فتطاولن عليه. ولما رأى اكليروسه جسارتهن، قالوا له: هلم ننصرف فقد آن أوان "اللوطرغيين"، فتركهن وشأنهن. ثم وسع أوطيخ رقعة اضطهاده، فقبض على يوحنا الاسيوي المؤرخ ومعه عدد كبير، ووضعوهم في مكان خاص في السجن، يترشح الماء من زواياه الاربع، ولدى هطول الامطار، ينساب الماء من فوق فيدلف السقف مدة يومين او اكثر حتى بعد انقطاع المطر، فكانوا وكأنهم داخل بحيرة. وقد اعتاد ذوو الطبيعتين ان يجادلوهم يوميا، وكان ليوحنا مقعد يجلس عليه لألم في رجليه فأرسل اوطيخ وأخذه. ثم دخلت عصابة المضطهدين الى بيت مارينوس، وهجموا على المؤمنين وهم في الكنيسة، وقلبوا المذبح ورموا المقدسات التي عليه وبددوا القربان وسحبوا الاكليروس، وأنزلوا صور سويريوس وثاودوسيوس وحملوها خلف رؤوسهم هُزءاً. فعلم الملك بذلك فوبخ اوطيخ الذي خفف من حدة طغيانه. فخرج يوحنا والذين معه من السجن، ثم هاج أوطيخ وصمم على إغواء الارثوذكسيين، فضربه الرب بغضب فمات حالا.

فصل

في خداع الروم لدولة العرب المسيحيين، وموت طيبريوس والاحداث التي تمت في هذه السنة في الكنائس. وفي رؤساء الكهنة

حدث نزاع بين منذر ملك العرب وموريقي قيصر الروم، لاعتقاد الاخير بأن منذر أوعز الى الفرس فقطعوا الجسر المقام على نهر كبير في بلدهم، فتوجه موريقي الى الملك طيبريوس وقدم شكوى ضد منذر، فوعد مجنا السوري بالقبض عليه وكان صديقا له. فذهب الى سورية وأرسل بطلب منذر يقول: احضر هنا لأطمئن على صحتك لأني تعب جدا من عناء الطريق، وإلا لكنت جئتك، فصدقه باعتباره صديقا، فجاء اليه صحبة نفر قليل. فأشار اليه ليدعهم وشأنهم. وفي المساء قبض عليه وسلمه الى جيش الروم فأتوا به الى العاصمة. فلما علم ابنه نعمان بالأمر، جمع جيوشه واقتحم مناطق الروم ونهب ذهبا وفضة وسواها دون ان يأسر أحدا أو يقتل أو يحرق. فسلم الملك زمام حكم العرب الى مجنا، وأوعز اليه بالقبض على ابناء منذر، فأخذ يغرر بنعمان ويقول: اذا جئتني وضعتك موضع والدك. فأخذ صبيا ووضع عليه ثيابه وأرسله اليه صحبة أطفال صغار. فلما رآه مجنا سأله: ألانت نعمان، أجاب: أنا هو وقد جئتك بحسب طلبك، فأمر ان يكبلوه بالحديد على اساس أنه وكيل الملك، فضحك وقال: مثلما أردتم ان تخدعوني خدعتكم، وحق المسيح انا لست نعمان، فحاول مجنا قتله، فقال الصبي: كان لا بد من قتلي. فإما من مَلكي في حالة رفضي المجيء اليك، وإما من قِبَلك. فالموت اذن هو شرف لي. فأدبه ثم أطلق سراحه. ومات فيما بعد مجنا الرجل القاتل الشرير.

ثم ضغط نعمان على نفسه وتوجه الى القيصر موريقي فرحب به وأقسم له بأنه سيعيد أباه من المنفى اذا قاتل الفرس، وطلب اليه ان يتناول من المجمعيين فاعتذر قائلا: ان كافة القبائل العربية هي ارثوذكسية، واذا تناولت من المجمعيين، قتلوني. فزاد هذا الموقف من حقدهم، ولما خرج

نعمان أقسم بأنه لن يرى وجوه الروم بارادته، لذا قبضوا عليه وهو في الطريق وأرسلوه الى المنفى مع أبيه منذر، فقسمت مملكة العرب الى خمسة عشر رئيسا، مال معظمهم الى الفرس. وهنا انقرضت مملكة العرب المسيحيين بسبب خداع الروم، وأخذت تتفشى البدع بين العرب.

بعد اوطيخ، قام للمجمعيين في العاصمة، البطريرك يوحنا الذي كان خادما ليوحنا السرمي، وقد أكرهه الملك طيبريوس على قبول المنصب، وكان صواما وكثير السهر ومحبا للسكينة، فاشترط ان لا يلزم بترك نظامه، ولا يقابل احدا حتى الساعة التاسعة. فبقي محافظا على عاداته. فيمضي طول النهار راكعا يصلي، وكان نحيفا ويابسا كالخشب. ومنع المجمعيين من نهب وخطف أموال الارثوذكسيين، وكان ينشد السلام ويقرن أعمال الرحمة مع صومه ونسكه. وكثيرا ما وشي به على انه من عقيدة سويريوس لأنه لم يذعن لإرادة الاشرار، فأخبروا الملك بأمره ليردعه عن العطاء السخي كي لا يحتاج الى تبديد مخصصات الكنيسة، فأجاب وقال للملك: لا تقلق انت والذين علموك. فإني لم أعط دانقا واحدا من أموال الكنيسة، وبالرغم من ضغوط المجمعيين لاضطهاد الارثوذكس، فإنه كان يرفض دائما. غير ان الظالمين لم يهدأوا من إثارة الفتن بكل أشكالها حتى بلغت بهم الوقاحة ان يبصقوا في وجوه المؤمنين ويقتادوهم الى المحاكم، والمؤمنون يحتملون كل ذلك في سبيل الله. اما اولئك فكانوا يتذمرون على البطريرك حتى تواقحوا وقالوا له: ان لم تضطهد الارثوذكسيين كما فعل أوطيخ، اعتبرناك منهم، لكنه لم يأبه لخبثهم.

كان رؤساء كهنة المجمعيين في عهدي يوسطنيان وطيبريوس كالآتي: في رومية، يوحنا وهو الـ ٥٨. وفي القسطنطينية، عاد أوطيخ الى الكرسي لمدة ١١ سنة ثم مات، وذلك بعد يوحنا السرمي الذي كان الاسقف الـ ٢٥ ولمدة ٩ سنوات. ثم قام يوحنا الناسك وهو الـ ٢٦. وفي انطاكية، بعد وفاة غريغوريوس وهو الـ ٥٦، عاد أنسطاس. وفي الاسكندرية، قام يوحنا. وفي اورشليم، كان اسطاثاوس وهو الـ ٥٩. وفي

الرها، كان ابيفانوس وهو الـ ٤٠ وخلفه سويريوس الفلسطيني. اما الارثوذكس فنصبوا في الاسكندرية بعد البابا ثاودوسيوس، تيودور الذي تنحّى، وأقاموا بطرس لمدة ثلاث سنوات، ثم قام دوميان. وفي القسطنطينية، كان يدير شؤون الارثوذكسيين، يوحنا الاسيوي، وفي سورية يعقوب الذي رسم للرها وهو الذي ثبت الارثوذكسية، ورسم بمعاونة اساقفة ارثوذكس، بولس الاسود بطريركا للكرسي الانطاكي والذي نُحي فيما بعد، لاشتراكه مع المجمعيين، وأقاموا بطرس وهو الـ ٤٦.

سنة ٨٩٣ وهي السنة الرابعة لطيبريوس والتي فيها ختم حياته، فقد الخبز في بلاد الغرب ولاسيما في العاصمة. واذ لم يبق خبز في الاسواق، أمر الملك بأن يطرح الشعير المخزون ويوزع بالتموين، فنفذ خلال ثلاثة ايام. ثم أمر ان يقدم العلف المخزون للخيل في كافة اسطبلات المملكة، ليُخبز، وكذلك كل ما وجد في المخازن من المؤن، اي العدس والحمص والرز وفتات الخبز، فتُخلط وتُطحن مع الشعير وتُخبز. فكان خبز النكبات ذاك يظهر في الاصباح فيُخطف بأثمان باهظة، ثم استورد الملك القمح من عدة بلدان، من مصر وتابيدا. غير ان الجوع عمّ تلك البلدان ايضا، فحدث ضيق في العالم بأسره، حتى أوشك البشر على ان يُمحوا من وجه الارض، واستحوذ الموت اولا على الشباب والشابات لسببين: الاول: لئلا يتمرغوا بحمأة الخطيئة. والثاني: توبيخا لقساوة الشيخوخة التي وصلت الى فوهة القبر دون توبة. ثم بسط الموت يده الى كافة الاعمار. واخيرا جاءت رحمة الله الرؤوف، فكثر الصيد من البحر بغزارة ومن صنف واحد من الاسماك وهو المعروف بـ "التون"، فأخذوا يجمعون منه وكأنهم يلتقطونه من غمار الحنطة وأكداسها، فعم الشبع ورخص السمك، حتى صارت التونة الواحدة بفلس بعد ان كانت بتسعة دنانير. وفي الاماكن البعيدة عن البحر، وفر الله الخضروات كالخس والبطيخ وسواها، فكان الناس يقتاتون بها.

في هـذه الفـترة، شـبّ حريـق فـي العاصمـة، وحـدث فيهـا زلـزال عنيف ولاسيما في المناطق الشرقية منها، رافقه صوت صراخ صاعد من الارض. كما ظهر في هذه الفترة جراد بكثرة فعاث فسادا.

فصل
في فترة وفاة طيبريوس، وحروب الفرس والبرابرة

كان الملك قد أعطى كنيسة للغوطيين من شيعة أريوس، لأنه احتاج الى ان يرسلهم لمحاربة البرابرة. فلما عادوا منتصرين طلبوا كنيسة أخرى، فقال لهم: سنوعز الى بطريرك المدينة ليعطيكم كنيسة. وعلى اثر هذا ثارت ضجة كبرى في المدينة اعتقادا من الشعب بأن الملك أريوسي. فلدى دخول الملك الكنيسة الكبرى للصلاة كعادته، صرخ الاكليروس: لتعد عظام أريوس ومشايعه. فغادر الملك الكنيسة الى البلاط، ودعا البطريرك وقال له: ماذا رأيتم فيّ ايها الاخوة حتى تظنونني أريوسيا؟ ثم اعتذر وتعهد بإصدار بيان يأمر فيه بإلقاء القبض على جميع الأريوسيين وطردهم من المدينة.

لما دنا اجل كسرى، واختار جيشه ابنه الصغير هرموزدا ليخلفه، زود ابنه الكبير بما يحتاجه وأبعده لئلا يُقتل. وكانت أخباره تقلق هرموزدا. وادّعى شخص محتال بأنه ابن كسرى، فتوجه نحو جيش الروم في ارمينيا وقال: انه ابن كسرى وجاء ليسلم مملكة الفرس للروم اذا ما جهزه ملك الروم بالجيش، فسرّ طيبريوس لهذا الخبر وأرسل ثيابا ملكية ومالا وأمر بالاحتفاء به لدى قدومه الى العاصمة. ولما بلغ خلقيدونية، أرسل الملك وكيل ملك الفرس ليتعرف عليه، فعرفه وأمسكه من شعره وطرحه عن الكرسي وقال: كيف تجلس على الكرسي وانت لص في حين ان الزعماء واقفون أمامك؟ فضربه وفضحه، فأعلن ذلك الشقي تنصره خشية الموت.

فيما كانت شعوب برابرة أباريس والاسقلونيين يعيثون فسادا في مناطق الروم، حملت جيوش الروم على فارس، وفيما هم يحاربونهم، دخل المرزبان أدرمون أرضهم ووصل الى الرها وأضرم نارا في جهتها الشرقية، وأحرق عدة كنائس وأديرة وقرى على امتداد ١٥ ميلا. ثم انتقل الى جهة المدينة الشمالية وأحرقها، وأحرق هيكل المعترفين. وفي اليوم

الرابع قتل الفرس جميع الاسرى وأحرقوا جثثهم فتصاعد الدخان حتى كاد يحجب الشمس. وقال بعضهم: أنهم قلعوا الاشجار وأضرموا النار. وقال الاخرون: كان هذا بفعل سحرة أدرمون الذين كان زعيمهم في فارس. وأخيرا تبين سبب احراقهم الجثث. ثم اجتازوا الى الجهة الاخرى وضربوا خيامهم وحاربوا المدينة مدة ثلاثة أيام، ولما شعروا بعجزهم عن مواصلة القتال، اتجهوا صوب قالينيقوس، حيث وصل الروم والعرب الذين مع القيصر موريقي، والذين كانوا في فارس، فاشتبكوا مع الفرس وأجهزوا على العديد منهم، واستعدوا للقضاء عليهم كليا في اليوم التالي، لكن الفرس أضرموا نارا في معسكراتهم وتركوها وهربوا.

لقد اعتاد الملك طيبريوس على أعمال الرحمة والرأفة بالمساكين. لذا أمر بتخفيض ربع الضرائب. فقد جرت العادة ان يؤخذ طاس من الخمر من كل جرة تدخل المدينة، وبذلك تتجمع عدة قناطر، فألغى هذه العادة، وأمر بأن توزع الخمر مجانا على ولاة المدن، لكي لا تكون سببا لابتزاز الناس، كما أمر أن تغلق أبواب دوائر الجمارك.. لقد أصيب طيبريوس بالمغص المعوي في سنته الرابعة، ولما شعر بدنو أجله وكل عنه موريقي وهو من اربيسيوس قبادوقيا، وزوجه ابنته اغوستا وجمع المستشارين وطلب اليهم أن يصلّوا من أجله وتحدث اليهم مطولا ووضع التاج على رأس موريقي، وبعد يومين توفي. فاتشحت المدينة بأسرها بالسواد حدادا على موت أبي الرحمة الطيب، وعلى جمال فتوته، ويقول الكثيرون، ان تشييعه كان منقطع النظير، وحزن عليه الجميع، لأنه كان يطيّب خاطر الجميع، طيّب الله ثراه.

بعد موت ايفان اسقف الرها الخلقيدوني السيء الصيت الذي أذاق الارثوذكسيين صنوف الشرور، بقي كرسي المدينة شاغرا مدة ٩ أشهر، لأن غريغوريوس أراد أن يعين اسقفا من اكليروسه، غير ان الرهاويين الخلقيدونيين لم يوافقوا، فالتمسوا من الملك طيبريوس ان لا يُعيّن لهم شخص من منطقة انطاكية، بل ليرسل لهم من يشاء من لدنه. فأرسل لهم

شخصا مشهودا له بالخلق والسيرة الصالحة يدعى سويريوس من الولابوليس، ورسمه غريغوريوس الانطاكي مرغما فاستقبل بفرح وترحاب بالغ، بيد أن فرحهم تحول الى حزن لأن جماعة من أبناء الرها كانوا قد هربوا الى انطاكية بسبب الجدالات، وعدهم سويريوس خيرا واصطحبهم الى الوالي، لكن الوالي قبض عليهم وسجنهم، فامتعض الاسقف وانزعج ابناء المدينة.

لقد وضع يوحنا الاسيوي ثلاثة مجلدات في التاريخ اعتبارا من عهد قسطنطين حتى عهد موريقي، حيث أكمل الطوباوي سعيه، وكتب سير القديسين الذين كانوا في ايامه. منها أربع وخمسون سيرة مدونة في كتابي التاريخي الآخر. وهي سيرة كل من: بطرس، مار زعورا، يوحنا الناسك، ابراهيم سعرون، سرجيس وسمعان، بولس الابيلي، طوبانا، الخوري حرفط، آباي المتزهد، سيرة راهبين، سمعان الابيلي، قديس مجهول الاسم، آحو اسقف قسرين رئيس دير القديس زكريا، آحو الحكيم، يوحنا الافسطي، احد المتوحدين، دحلا الغيور، اسقف ... سمعان الامدي، سكان الدير الامديون المضطهدون، مارا المتوحد، القس لاونتي، ابراهيم الشيخ، بسيونا، البطريرك سويريوس، يعقوب الطوباوي، اسقف دكيوس الشيخ، بطرس وفوتيوس، وعن دير مار يوحنا في آمد: ابراهيم العلماني، توما واسطيفان، توما اسقف ارمينيا، اداي، ابراهيم، سمعان، ايليا وتيودور، هرون، طيرسيونا، الطوباوي اسحق، الطوباوي بولس، ابناء زعماء انطاكية، قريا، امرا اسقف الاورطيين، ثاودور، الملكة تيودورة، سوسن، مريم الابيلية، الطوباوية قوزمه. وعن قيصرية فطريقيا، سوسية، راهبتان، اوفيميا. انتهت هذه السير.

بعد ان رفض هؤلاء ضلال مجمع خلقيدونية، تميزوا كالرسل بالقوات والمعجزات دعما لحقيقة الايمان الذي علمه الرسل القديسون. وهو ايمان الرافضين للمجمع المنافق والمتمسكين بالعقيدة الارثوذكسية مثل الرسل القديسين. هذا هو الايمان الذي تتمسك به كنيستنا.

ايضاح

لقد بدأ زكريا الفصيح تاريخه من عهد ثاودوسيوس حتى عهد يوسطنيان، كما كتب في الرها القس قورا البطناني عن عهد يوسطنيان ايضا حتى وفاة طيبريوس، وذلك في ١٤ مقالة، أما يوحنا الامدي المؤرخ الاسيوي، فقد بدأ تاريخه منذ عهد قسطنطين الذي بنى القسطنطينية، حتى عهد موريقي، في ثلاثة مجلدات. وقد اقتبس المرحوم البطريرك ميخائيل من هذه الكتب حتى هذه الفترة، مميزا الشؤون الخاصة بالشعوب والممالك عن الشؤون الكنسية. فحصر الشؤون الكنسية على قدر الامكان في العمود الاول كما ذكرنا، ووضع تسلسل الممالك في العمود الوسطي، ووضع الاحداث والمعجزات في العمود الثالث. وقد بذل جهدا كبيرا في سبيل فصلها، وذكر أنه سبّق حدثا على الآخر بسبب الفوضى التي دونت بها هذه الاحداث، لاسيما في كتب القديس الاسقف يوحنا نتيجة لما عاناه من اضطهاد، والتنقل من مكان الى آخر. لذا فإن ما حدث مثلا في عهد ملك سابق تراه مدوناً في عهد خلفه. وحيث ان مثل هذه الامور تربك افكار القراء لا سيما القليلي الخبرة، لذا فقد بذل ميخائيل جهدا قدر المستطاع لتمييز وتنظيم هذه الاحداث، وبخاصة بالنسبة الى عدد السنين في كتب القديس مار يعقوب الرهاوي ويوحنا الاثاربي المتوحد. وفي كتاب اغناطيوس الملطي. أما بالنسبة الى الحدث او المقال الطويل العريض، سواء كان ذلك خبرا يخص الممالك، او شأنا من شؤون الكنيسة، فقد سجلها البطريرك يوحنا صفحة صفحة. وهذا ما فعلناه هنا بالذات، لكي لا يتيه القراء. أما الاحداث التي كتبت بإيجاز، فوضعت في العمود بحسب ترتيب الكتاب، وميزت بالفصول بحيث ينتهي الفصل بنهاية الحدث. وكما قلنا أعلاه، فإن كتب المؤرخين الثلاثة، زكريا الفصيح وقورا البطناني ويوحنا الاسيوي اسقف افسس، شملت حتى هذا الزمان الذي تنتهي به، لأن سعيهم في الحياة كان قد انتهى، وانتقلوا من هذا العالم.

لقد وضع هذا الايضاح المرحوم البطريرك ميخائيل نفسه الذي يوضح ان مدّ كتاباتهم توقف، كما توقف مدّ كتابات المؤرخين القدامى والمتوسطين، مثل افريقيانوس واوسابيوس.

ـ من هنا يبدأ تاريخ البطريرك الملقب بالتلمحري ـ

مقدمة تاريخ التلمحري:

_ هذه أولا مقدمة كتبه:

ان نفسك الابية لا تشبع ولا ترتوي من نهم جمع الحِكَم، يا من أنت أحب الناس اليّ، الابن الروحي ايوانيس مطران دارا. فان التعاليم الآلهية والعقائد الارثوذكسية التي تمرست بها منذ نعومة أظفارك وحتى شيخوختك، غزيرة، بحيث اذا وصفك أحد بنهر تنساب منه مياه الحياة وتبتهج به مدينة الله اي الكنيسة المقدسة، لا يكون قد حاد عن الحق. فإني ألاحظك تلتهب نهما بجميع المعارف، لذا استوجب ان تنعش نفسك وتجهدها بأخبار أحداث العالم، فتجمع منها كنزا يشبع نهمك، فلا تضع علي، أنا الضعيف، هذا العبء، لم لا تفكر بالشيخوخة التي أخذت تثقل رأسي؟. ان أمورا كثيرة لاسيما الشؤون الكنسية الرسمية، ومشقات نفسي الشقية، لا تدعني حتى ان استنشق الهواء بلذة، ولا يقر لي قرار في مكان واحد، لكني انتقل من قرية الى اخرى، ومن منطقة الى منطقة بأسفار طويلة ومضنية، وقيام ولصق الوجوه على الارض أمام أبواب السلاطين، وما يتبع هذا من إهانة واحتقار. ولكن نظرا الى الحاح غيرتك وهمّتك، تذكرت ان لي نهما انا الآخر في قول الحق، مثلما ألححت يوما على بعضهم ليدونوا للأجيال القادمة، الاحداث التي تمت في أيامنا فلم يوافقوا.

لذا قررت ان أحمل هذا الحمل بنفسي ولئن وهنت قوى ضعفي. واذ أتكل على الله، اقتحم ميدان هذه التجارة.

ولئن كتب العلماء عن الازمنة القديمة، منذ بدء الخليقة حتى عهد الملك الؤمن قسطنطين، وتحدثوا عن ابداع العالم والخليقة، وتسلسل الانساب من آدم مع عدد سنيهم، وعن الملوك الذين حكموا ومدة حكم كل منهم، غير ان ما كتبوه لا يعتبر تاريخا كنسيا، بل تاريخا عاما أو مدنيا، كالتواريخ التي كتبها يوسيفوس واندرونيقس وافريقيانس وانيانس وجاورجي الرغثي، ويوحنا الانطاكي، وأخيرا اوسابيوس وبمفيليوس. وان أول من وضع تاريخا كنسيا كان اوسابيوس ثم سقراط وزوسيموس وثاودريط وزكريا وايليا ويوحنا الاسيوي، وآخرهم القس قورا البطناني. كما ان يعقوب الرهاوي وضع جدولا للسنين، وكذلك فعل يوحنا العمودي الاثاربي، كما كتب أخبارا هي أشبه بتاريخ كنسي، كل من دانيال بن موسى الطورعبديني، وآخر يدعى بن صموئيل من الغرب، وآخر يدعى ثاوفيلا، وثاودوسيوس مطران الرها، لكن هؤلاء جميعهم كتبوا تواريخهم بايجاز واقتضاب، دون ان يعيروا اهتمام الى حقيقة الظروف وتتابع الاحداث. ان ثاوفيلا الرهاوي كان خلقيدونيا، وكان حقده على الارثوذكسيين موروثا، فكان يزيف كل حادث ورد فيه ذكر أحد من جماعتنا. أما نحن فننهج نهج الاولين ونبدأ من حيث ينتهي قورا البطناني، مقتبسين من كتاباته بعض الشيء من الحقائق الواقعية.

فصل
في بدء ملك موريقي الملك اليوناني الثاني

أقيم في هذه الفترة، بطرس القالينيقي بطريركا لكرسي انطاكية لكنيستنا الارثوذكسية. لان بولس الاسود، الذي ولئن كان الاسكندريون قد اشتركوا برسامته مع يعقوب البرادعي بشخص البابا ثاودوسيوس، كان قد نُحي لسببين: الاول: لاشتراكه مع المجمعيين. والثاني: لانه رسم تيودور من رومنين بطريركا للاسكندرية من دون علم الاسكندريين. ولم يكن بولس قد تبرأ بعد من الشكوى او التهمة الموجهة اليه من قبل السريان والمصريين. وفيما كان يتجول في الشرق والغرب يثير القلاقل، اتفق اساقفة المشرق مع الاسكنريين ورسموا لهم بطرس الشهير في دير مار حنانيا في البرية الكائن بين بالوس والرقة. وكان بطريرك الاسكندرية آنذاك دوميان الذي سبق وان تحدثنا عنه مطولا، وكيف أقيم بطرس للاسكندرية مدة ثلاث سنوات، بعد تنحية تيودور ثم دوميان هذا. ووجد في هذه الفترة في الاسكندرية شخص سفسطي يدعى اسطيفان يعلم بعدم وجوب القول: "باختلاف التعريف الطبيعي للطبائع التي منها كان المسيح بعد الاتحاد". فنبذ بسبب هذا التعليم بعد ان نصحه دوميان ولم ينتصح ولم يشأ ان يسلم بالحق، بل خاصم وناقش لإثبات رأيه، وقال: لا يمكن ان يكون اختلاف التعريف الطبيعي التي منها اتحاد المسيح سوى انقسام الطبائع.

سفطسة اسطيفان:

عندما دخل البطريرك الانطاكي بطرس الى الاسكندرية لطرح موضوع جماعة بولس، دخل معه يوحنا ابن بور رئيس الدير وفروبا المنطقيان اللذان علما بسفسطة اسطيفان. فكتب فروبا متنازلا عن رأيه. وكان يوحنا وفروبا يتوقعان رسامتهما اسقفين. واذ لم يحصل ذلك، لرفض البطريرك رسامتهما، خاب أملهما. فحاولا الاجتماع بالسفسطي، ولمّا علم

البطريرك انهما يميلان الى ذاك لغاية في نفسيهما، نصحهما بأن لا يلتقيا به، فرفضا نصيحة البطريرك ومكثا في الاسكندرية، والتقيا به بعد عودة البطريرك الى سورية، وتحدثا اليه، وتناسيا كل ما كتبا وقالا ضده، وأخيرا تورطا في عقيدته. لقد كان رئيس الدير يعرج على الجانبين، اذ كان يغير رأيه نظرا الى من يلتقي بهم. أما فروبا فكان يحاول جهارا ان يبني ما هدم. ولما طرده دوميان جاء الى المشرق وحاول ان ينشر عقيدة السفسطي فطرد من الكنيسة. ولما علم رئيس الدير بطرد فروبا، أخذ يساعده ويدافع عنه، حيث عُقد في الجب الخارجي مجمع للنظر في أمره، فكان دفاعه مفعما بتجاديف السفسطي وفروبا، لذا أبعدوه عن خدمته. فكتب البطريرك مقالا عزلهما ودحض عقيدتهما مستندا الى تعاليم الملافنة الذين يصرحون بتغيير الطبائع التي منها المسيح قائم بعد الاتحاد دون تعددية او انقسام الطبائع. واذ نُبذا تبعا المجمعيين، فدخلا الى انسطاس الانطاكي وقبلا بدعة مجمع خلقيدونية. ولما طرد رئيس الدير من ديره، سكن دير اسطاثي في ارتح حتى وفاة البطريرك ليجادلاهم، مدعين ان بطرس سقط في تكرار تحديد الايمان لاعتقاده بتعريف واختلاف الطبائع التي منها المسيح قائم. وعدم اعترافه بتعدد الطبائع. وبعد الجدال ومناقشة عشر رسائل، كذبهم، فخجل فروبا على اثر هذا الجدال وتوجه الى القسطنطينية فخدع بطريركها فأقامه اسقفا لخلقيدونية. ثم مرض وشعر بدنو أجله فتاب وطلب الى تلاميذه ان يخرجوا الى الشوارع ويذهبوا الى المدن القريبة، ليأتوا له، إن أمكن، بكاهن ارثوذكسي ليغفر له ذنبه. فلما لم يجدوا ضاقت نفس الشقي وزاد ندما، وأرسلهم ثانية ليجلبوا ولو راهبا بسيطا او علمانيا، ولما لم يجدوا، ردد أحد تلامذته: كيف يغفر راهب بسيط للاسقف؟ فأجاب: نعم، نعم ان علمانيا ارثوذكسيا يغفر للاسقف الهرطوقي. فقال تلاميذه: اذن نحن هراطقة؟ أجاب: هذه هي الحقيقة، ومات دون مغفرة. أما تلاميذه فلم يشتركوا مع الخلقيدونيين، بل جاءوا الى سورية وعادوا الى المعتقد الصحيح.

بعد وفاة طيبريوس ملك الروم الذي حكم سنة ٨٩٤ ي. ملك موريقي من اربيسون، وكان قد عين بأمر طيبريوس قبل وفاته وزوجه ابنته اغوستا. وتسلم موريقي مقاليد الحكم في ٥ آب ٨٩٣، وتثبت في الملك في ٤ آب ٨٩٤. وفي ذلك اليوم أنجبت له زوجته اغوستا ولدا دعي ثاودوسيوس، وقد ولد بين ارجوان المملكة.

في هذه الاثناء تمرد الروم على الملك وعينوا قائد قوات اسمه غارميس. فلما علم هورمزدا ملك الفرس، بعث اليهم رسولا يحمل تعهدا ليجذبهم الى جانبه، لكنهم أهانوه وتقدموا لمحاربته، فقتلوا جمعا من الفرس وأسروا ثلاثة آلاف عبد وأرسلوهم الى موريقي، وعادوا تحت إمرته طوعا فرحب بهم، ونفح غارميس بهدايا وعطايا.

أمر موريقي ببناء اربيسون مدينته، وهي احدى مدن منطقة ارمينيا الثالثة، وبعد ان اكتملت بأبنيتها الجميلة، هدمت ودمرت سنة ٨٩٨ بسبب هزة أرضية، فأمر الملك وأعيد بناؤها بشكل أفضل من ذي قبل وتحت إشرافه المباشر، غير ان هزة أرضية أخرى أقسى من الاولى دمرتها كليا.. في السنة السادسة لموريقي قاد فريقس جيوش الروم وتوجه الى بلاد فارس، غير ان الجيش رفضه، فعين الملك موريقي فيلبس قائدا وهو زوج اخته. فأحرز عدة انتصارات. هذا وان الجيش كان قد ضغط على الملك لإعفاء فريقس نظرا الى شراسته وسفاهته. ولما كان الجيش قد اعتاد على التمرد، أخذ يتآمر على فيلبس ايضا، وفكر القادة في خلع الملك وتنصيب آخر بدلا منه. وبعد تلك الحرب التي خاضوها مع الفرس، رجعوا الى انطاكية وشتوا هناك، وحدث خلال ذلك الشتاء زلزال في انطاكية، دمر معظمها، وتشردت الجيوش في ضواحي المدينة. واتفق الفرسان على العصيان على الملك، فأرسل الملك الى الاسقف ليصالحهم، فتصالحوا وقبلوا قيادة فيلبس صهر الملك. وبعد ان اتفق الروم، علموا بأن الفرس في نصيبين استمالوا حارس ميافرقين بالعطايا، فسلم لهم المدينة، فهلك كثيرون من الروم المتواجدين فيها، فانتقل فيلبس والجيش من

انطاكية الى ميافرقين فحررها عسكريا وقتل من فيها من الفرس ووطن فيها الروم. وفي طريق عودته، مرّ فيلبس بمدينة زوغيم وأمر ببناء كنيسة باسم والدة الله. ويقال ان في يوم عيدها، كانوا يغلقون أبواب الكنيسة ويثبتونها بمغاليق، واذا بها تنفتح تلقائيا. ويقال ان والدة الله هي التي تفتحها. غير ان الخلقيدونيين شيعوا، بأن صحة هذا الاعداء ليست ثابتة. وقال آخرون: ان الكهنة هم الذين يفتحونها بطريقة فنية.

في السنة الثامنة لموريقي، تمرد الفرس على ملكهم هرموزدا. فأمسكوه بالحيلة، وقلعوا عينيه فمات. وبعد عشرة أشهر، وفي السنة الـ ٩ لموريقي، ملك الفرس كسرى بن هورمزدا، وقد نصّبه الذين قتلوا والده لكثرة شرورهم أنفسهم، وذلك سنة ٩٠٢ ي.

في هذه الفترة بنى موريقي حصنا في منطقة الصوفانيين باسم شمكرت.

سنة ٨٩٤ احتل الروم حصن قبا ودمروه، غير ان الفرس ضربوا الروم وأسروا الكثيرين وأعادوا بناء الحصن. وفي هذه الاثناء أيضاً، أرسل الروم رسولا الى ملك الفرس فأهانه شر إهانة، وقتل أمامه جميع الاسرى، ثم صرفه مهانا. واستمرت العداوة مستحكمة بين الروم والفرس مدة عشرين سنة، ثم ثار على الروم جماعة من البرابرة الشرسين ذوي الضفائر المدعوين اباريس القادمين من أقاصي الشرق، وكذلك شعب السقليين الغربي، وآخرون يعرفون بـ لونجبروتيين الذين كانوا تحت سيطرة خاكان ملك اباريس. فاحتلوا مدينتين من الروم وغيرها من القصبات وقالوا لأهل المنطقة: ازرعوا واحصدوا ونحن نأخذ نصف الضريبة فقط. ولولا ان الملك أقام قلعة كبيرة خارج ادروبوليس لوجهوا أنظارهم نحو العاصمة. فلما تحرك الملك بجيوشه، خافوا من البرابرة، فوضع قوة على السور الخارجي على بعد ستين ميلا من .... واضطر الى تجنيد اكليروس الكنيسة، وأرسل

مأمورين الى كل ناحية ليعبئوا جيشا، فارتكب هؤلاء أخطاء جسيمة، حيث اختطفوا الاولاد من آبائهم وعبثوا في المناطق، وأجهزوا على الخيول والثيران. ورجموا الناس حتى بالدجاج في كل مكان، وسبى ونهب السقوليون مختلف المناطق حتى أثاث الكنائس وبيوت القرابين الكبيرة التي سحبتها العجلات، كما اتخذ كنيسة قورنثوس محل إقامة لهم بدلا من الخيام. أما الروم فاستأجروا شعب انطيو، وهجموا على اسقولينينة فاحتلوها ونهبوها وأخرجوا ثرواتها ثم أحرقوها. وتقع منطقة هؤلاء الى الغرب من نهر دونيس. فلما سمع الاسقوليون بنهب بلادهم، زأروا كالاسد الذي يتأهب للانقضاض، فتجمعوا ألوفا مؤلفة وأثاروا حربا عشواء. واذ فشلوا في احتلال العاصمة وجّهوا أنظارهم نحو مدينة ايموس والحمام القريبة، فدمروا قوات كثيرة هناك، وأخيرا هدموا الاسوار وعثروا على الارجوان الذي كانت انسطاسيا زوجة طيبريوس قد أوقفته للكنيسة هناك لدى ذهابها الى الحمام، فلبسه خاكان قائلا: سواء شاء ملك الروم أم لم يشأ، فها قد أعطيَت لي المملكة، غير ان أخبارا مستعجلة وردت اليه تفيد بأن الاتراك يطاردونه، فخرج الى سرمين خشية ان ينهبوا بلاده وعشيرته، وأرسل لهم ثمانية قناطير ذهبا، فعادوا أدراجهم.

البلغار:

في هذه الفترة، قاد ثلاثة أخوة من سكونيا الداخلية، ثلاثين ألف سكوتي، وساروا نحو ستين يوما، بدءا من نهاية جبل أمنون حتى وصلوا شتاء الى نهر طانيس الذي ينبع من بحيرة مانطوس ويصب في بحر فنطوس. ولما بلغوا حدود الروم، انفصل أحدهم واسمه بولغاريوس عن اخوته بعشرة آلاف رجل. واجتاز نهر طانيس ونهر دونيس الذي يصب هو الآخر في بحر فنطوس. وأبلغ موريقي ان يعطيه أرضا ليسكنها ويكون حليفا للروم، فأعطاه موصيا العليا والسفلى وداقيا، وهي مناطق منيعة، وكان شعب اباريس قد دُمّر في عهد انسطاس، فسكنوا هناك وصاروا حراسا للروم، فسماهم الروم بلغار. اما الاخوان الآخران فجاءا

الى بلاد آلان المدعوة برساليا، وكان الـروم قد بنـوا مدنهـا، وهـي قلسـفيا المسماة باب الطورانيين وبلغاريا وبوغوريا. وكان سكانها مسيحيين سابقا، فلما استولى الشعب الغريب على تلـك المنطقـة دعـوا خزرييـن باسـم الاخ الكبير الذي كان يدعى خزروج، وقوي هذا الشعب وانتشر.

فصل
في النزاع الذي حدث في كنيستنا بسبب دوميان بابا الاسكندرية وبطرس بطريرك انطاكية

ـ من رسالة البطريرك بطرس ـ

...... ثم أسرعنا في السفر الى العربية، مسلمين أنفسنا للمسيح مخلصا، ومؤكدين حرصنا واحترامنا لبنيان كافة المؤمنين. وهذه هي الحقيقة. ولما اقتربنا، أوفدنا اليه بعض الاساقفة ليحضر الى الدير البعيد عن القرية. فحضر لكنه لم يدخل الدير، فذهبنا اليه ولاحظنا ان تصرفاته لا تنم عن الرغبة في السلام، لكننا حييناه وعاتبناه بلطف لعدم دخوله الدير. فقال: لا أدخل ان لم تأذنوا لي بذلك، فأجبت: لقد دخلتم الاديرة التي أردتم دون ان يؤذن لكم. ثم اصطحبناهم وأدخلناهم الدير وأعطينا البابا المقعد الاول، وجلسنا معهم. ولما عُيّن المكان الذي ينبغي ان نجتمع فيه، فكروا وقالوا: يجب ان نفكر قبل كل شيء في الاشخاص الذين معنا ومن ثم نفكر في المكان. ثم طلبوا الينا ان نعين مكان الاجتماع، فحددنا منطقة الجب الخارجي حيث يكثر أتباعنا، وهي قريبة من منبج وحلب وكورة انطاكية، حيث يوجد كثير من الاخوة ممكن الاستفادة منهم. فلما سمع البابا ذلك، تكلم ومن معه بهياج وعنفوان، مصممين على عدم الذهاب الى تلك المنطقة بحجة انها مناطق بربرية. ولما ذكرناه بزيارته لتلك المنطقة قبل فترة وجيزة، حين زار أخاه والي الرها، أجاب: ان عمله آنذاك كان مهمة كنسية ـ وانه يعتبر زيارة أخيه مهمة كنسية ـ فقلنا: هذه ايضا هي مهمة وليست مجرد مهمة كنسية، بل ومن أجل ايمان المسيحيين ايضا. لكنهم أصروا على عدم الذهاب هناك. واستشفينا من كلامهم انهم لا يحبذون المناقشة وجاها، بل بالمراسلة. وأخيرا فضلوا انتظار وصول جفنة المنبجي ليقرر مكان الاجتماع وكيفية المناقشة. ولما لاحظ الحاضرون ضعف البابا حتى في الامور البسيطة والواهية، أدركوا الحقيقة. ولم

يشاعوا انتقاد عدم استقرارهم. في حين حاولوا تغطية ضعف البابا بالصراخ والضجيج.

وصل جفنة يوم اثنين الآلام، فأبلغنا (البابا) اما ان يرافقنا اليه لنعين المكان المناسب، أو يرسل ثلاثة اشخاص مع موفدين من قبلنا. فأجاب وكأنه نسي ما حدث، نحن لا نتحدث بخصوص المكان حتى نعين الاشخاص، متكلا على جماعة من صور كان قد استمالهم اليه علّهم يساعدونه، فقبلنا اقتراحهم، وبدا لنا لفهم ودورانهم. فرأينا انه من الضروري التعامل معهم بالحسنى. واذ علم فيلاركوس ذلك وأدرك سوء نيّتهم، تدخل من تلقاء نفسه في شؤونهم. فلما ضاقوا بالامر ذرعا، سواء من جهة فيلاركوس الموقر ام من جهتنا، اجتمعوا معنا للمرة الثانية في كنيسة مار سرجيس في كبيثا (المختارة). ثم تطورت القضية بسبب النزاع الذي حدث في مصر. واذ عجز البابا عن الدفاع، قبل بكل ما قيل بصدد الذين معه. فقلت لجماعة البابا: عليكم ان تلزموا الصمت عندما أتكلم أنا او البابا، وتمثلوا بالاخوة الذين معنا، ودعوا رجال الله ان يسمعوا ما يقال. فعز الامر على البابا وقال: انا بحاجة الى من يذكرني اذا قصرت بما يجب ان يُعمل. فأجبت، ليس من يمنعهم من ان يذكروك اذا لزموا جانب النظام. لكن فيلاركوس وجماعته لم يستطيعوا اسكاتهم، فأدركوا آنذاك أنهم يفعلون ذلك لتغطية ضعفه. وبادر فيلاركوس بالذهاب الى قواته، وقال: اذا استحسنتم فاذهبوا الى المكان الذي عيناه، وإلا فدعوني أغادر. فأدار البابا الحديث عن الاشخاص. فقال فيلاركوس: ليس من العدالة ان نوبخكم نحن العلمانيين، وأخيرا غادر البابا غاضبا، لانه لم يذعن ولم يرض بالوثيقة التي كتبها بخصوص المكان.

الحق يقال، ان البابا تحدث في الاجتماع الثالث بغضب عارم، فالتمست منه وممن معه الهدوء، وقلت: لا يليق هكذا، عليكم ان تسكتوا ليتحدث رئيس الاساقفة مع ضعفي. فقالوا: نحن لم نأت لنسكت. فقال الذين كانوا بالقرب من البابا: لماذا لا يدع جماعتكم الامور تسير كما

يرام؟ فقال لي البابا: ان اساقفتكم يسكتون لانهم لا يفهمون، وإلا لسكتنا انا وانت وأفسحنا المجال للاساقفة ان يتكلموا. فأجبته: اذن ألأنك تتقن التفاوض ولا ترضى ان تتكلم لوحدك؟ فقال وقد بدأ الخجل عليه: لنحاور تحريريا. ثم انتبذ ومن معه احدى الزوايا وتظاهروا وكأنهم يكتبون، وقد قيل لنا، انهم أرسلوا بطلب مكسيم النحوي ليُعِد لهم ما يريدون قوله. فلما تأخر ولم يُبد اهتماما بصدد المكان والاشخاص، كتبت اليه: ان الذين يريدون الحوار، عليهم ان يكتبوا بشكل منظم لا بفوضى، ويجب ان يتناسب ذلك مع التعاليم التي امامهم ويقرنوا حديثهم بالمحبة والسلام. فاذا شئتم رافقونا الى المناطق المذكورة لنتفاوض هناك امام الحاضرين من متثقفين واحرار، وإلا فنحن مستعدون لمرافقتكم حيثما تبغون. لكن جماعة البابا المجتمعين في الزاوية لم يسمعوا لنا، بل قالوا: نحن نقرأ أولا ما عندنا على اعتبار اننا المتهمون، فقلت: نحن نطالبكم بما يخص الايمان، لأنكم انتم الملامون، وعليكم ان تدافعوا عن ذلك. ويبدو لي ان مجيئكم الى المشرق لم يكن للاعتذار بل للدفاع. فضجوا قائلين: اجل، لهذا أتينا، ثم هاجوا وشتمونا وظلمونا كالذين لا اله لهم، ومرّروا أيديهم على رؤوسهم سخرية من ضعفي. ثم أدرت لهم خدي وقلت: اني مستعد أن أقبل ليس الشتائم فقط، بل الضرب ايضا. فهاجوا وماجوا علينا. أما الاخوة فلاذوا بالصمت، على مضض. وقال بعض ممّن أخذتهم الغيرة للبابا: لا يليق بجماعتكم ان يعربدوا وهم متشحون بسلك الكهنوت، في حين ان هؤلاء ساكتون. فزجرهم واتهمهم بالانحياز الى جانب واحد. ثم طلبت اليه ان يمنعهم فلم يستجب، فأردت ان أخفف من غلوائه، فطلبت الى يوحنا الارمني ان يأتي الى الوسط ليتكلم معهم باللهجة التي يتكلمون بها معي. واذ أخذ يدافع عما كتب بروح التواضع، صفقوا ثم خطفوا البابا قائلين: انهم يريدون قتله. ولدى مغادرتهم التقى بهم المطران بولس وقال: ليس من العدل ان تغادروا، بل ان تمكثوا وتفكروا بالافضل، فعنفوه ودفعوه الى الحائط. فتقدم احد الشمامسة من آطو ليسعفه، فتكالبوا عليه وضربوه وجرحوه، وألحقوا بنا شرورا كثيرة ولأسباب تافهة. وأسرع بعض منهم الى فروبا الوقور في صور وتحدثوا ضدنا بكلمات بذيئة شنعاء، فقلق

الرجل جدا، فأرسلنا يوحنا رئيس الدير ليطلعه على تفاصيل الامور، ويطلب اليه ان يحضر الى العربية وينصح الطرفين. ونحن بانتظار مجيئه".

نظرا الى مكانة رئيسَي كهنتنا، بطرس الانطاكي ودوميان الاسكندري في كنائسنا الارثوذكسية كما بينا أعلاه، فان جماعة من الطرياتيين ضجّوا وكتبوا بعض الفصول وطالبوا بالجواب عنها، فقدمها المؤمنون الى دوميان باعتباره فقيها ليجد لها حلا، فأرسل بدوره الحل الى بطرس الانطاكي مع بعض البيزنطيين، ليدققه ويصوب ما يستوجب التصويب، فلما تصفحه البطريرك وجده مفعما بكلماتٍ غريبة لا تتفق وتعاليم الملافنة، في ما يخص صفات اقانيم الثالوث الاقدس التي اعتبرها اقانيم. ولم يشأ البطريرك ان يوبخه للوهلة الاولى، فكتب اليه بصورة رمزية يقول: لقد وجدت ما يدعو الى الشك في بعض فصول كتابك، وأود ان توضح لنا ما جاء فيها. وكان ينوي استدراجه ليعلم بأي قصد كتب تلك الكلمات المستوجبة الادانة، وفيما اذا كان حقا يفكر هكذا، او ان ما كتبه هو نوع من الاندفاع ضد الطرياتيين، فحاد عن الحقيقية.

لقد أثنى عليه اولا بكلمات رقيقة لكي لا يثور ويعاند. وقال في نفسه: ربما قد كتب ذلك عن غير دراية، وانه سيندم. ولما قبل دوميان مبدا المفاوضة، وعلم ان البطريرك لم يوافقه على رأيه، عزا عدم قبوله الى الحسد، فثارت حفيظته. وقد استدعي مرات عديدة من قبل البطريرك ورهبان المشرق ليحضر للتفاوض حيثما يشاء، ولم يستجب، حتى اضطر أخيرا الى حضور اجتماع في فارلوس على حدود مصر. ولما وصل البطريرك الى هناك، كان الاساقفة قد ألغوا التفاوض وقرروا حضور الطرفين الى عربية فلسطين لإجراء المفاوضات هناك، كما حضر شهود ووسطاء، وخشي دوميان من التفاوض المباشر، وطلب ان يتم عن طريق تبادل الرسائل. فقال بطرس: ليس هذا سبيلا للسلام، بل الى التحطيم. فنحن نوافق ان يتم التفاوض حيثما تستحسن، وبحضور مجمع. فوعد

دوميان ان يفعل، ثم سافر الى العربية ومنها الى مصر، فتبعه بطرس وسافر الى الاسكندرية على أمل ان يتم التفاوض هناك، فيقبل دوميان التصويب. غير ان دوميان لم يذعن لأي حدث او حديث، بل هرب وتنقل بين اديرة الرهبان. فظل بطرس والذين معه في المدينة، وكلما دعاه، كان يتهرب او يعتذر، فتأكد من عدم رغبته في الحضور، فوجه اليه كتابا بثلاثة مقالات، ينتقد آراءه. لقد كان ذلك سنة ٨٩٨ يونانية.

رسالة البطريرك الى السريان في الاسكندرية:

بعد سنتين من عزل فروبا ويوحنا بن بور، وجه البطريرك بطرس رسالة الى بعض السريان القاطنين في الاسكندرية، يشرح الاحداث التي جرت لدى زيارة دوميان للمشرق. وقد جاء فيها: "لقد جاءت رسالتنا هذه حول الاحداث السابقة، متأخرة. لقد وقفنا على الاخبار الملفقة التي وردت في رسالتيكم، ومنها تأكدنا مما أشاعوا علينا ظلما. فالذين بطرفكم لا يهمهم أمر السلام، ولا يريدون التفاوض بالطرق القانونية او البحث الدقيق، او التفاوض المباشر، لكنهم يسلكون في دفاعهم أسلوب الضجة والفتنة، تهربا من التفاوض. لذا اضطررنا ان نكتب اليكم الآن. ونبعث سلامنا بالرب، لكم ولكل الاخوة المؤمنين بطرفكم. وسنثبت لكم الحقائق ما أمكن شيئا فشيئا. واعلموا أولا: ان البابا جاء ومن معه الى المشرق خفية لا علنا. وبعد ايام، وبعد ان غادركم رئيس الدير التقي ومن معه، لحقوا بهم في بحر غزة، فتركوه هناك، لكنه وصل الى صور، وبعد فترة وصل البابا ومن معه فالتقوا هناك برئيس الدير والذين معه في دار اسقفيتهم، فطلبوا اليهم ان يسافروا سوية الينا، فلم يوافقوا، وقالوا، انهم سيوفدون بعضا منهم الى ضعفي في الجب الخارجي، فأخبرونا بذلك. ولما علمنا بمقدم موفدي البابا المفاجئ، رأينا ان نرسل اسقفين لاستقبالهم، ونرسل رئيس الدير والذين معه الى غزة ليخبروا سكان الاديرة المقدسة هناك عن حضور اولئك. كما يخبروا ايضا ابناء المنطقة الذين آثرتم ان يتواجدوا ويطلعوا على ما سيجري، ويهينوهم للحضور. فالتقى الاسقفان

اللذان أرسلناهما بالاسقفين اللذين أرسلهما البابا، وفي طريقهم الينا التقوا بيوحنا الانازربي ويوحنا آخر وباكوس، فرحبوا بهما بكل محبة وأتوا بهما الى سارين، فقالا انهما لا يستطيعان ان يشتركا معهم في الاسرار الآلهية. ولما علمنا بوصولهما، أرسلنا اساقفة ليسألوهما عن الكيفية التي يجب ان نلقاهم. أهَل كأبناء شركتنا ام كغرباء، وهل انهم جاءوا من اجل السلام، ام لجس النبض؟ وهل نتعامل معهم كأخوة على امل العودة الى الصواب. ولما سُئلا أجابا: نحن نصلي ونأكل سوية، لكننا لا نتناول القربان معكم. فقال أساقفتنا: اذا كان الامر كذلك، دعونا ننفصل في كل شيء لطالما فصلتم نفسكم عنا. لذا صلينا لوحدنا وأنجزنا الامور الاخرى. وبعد تحية فاترة، سلما الينا رسائل فاندهشنا لدى اطلاعنا عليها، لما احتوته مقدمتها من القذف والشتائم. وكنا نأمل بان يتنازل قليلا عن قساوته بالنسبة الى الاجتماع والتفاوض. لكننا آثرنا الصمت وقلنا بلهجة مسالمة. علينا ان نعرف شيئا عن مجيئكم، لكي نولي اهتماما بما هو ضروري. فمكثا عندنا اكثر من ١٢ يوما انتظارا لوصول الاساقفة، لكي نعمل ما يحسن لله ولشعبينا ولـ [illegible] .... فأجابا: لا يجوز أن نراسل البابا طيلة هذه المدة. فقلنا: مثلما ان البابا جاء الى المشرق بمشورة الزعماء، كذلك نحن ايضا ندبر أمورنا بحسب مشورة الشيوخ، حتى اذا ما حدث شيء خارج ارادتنا حمّلنا أنفسنا الخسارة بكل عدل. وباعتقادي ان العربية مناسبة للاجتماع بسبب الخوف من ذوي السلطة، فقال: بل في انطاكية. فقلنا: لاننا قد تسلمنا هذه الخدمة الخطيرة دون استحقاق، لا نستطيع ان ندنو من المدينة لفترة غير يسيرة. فأصرا على ان نذهب أولا الى البابا في العربية، ومن ثم سيرافقنا البابا حيثما نشاء. غير انهم لم يثبتا على كلامهما. ولم يمكثا لحين وصول الاخوة الاساقفة، فسافرا. ثم عرفنا ان البابا ينوي التعكير، اذ سلم رسائل الى رهبان الاديرة ليستميلهم الى جانبه، لكنه لم يفلح. لذا سافرنا الى العربية.

فصل

في عهد موريقي، والسلام الذي تحقق مع الفرس وما جرى في الكنائس من احداث خلال فترة السلام هذه

لقد حرم يوحنا بن بور وفروبا في السنة الرابعة لموريقي ملك الروم. وفي سنته السادسة وهي سنة ٨٩٩ ي، تحركت الدعوى بين دوميان الاسكندري وبطرس الانطاكي كما بيّنا سابقا. فكتب بطرس ثلاثة مقالات ضد دوميان تمخضت عن خلف بينهما استمر طوال حياتهما. وفي السنة التاسعة لموريقي وهي سنة ٩٠٢ ي، توفي مار بطرس الانطاكي في ٢٢ نيسان في دير الجب الخارجي، ثم توفي دوميان الاسكندري، وظل النزاع قائما.. كان للمؤمنين في الرها، في تلك الفترة، اسقف يدعى سرجيس الارمني، وكان وأخوه يوحنا يعترضان على كتابات بطرس. ويقولان: يجب الا تُقبل.

لما رسم يوليان الرجل البليغ الفاضل، بدلا من بطرس، وكان من دير قنسرين وسكرتيرا لبطرس، ورأى أعمال سرجيس والذين معه، وكيف انهم شقوا الكنيسة وجذبوا اليهم الكثيرين، وبّخهم وكتب دفاعا عن بطرس وفسر التعابير التي كانوا يتعثرون بها، وبالجهد امتنعوا عن الدفاع الاعمى وكفوا عن المعارضة وأنهوا الشقاق.

وفي الاسكندرية، قام انسطاس بدلا من دوميان. وكان للخلقيدونيين في رومية اسقف يدعى زوسوس، وفي القسطنطينية، قام قوريقا بعد يوحنا الناسك. وفي انطاكية انسطاس آخر. وكان للخلقيدونيين في الرها اسقف يدعى ساويرا، وهو الذي بنى بلاطا على النهر، وأقام عدة منشاءات. ولما تمرد نرساي على الملك فوقا وجاء الى الرها نقل اليه بعضهم، ان ساويرا صديق لفوقا، فاستدعاه الى دار ماريني حيث كان يحل، وبعد ان سأله عن مراده، أوعز برجمه بالحجارة فمات. وأقام الخلقيدونيين ثاودورس من الرها نفسها بدلا منه. اما المؤمنون، فأقاموا في

الرها بولس بعد سرجيس. وفي السنة الـ ١٤ لموريقي، وهي سنة ٩٠٥ ي، توفي البطريرك يوليان بعد ان خدم البطريركية ثلاث سنوات وخمسة اشهر. وفي تلك السنة نفسها انتخب اثناسيوس من دير قنسرين، ورسم بطريركا لكرسي انطاكية للارثوذكسيين، في السنة الـ ١٥ لموريقي ملك الروم وهي سنة ٩٠٦ ي.

موريقي يساعد كسرى:

عين الملك موريقي ابنه ثاودوسيوس قيصرا، وأقام له حفلة فخمة جدا، ووضع البطريرك التاج على رأسه.. وفي الفترة نفسها، حكم الفرس كسرى بن هورمزدا، فلم يخضع له أيٌّ من الشخصيات البارزة في المشرق، بل استهان به كملك فتى وتمرد عليه وطغى. فلما علم بتمرد بهرام وانضمام عدد كبير من الشعب اليه، التجأ الى موريقي ملك الروم، فأرسل اليه رسالة سرية مع رصافيا قائد جيش الروم، مستعرضا ما حدث له، ومبديا استعداده لزيارته إن أذن له. ففرح الملك وعاهده بالمساعدة في كل شيء. فجاء كسرى الى الرها فرحا، فقبله ايوانيس رصافيا في بيته، وكتب الى موريقي متعهدا بأن يكون كعبد له. فأجابه: بل صديقا، وتعهد باحترامه كأب لابنه، ومكث في بيت ايوانيس حتى وصله الجواب من الملك. فزود موريقي كسرى بجيش قوامه عشرون ألف جندي بقيادة ايوانيس قائد جيش تراقية، وآخر بقيادة انساطس قوامه عشرون ألف أخرى من الارمن وبوقلانيين، وأرسل معهم ١٤ قنطار ذهب كنفقات فتسلمها كسرى وعاد الى بلاده. أما المتمردون فتأهبوا للقتال، وانضم رومينان الفارسي الى كسرى ومعه عشرة آلاف جندي، وبدأت الحرب فهزم المتمردون وهربوا فقبض عليهم وقتلوا باستثناء الذين انضموا الى كسرى. وبذلك تكون مملكة فارس بأسرها قد خضعت له. وأغدق كسرى على جيوش الروم عطايا وفيرة، إضافة الى أربعمائة درهم لكل جندي، كما أرسل هدايا ثمينة وأحجارا كريمة لموريقي، وأعاد دارا وراس العين الى الروم. وبناء على طلب كسرى، زوجه موريقي ابنته ماريا فرافقها

اساقفة ونفر من الشعب. وبنى كسرى ثلاث كنائس فخمة. فتوجه انسطاس بطريرك انطاكية وكرّسها. الواحدة باسم والدة الاله، وأخرى باسم الرسل، والثالثة باسم الشهيد سرجيس. وساد السلام بين المملكتين.

موريقي يضطهد الارثوذكس:

في سنته الـ ١٧ وهي سنة ٩١٠ ي، استدعى موريقي دومطيانس اسقف ملطية وهو ابن اخيه بطرس، وخوله صلاحية اضطهاد جماعة سويريوس، ويقال انها أصلا فكرة هذا الاسقف الخبيث، لحسده البغيض على ازدهار الارثوذكسيين في ملطية وتلك المناطق، فخرج كالوحش واجتاز بين النهرين واغتصب الكنائس وأعطاها للخلقيدونيين، ودخل الى الرها واستدعى رهبان اديرة الشرقيين، فتهددهم وتملقهم ليقبلوا مجمع خلقيدونية، وأكرههم على تناول قربانه. ولما رأى انهم لا يذعنون له، لا بل وأسمعوه كلمات نابية، أمر الجنود فأخرجوهم الى الخندق خارج باب شمس وذبحهم، وكان عددهم نحو ٤٠٠ رجل. فجمع المؤمنون جثثهم ودفنوهم في المكان الذي استشهدوا فيه. وشيدوا هناك كنيسة، اما المنافق فواصل اضطهاد الارثوذكسيين فترة طويلة واكراههم على تناول قربانه، ولئن كان بعضهم يتناولونه، بيد ان معظمهم قاوموا وجاهدوا بشجاعة، ولم يقبلوا مجمع الطبيعتين الباغي، وشتموا الملك ودومطيانس، فاتخذ القائد اسفاتريس ذلك ذريعة، وأشاع ان سبب قتله إياهم وطرد الكثيرين منهم من وظائفهم، هو شتمهم الملك وابن اخيه..

في ذلك اليوم بالذات وهو ١٠ أيار حدث كسوف فخيّم الظلام من الساعة الثالثة حتى السادسة. وقال الناس: ان الشمس أظلمت بسبب مقتل الرهبان أحباء المسيح. وفي ٢ نيسان، حدثت هزة أرضية عنيفة، وتهدمت مدن وأماكن عدة ودفن سكانها. فقد اهتزت الارض وانفجرت، وانتشر الطاعون والجرب، وابتلت العاصمة بوباء فتاك راح ضحيته ٣١٨ ربوة، وكان يوحنا بطريرك القسطنطينية إحدى ضحاياه. وامتد هذا الوباء الى

بيثونية وسائر آسيا. وفي السنة التالية انحبس المطر وكان الحر شديدا ومحرقا في سائر أنحاء سورية وفلسطين، فاحترقت أشجار الزيتون وغيرها من الاشجار. وفي السنة التي تلتها حدث فيضان عارم في سورية، لم يكن له نظير، فدمر الزروع والفواكه. وبعد ثلاث سنوات حدثت مجاعة بسبب قلة المواد الغذائية. وكانت هذه التأديبات سببا لكف الروم عن اضطهاد الارثوذكسيين وعن الحقد البغيض لهم.

فصل

في مقتل موريقي، وبقية أعماله مع ملوك آخرين وما حدث بينه وبين قادة الكنائس

في هذه الفترة، شوهد في نيل مصر حيوانان لهما شبه بالانسان، اي شبه رجل وامرأة، وكانا يشاهدان الى حد الصرة فقط. اما بقية الاعضاء فكانت تحت الماء. وقد ظهرا مرات عديدة ثم اختفيا ولم يشاهدا بعد.. أوعز الملك موريقي الى اسطيفانس اسقف حران ان يضطهد وثنيي حران، فهدى منهم الى المسيحية، وعلق الذين عصوه في اسواق المدينة، ثم اكتشف ان والي المدينة كان يقدم الذبائح للاوثان خفية ويتظاهر بالمسيحية، وقد وشى به كاتبه وفضح أمره لدى الاسقف، ولما ثبتت عليه التهمة أعدم، وخلفه كاتبه الواشي به ويدعى ايايوس، ومنه انحدر آل ايار. فقد كان يتيما، اذ تركه والده في كولونيا في ارمينيا الاولى، احدى قرى نيقوبوليس، حيث تعلم الكتابة، ثم التحق بفيدنوس حاكم حران، ولما افتضح أمر ذلك كما أسلفنا، اذ ظهر أنه وثني يذبح للاوثان، حل محله ايايوس هذا.

مقتل موريقي:

كان كسرى ملك الفرس يحترم موريقي كأب، وهذا يحبه كابن، فسادَ الامن والسلام في كل امصار الروم والفرس، واتسعت رقعة المسيحية في سائر بلاد فارس، وشيدت الكنائس في المدن والقرى حتى أقاصي المسكونة. فتجبر موريقي وتعجرف وأهان كبار رجالات المملكة والجيش وقطع عنهم الرواتب، وأخذ الشك يساورهم عندما بدأ البلغار يسرقون مناطق تراقية، فتصداهم الروم بقيادة فيليفيقس وهزموا البلغار وعادوا. ورغم كل ذلك لم يدفع الملك الرواتب. فاجتمعوا وقالوا له: ولئن أحل الله السلام في عهدك، فالسلام وحده لا يقيت الفرسان ما لم يتسلموا حقوقهم. فان لم تعطنا حقوقنا، فنحن منذ الآن اعداؤك. فلم يأبه لتهديدهم

مثل رحبعام، بل سخر منهم. فطلبوا الى اخيه بطرس ان يتزعمهم فأبى وأخبر موريقي بالأمر، فخاف وهرب واختفى في خلقيدونية. وأخيرا وصل الجيش الى العاصمة فلم يعثر على موريقي، فنصب شيخا وضيعا يدعى فوقا ملكا. ولما عثروا على موريقي أتوا به الى العاصمة وقتلوا أولاده أمامه ثم قتلوه. حكم عشرين سنة، وقتل سنة ٩١٤ وفيها حكم فوقا وهو الملك الروماني الـ ٢٧، والثالث بين ملوك اليونان الذين أولهم طيبريوس.

سيرة البطريرك اثناسيوس

ليس من اللائق ان نمر بسيرة حياة البطريرك اثناسيوس مر الكرام. فهو أصلا من شميشاط، مات والده وتركه وأخاه ساويرا يتيمين لوالدتهما يانيا العفيفة والكثيرة الصيام ومحبة الغرباء، وقد وزعت الثروة التي تركها زوجها على المساكين والكنائس، وربت ولديها على التعفف، وحيث أنهما كانا بعد صغيرين لا يمكنها اصطحابهما معها، كانت تزور الكنائس وبيوت الشهداء لوحدها، وتتجول حيث توجد ذخائر القديسين والصلبان والايقونات وتمسها بثوبها، وتنشر ذلك الثوب على رأسيهما لدى عودتها. وعندما كانت تلتقي باسقف او قسيس او راهب، تفرش وشاحها وتطلب اليهم ان يرسموا عليه الصليب ثلاثا، ثم تطويه وتحمله وكأنها تحمل شيئا ثقيلا، وتفرغ تلك البركة الروحية على راس ابنيها لدى عودتها الى البيت، فعلى مثل هذه التربية الصالحة شبّا. فقربتهما لله في دير ابن افتونيا المعروف بدير قنسرين، حيث تثقفا ثقافة عالية، ولم يتهاونا من ممارسة كل أنواع خدمات الدير.

ويروى عن اثناسيوس الذي أراد ان يقهر الكبرياء، أنه كان يتسلل ليلا الى حيث يقضي الرهبان حاجتهم ويجمع الفضلات دون أن يراه احد ويضعها في سلة على ظهره ويرميها في نهر الفرات. وبمثل هذه الاعمال كان يروض نفسه ويخضع الجسد للروح، لذا دعاه الله الى رئاسة

الكهنوت. فلما توفي البطريرك يوليان اجتمع الاساقفة في أحد أديرة المنطقة في الغرب، فصاموا وصلوا ثلاثة ايام من اجل انتخاب البطريرك، وسألوا الله ان يختار من يشاء. وفي الليلةالثالثة سمع بعضهم من يقول في الرؤيا: ارسموا أول راهب يدخل الدير بعد ان تفتحوا الابواب صباحا. فلما خرج الاساقفة رأوا اثناسيوس وهو يقود جمالا في طريقه الى جبلة لجلب الملح لديره. فتحدثوا اليه ووقفوا على سعة معرفته، وعلموا أنه من دير شهير، فاقتادوه عنوة ورسموه بطريركا، وهو يصرخ ويبكي. ثم أقسم عليهم ان يدعوه يكمل سنته في خدمته تلك التي أوكلت اليه من قبل الاخوة، فذهب وحمّل ملحا وعاد الى ديره وهو على وعده، ولم يكشف أمره لأحد حتى لأخيه ساويرا. ولما تم الميعاد جاء الاساقفة ليصحبوه فوجدوه واقفا الى جانب كومة من الطين ويناول الاخوة الذين معه، "لتسييع" بيت الجمال الذي خدم فيه. وبعد ان أكمل سنته، أخبر أخاه والرهبان بأمره، فعاتبوه لاخفائه الامر عليهم. هذه اولى فضائل سيرة اثناسيوس الذي رسم أخاه اسقفا لشميشاط، وقد لمع كلاهما وصمدا تجاه مملكتين، المملكة الرومانية المتكالبة ضد ايماننا، ومملكة الفرس. ولما توفيت والدتهما حضر كلاهما لمنحها كرامة أفضل، حيث اشترك في تشييع مُحبة الله تلك بطريرك واسقف.

فصل
في بدء حكم فوقا الروماني، والحرب التي خاضها كسرى ملك الفرس في بلاد الروم بحجة مقتل موريقي والشؤون الكنسية في هذه السنوات

عندما حكم فوقا بعد مقتل الملك موريقي وأولاده وأخيه، تحدث صهره فيلفقوس عنه بالسوء معزيا اليه سبب سقوطه، وطالب بإعادة اعتباره. فقال فوقا: اذن انت مستعد ان تكون لنا صديقا، فأجاب فيلفقوس: نعم يا سيدي. فقال الملك: كيف يمكن ان تكون خلاً صادقا، في حين لم تستطع ان تكون صهرا صالحا؟ اذهب لشأنك. فمن لا يؤتمن كصهر، لا يؤتمن كصديق، فلما طرد من قبل الدولة، ترهب.

في الوقت الذي تسلم فوقا زمام الحكم، تمرد عليه نرساي في الرها على رأس جيش من الروم. فأرسل فوقا قواته وأحاطت بالرها، ثم سلم نرساي بالخدعة الى ايوانيس قائد الجيش بعد ان تعهد بالعفو عن الرهاويين. وكان كسرى قد جاء الى الرها سابقا، وحظي بتكريم فائق لدى الرئيسين مانينا وايوانيس رصفيا. وبينما كان ذات مرة يتأمل ساحة ايوانيس وما فيها من قصور رائعة تاق ان يدخلها، فدعاه اليها ايوانيس مع الزعماء. وأراد ان يريه، من باب الابهة والتعاظم، بأنه اكثر غنى من مارينا، فأخرج جميع الاواني الذهبية والفضية المستعملة في المآدب، ومن اطباق، ومائدة وصحون وملاعق وأباريق وكؤوس شرب الخمر وكاسات، وجرار، وطشوت، وكلها مصنوعة من الفضة. وبعد ان أكل كسرى وشرب، قال لرصفيا: لقد أكرمتني جدا، ولكن هناك عادة لملوك فارس عندما يتنازلون ويدخلون بيت أحد الزعماء، ان تقدم زوجة ذلك الزعيم كأسا للملك فيشرب من يديها. فخجل ايوانيس ولم يشأ أن يرده، فترك الامر لزوجته. فأبلغ زوجته، برغبة كسرى، فاحتقرته في نفسها، لكنها أجابت: انك لعظيم ايها الملك، لكن نساء الروم الحرائر لم يعتدن على تقديم الخمر للرجل. فلاذ كسرى بالصمت. وبعد ارفضاض الحفل، دخل

احد الوشاة الى كسرى وقال له: لقد قالت زوجة ايوانيس كيف اخرج عند رجل طرد من بلاده؟ فغضب كسرى وأقسم بآلهته ان يجلوها عن بلادها ويجعل القمل يأكل جسدها اذا ما سيطر على هذه البلاد، نظرا الى العار الذي ألحقته به. ولما سيطر على بين النهرين استدعاها ونفذ قوله، حيث أخذها مع غيرها الى فارس وأذاقها مر العذاب ولاسيما بالقمل، فماتت تلك الحرة ميتة شنيعة.

لقد تألم كسرى ملك الفرس لدى سماعه ان الروم قتلوا موريقي وأولاده، فلبس السواد، وأمر كبار رجاله ان يفعلوا كذلك. وأقام مناحة لعدة ايام، وكانت المراثي تُتلى على مسامع شعب فارس، جزاء ما صنعه موريقي من جميل لكسرى ولمملكة فارس. ثم أخذ يتحين الفرصة للسيطرة على مملكة الروم، فتظاهر انه يريد الانتقام من الذين أساءوا الى الملك. فقال على مسمع جيوشه: ايها الزعماء وقواد جيوش مملكتي. من منكم مستعد لتنفيذ رغبتي في الانتقام الذي سأنزله بمملكة الروم. فبرز رومنيان الخبير بشؤون الحرب ووقف في الوسط وشبك يديه وقال للملك: اني مستعد لتنفيذ ارادتك وأواجه الروم دون ان أرحم شيوخهم او شبانهم. ففرح الملك وقال له: من الان لن تدعى رومنيان، بل شهربرا الذي يعني الخنزير البري. فجهز جيشا واتجه نحو بلاد الروم.

وفي السنة ٩١٥ ي، وهي السنة الثانية لفوقا، احتلوا دارا ودخلوا طورعبدين وحلوا في حصن كيفا مدة سنتين دون ان يؤذوا أحدا غير الروم الذين كانوا يُقتلون حيثما وُجدوا. فسلم الحصن بيد الفرس. فلما سمع الروم في ماردين تركوا الحصن وهربوا، فدخل الرهبان الكهنة حصن ماردين فجاء الفرس لمحاربتهم، فطلبوا الى باسيليوس اسقف كفرتوثا ان يأذن لهم بقتل الفرس. وفي سنة ٩١٨ سلم حصن ماردين المنيع الى الفرس. وفي تلك السنة عينها احتلوا آمد.. وسقط خلال هذه السنة ثلج وجليد، فجمد الفرات وبقية الانهر وهلكت الزروع والزيتون. وفي السنة

نفسها تقابل جماعة بطنو وفرسينو فيما بينهم، فخلت المدن، فأرسل فوقا قوات الى سورية فقتلت عددا كبيرا.

مصرع فوقا:

في السنة السابعة لفوقا، سيطر الفرس على بعض مقاطعات الروم حتى الفرات، وفي سنته الثامنة وهي سنة ٩٢١ ي، اجتاز الفرس الى الغرب عن طريق الفرات واستولوا على منبج وقنسرين وبيروا (حلب) وانطاكية، وفيما كان الفرس يحتلون، كان فوقا يفتك بالزعماء وسواهم، حتى نقص عدد الاحرار والمقاتلين، فشاعت أخبار فوقا السيئة. وكان في افريقية، بطريقان قويان اسم الواحد غريغوريوس والآخر هرقل. فاتفقا وتمردا على فوقا، وأرسلا أولادهما على راس الجيوش، وتم الاتفاق على ان يسلك أحدهم طريق البحر والثاني طريق البر، ومن وصل أولا، يُنصّب ملكا، ويعين الآخر قيصرا. فوصل الى القسطنطينية أولا هرقل بن هرقل الذي سلك طريق البحر وكانت الرياح مواتية. فلما سمع أهل المدينة فرحوا جدا واندفعوا لاستقباله وأدخلوه باحتفال مهيب. وقتل فوقا من قبل الروم، وعومل بمثل ما عامل. لقد حكم هرقل سنة ٩٢٢ ي. اما الفرس فسبوا سورية وفينيقيا وأرمينيا وقبادوقية وفلسطين، واحتلوا غلاطية وبابلا الداخلية حتى خلقيدونية، فيما كان الروم منهمكين في سفك دماء بعضهم البعض. أثار يهود انطاكية فتنة وقتلوا عددا كبيرا، بينهم انسطاس البطريرك الخلقيدوني.. حدث في تلك السنة برد قارص حتى تجمدت سواحل البحر.

بعد فقدان السلام بين الممالك على أثر مقتل موريقي، واستيلاء الفرس على بين النهرين وسورية، أرسل كسرى أساقفة من فارس ليسيطروا على مدن سورية، فجاء الى الرها أحيشما النسطوري فلم يقبله المؤمنون، ثم جاء الاسقف الارثوذكسي يونان، فلما قُبل، أمر كسرى بطرد كافة الاساقفة الخلقيدونيين من منطقة بين النهرين وسورية، وسلمت

الكنائس والاديرة لليعاقبة، واستعيدت كل التي اغتصبت في عهد موريقي من قبل دومطين اسقف ملطية الذي أثار اضطهادا ضد السريان واغتصب الكنائس والاديرة وسيطر على الخلقيدونيين لعدة سنوات، وكان بين المضطهَدين قوريقا الآمدي الفصيح. وفيما كان الخلقيدونيون يقبعون في المدن، كان قوريقا وزملاؤه يطوفون البلدان. وأمر كسرى بطرد الخلقيدونيين من جميع مناطق المشرق، كما أمر بأن يستقر الاساقفة الارثوذكسيون في المدن، ومنهم أشعيا الرهاوي، وصموئيل الآمدي، واسقف تل موزلت. غير ان القرويين خارج هذه المناطق لم يقبلوا الاساقفة المرسلين لانهم لم يقتبلوا الرسامة من بطريرك انطاكية، بل من مطران منطقة الموصل. وكانوا خاضعين للبطريرك اثناسيوس. فلما رأى البطريرك ان أهل القرى ينفرون من الاساقفة ولا يقبلونهم، أوعز الى قوريقا الآمدي ان يزور مؤمني آمد القاطنين في كورة الجزيرة، ويكمل رساماتهم وكل ما يحتاجون اليه، لانه الوحيد الذي ظل على قيد الحياة من بين الاساقفة الذين ابعدوا عن كراسيهم، فتذمر صموئيل الآمدي على قوريقا بسبب ذلك، كما خاصمه ايضا اساقفة المشرق، فشكاهم قوريقا الى البطريرك اثناسيوس لاسيما صموئيل الذي كان يهدده كسرى. وعلى كل حال فإن أساقفتنا هم الذين كانوا يدبرون الكراسي، واختفى ذكر الخلقيدونيين من الفرات حتى المشرق. فقد رد الله كيدهم الى نحورهم. إذ عاملهم الفرس ملوك آشور، مثلما عاملوا ملك الروم.

اشتهر في هذه الحقبة توما الحرقلي من دير ترعيل ومطران منبج الذي درس في شبابه اللغة اليونانية في قنسرين، ولما صار اسقفا واضطهده دومطينا الملطي بإيعاز من موريقي، ذهب مع بقية الاساقفة الذين هربوا من الغضب الى بلاد مصر، وسكن في انطونيا الاسكندرية، وأظهر همة مشكورة اذ ضبط الانجيل وبقية اسفار العهد الجديد ضبطا دقيقا صحيحا بعد ان تم تفسيرها في منبج في عهد وهمة المطران فيلكسينوس.. عاد في هذه الفترة الى كراسيهم اساقفة سورية الذين كانوا قد التجأوا الى مصر على اثر اضطهادهم من قبل الخلقيدونيين، وذلك

بأمر كسرى ملك الفرس الذي سيطر على سورية. فتوجه اثناسيوس الى الاسكندرية والتقى بأنسطاس بطريرك الاسكندرية الارثوذكسي، وأعاد الاتحاد بعد الانشقاق الذي سبّبه نزاع بطرس ودوميان.

فصل
في الاتحاد الذي حققه اثناسيوس البطريرك مع انسطاس بابا الاسكندرية بعد نزاع بطرس ـ دوميان

ـ رسالة اثناسيوس الى قوريقا الآمدي يبين فيها كيفية تحقيق السلام ـ

الى البار والقديس، الاخ الروحي المحترم، الاسقف قوريقا / اثناسيوس الضعيف لربه. / افرح بالرب.

عندما أتأمل أعمال اخوّتك الكريمة الكثيرة والنافعة في كنيستنا المقدسة اي الارثوذكسية، منذ البداية وحتى الآن، اجدني مقصرا عن الحديث، مقارنة بالآخرين، عن أتعابك في البشارة، وأنت تتحمل المخاطر من اجل الانجيل كجندي صالح ليسوع المسيح كقول الرسول الحكيم بولس، ويليق بك ان تردد ما قاله لو شئت. لأنك تعبت أكثر من جميعهم. لذا فإن ضميرنا يوجب علينا ان ننظر الى شيخوختك بمحبة ووقار وخجل أكثر من سائر الاخوة الروحيين، ومن هنا فإن المنشور الذي عممناه، على جميعكم، أنتم الذين أقمتم بالانتخاب في مناطق المشرق، رؤساء كهنة، بخصوص السلام الشرعي الذي تم الآن، هو أكثر مما كنا نتوقع من الله اللطيف بعباده والسخي بمواهبه وعطاياه لكنائس مصر والمشرق المقدسة. وقد بعثنا به الى سائر الاخوة والى اخوّتك الوقورة. أقول لم أكتف بهذا، بل رأينا ان نكتب اليك منفردا وبأكثر تفصيل، مدفوعين بالمحبة الخاصة، الأمر الذي أردنا ان نطلع قداستكم عليه، آملين ان يكون مصدر خير عميم، فاقتضى أن تقف على حقيقة سير الامور في كنيسة الله، لكي تطلع بدورك الآخرين، ولاسيما هذا الموضوع المطروح الذي يشكل عزاء عظيما وفرحا لكل الاتقياء، اذا سار كل شيء على ما يرام بفضل من أمثالكم من الاخوة المؤمنين الذين يسرون بالصالحات وانتعاش الفضائل في الكنيسة، الارثوذكسية المقدسة، لان الخصوم يحاولون بث اليأس والشك والقنوط بين الاخوة البسطاء.

لا يخفى على فطنتكم ايها الاخ الكريم، ان لكنيستنا أعداءاً كثيرين يحسدونها ويصرون الاسنان عليها ويعرقلون أمورهـا، لانهم لا يتحملون رؤية السلام والوفاق في الكنائس، كما لم يستطع أبوهم ان يرى كهنوتنا الاول. فلا يتوقفون عن إثارة الفتن والشغب ضدنا، ولا يهمهم شيء كبث الشك في البسطاء، لكنهم فشلوا في طمس هذه الفائدة، وما فشلهم سوى هذا السلام وإشاعة الشك بيننا، وقد يعتقدون ان ما يلحق به من أذى هو بسبب ضعف الآخرين وليس بسبب شجاعتهم، ونسوا ان السبب هو سوء الحظ بالدرجة الاولى كما يقول غريغوريوس اللاهوتي، ليس هذا فقط، بل انهم يحاولون ان يزجونا في مخاطر الموت عن طريق إثارة غضب الحاكمين علينا بشتى الوسائل، لكنهم لا يستطيعون ان يلحقوا أذى بنا او بأحد أتقياء الله، او يزعزعوا النعمة التي منحها الله لنا اي للكنيسة المقدسة، بصلوات والدة الله والقديسين، وعهد الله الصادق، حيث وعدها بشخص بطرس رئيس الرسل بقوله: "انت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"، فهي ثابتة وسالمة وغير متزعزعة ورفيعة المقام، انه يحفظ هذه الكنيسة حتى انقضاء العالم. فكيف ابتدأت هذه النعمة واين انتهت؟. انها الآن لفرصة مناسبة لأشرح ذلك بما أمكن من اختصار لفطنتكم الحاذقة بالشؤون اللاهوتية التي دفعتنا الى الحديث اذا سمحتم سيادتكم.

بعد مفاوضات مطولة بيننا وبين جماعة دوميان وتعدد اللقاءات، وبعد خيبة أمل تامة لعدم اتخاذ أية خطوة بصدد اتحاد كنائسنا وكنائسهم، صادف ان وصل الى مدينة الاسكندرية من أرسنويطا البطريق الجليل، وزار البطريرك الموقر بنقيطا الذي كان لنا معه حديث منذ البدء بهذا الشأن ذاته، فلم تبد منه أية بارقة أمل. ولما جاء التقى به بعض الرؤساء من ابناء الايمان منهم السيد مارا بن شفني وتحدثوا اليه بخصوص السلام، وحثوه على ان يتقرب منا وينضم الينا من اجل هذه الغاية، فرحب كل الترحاب، وحثهم على ان يلتمسوا من ضعفنا ارشادنا اياه، لانه يرغب في ان يعمل معنا بصدد سلام الكنائس، وحيث اننا اجتمعنا معه مرات عديدة

دون جدوى، وقطعنا الامل به، أرسلنا اليه المطران توما لئلا يظن بأننا نستهين به، وأردنا ان يتم ذلك بهدوء كما حذرناه بواسطة البطريرك نيقيطا الجليل. واذ مرّت ايام وهو ينتظر ان يذهب وينفذ ما أمرناه به أخذ يبدي تذمرا أمام الذين أرسلناهم، وكأننا استهنا به، وهو مهتم جدا بمثل هذه النعمة الروحية. فأجاب المطران: ان احدا لم يدعه، وانه موفد من قبلنا لهذه الغاية عينها. فأمضى عدة ايام في المدينة ينتظر أمر سيادته. لذا توجه اليه، وبعد مداولات مطولة بصدد العقائد التي جرت بين الطرفين بحضوره، طلب اليه الذين من جانبهم ان يستمع الى الحديث، وأبدى هذا الرجل الوقور المطران توما اهتماما بالغا بالتفاوض، وأشار الى ضرورة تدوين حوار الطرفين في كل فقرة، وكل ما قال عنها الآباء، ومن ثم الانتقال الى مناقشة الفقرة التالية. لكنه لم يدعهم، بل سمع وفهم وقرر وأعلن بكل عدالة ودون محاباة، كما كان قد أقسم للذين كانوا يعترضون ويقولون، ان الخواص الشخصية للاقانيم، اي الولادة وعدم الولادة، والانبثاق، هي اقانيم ثلاثة، فقال بنبرة قاسية، انكم فشلتم في اثبات ذلك، اي عدم ولادة الاب هي اقنوم الاب. فطرح الرجل عليهم سؤالا، غير ان دوميان عجز عن اثبات انها عدم الولادة، طيلة السنين التي عاشها بعد طرح هذا السؤال.

لنترك الآن كل شيء، فأنا أبدي ارتيابي بهذا، واطلب اليكم ان تقدموا لي ولو برهانا واحدا من أحد آباء الكنيسة يقول: ان عدم ولادة الاب هي اقنومه. او ان ولادة الابن هي اقنوم الابن. فاذا كنا عاجزين عن الاثبات، فلِم هذه السفاهة النفاقية الظالمة؟ ولِمَ لا ننهي النزاع ونطرح الانشقاق جانبا ونتصالح مع اخوتنا الشرقيين؟ وبعد ان وبخ ونصح وهدد، قال للمطران توما، ماذا بعد يا سيدي الاسقف، هل من شيء آخر جدير بالملامة؟ رجاؤنا بالله ان تضع حدا لفقرة الخواص ونريحكم. أجاب توما: اننا نشك في فقرات كثيرة، فإذا كنتم تنشدون الاتحاد، علينا ان نوحد عقيدتنا في شيء واحد، ألا وهو الثالوث الاقدس، اي الاقانيم الثلاثة، الاب والابن والروح القدس، آله واحد وجوهر واحد وطبيعة واحدة. فاستغرب

القديس الوقور وقال: ماذا؟ أ يعتقدون بأن الاقانيم الثلاثة هي آله واحد؟. استشهد الله، بأني لن اشترك معهم في الاسرار إن كانوا لا يعتقدون بهذا. وأني أقولها لهم وجها لوجه.

ولما عاد توما في اليوم التالي، لم يحضر أحد من الذين يميلون الى الانفصال، فسأله أن يرسل بطلبنا، فأجاب: لماذا يأتي ان لم يحدث اي تطور؟ اكتب ما تنوي عمله. فأملى على كاتبه ما يلي: "تؤمن بالثالوث الاقدس، اي ثلاثة اقانيم متساوية في الجوهر والطبيعة فنقول: ان الآب والابن والروح القدس هم آله واحد ذاتيا وحقيقيا بالقول والفعل، الوهة واحدة، جوهر واحد، طبيعة واحدة". وبعد ان دعموا هذه الفقرات بالشهادات انتقلوا الى فقرة أخرى وهي، ما يتعلق بالخواص الشخصية فسجلوا ما يأتي: "لذا نقول، اننا بنعمة اله نعترف باللاهوت المساوي في الجوهر للاقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس، فلا نصف اطلاقا، عدم ولادة الاب بانها جوهر او اقنوم الآب، ولا ولادة الابن بانها جوهر الابن او اقنومه، ولا الانبثاق بكونه جوهر او اقنوم الروح القدس. انها مجرد اشارة الى ان الآب لم يولد، والذي ولد هو الابن والذي ينبثق هو الروح القدس، وذلك بحسب تعليم الآباء القديسين. انها أنواع الذات وهي تشير الى كيفيتها. وبعد ان ثبتوا هذه الفقرة بالشهادات، انتقلوا الى فقرة اخرى وهي: عن الجوهر والاقنوم اي ما يُشرك ويشترك، فكتبوا هكذا: "تؤمن ونأخذ بالسر الآلهي او اختلاف الجوهر والاقنوم، وكل واحد من الاقانيم المقدسة يشترك في ذات الجوهر، اي ان الجوهر هو مشترك، ويشترك الاقنوم بصورة غير منقوصة، واذا اعتقد شخص ما بخلاف ذلك، فاننا نحرمه وننبذه. وان اللاهوت هو واحد سواء الذي للآب او للابن او للروح القدس. وبعبارة اخرى، للثالوث الاقدس الذي تجسد بشخص احد اقانيمه، ولا نعترف بانفراد اقنوم الله الكلمة في التجسد والتأنس ولئن لم يتحد الاب والروح في الجسد او يتأنسا".

ولما تسلمنا هذا من قبل المطران، استعرضناه مرات عديدة مع الاخوة المطارنة والشمامسة، وناقشناه بصورة شاملة وعارضناه مع ما كتب سابقا، فوجدنا ان الفقرات بعيدة عن بعضها البعض بعد الشرق عن الغرب، وتنقض إحداها الاخرى، ولمسنا سوء النية في الفقرة الاولى التي فيها محاولة لإدخال شيء جديد، وهو ان الجوهر شيء آخر، اي جوهر اللاهوت في الاقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس. وتتضمن الفقرة الثانية تجديفا وثرثرة حول عدم الولادة والولادة والانبثاق، وان اقانيم الثالوث الاقدس الثلاثة المسجود لها والمساوية في الجوهر هي اسماء والفاظ، وفي الفقرة الثالثة، قيل، لا يجوز للذي يشترك ان يكون واحدا اي جوهر وجنس واقنوم واحد كقولنا مثلا: الله الاب، او الله الابن، او الله الروح القدس، كما يحسن للروح الجديد والغريب. ونقول عن الفقرة الرابعة: ليس (اللاهوت) مستعارا كمنطوق قرار التجديف، بل ان اللاهوت والجوهر والطبيعة أصيلة في كل واحد من اقانيم الثالوث الاقدس، وكذلك كل ما يصدر عنه بحسب التعليم القويم الموحى به.

لقد أبلغونا شفهيا بأنهم مستعدون ان يريحوا ضميرنا في حالة شكنا في اي شيء آخر. وطلبوا ان نضمنها الى خزانة السجلات كوثيقة اتفاق الفريقين في الايمان الكامل، وتوسيع كلمة "اللاهوت"، ونتحدث عن تدبير أحد الثالوث بالجسد، وضد البدع، وقد عثرنا قبل فترة على وثيقة متكاملة في سبب.......... المطران، فأرسلناها وأوصيناه............ ووصلنا في الوقت المعين الى المدينة. ولما قرأوه.......... وصلنا حالا. ولو شعر المشاغبون بذلك لحالوا دون اتمام هذه النعمة. هؤلاء الاشخاص الذين احدهم يوحنا الذي يقال انه عاش في دير افتونيا وصار كاتبا لدوميان الذي اعتبروه رسولا، لكنهم ينعتونه الآن بالشيطان. فقد انفصل ولم يعد للشركة وقال: انكم سقطتم من تعليم البابا دوميان، وقد اختلف بعضهم في ما يخص هذه الفصول، حتى سمعوا من الرجل والذين ارسلوا معه فسكتوا. ويقول يوحنا آخر: لي شهادات من الآباء ضعوها في خزانة السجلات، ظنا منه انه اذا ما فشل في ادخال آرائه السخيفة في العقيدة، قد

يتم لـه ذلك عن طريق هذه الشهادات المتفرقة. فقلنا: نحن ايضا لنا شهادات نود ان نضعها فيها، ولكن لا حاجة اليها، اذ ليست تاريخا، بل صورة للاتفاق الذي يجب ان نعمله بالنسبة الى التعاليم. وهكذا تلاشت كل حيلة. ثم حاول ان يضيف كلمة هيولي، لكننا رأيناها غير ممكنة وثقيلة.

وهكذا تبدد كل أمل في السلام. وابتهج الاعداء وسخروا منا واستهزأوا وصفقوا. لكن بهجة حقارتهم لم تدم طويلا، لأن الله عطّل ما كانوا يلحسون به وهو: اذا لم يقبل الشرقيون ما كتبه دوميان فلن نتفق معهم. فتحايل عليهم البطريرك وردهم بقوله: عليكم انتم ايضا ان تقبلوا ما كتبه بطرس، فأجابوا أولا بنعم، ثم قالوا: نحن لا نستطيع ان نقبل ما يُكتب ضدنا، فأسكتهم في ما يخص هذا المطلب وقال: اذن فلينادِ باسمه كلا الطرفين في الدبتيخا، فلم يوافق الذين معنا فخرجوا وقالوا لنا: أشفق علينا وأشفق على الكنيسة، لا يجب ان ينقض السلام بسبب شخص واحد. وبعد التشاور استحسنا هذا القول وقلنا: اذا كان ايمان الجانبين واحدا، فلندرس اذن ما فعله الآباء بخصوص أمثال هذه الاسماء. وأخيرا تم الاتفاق على ان ينادوا باسمه بحسب عادتهم وفي اجتماعاتهم، ويشترك معهم دون ان يكون ريب ما. ونحن ننادي بأبينا بطرس، وهم يشتركون معنا دون ان يكون ريب ما. فاذا تم هذا، انفصل يوحنا الشقي ومعه شخص علماني، وطلبوا حفظ السجلات في الخزانة بعد الصلح، تعهدا بعدم تعيير احد الجانبين الآخر.

لم يضف البابا انسطاس، بعد الاتحاد، شيئا او يوقع على المحضر، إلا بعد ان أرسله الينا لنطلع عليه مخولا إيانا صلاحية تصحيح ما نشاء. وقد تم هذا فعلا. وفي اجتماعنا في دير قيصرية البطريركي، سلم الينا الوثيقة مختومة.............. أمام المذبح.................. من ثم مع........................... بعضهم البعض.......... انا وهو وجميعهم........................ الرب الرب احب.. وكلهم.

يوم السبت قدم البابا الذبيحة السرية، وأنا في اليوم الأحد، وهكذا أحيينا عيدا مقدسا واحتفالا روحيا تكريما للذي افتقدنا برحمته. واذا ما وجد فيما بعد بعض الاخوة السذج الذين لا خبرة لهم بالتدابير والتنازلات، ويخشون من الاسم الموجود في نهاية السجل، عليك ايها الحكيم والاكثر خبرة، ان تشرح لهم عوضا عنا وعن الشعب وترشدهم الى الحقيقة، لاننا لن نأت عملا لا يتماشى وتدابير الملافنة الحاذقين. نقول هذا للعلم، لا لفطنتك، المدركة للامور، بل لعلم الآخرين الذين هم بحاجة الى ان يتعلموا من فطنتك. هناك اختلاف في مفهوم الحقيقة والتدبير والتنازل عما كان عليه سابقا. لا أقول ذلك بالنسبة الى اسم "الانسان"، بل بالنسبة الى التعاليم السامية. فاننا نعتبر ان الوقت مناسب، والآن هو وقت التدبير الذي دونه في الكتب القديس البطريرك بطرس، وأعطي لدوميان في أترلوس. فلو كان قد قبله كأخ وزميل له، لتحققتم سيادتكم وبرهنتم عليه للآخرين، بأن الاقانيم اي الاشخاص ليست صفات بسيطة، يصدر عنها شيئان، كما نرى في الولادة وعدم الولادة والانبثاق. كما إنها ليست اسماء ونسب مجردة من اعمال، بل ان الصفات التي تتكون منها هي عاقلة وكاملة ومتميزة بالعدد وغير متميزة باللاهوت، وحدة في الثالوث وثالوث في وحدة. هذا ما تعلمناه من الآباء المتشحين بالله.

نحن وانسطاس البار وجميع زملائنا هنا، نبعث السلام لسيادتكم..
وكان قوريقا هذا من دير مار زكا وهو تلميذ البطريرك بطرس، وكان رجلا فاضلا وعالما، ساس كنيسة آمد عدة سنوات، لكنه نُحي في أخريات أيامه من قبل الاساقفة الذين أرسلهم ملك الفرس ليستولوا على كراسي بين النهرين، عندما طرد منها الخلقيدونيين.

الوثيقة التي وضعها كل من البطريرك الانطاكي اثناسيوس والبطريرك الاسكندري انسطاس، عن السلام والاتحاد بينهما

ان الله المخلص والعظيم يسوع المسيح أحد الثالوث الاقدس، الذي سبق وأغنى شعبه بالكلام النبوي الآلهي، الذي فيه يؤكد رحمته بقوله: "اسكب روح النعمة والرحمة على بيت داود وعلى الذين يسكنون في اورشليم"، يدعونا الى روح واحدة وشركة الروح والى حظيرة واحدة للرعية، ويحق بنا ما سبق وقاله لأبيه: "أريد كما اننا واحد، أنا وأنت، هكذا هم ايضا يكونون واحدا فينا". ترى من لا يستيقظ لصوت البوق الذي يشجع مقومات السلام، ويذهب وراء الرب الآله، ويجعل تسابيحه مسموعة، ذاك الذي حطم ربطنا ورفع عنا نير الرفض وسلاطة اللسان، ويتبع الوفاق والمساواة في التمجيد. ويذهب وراء الرب الآله، ويجتمع ليقدم ملء المجد الواحد، وليس كما كانت تجتمع في السابق كل قبيلة لوحدها، ولا ينقسم يعقوب لاسرائيل ويهوذا، حيث لا يزال سياج العداوة الذي يتوسطنا قائما. ولكي يزول كل اختلاف في الفكر، وكل حيلة التتين عدو الصالحات، الذي يحسد دائما الوفاق بين الكنائس وتنظيماتها، ويصرّ لها أسنانه، ولا يبطئ في زرع الشقاق، لكننا نذهب سوية وباتفاق الى بيت الله بقوة ونعمة ذاك الذي صالح الارضيات مع السماويات. ذاك الذي رأى ان لنا فكرا واحدا وقولا واحدا ودستور ايمان مستقيم واحدا، واننا نتمسك بهذه الامور كسكان النفس وهي يقظة تدخل من الباب الى حيث دخل من اجلنا الساعي الاول يسوع كما قال الرسول الآلهي بولس: "أراد الله براءة شعبه، كما كتب، وأقام قرن خلاص لنا وافتداء ميراثه، وإبطال العار عن اسرائيل"، والذي وعد بلسان حزقيال النبي قائلا: "واقطع معهم عهد سلام فيكون لهم عهدا مؤبدا، واقرهم واكثرهم واجعل مقدسي في وسطهم الى الابد" (٣٧). فاذا كانت الاقداس في وسطنا، أعني تعاليم الآباء القويمة التي سلمت اليهم مباشرة من الذين عاينوا وخدموا الكلمة، والذين أناروا كنائس الله المقدسة بنور المعرفة الحقيقية. وبنعمة من قال: ليكن بين الجانبين فكر مسيحي واحد، لكي يتدخل اشعيا النبي ويهتف

بحسرة، وبكلمات شجية ويقول: "ترنمي ايتها السماء وابتهجي ايتها الارض لأن الرب ترأف على اسرائيل، اهتفي يا أسافل الارض، أشيدي أيتها الجبال ترنما، الوعر وكل شجر فيه لأن الرب قد فدى يعقوب وفي اسرائيل ممجد: ٤٤". فيعقوب قد افتدي واسرائيل مُجد. اولئك الذين جعلوا حجر زاوية واغتنوا سوية بنسمة الروح الواحدة. واحد هو تحديد وايمان الكنيسة السليم، ايمان الـ ٣١٨ في نيقية الذين نطقوا مسوقين بروح الله، وأيده مجمع الـ ١٥٠ في القسطنطينية ضد مقدونيوس خصم الروح، وتبناه الذين جاهدوا في سبيل كلمة الحق في افسس ضد نسطور الساجد للانسان وأتباعه. ذاك الذي له نخضع وإياه نتبع في كل شيء. ونتأمله على ضوء تحديد الايمان، ونحن بما فينا من ثقة نقدم البراهين عن العقيدة لكي ننقذ ذواتنا بواسطة الوفاق ووحدة المجد ومحبة الاخوة.

نؤمن بآله واحد، الآب الضابط الكل، وبالرب يسوع المسيح الواحد وهو ابن وكلمة الرب قبل الدهور، وبالروح القدس الواحد، الذي من الآب ينبثق وهو مساو في الجوهر للآب والابن، الذي مع الآب والابن يسجد له ويتمجد، وله نفس الجوهر من السيادة واللاهوت. الابن والروح هما من الآب ولئن لم يعقباه. ذاك له البنوة وهذا الانبثاق، انه الثالوث المسجود له والمساوي في الجوهر والمجد، غير مخلوق، وخالق الكل، الذي يتميز بالاقانيم ولا يختلط، ويقوم في جوهر واحد ولاهوت واحد، بعيدا عن كل تمييز او تكوين. كما يقول القديس البطريرك مار سويريوس، غير منفصل في الوحدة، ومنفصل حيث لا وحدة، كمال في اللاهوت وانفصال في الاقانيم. لذا فان الاقانيم الثلاثة هم واحد في الجوهر والطبيعة والقوة واللاهوت والفعل والملك والسيادة والسلطان والارادة. من هنا يظهر جنون سابيليوس الذي يجعل الاقانيم الثلاثة اقنوما واحدا، وشيئا واحدا مركبا ذات ثلاثة اشخاص وثلاثة اسماء، الذي يأخذ الهيئة بحسب مقتضى الظروف. فنحن لا نؤمن بهذا، وكأنه يتقمص شخصية الآب حينا، وشخصية الابن حينا آخر، وحينا شخصية الروح القدس. فالآب هو أب وليس ابنا او روح قدس، والابن هو ابن وليس ابا او روحا، والروح

القدس هو الروح القدس وليس ابا ولا ابنا. فخاصية الآب هي الابوة، اي ان له عدم الولادة، وخاصية الابن هي البنوة اي انه ولد من الآب. وخاصية الروح القدس هي ان لا يكون مولودا بل منبثقا من الآب ازليا ودون بداية. ففي هذه الخواص يثبت عدم اختلاط الاقانيم، وإلا لما بقي الآب ابا والابن ابنا ولا الروح القدس روحا. فكيف نقرن سرا عظيما كسر الله بإدعاءات ساذجة؟ او كيف يثرثر آريوس واونوميوس اللذان يعددان طبائع الثالوث الاقدس، الامر الذي لا يوجد حتى ولا في الآلهة والآلهات المجردة عن اللاهوت. او كيف ندرج فكرة سابيليوس الذي يحصر الاقانيم الثلاثة في اقنوم واحد او نقسمه الى ثلاثة جواهر وطبائع، او نعتقده مجرد جواهر وطبائع بشكل او بآخر، لكي نتحاشى السقوط في فكرة تنوع الطبيعة وتنوع الجوهر، لذا ننبذ فكرة تعدد الطبائع وتعدد الجواهر. لكننا نجلّ الثالوث بعقيدة المساوي في الجوهر والطبيعة، ومعترفين حقا بانه جوهر واحد وطبيعة واحدة ولاهوت واحد قولا وفعلا، وليس بالخيال او من جيل غريب عنا، كما حسن لجنون ذلك الغبي يوحنا النحوي الذي حرمناه قلبا وفما لانه فكر في ما لا يليق، وأدخل تعليما مخالفا للروح القدس، لكنه جنّ وأتباعه، متأثرين ببعلزبوب رئيس الشياطين، اذ يقولون: ان الاقنوم الخاص وجد بارتباك داخلي وفي الصفات اي باجتماع الجوهر مع الصفة. اما نحن فنأخذ برأي المتشح بالله باسيليوس، في ما يخص اللاهوت، ولئن ظهر كل واحد من الاقانيم المساوين في الجوهر، اي اقنوم الاب والابن والروح القدس، ولكن بسبب المساواة في الجوهر، نجد الها وجوهرا وطبيعة، ولهذه العلة لا نقول بثلاثة آلهة، او لاهوتا مثلثا او ثلاثة جواهر او مثلث الجوهر، غير متساوية في النسب، وغير مختلفة في النسب، غير محدودة وليست غير محدودة، غير متساوية وليست غير متساوية، لاخاص ولا عام، وليس آلهة او لاهوتا متعددا اطلاقا او جواهر او طبائع، على الثالوث الاقدس المتساوي في الجوهر. فقد تعلمنا من معلمي الكنيسة الذين نطقوا بكلمة الحق في ما يخص اللاهوت، انهم ثلاثة لا بالظن والخيال بل أصلا وحقيقة، وهم واحد في الالوهة، وهو هو نفسه يحمل صفات متعددة،

فالثالوث هو واحد في بعض الصفات، ومتميز في البعض الآخر، او متميز الواحد عن الآخر، لكي لا نبلبل الاقانيم، فهو ليس هذا وذاك، فالثلاثة واحد في اللاهوت، كما يعبّر الثاولوغوس في رسالته الى قليدميوس عن الثالوث بقوله: "آخر وآخر"، لكي لا نبلبل الاقانيم، وليس "اخرى واخرى". فالثالوث واحد في هذه الثلاثة، فهو موحد باللاهوت اي هو الثالوث الاقدس، ومتميز في الاقانيم، وهو هو وحدة وثالوث، له الوحدة والتميز بصورة عجيبة، فنحن نبتعد عن هوة ضلال الطرفين اي بسيليوس واريوس اللذين جدف كل منهما بشكل مناقض للآخر وانحرفا عن الحق، ونقف خاشعين ومعترفين بالثالوث الاقدس، اي بالاقانيم الثلاثة المتساوية في الجوهر وفي الطبيعة، ونقول: الآب والابن والروح القدس، هم آله واحد أصلا وقولا وفعلا، ولاهوت واحد وطبيعة واحدة لأنهم مساوون في الجوهر.

يقول المتشح بالله البطريرك مار سويريوس في الفصل ٣٣ من المقال الثاني ضد يوحنا النحوي: "لان ذات جوهر اللاهوت هي هي بحسب تعريف اللفظة العام و..

.... لان اونوميوس المنافق ظلم ذات اللاهوت فوصل الى القول بتعدد الجوهر، دون الاختلاف في الجوهر او الاقانيم، فهو يحاول ان يظهر ان عدم ولادة الآب هي جوهره واقنومه، وولادة الابن هي جوهر واقنوم الابن. لذا نقول: نحن نعترف بنعمة الله، بذات اللاهوت، ومساواة في الجوهر للاقانيم الثلاثة، الاب والابن والروح القدس. فلا نقول اطلاقا، ان عدم ولادة الآب هي جوهر واقنوم الآب، ولا لولادة الابن انها جوهر واقنوم الابن، ولا لانبثاق الروح انه جوهر واقنوم الروح القدس. وردا على تعاليم اونوميوس السخيفة نقول: انها لمجرد التعريف بان غير المولود هو الآب والمولود هو الابن والمنبثق هو الروح القدس، فان عدم الولادة والولادة والانبثاق هي انواع الذات ومؤشر الى الكيفية التي هم عليها كما يعلم الآباء القديسون. هذا ما نفهمه من تعليم الآباء القديسين. يقول المتشح

بالله مار سويريوس في الفصل الاول من مقاله السادس ضد النحوي: "حيث ان الذات ومساواة الثالوث الاقدس في الجوهر لا يحده زمان، فهي ازلية...... اما اختلاف كيفيتهم فهو يشير الى الاصل وليس الى اشتراك كل اقنوم بما هو للاثنين الآخرين". ويقول في الفصل الثالث: "ان باسيليوس، في مقاله ضد انوميوس، يأخذ الذات بدلا من الاقنوم الخاص حيث يقول: ان كلمة "غير مولود" هي تعريف لذات ما، لا للجوهر، فهي لا تشير الى ماهية الاب في الجوهر، بل الى نوع ما من الذات فقط، ويبرهن على انه ليس من لا شيء، بل هو بلا ولادة. وعلى هذه الصورة نعترف بهذا السر الآلهي. وكذلك اختلاف الجوهر والاقنوم. وان كلا من الاقانيم الثلاثة المقدسة يشترك في الذات والجوهر. وكما ان الجوهر هو مشترك، كذلك الاقنوم ايضا وبصورة طبيعية غير منقوصة. فاذا اعتقد احد غير هذا، نحرمه ونطرحه جانبا. كذلك الذين يقولون ان اللاهوت الذي في الآب والذي في الابن والذي في الروح، اي الثالوث الاقدس بأكمله قد تجسد بشخص احد الاقانيم، ولا يعترفون بأن احد الاقانيم فقط هو الله الكلمة، الذي ظهر بذاته، كما يعترف ايضا بأن للآب والروح القدس لاهوتا وجوهرا وطبيعة، ونجلّ فيهم وحدة الجوهر الذي تجسد وتأنس دون ان يتحد الاب والروح القدس في الجسد او يتأنسا. ونعترف كذلك بالاسماء المنسوبة الى لاهوت الثالوث الاقدس المساوي في الجوهر، فإننا نقبلها بحسب قوة شهادات الملافنة القديسين الذين، بعد ان قدموا الشهادات بالنسبة الى اللاهوت ووضعوا عقيدة التجسد، أضافوا قائلين: "لقد تضمنت وثيقتنا العبارات والشهادات التي سبق وان قلناها"، فنحن نأخذ بهذا، بروح المخافة وبحسب رأي الذين وضعوها، اي الآباء المتشحين بالله، دفعا لكل نزاع وشك فيما بيننا.

لقد استحسنا ان لا نناقش ما حدث وكتب في فترة عصيبة، بين المرحوم القديس دوميان بابا هذه المدينة _الاسكندرية_ ، والطوباوي البطريرك الانطاكي بطرس، تحاشيا من وقوع أعضاء المسيح مرة اخرى في الشدة والضيق بسبب تحريك مثل هذا الحديث، ولكن يجب ان نستأصل

من بيننا، كما يقال، أصول الشك وثمرته. فاذا ما سألنا أحد من الجانب الآخر، كيف تفهمون ما كتب في فترة عصيبة بين الطوباويين رؤساء المجامع؟ نجيب بصورة عامة، ان الذين كتبوا قد انتقلوا الى الله. اما نحن فقد اتحدنا بناء على التعاليم المسلمة الينا بخصوص ايمان آبائنا المستقيم التي هي الآن بين يدينا. فإلى هذا الايمان القويم نوجه انظارهم، ونعلن للجميع عن ايماننا الذي جمعنا الى بعضنا وحققنا السلام بناء عليه. وكما هو معروف: ان كلا من الجانبين يحافظون على قوانين الآباء الجليلة والطاهرة التي لا شائبة فيها. ليس هذا فقط، بل انهم متمسكون بتقاليد مصر والاسكندرية. نصلي من اجل الاستمرار في المحبة والسلام مدى الحياة والتخلص من كل شغب وعمل أثيم بشفاعة القديسة والدة الله مريم والقديسين سويريوس وانتيموس وقديس الاسكندرية ثاودوسيوس، وبطرس وبولس ويوليان الانطاكي ويعقوب، الذين ثبتوا وأيدوا تعاليم الآباء المستقيمة والخالية من الشوائب، وأوصلوا وحدة كاملة مع الله، ورسخوا اتحاد الكرسيين الاسكندري والانطاكي دون التمييز بينهما، وها نحن نوقع كل بشخصه:

انسطاس، برحمة الله اسقف الاسكندرية، انني أقبل هذه التعاليم القويمة الخالية من الشوائب والمدونة أعلاه واعززها، وأتعهد بأن أعمل من أجل الوفاق معك بعونه تعالى، أيها الأخ الروحي القديس اثناسيوس رئيس مجمع مدينة انطاكية محبة المسيح، اننا نمنحكم يمين الشركة ووحدة الرأي، وبنفس واحدة ندعو الله ان يمد بحياتكم من اجل حفظ الكنيسة المقدسة. ما زلت أخاكم المخلص الصامد. وقعت بيدي وختمت أنا والاساقفة الذين معي. وهكذا فعل كل من اثناسيوس بوليقربوس، ثاودوسيوس وبقية الاساقفة المصريين. الاسقف قوريقا: وقعت وافقا لبطريركي اثناسيوس. وكذا فعل بولس، وبولس آخر وسرجيس وتوما.

فصل

يتضمن المنشور الذي أرسله البطريرك اثناسيوس الى اساقفة المشرق، وقسما من رسالة البابا الى اثناسيوس، بخصوص الاتحاد الذي حققاه في كنيستَي سورية ومصر

الى الابرار القديسين والاخوة الروحيين، ذوي روح واحدة وخدمة واحدة، اساقفة المشرق / اثناسيوس الضعيف. افرحوا بالرب يا من تجاهدون في سبيل كلمة الانجيل، وأنتم وكلاء سرائر الله، وقد غدوتم ملافنة حاذقين بنفح من الروح الاعلى، من أجل تثبيت الافضل........ وانتم رؤساء الكهنة......... تجلبون الاكثر سموا......... ومفعمة بنعم وفيرة......... السبيل السوي الملكي.

قد لا يكون من اللائق ان نعلمكم، وانتم السباقون في المعرفة، بلطف الله الغزير نحونا، ونحو كنيسته المقدسة التي أشار اليها اشعيا النبي صراحة حين قال: "قد قرّبت بري لا يبعد وخلاصي لا يتأخر واجعل في صهيون خلاصا لاسرائيل جلالي: ٤٦". مثل هذه الاشياء العظيمة والمجيدة والفائقة عن الطبيعة وهبت لنا، لكي يتعجب الجميع بعظمة عطاياه التي تدعونا الى ان نهتف "تأملت أعمالك يا رب فتعجبت". ومن حسنات الزمان ان نمتدح مع نبي آخر عظائم الله وحكمته المدبرة ونقول: عظيم هو ربنا وعظيمة قوته. الذي لا حصر لمقاصده الذي أعطى من ملئه بشكل مدهش فيض سلام ثابت للذين كانوا قبل فترة متفرقين، بل أعداء وخصوما، وجاء بالمتشككين الى التقوى، والى وحدة الصوت وتعاليم الآباء المستقيم، فاذا كنتم في وحدة الذات والفكر فستجدون ان موقفهم السابق بالنسبة الى التعاليم كان سلبيا. فعظموا الرب معنا ولنمجد اسمه سوية كما كتب، الرب قادر على صنع المعجزات، ذاك الذي قال بلسان اشعيا النبي: "اني صانع عجائب، ستظهر وستعرفونها"... نظر الى ضعفنا، الرب الذي يبني اورشليم ويحيطها بالسلام، اذ يوحدنا سوية نحن الذين من المشرق الموجودين في الاسكندرية، مع ابناء المدينة وسائر رعية مصر، في سلام هادئ جميل، وبوحدة الرأي في الله، والوحدة التي

ستعرفونها بعد ان تطلعوا على وثيقة العقيدة والايمان التي أصدرناها والتي نرسلها اليكم الآن، ونستشهد الله بأننا مسرورون بالروح سرورا عظيما، واننا نرفع ملء التسبيح للآب والابن والروح القدس ربنا والهنا، واننا لن ندخل شيئا جديدا على الحقائق والعقائد الايمانية. ايها الاخوة الموقرون، اطلبوا لنا من الرب السلام والثبات في الصالحات، لكي نبقى على ما نحن عليه الآن حتى الانقضاء، فلا تعود بيننا الانشقاقات ومنابت الزيوان التي يخلقها اعداء التقوى. هذا ما بادرنا الى اطلاعكم عليه ايها القديسون، ونحن متمسكون بالتقوى من اجل التعاليم التي نتمسك بها، محترمين شريعة الذات الاخوية الواحدة ومسلمين للقول النبوي: "أخبروا نادوا بهذا، شيعوه الى أقصى الارض. قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب ولم يعطشوا في القفار التي سيرهم فيها". (اش ٤٨).

فنطلب اليكم وانتم تتأملون جمال أعمال الله وتنظرون الى عدد الشعوب الذين ينجون بالتعقل، فلا تحتقروا ولا تفكروا بما لا يليق، وفي ما حدث من تنازل منا، لاسيما وقد رافق هذا التنازل تجارة وفائدة، ونحن لم نأت عملا خلاف نظام الكنيسة الابوي الذي سلم الينا، ولم يوضع اسم اي شخص في الوثيقة يختلف عنا في الرأي لئلا يخلق لكم بعض الشكوك. وقد سبق آباؤنا القديسون ورتبوا مثل هذه الامور وأعظم من أجل سلام الكنيسة وعدم انقسام او انفصال شعب الله. استسلموا للبعض دون ان يعتبروا ذلك عيبا او انه يدنس شركة الارثوذكسيين. انتم الآن بمثابة تجارين ماهرين ومهندسين يسدون الفجوات، ولكم خبرة في كل الشؤون، بإمكانكم ايضا حمل ضعف الضعفاء، لان الظروف تتطلب هذا، فكل شيء في وقته حسن، وإقامة منشأت فخمة لصهيون كمربين ومعلمي نعمة الله المختلفة الجوانب، التي لا تستهين بالضعفاء كي لا يعثر الاعرج، بل تريد له الشفاء بواسطة الكاملين والكاملات، ولا تريد ان يهلك احد في الجحيم، بل ان يخلص الجميع ويقبلون الى معرفة الحق كقول الكتاب المقدس. فاذا أمعنتم النظر في مثل هذه الافكار المقدسة، ستكونون قادرين على رعاية الشعب كما يروق لكم ايها السادة الاجلاء. فلا تدعوا احدا يتعثر بحجر

عثرة ما استطعتم الى ذلك سبيلا، لكي يثني عليكم رب المجد لأعمالكم الجليلة في الكنيسة الكبرى، عندما يتقدم الجنس البشري برمته نحو الدينونة، فنستحق وإياكم لطف الله ومنزل آبائنا القديسين، الذين علمونا كلمة الحق باستقامة، وبحسن التقوى.

ـ من رسالة انسطاس ـ

الى سيدي القديس الطاهر وأخي وزميلي اثناسيوس البطريرك الانطاكي / انسطاس اسقف الاسكندرية. لنفرح بالرب.

"ما أحسن وما أجمل ان يسكن الاخوة معا" قالها داود المرتل بالروح القدس مثنيا، اذ رأى أبناء ميراث واحد وأصل واحد يكتبون ما يدل على اصالتهم، اولئك الذين كانوا قد انفصلوا عن بعضهم البعض بتأثير غباوة الحسود، فقد رآهم مرتبطين برباط السلام غير المنفصم، وبوثق المحبة التي لا تنحل، بفضل أمانة ورزانة ذلك الفاضل. فكيف لا يزيد في تسبيحه؟ انه يغذي العقائد عندما يحدد جمالا لا نظير له مثل هذا، ويؤكد رغبة لا شبيه لها. فمن المناسب ان يقال: "ليكن اسم الرب مباركا الى الابد". ان كل واحد من الطغمة الكهنوتية، ورئيس وقور، هو زينة المحبة. فما أحب نصرة السلام، ووحدة الصداقة، وما أرق كلمة الوفاق. ترى هل من شيء أفضل وأكرم من جمال الاتحاد في الايمان والذات الواحدة؟ لان الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح يقول في الانجيل: "حيث اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فأنا أكون بينهم". فالذين كانوا بالامس منقسمين شطرين، نراهم اليوم شعبا واحدا متحدا بإيمان غير منقسم، وله وسيط هو ثالوث بوحدانية لائقة بالله. اولئك الذين كانوا بالامس منقسمين في الايمان، مختلفين في الكلمة وفي القول، يغتنون اليوم في علية الوحدة غير المنقسمة بالروح القدس. لئن تحدثنا بكافة اللغات التي تحت السماء، فنحن الآن لغة واحدة وصوت واحد. اولئك الذين كانوا بالامس يتناحرون مثل يعقوب وعيسو ويوشي احدهم مع الآخر، هم اليوم مثل بنيامين ويوسف.

نحن في مصر نعانق بمحبة اولئك الذين انفصلوا بالامس بارادتهم، وكأنهم أرسلوا لمشاهدة أرض الميعاد، واليوم نحث الخطى بنفس واحدة وبهمة نحو مدينة السماء الجميلة الموعود بها لكل القديسين والتي

صنعها الله الخالق، مثل كالب ويشوع. اولئك الذين كانوا بالامس منقسمين اثنين مثل يهوذا واسرائيل، يشاهدون اليوم كأسرة واحدة. ونحن نعنون هذا الى الرب قائد القوات الذي يسجد له ويتمجد كملك وكاهن. اولئك الذين تراشقوا بالامس بالسهام والسيوف، نراهم اليوم، كما قال النبي: "يطبعون سيوفهم ورماحهم مناجل". حيث اننا نبشر بنفس واحدة بالانجيل في كل مكان تحت الشمس، اي اننا ندعو الى التقوى الذين ليسوا من حظيرتنا، عندما يزهو ويلمع السلام والمحبة في وسطنا بدلا من الشغب واختلاف الرأي. علينا ان نتودد الى كنز السلام غير الزائل، كتلاميذ صانع السلام الذي صالح السماويين مع الارضيين، الذي علمنا بالعمل حين قال: "سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم". لنلبس ثوب المحبة الكهنوتي الالهي، اذ لا شيء كالمحبة يمثلنا بتلاميذ المسيح. يؤكد الرب هذا في انجيله حيث يقول: "بهذا تعرفون انكم تلاميذي إن أحببتم بعضكم بعضا". ترى من لا يرغب في ان يتتلمذ للمسيح بأعمال لائقة؟ يا من يعز علي اكثر من الكل، علينا ونحن مرتبطون بروح الهي واحد، ان يسلم بعضنا على بعض بالرسائل والاحاديث التي تجمع في مجاميع لتقرأ. لذا اطلعت يا رئيس الكهنة في مجموعتي، وهي تبشر بالوفاق ما بين المصريين والمشرقيين، وتنادي بصوت واحد، بوحدة الايمان بين مصر والمشرق، وتستأصل جذور الفتنة القديمة وترسخ فينا وحدة الكلمة التي لا تزول، ونؤمن بأنها ترسخ ايماننا وتثبته حتى انقضاء العالم. هذا ما أعاد صفاءه سويريوس المتشح بالله، عندما أنفذ مجموعة رسائل مجمعية الى القديس ثاودوسيوس تضمنت ما نترجاه، كما أرسلنا اليه مجموعة من رسائلنا المجمعية. ان سلطة الملكوت الثابت كامنة في العرش الانجيلي في العلى. ولا تزال رسائل الاعياد الموجهة الى سائر المعمورة، محفوظة حتى اليوم وستحفظ للمستقبل. فاذا ما اطلع أحدهم على أصول الارثوذكسية، فسوف لن يبعدها عن ذهنه.

وبعد ان تحدث عن امور لاهوتية والتجسد قال: اننا نمد يدا طاهرة بعضنا لبعض، ونهش للشركة غير المنفصلة، شاكرين بفرح،

المسيح الذي جمعنا في هذا الوفاق. ونصلي من اجل نصـرة ملكنـا، ولكـي يوفق الله قائد الجيش نيقيطا الظافر الذي يبـدي همـة ويحث ويدعـو الـى الوفاق، وقد انتقد بشدة حالة انفصالنا وحفزنا على الوفـاق. فلجـزه المسيح أجرا صالحا عوضا عنا، وليعطه غلبة علـى الاعـداء واخضـاع الـبرابرة، ومن اجل انتهاء الحروب الموجهة ضد الطـائعين مـن قبـل اعـداء المحبـة والوفاق. ليعطه صحة الجسد، وعمرا مديدا، وما في الحياة العتيدة، مما لم تره عين، مما أعده الله للذين يحبونه، له المجد الى ابد الابدين.

وقع على وحدة الثالوث الاقدس آلهنا. ليحفظ الله غبطتكم ويديمكـم نفسا وجسدا والخ...

[يستطيع من يشاء الاطلاع، ان يدرك مـن هـذه المراسـلات كيـف ومتـى وبأية صورة تجدد وتأصل الاتحاد بين كنائسنا في سورية وكنائس مصـر، بواسطة بطريركنـا الانطـاكي اثناسيوس، ومـار انسـطاس الاسـكندري، واسـاقفة مـن كـلا الجـانبين، ونيقيطـا قـائد الجيـش وسـواه مـن الزعمـاء والمؤمنين. ليجعل لهم الله ذكـرا صالحـا فـي كافـة الكنـائس الارثوذكسية حتى انقضاء العالم، ولتكتب أسماؤهم في كنيسة الابكار في السماء الى ابـد الابدين].

تـم هـذا الاتحـاد سـنة ٩٢٧ يونـانيـة، بصلـوات الاطـهـار القديسـين الذين أنجز الله بواسطتهم، وسائر القديسين. ليرحمهم الله وكل مـن سـاهم في هذا الكتاب آمين.

انتهـى المقـال العاشـر الـذي شـمل تـاريخ ٤٣ سـنة، اي مـن سـنة ٨٣٨ ي حتى سنة ٩٢٧. قام خلالها أربعة ملوك للروم، وثلاثة ملوك فـي فارس. وهذه هي السنة ٦١١٤ من آدم، و ٥٩٢ ميلادية. ويقع المقال فـي ٢٧ فصلا.

المقال الحادي عشر

يتناول الفترة من بداية السنة ٦١١٥ لآدم والسنة ٥٩٣ للميلاد والسنة ٩٢٢ ي، وهي التي حكم فيها هرقل الملك. وكان يحكم الفرس كسرى. وفي هذه الفترة ابتدأت مملكة العرب (المسلمين) على يد محمد

فصل
في بدء ملك هرقل
والاحداث التي تمت في الكنيسة آنذاك

في السنة التي ملك هرقل على الروم، حدث كسوف لمدة أربع ساعات، وانحبست الامطار، وهلكت الزروع، واختفت الحبوب فحدثت مجاعة.. وفي هذه السنة جاء قوم من العربية الى سورية فسبوا ونهبوا ودمروا عدة مناطق وقتلوا الكثيرين، وأحرقوا دون رحمة او شفقة.

الفرس يغزون مناطق الروم:

يروى عن احد ملوك الروم، انه علم بأن جيشه يتأهب للتمرد عليه، فجرهم الى محاربة بعضهم البعض، اذ أوعز الى بعضهم ان يرتدوا ثيابا صفراء والبعض ثيابا حمراء، فتقاتلا. وبهذه الحيلة تمكن من التخلص من شرهم وتمردهم عليه. اما ملوك اليوم مثل موريقي وفوقا وهرقل فقد تجردوا عن الحكمة بسبب ابتعادهم عن تقوى الله. "فسلمهم الله الى ذهن

مرفوض" كما كتب. فأخذ بعضهم يفتك بالآخر. وبسبب ذلك احتملت الرها شرورا كثيرة. فقد أقام كسرى أحد الشرفاء واليا على المدينة، فحسده الرهاويون كثيرا ووشوا به، فردهم كسرى، فجاءوا الى قورا نادمين فصدقهم ولم يزجرهم، فطلبوا اليه ان يزور كسرى ويسأله تخفيض الضرائب، ففعل وأخذ أمرا بأن يتصرف لصالحهم كيفما يشاء. ولدى عودته، التقاه في الطريق شخصان رهاويان سفيهان موفدان الى كسرى من قبل الرهاويين للوشاية به. فلما علم ذلك عاد الى كسرى، وتركهما يكيلان له الشتائم ما أعطاهم الشيطان من قوة، وعاد وأخبر كسرى عن كثرة الفضة الموجودة في الرها، وأشار اليه ان يجمع الفضة من العامة والكنائس والزعماء، وفي كل مكان. فنقل من الرها الى فارس ١٢٠ ألف رطل فضة.

لقد حكم هرقل سنة ٩٢٢ ي وهي السنة الـ ٢١ لكسرى، وقُتل فوقا من قبل الروم الذين قتلوا موريقي واولاده. ولدى تسلمه عرش المملكة، أرسل هرقل وفدا الى كسرى ملك الفرس ينشد السلام، وقال: انا قتلنا فوقا لانه قتل صديقكم الملك موريقي. اعتقادا منه بانه من الممكن ان تتم المصالحة بمثل هذه المراوغات، غير ان كسرى لم ينخدع. فهو لم يكتف بعدم عقد الصلح مع الروم، بل أخذ منهم عدة مناطق في تلك السنة التي ملك فيها هرقل، حيث أغاروا على انطاكية واحتلوها، فاشتبكت جيوش الروم مع الفرس وهزم الروم بعد ان أجهز الفرس على عدد كبير منهم. وفي السنة الثانية لهرقل والسنة الـ ٢٢ لكسرى، احتل بهرام قائد جيش الفرس قيصرية قبادوقية وقتل ربوات من سكانها وسبى ونهب ثم عاد. وفي السنة الرابعة لهرقل، أخضع شهربرز دمشق للفرس، وفي السنة التالية استولى على الخليل وحوض الاردن. وفي السنة السادسة لهرقل، احتل شهربرز اورشليم ودخلها وقتل تسعين ألفا من سكانها، وكان اليهود يشترون المسيحيين من الفرس بقيمة زهيدة ويقتلونهم.

أسر الفرس زكريا اسقف اورشليم الخلقيدوني وأرسلوه الى فارس صحبة خشبة الصليب المسجود له. كما جلوا نفس اليهود الذين كانوا يشترون المسيحيين ويقتلونهم، ولم يتركوا في اورشليم وضواحيها يهوديا واحدا. وفي السنة التالية، دخل شهربرز مصر واحتلها، وفتح الاسكندرية وقتل العديد من اهلها، كما أخضع لفارس ليبيا ايضا حتى حدود الحبشة وفي تلك السنة نفسها، غزا شهرين الفارسي خلقيدونية واحتلها بالقوة وفتك بأهلها فتكا ذريعا، ثم عاد سالما. وهكذا بسط الفرس نفوذهم على بلاد الروم وفي ما بين النهرين وسورية وقيليقية وفلسطين ومصر وساحل البحر برمته، ونهبوا وأسروا شعبا لا حصر له. وجلبوا الى فارس ثروات وعبيدا وغيرها من الاشياء، وأعمدة المرمر وقطعا كثيرة جدا من المرمر، من رومية وسورية وبقية مناطق الغرب.

لقد عين هرقل ابنه قسطنطين قيصرا، ليرسله على راس جيش لمحاربة الفرس الذين كانوا قد سيطروا على قسم من بلاد الروم، ممتد من ساحل بحر قونطس حتى المشرق. وفي هذه الاثناء برز اسم محمد في العربية الداخلية حين كان يقوم برحلات تجارية الى العربية وفلسطين.

في السنة التي ملك فيها هرقل، قتل بطريركهم الخلقيدوني الانطاكي المسمى انسطاس، فترمل كرسيهم الانطاكي ٣٨ سنة. اما نحن الارثوذكس فكان بطريركنا الانطاكي آنذاك اثناسيوس الذي عمل اتحادا مع الاقباط عقده مع انسطاس بابا الاسكندرية كما أوردنا بإسهاب في نهاية المقال العاشر. وفي الاسكندرية قام للخلقيدونيين قورس، وفي القسطنطينية، سرجيس، وأرسل الى الرها، اشعيا وهو اسقف من بلاد فارس.

أرسل الملك هرقل رسالة الى البطريرك اثناسيوس وسائر ابناء عقيدتنا، هذه صورتها:

صورة رسالة هرقل:

"من هرقل ملك الروم المؤمن بالمسيح الله، الى الارثوذكسيين. لم تسنح لنا الفرصة للبحث في القضايا العقائدية، لكننا نمجد ربنا يسوع الإله الحق باستقامة الايمان ونقول: انه ابن الله وكلمته الذي لا بداية له، وهو قبل الدهور دون شائبة مع الآب والابن والروح القدس. شاء احد الثالوث الاقدس ان يتجسد من أمنا العذراء والدة الله مريم الطاهرة، ويولد منها، من اجل خلاص جنسنا البشري. وهو ذاته آله تام، وهو ذاته صلب في ايام بيلاطس البنطي. وان الآله الكلمة غير المتألم، تألم بجسده المتألم، ومن المعلوم ان الالم لم يمس لاهوت طبيعتي الله والانسان المتحدتين. نقول عن يسوع كلمة الله وابنه الطاهر، انه طبيعتان متحدتان دون تبلبل او انقسام، وهو فعل واحد كما عبر كيرلس الطيب الذكر: طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد، الامر الذي يشير الى طبيعتين متحدتين دون تبلبل او انقسام. لا ينسب تبلبل الى طبيعهة واحدة، وان عدم الانقسام يشير الى طبيعة واحدة متحدة لكلمة الله المتجسد. ومن المعلوم انه ليس هناك انقسام في عبارة "طبيعتين متحدتين"، ونحن نحرم كل من يؤمن بغير هذا. حتى ولئن كان عضوا في مجمع نيقية او مجمع القسطنطينية او مجمع افسس او مجمع خلقيدونية".

فصل
في ظهور محمد
وجواب البطريرك اثناسيوس لهرقل ملك الروم

صورة المذكرة التي كتبها البطريرك اثناسيوس الى الملك هرقل الرصين والمحروس بالله

بناء على أوامركم ايها السادة اللطفاء، نكتب هنا باختصار ما يخص العقائد الالهية، وما يحوم حولها من شكوك. نحن نؤمن ونعترف بما وضعه الآباء الـ ٣١٨ في نيقية. ومن المعلوم ان الروح القدس كان معهم، والذي قبله مجمع الـ ١٥٠ في القسطنطينية، وآباء مجمع افسس الذين اجتمعوا بدافع عناد نسطور، ونحن مصممون على ان لا نقبل اي تحديد آخر. فقد علمونا ان نعترف بالكلمة الذي من الله الآب المساوي له في الازلية والجوهر والمقام، وبالروح القدس. وانه أخذ جسدا عاقلا وحيا من القديسة مريم الدائمة البتولية، والتي تدعى بحق وجدارة، والدة الله، واتحد به طبيعيا وفعليا، ولم يسبق تكوينه قبل اتحاده به. لكنه اكتسب ما أراد ان يكون من جراء الاتحاد الذي تم في آن واحد. وهكذا خرج من الاحشاء الطاهرة للبتول القديسة مريم والدة الله وهو متجسد، وتأنس بصورة تامة وغير قابلة للتغيير، ليكون له ميلادان، ميلاد قبل الدهور دون جسد او بداية، وميلاد جسدي في ملء الزمان. وهو واحد قبل وبعد التجسد والتأنس، ولم تحدث أية زيادة في الثالوث. وحيث ان الهنا ومخلصنا يسوع المسيح هو واحد، فطبيعته ايضا واحدة، ونعترف بأن اقنومه مركب من اللاهوت والناسوت اي من طبائع وأقانيم كاملة، كما عبر عنها الآباء. دون ان يتغير اللاهوت الى ما لم يكن عليه، كما لم يطرأ اي تغيير على الناسوت، بل حافظ كل منهما على خاصيته. ونؤمن سوية بوحدة يعسر تفسيرها حيث أظهرت لنا طبيعة واحدة لواحد لكنه متجسد ومتأنس، فلا ينقسم بوجه من الوجوه الى طبيعتين او يكون في طبيعتين او اقنومين او شخصين او ابنين او مسيحين بعد الاتحاد الفائق

الادراك الذي كان اقنوميا وطبيعيا بعيدا عن الخيال او التغيير او الاختلاط او الانقسام او الثنائية، لان الثنائية هي انحلال للوحدة تماما مثل الاختلاط او الانعكاس في السر الآلهي.

ولننتقل من التجسد الآلهي الى الثنائية والانقسام والاختلاط والخيالية، والى نسطور الذي عبد انسانا، والى قول أوطيخا السيء الصيت، انه مجرّد وجود في البطن. فنقول: ان المسيح الابن هو رب واحد، مساو للآب والروح القدس في الجوهر واللاهوت، ومساو لنا في الجوهر والناسوت. وهو غير متألم وغير مائت بالنسبة الى اللاهوت، ومتألم ومائت بالنسبة الى الجسد، وهو منزه عن التغيير، ذاك الذي أوضح أن اتحاد اللاهوت والناسوت تم دون ثنائية أو تعددية أو انقسام..........
لذا نقول: ان جميع الامور الالهية والبشرية، الوضيعة والرفيعة، الاقوال والافكار، هي للواحد. وليس هذه فقط، بل الآلام الارادية والطبيعية وغير المشينة التي اقتبلها بالجسد اراديا، ايضا، في حين بقي غير متألم في لاهوته. والالم لا يستطيع ان يدنو مما هو غير متألم بطبيعته. وهذه من الامور الممكنة التي بسببها كفروا. أعلم انه آله حق، ذاك الذي تألم ومات بالجسد وقام. قال ثاولوغوس: لقد احتجنا الى آله حق يتجسد ويتألم لكي نحيا نحن. هذا باختصار وبصورة عابرة، ما نؤمن به يا ملكنا الرصين والمحروس بالله.

اما بالنسبة الى التجسد الآلهي فنقول: اذا ما اتفق الجانبان اتفاقا تاما، وطرحت جانبا وحرمت العقائد المخالفة للحق، فاننا سنولي اهتماما خاصا بالامور، اذا ما ساعدنا الله لنعرف كيف نستطيع ان نجعل الاسماء والاشخاص التي نعتقد بأنها موضع الشك والظن، من الامور المسلم بها في الكنيسة، لئلا يظن بعضهم بأننا انفصلنا بدون سبب عن اولئك الذين يختلفون معنا في الرأي في هذه القضايا. لذلك عزمنا على ان ندرج في هذه الوثيقة الامور البسيطة التالية:

اننا يا محبي الناس والاكثر ائتمانا، نستنكر مجمع خلقيدونية، لوضعه تحديدا آخر للايمان غير الذي وضع في نيقية، فسقط تحت وطأة قوانين الآباء القديسين، اولا آباء افسس الذين حرموا كل من يحاول ان يضع تحديدا آخر للايمان، اساقفة كانوا ام اكليروسا ام علمانيين. وقد وضع هذا المجمع التحديد الآنف الذكر والذي يقول بأن المسيح هو طبيعتان ويعرف بطبيعتين. ان هذا القول يصح على ما ينقسم وليس على الواحد المركب. وقد اهمل (المجمع) لفظة "من طبيعتين" وهي من وضع أبوي، وقبل رسالة يهيبا المليئة كفرا، ودافع عن ثاودورس معلم الاثم، كما دافع عن نسطور الذي يحارب الله، وأدان القديس كيرلس كمبتدع واعتبر رسالة يهيبا ارثوذكسية لاحتوائها على فصوله الاثني عشر، وقبل ثاودريط الذي حارب التقوى وروّادها في كتاباته، لاسيما ما كتبه ضد القديس كيرلس عندما حرم عقيدة ومؤلفات نسطور، ولانه يتجاهل ذكر اسمه، بل ويبدي نفوراً لدى ذكره. كما قبل طومس لاون الروماني الذي يقسم جهارا المسيح الواحد الذي لا ينقسم، اي انه قسمه الى آله وانسان وطبيعتين وصورتين وكذلك بالنسبة الى الافعال والخصائص. ونسب الى الله المعجزات الآلهية والرفيعة، ونسب الى الانسان الآلام والامور الوضيعة، حيث قال: ان الجوع والعطش والنوم والتعب هي من مستلزمات الانسان، اما اشباعه خمسة آلاف من خمس خبزات، واعطاؤه ماء الحياة للسامرية، ومشيه على البحر دون ان يبتل بالامواج، وتهدئته البحر الهائج يزجره العاصفة. فهذه الامور كلها هي بلا شك خاصة بالله، وان كل صورة تعمل ما هو لها بالاشتراك مع الاخرى. فالكلمة يعمل ما هو للكلمة، والجسد يعمل ما هو للجسد، ذاك يبهر بالمعجزات، وهذا يخضع للهوان. فعندما يرجم الله لا يطرأ عليه اي تغيير، كذلك الانسان لا يفنى بقوة الله وسلطانه. هذه الامور تدعونا الى الشك، وتقسم الكنائس. فاذا صححت لن يبقى هناك ما يمنعنا من الذهاب الى بيت الرب سوية، والتنعم بالفرح الروحي. ندعو الله كاشف الخفايا ان يكون موقفنا هذا من اجل التقوى وليس للخصام، ونحن لسنا، كما يظن بعضهم، مندفعين وراء محبة الذات.

ظهور الاسلام:

سنة ٩٣٣ ي، والثانية عشرة لهرقل، والـ ٣٣ لكسرى، ابتدأت مملكة العرب (المسلمين) عندما ظهر في منطقة يثرب، شخص يدعى محمد من قبيلة قريش، وقال انه نبي، ويُدعى اتباعه "مسلمين" او "اسماعيليين او هاجريين" نسبة الى هاجر واسماعيل، وسرقيين نسبة الى سارة، ومذيانيين ابناء قنطور. ولكن ولئن تعددت تسميتهم، غير ان اسمهم العام هو "العرب" وهم يطلقون على نفسهم هذه التسمية وهي مأخوذة من العربية الخصبة التي هي موطنهم، وهي المنطقة المحصورة بين نهر الفرات شمالا حتى البحر الجنوبي، ومن البحر الاحمر حتى خليج بحر فارس شرقا.

كان محمد بن عبد الله يذهب الى فلسطين للتجارة، وأطلع على عقيدة اليهود بوحدانية الله، بتداوله الحديث معهم. واذ رأى أبناء شعبه يتعبدون للحجارة والخشب وغيرها من المخلوقات، استحسن عقيدة اليهود وجنح اليها. ولما عاد الى وطنه، طرح هذه العقيدة على أبناء أمته فأطاعته قلة في بادئ الامر، ثم أخذوا بالتزايد، واذ قوي أخذ يأمرهم رسميا بإطاعته، مهددا حينا، وحينا آخر يمتدح ارض فلسطين بقوله: لقد أعطيت تلك الارض الطيبة لأولئك الناس، نظرا الى ايمانهم بالله الواحد. وقال لهم ايضا: اذا اطعتموني ونبذتم هذه الآلهة الباطلة وآمنتم بالله الواحد، فان الله سيعطيكم تلك الارض الطيبة............... واخذ يرسل وفودا الى فلسطين علهم يسمعون ما يشجعهم على تصديقه والاعتراف به، وقد ذهب هو عدة مرات دون ان يلحق به أذى، وغنم وعاد محملا فتأكدوا مما قال، لميلهم الى المال الذي جعل من القضية عادة، حيث أخذوا يصعدون الى هناك بما فيهم الذين لم يطيعوه بعد، وينهبون لأنهم رأوا ان اتباعه قد أثروا، فتبعوه هم الآخرون. وبعد ان ازداد عدد تابعيه، لم يعد يترأس شخصيا الذين يذهبون .... بل يرسل آخرين لقيادة جبيشه، ويرتع هو في مدينته، ولم يعد يستعمل اسلوب الاقناع بمذهبه، بل

السيف، ومن يعاند يقتل. وبعد فترة أخذت جيوشه تغزو بعض المناطق وتسبي، ولما اتسع نفوذه، فرض الجزية على البلدان، وتأسست لهم مملكة ثابتة، ثم قويت أكثر بعد تسلسل الخلافة من شخص الى آخر، فأخضعوا العديد من مناطق الروم، ثم خضعت لهم مملكة الفرس. ووضع لهم شريعة على معتبرا ان الله انزلها عليه. فعلمهم ان يؤمنوا بإله واحد خالق الكل واقنوم واحد لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفء او شريك. وهو يقبل أسفار موسى والانبياء وقسما من الانجيل، لكنه ترك معظمه، ومال الى الامور البسيطة.

اما نظرته الى المسيح فهي: ان المسيح هو الشخص الذي تنبا عن مجيئه الانبياء، لكن كإنسان بار ونبي كسائر الانبياء، وليس كآله او ابن الله كما نؤمن نحن المسيحيين، غير انه اكبر من سائر الانبياء لأنه لم يولد من زواج بل بكلمة الله نفخها في مريم كما نفخ في آدم فخلق من التراب، ثم نفخ فيه الروح القدس فاستقام، لذا فهم يسمونه أحيانا كلمة الله وروحه، على اعتبار انه عبد وخليقة كلمة الله، وهذا بدلا من عبارة "ابن الله" التي نتداولها نحن، لأنه ولد منه دون ألم كولادة الكلمة من العقل انهم ينظرون اليها نظرة مادية، ويتهموننا بأننا نؤمن بأن الله اولده من امرأة وهي، في نظرهم، مريم اخت هرون وموسى. اما عن صلب اليهود للمسيح فإن معظمهم لا يعترفون به، لكنهم يقولون: ان الله ألقى شبهه على احد تلاميذه فصلب ومات، اما المسيح فتوارى، حيث ان الله أخذه الى الفردوس. ان اعتقادهم في الفردوس هو من الغباوة بمكان، فهم يقولون: انه يحتوي على أكل وشرب مادي وزواج ومتكآت على سرائر من ذهب وأفرشة من ريش النعام وانهار من لبن وعسل، وأشجار تحمل أثمارا شهية. وينسبون الى الله القدر والحظ ولهم ان يتزوجوا اربع نساء وما شاءوا من الجواري. واذا طلق احدهم زوجته بالقسم، فلا يستطيع إعادتها اليه إلا بعد إعطائها لرجل آخر فينحل بذلك قسمه، وبإمكانه آنذاك إعادتها اليه، انهم يصلون خمس مرات في اليوم، وفي كل صلاة يركعون أربع ركعات. يؤمنون بقيامة الاموات والحساب والمجازاة، كل بحسب

أعماله. إنهم مغرمون بمحبة العالم وشهواته الجسدية. والاكل والشرب واللبس وتعدد الزوجات. ولا مانع من ان يطلق أحد زوجته ويتزوج بأخرى، يصومون ثلاثين يوما طوال النهار، ويأكلون طوال الليل حتى الفجر، يتوضون بالماء قبل الصلاة ويغسلون اعضاءهم، وفي حالة اقترابهم من المرأة او الاحتلام، يطهرون جسمهم كله ومن ثم يصلون. وقبلتهم هي الكعبة حيثما كانوا، وهم يمارسون الختان ذكورا وإناثا. دون ان يتقيدوا بشريعة موسى التي تقضي بأن يتم الختان في اليوم الثامن، لكنهم يختتنون في أية سنّ كانت.

فصل
في واقع الفرس بعد انتصارهم على الروم واحتلال بلادهم، حيث انقسموا وأضاعوا انتصاراتهم. وفي الروم الذين اضطهدونا كعادتهم بعد ان سيطروا على عدة بلدان. وبدء مملكة العرب (المسلمين) في السنة الـ ١٢ لهرقل الروماني وهي السنة الـ ٣٢ لكسرى ملك الفرس. ملك أولا في يثرب سنة ٩٣٣ ي. ومن آدم سنة ٦١٣٠، وسنة ٦٠٤ ميلادية

في هذه الفترة، توفي انسطاس بطريرك الاسكندرية الارثوذكسي، واقيم بدلا منه اندرونيقس، فأنفذ رسالة الى البطريرك الانطاكي اثناسيوس مجددا الاتحاد. وكان للخلقيدونيين بطريرك للاسكندرية يدعى قورس..

عاد الروم واحتلوا مصر وطردوا الفرس، وأثار قورس اضطهادا على المؤمنين هناك. وعلى مؤمني سورية للسبب نفسه. وبعد ان زال نفوذ الفرس وحكم الروم واحتلوا مدنا في سورية وبين النهرين، جاء الملك هرقل الى سورية ووصل الى الرها فاستقبله الشعب والكهنة والرهبان، فاندهش وأثنى على كثرة الرهبان، ولما عرف عقيدتهم، قال لبعض الذين معه، كيف يجوز لنا ان نترك هذا الشعب الرائع بعيدا عنا، فدخل المدينة واهتم بمصالحة الجانبين. وفي العيد قصد كنيستنا الارثوذكسية وأبدى احتراما فائقا للشعب، وفي نهاية القداس تقدم ليتناول الاسرار كعادة الملوك المسيحيين، فمنعه اشعيا اسقف المدينة عن التناول، وقال: ان لم تحرم مجمع خلقيدونية وطومس لاون تحريريا، لا أسمح لك ان تمس الاسرار، فغضب هرقل وطرد الاسقف من الكنيسة الكبرى وسلمها للخلقيدونيين، وخرج من الكنيسة ايضا مع الاسقف والزعماء الذين كانوا على رأس آل رصفيا وآل تلمحري وآل قوسما بن اراباي وغيرهم، الذين جهزوا الكنيسة بجميع آنيتها واوقافها، وكانوا يتوقعون ان يعودوا الى الكنيسة مع الاسقف بعد مغادرة الملك. ولما ذهب الملك الى منبج، قابله البطريرك اثناسيوس يرافقه ١٢ اسقفا، هم: توما اسقف تدمر،

باسيليوس اسقف حمص، سرجيس اسقف عوص، يوحنا اسقف قوروس، توما اسقف منبج، دانيال اسقف حران، اشعيا اسقف الرها، ساويرا اسقف قنسرين، اثناسيوس اسقف ارابيسوس، قوزما اسقف ابيفانيا قيليقيا، ساويرا أسقف شميشاط. وأمضوا لديه ١٢ يوما يناقشونه، فطلب منهم منشورا يتضمن عقيدتهم فقدموا له المنشور المذكور أعلاه، فلما قرأه امتدح ايمانهم، وطلب اليهم ان يناولوه ويقبلوا الوثيقة التي أصدرها والتي فيها يعترف بطبيعتين متحدتين للمسيح، وارادة واحدة وفعل واحد مثل كيرلس، - غير انهم لاحظوا انه يتفق مع نسطور ولاون فرفضوها، فغضب هرقل وكتب الى كافة انحاء المملكة يقول: كل من لا يقبل مجمع خلقيدونية يُقطع أنفه وآذانه وينهب بيته. واستمر هذا الاضطهاد مدة غير يسيرة، فقبل العديد من الرهبان المجمع. وظهر غش رهبان جماعة مارون والمنبجيين والحمصيين والمناطق الجنوبية. وهكذا قبل معظمهم المجمع واغتصبوا الكنائس والاديرة، ولم يسمح هرقل لأحد من الارثوذكس بزيارته، ولم يقبل شكواهم بصدد اغتصاب كنائسهم. وان الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء، هو الذي يغير الملك كما يشاء ويعطيه لمن يشاء، ويقيم عليه الضعفاء، اذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم، ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء اسماعيل، لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم. اما الكنائس التي كنا قد فقدناها باغتصاب الخلقيدونيين اياها، فبقيت بيدهم، لأن العرب، لدى دخولهم المدينة، أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من الكنائس. وقد فقدنا في هذه الفترة كنيسة الرها الكبرى وكنيسة حران، غير ان فائدتنا لم تكن يسيرة، حيث اننا تحررنا من خبث الروم ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا، وتمتعنا بالطمأنينة.

في السنة الاولى لمحمد، احتل شهربرز الفارسي انقورا ثم رودس، وعامل كسرى الذين وقعوا تحت سيطرته بالقسوة، حتى ان اللسان ليعجز عن الحديث عن الضيقات والسلب والضرائب والسبايا والقتل التي حدثت في أعقاب انتصار كسرى الفرس. وفي سنة ٩٣٦ ي

وهي السنة الـ ١٥ لهرقل والـ ٣٥ لكسرى والرابعة لمحمد، غزا شهربرز وقدريكين، القسطنطينية واجتازت جيوشهم الى تركيا، ومنها غزوا الجهة الغربية، فاحتلوا المدينة مدة سنة وضيقوا عليها الخناق حتى لم يبق أمل في ازاحته، ولكن الخلاص جاءهم على حين غرة. فقد وصل الى مسامع كسرى ان شهربرز يستهين به ويصفه بالمتعجرف الذي يفتخر بنصر ليس من صنائعه. فأبلغ قدريكين ليقطع رأسه، لكن الروم قبضوا على حامل الرسالة، فلما عاد هرقل بالامر، استدعى شهربرز وأقسم له بخصوص حقيقة تآمر كسرى عليه. ففكر شهربرز في خدعة، فغير رسالة كسرى وأدخل عبارة "ويقتل مع شهربرز ٣٠٠ من القادة". فلما تليت الرسالة قال شهربرز لقدريكين، أيحسن لك ان تفعل هذا؟ فغضب القادة جدا وأخذوا يسخرون من كسرى، وعقدوا صلحا مع هرقل وأعطى الفرس هرقل بعض الرهائن تنفيذا للشرط الذي بينهم، ومن بين الرهائن ابن شهربرز. وعاد الفرس. فأرسل هرقل الى خاكان ملك الخزر يطلب ٤٠ ألف جندي ليحارب ملك الفرس. فأجابه: سيغادر الجيش باب قسفيا ويلقاك حيثما تشاء. فوعد هرقل، لقاء ذلك، ان يزوج ابنته اوديسا من خاكان. فاتجه هرقل صوب ارمينيا، وأية منطقة بلغها، كان يطرد منها الفرس، ويقيم فيها رومانا. فلما سمع كسرى ان شهربرز قد تمرد وان هرقل يتجه نحو بلاده، صغرت نفسه وضاق ذرعا، فجمع الفرس بالروم وهزم الفرس وقتل قائدهم. ولما بلغ كسرى مقتل قواده، هرب من سقرتا (حمرة _ هل هي محمرة؟)، تاركا أمواله وثرواته، فطارده هرقل ودخل قلعة سقرتا ونهب الثروة وأحرق المدينة. وأطلق شيري بن كسرى من السجن حيث كان والده قد زجّه فيه. فلما علم بهروب والده، طارده ولحق به وقتله وتسلم الحكم.

وعاد هرقل ليشتي في آثور على امل ان يطارد كسرى فيما بعد، غير ان شيري أخبره بقتله والده، فعقد صلحا معه اشترط فيه مغادرة الفرس مناطق الروم وعودتهم الى بلادهم. فوجّه من ثم هرقل أنظاره الى مناطق سورية التي غادرها الفرس، وأرسل اليها ثاودريقي أخاه. اما

الفرس، فإذ علموا بعهد الصلح من رسائل شيري وشهربرز استخقوا به وقالوا: لن نخضع لشيري. وكان اليهود يساعدون الفرس حقدا منهم على المسيحيين. فلما وصل ثاودريقي الى الرها شتموه وسخروا منه وقاوموه وتزاحم الفرس، ووعدوا ان يتركوا المدينة. وان رجلا يهوديا يدعى يوسف، خشي ان يهلك الشعب، رمى بنفسه من السور ليلا وذهب الى هرقل في تللا، وإلتمس منه ان يشير الى ثاودريقي ليغفر لهم إساءتهم. فلما دخل ثاودريقي الرها واخرج الفرس،جمع اليهود، وما ان باشر بقتلهم حتى وصل يوسف حاملا أمرا بعدم الاضرار بهم، ثم جاء هرقل الى الرها، ومن هناك اجتاز الى مدن سورية.

توفي شيري الفارسي سنة ٩٤٠ ي بعد حكم دام تسعة اشهر، وخلفه ابنه اردشير مدة سنة وعشرة اشهر، لكن شهربرز قتله وتسلّم الحكم، وثبت العهود بينه وبين الروم. وفي سنة ٩٤١ ي، والـ ٢٠ لهرقل والثانية لأبي بكر، غادر الفرس مصر وفلسطين وكافة مناطق الروم، وعادوا الى فارس حيث انقسموا على بعضهم، فتبع قسم منهم شهربرز وانضم القسم الآخر الى قدريكين. فاستنجد شهربرز بهرقل، فأرسل جيشا لنجدته فقتل قدريكين وحكم سنة واحدة، ثم قتله احد اقاربه وكان صديقا لكسرى، فخلفته في حكم الفرس بارم ابنة كسرى لبضعة اشهر وماتت، فخلفتها اختها زريوندخت وخلال سنتين، تسلّم العديد منهم الحكم في فارس ورحلوا وهم، شهربرز، بارم، كسرى، فيروز زريوندخت، وهرمزد.

احداث متنوعة:

بعد ان حكم محمد سبع سنوات توفي، فخلفه ابو بكر لمدة سنتين وسبعة اشهر.. عاد الرهاويون من بلاد فارس، والذين تخلفوا اعتبروا جالية. اما هرقل فسقط لتعديه الناموس بإتخاذه مرطينا ابنة اخيه زوجة، وانجب منها ابنا غير شرعي هو هرقلون.

بعد ان أدّب قورا الرها، ونهبت فضة الكنيسة القديمة وآنية كافة الكنائس والفضة المحلاة بها المذابح وقبة المذبح وأعمدته الاربعة والاعمدة الاخرى، وارسل الى كسرى اكثر من مئة ألف رطل، أمر كسرى ان يسبى الرهاويون الى فارس بالسرعة الممكنة، وكان المرزبان فيها رجلا حكيما، فرأى من الافضل ان لا يّجلوا دفعة واحدة، بل على دفعات، على أمل ان يصل عفو من الملك، وبعد ان ارسل أول دفعة، بلغه ان هرقل متجه نحو فارس، فظل ما تبقى من الشعب في الرها. وكان مع المسبيين سرجي بن ايوانيس رصفيا الذي ذكرناه آنفا، والذي استقى منه البطريرك الملقب بالتلمحري تاريخه لستة قرون.. في سنة ٩٣٢ ي والـ ١٧ لهرقل والـ ٣٧ لكسرى والـ ٦ لمحمد، اختفى نور نصف كرة الشمس، واستمر من تشرين الاول حتى حزيران، واعتقد الناس ان قرص الشمس لن يعود كما كان.. في هذه السنة انتشر وباء الطاعون في فلسطين وراح ضحيته عدة ربوات.

فصل

في خروج المسلمين الى مناطق الروم والفرس والوحدة التي عملها اثناسيوس مع التكارتة

لقد سبق وذكرنا كيفية قيام مملكة المسلمين الذين كانوا يغزون وينهبون ويكمنون ويزعجون طيلة فترة حياة محمد. وبعد وفاته خلفه أبو بكر، فأرسل أربعة قواد على رأس جيوش، أحدها الى فلسطين والآخر الى مصر، والثالث الى فارس، والرابع ضد العرب المسيحيين وعاد جميعهم ظافرين. فالذي اتجه الى فلسطين وصل الى قيصرية. فجمع البطريق سرجي جيشا من الروم والسامريين مؤلفا من خمسة آلاف راجل واستعد لمحاربة المسلمين. غير ان جانب المسلمين كان الاقوى فسيطروا على الروم، وأبادوا اولا السامريين، فلما رأى البطريق ذلك دار ظهره وهرب. فطاردهم المسلمون ودمروهم وحصدوهم حصد السنابل، وفجأة سقط البطريق من فرسه، فوضعوه على الفرس ثانية، ثم سقط للمرة الثانية، وعاد وركب الفرس، فطورد فسقط للمرة الثالثة. فقال لمن معه اتركوني وانجوا بأنفسكم، لئلا تشربوا انتم ايضا معي كأس الموت الذي قضاه الله على مملكتنا لغضب العدالة علينا، فتركوه وهربوا، فأدركه المطاردون وقتلوه بضربة سيف. واستمر المسلمون يطاردون الروم حتى المساء ولم ينجُ منهم سوى نزر يسير، فأذاعوا هذا في قيصرية. وهكذا تكللت بالنجاح جهود المسلمين حيثما ذهبوا، فهابهم الملوك وجيوشهم.

في ايلول من عام ٩٤٥ ي، حدثت هزة عنيفة، عقبتها اشارة في السماء، وهي ظهور ما يشبه الحربة قادمة من الجنوب نحو الشمال، وظلت ثلاثين يوما، واعتقد الكثيرون بأنها دلالة على مجيء المسلمين.. في هذه الفترة أصدر هرقل ملك الروم أوامر بوجوب اقتبال جميع اليهود الذين في مملكته العماد فتنصروا. وهرب قسم منهم من مناطق الروم، وجاءوا الى الرها، ولما ضُيق عليهم الخناق هربوا الى فارس، في حين ان كثيرين منهم اقتبلوا المعمودية وتنصروا.

سلطة الكراسي الرسولية:

لقد جرت العادة في الكنائس منذ القديم، ان تنظم سلطة الكراسي الرسولية الاربعة على النحو التالي: يتولى كرسي رومية وكرسي القسطنطينية السلطة على احد الاقسام الثلاثة من المعمورة ويشمل: اوربا الواقعة غربي البحر الغربي ويسمى ادرياس (البحر المتوسط)، واعطي كرسي الاسكندرية السلطة على مصر والحبشة وليبيا الواقعة الى الجنوب من البحر. اما آسيا الكبرى التي تمتد حدودها الشرقية من سواحل البحر المتوسط حتى أقصى شرق المعمورة، وتشكل مساحتها أقل بقليل من مساحة القسمين الآخرين. فوضعت تحت سيطرة كرسي انطاكية. لذا كان بطريرك انطاكية يرسم جاثليقا لأرمينيا وغورزان وداران، حتى قتل باباي من قبل برصوم الفارسي، فألغى هذا القانون في عهد اردشير ملك الفرس.

عودة اتحاد المشرق مع الكرسي الانطاكي:

أوفد البطريرك اثناسيوس كاتبه يوحنا الى ملك الفرس، وبعد لقائه به عرج في طريق عودته الى آثور ونينوى، وصعد الى دير مار متى ليتبرك من الطوباويين، والتقى بالمطران خريسطفورس وارتاح لسير الرهبان هناك، وتحدث اليهم عن الفتنة الاولى، وكيف أنهم ضعفوا عندما ابتعدوا عن كرسي انطاكية. فأبدوا رغبة في مرافقته الى البطريرك، فاصطحب يوحنا خريسطفورس وثلاثة من الرهبان، هم ماروثا وآحو وايثالاها. وجاءوا الى انطاكية سنة ٦٤٠ ي، لكي يرسمهم البطريرك اساقفة. فما الذي جرى هناك؟ سيقف القارئ على الجواب من رسالة البطريرك اثناسيوس الى الرهبان الماتيين التالية:

الرسالة:

الى محبي الله الافاضل ابنائنا الروحيين القس متى رئيس الدير وكافة الكهنة والشمامسة، وكل الاخوة بالمسيح في دير مار متى / اثناسيوس الضعيف، بيسوع الله القادر على الكل. افرحوا بما سنكتبه اليكم الآن.

يقول المرتل الآلهي داود "طوبى للكاملين طريقا، السالكين في شريعة الرب، طوبى لحافظي شهاداته/ ١١٩". ان فاعلي الاثم لا يسلكون في طرقه في هذا العصر، اما نحن والمتمسكون بلا عيب بالايمان القويم بربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي هو الطريق المؤدي الى الآب كقوله الصادق: "انا هو الطريق" فنسلك سوية بمحبة روحية نحو بعضنا البعض ونحو كافة المؤمنين. هذا هو السلوك في شريعة الرب. فقد قال: "هذه هي وصيتي، ان تحبوا بعضكم بعضا"، ثم اننا نحتمل المشقات ونشترك بآلامه، وهذا هو حفظ شهادته التي أدى بها، كما كتب، أمام بيلاطس البنطي، ويقتفون أثر الرب من كل قلبهم ومن كل نفسهم، يمقتون الاثم ويحبون البر، وانتم وأمثالكم محبو الله كرائحة المسيح الذكية ومثل الطيب كثير الثمن بالنسبة الى الذين يحيون والذين يهلكون كقول الرسول: "لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة". ترى على من ينطبق اليوم بعد الرسل القديسين، قول الرب: "أنتم نور العالم وملح الارض" سوى عليكم وعلى أمثالكم من القديسين، الذين كانوا كالنور والملح في الايمان القويم والسيرة الصالحة، أولئك الذين يضيئون للذين هم في ضلال ويردونهم الى الحق. فإنكم تنعشون الضعفاء المنغمسين في حمأة الشهوات التافهة، وتقوون ذوي السير الرخوة وتملحونهم بطيب التقوى. ترى من ذا الذي يسمع عن ابنائه أخبارا سارة وبشائر مبهجة كهذه، ويفرح أكثرب منا؟ انه من العدل والواجب علينا ان نشكر الله واهب العطايا الصالحة بنية حسنة، حيث كنا نسمع دائما عن فضيلتكم فنمتلئ فرحا. ولكن مذ عاد الينا ابننا وكاتبنا القس يوحنا وأخبرنا عن

محبتكم لجميع القديسين، وبنوع خاص لنا نحن الضعفاء، وعن وداعتكم وطاعتكم وصبركم، وسهركم في الصلاة ليلا وصومكم وزهدكم، والاكثر من هذا غيرتكم المتقدة على الايمان، واستعدادكم للتألم، على ان يزيف أحد ايمانكم القويم او تنتهك حرمة القوانين. فقد رأى (كاتبنا) أضعاف ما كنا نسمعه عنكم، فطاب لنا هذا جدا في هذه الظروف القاسية.

وعليه فنحن الضعفاء مشتاقون جدا ان نكافأكم بما يليق بكم، على قدر المستطاع، وبما يشبه الى حد بعيد النعم التي لا نظير لها والعتيدة ان يمنحكم اياها الله. وان كل ما قاله لكم يوحنا بإذن منا، سيدوم ويحفظ للاجيال القادمة. والآن نكرر نفس تلك المبادئ التي قررناها وقضينا بها، لتحفظ بكل تقدير. ولتكن كرامة لديركم المقدس ورئاسة على سائر الاديرة الارثوذكسية في فارس، وتكون لرئيس ديركم محب الله، رتبة الخورنة والرئاسة على جميع الخوارنة ورؤساء الاديار في المناطق المذكورة، وتحفظ له الكرامة بالدرجة الثانية بعد الاسقف، ويكون له التقدم في ادارة الشؤون الكنسية بما هو مناسب، كما اعتاد رؤساء ديركم سابقا. وقررنا ان تبقى هذه بمثابة حكم الله الذي لا ينقض وارادة الروح القدس غير المتزعزعة، ويكون الاسقف الذي يرسم شرعيا لديركم، رئيس اساقفة ومطرانا على جميع اساقفة منطقتكم ـ آثور. هذا ما صدر عنا، ونود ان نعلم محبتكم، بأن الاساقفة القديسين مار خريسطفورس وجاورجي ودانيال وغريغور ودفنه الذين حضروا من اجل تسوية أمور الكنيسة عندكم، أولئك الذين رحبنا بهم كأخوة بعد ان مررنا بتجربة محبتكم، وقد التمسوا منا ان نترأس ونهتم روحيا، على الكنائس بطرفكم كما هو شأن الكنائس هنا. وكنا نعتذر عن هذا سابقا بسبب صعوبة الموضوع، واذ طال اعتذارنا غلبتنا محبتكم الملحة، فنفذنا طلبهم لندبر ونسوي شؤون كنائسكم باذن الله. وهنا حيث يجتمع الكل بحسن النية وبإذن منا، وبإنتخاب كهنة أتقياء، رسمنا المطران خريسطفورس فقط لأبرشية آثور، لكي يكون رئيس واحد لأساقفة آثور والعرب ومختلف مناطق الفرس. ومن اجل تنظيم الكنائس، وبدافع من الله وبموافقة الاخوة الاساقفة المذكورين، مار

ماروثا التكريتي من باعربايا رئيسا ومدبرا عاما لجميع الاساقفة المشار اليهم وأبرشياتهم، كي يمثلنا شخصيا ويكون كوكيل لنا، وقد أذنا ان يقوم بهذه المهمة الرئاسية، ليس فقط بسبب فضائل هذا الرجل وتقواه، بل استنادا الى شهاداتكم ايضا.

فنطلب اليكم ان تساندوه كمن يقوم مقامنا... واذا نفذتم هذا أرضيتم الله، وأبهجتمونا وتلجأونا الى ان نصلي من اجلكم دائما، لتكونوا قدوة صالحة للمؤمنين. ليعطكم المسيح الهنا الذي أعطى التلاميذ ان يدوسوا الحيات والعقارب، وسلطهم على قوة الاعداء: ان تطفئوا سهامه المتقدة، وينجيكم من مكامن الهراطقة، ويديمكم بذارا صالحا للعالم، ويكلل أعمالكم وتأملاتكم اللاهوتية بالنجاح. والخ...

ـ الحدث الذي تم في دير مار متى ـ

على أثر اضطهاد برصوم النصيبيني وحرق دير مار متى، جاء خريسطفورس جاثليق الأرمن، فوجد عددا يسيرا من الرهبان كالحمام في الاوكار. وحيث ان باباي وبرسهدي مطران دير مار متى وآثور ونينوى كانا قد قتلا، لذا اختار من الرهبان رجلا مشهودا له يدعى كرماي ورسمه مطرانا. وقد سلم هذا الاسقفية وفي حياته الى ماري، وسلمها ماري الى يشوعزخا، وهذا سلمها الى مار سهدا، وهذا لشمعون الذي سلمها لخريسطفورس، وكلهم من الدير، وكل منهم سلم الخدمة لخلفه في حياته. وفي أيام خريسطفورس عادوا وخضعوا للكرسي الانطاكي. لقد ذكرناهم هنا لكي يُعرف من اين تسلم المشرقيون الرسامة في هذه الفترة. فبرصوم لم يستطع الدخول الى بلاد الأرمن، لأنهم هددوه بالقتل، فحافظوا على ايمانهم. ولما رأى أبناء آثور ان الأرمن لا يذهبون الى انطاكية لإقامة جاثليق لهم بحسب التقليد خوفا من الفرس، بل يرسمون لأنفسهم جاثليقا، اقتدوا بهم.

فصل
في بداية مملكة العرب اي المسلمين نفسها
ووفاة الطوباوي البطريرك مار اثناسيوس

سنة ٩٤٢ ي، رقد البطريرك مار اثناسيوس ووري في دير جروميا، وخلفه تلميذه يوحنا المعروف بأبي السدرات من دير اوسيبونا. وفي الاسكندرية، قام اندرونيقس بعد انسطاس وخلفه بنيامين، وكلاهما أرسلا رسائل بيعية الى مار اثناسيوس قبل وفاته. وفي الوقت نفسه قتل المسلمون عددا كبيرا من الرهبان في دير قدر ودير البنات، لدى دخولهم بلاد فارس ووصولهم الى جبل ماردين القريب من راس العين، حيث قيل لهم انهم جواسيس للفرس. وجاء ما تبقى من الرهبان اى البرية الواقعة غربي نهر كالح، فوجدوا معينا وابتنوا ديرا الى جانبه، أسموه دير بيث ريشير. وكان رئيس دير البنات قد دعاه بهذا الاسم نسبة الى بيض طائر ما عثر عليها يعقوب مؤسس هذا الدير.

زواج تيودورة:

لقد وصل بقية رهبان قدر الى كنيسة بالقرب من قالينيقوس، ذات أعمدة، كانت الملكة تيودورة قد أقامتها، فوسعوا المكان وسكنوه فدعي دير العمود. وكانت الملكة تيودورة من مدينة دامان القريبة من قالينيقوس وهي ابنة كاهن، وكان والدها يصطحبها منذ صغرها، الى دير عرف يوما ما باسم "الاكواخ"، لنيل بركة المتوحدين، فنشأت على الايمان القويم ملتزمة بالعفة. وحدث أن أرسل الملك يوسطنيان ابن اخته القائد يوسطنيان الى المنطقة. وفي دامان سمع عن تيودورة ثم رآها وطلب يدها من والدها، فشق الامر على والديها لان الرجل كان مبتلى بضلال ذوي الطبيعتين. وبالرغم من ذلك وافقا لانهما لم يستطيعا ان يعصيا أمر الملك. وكان هذا بتدبير من الله، لكي تخفف من جرائمه ضد الارثوذكسيين، حيث صارت لهم عونا وعزاءً منذ تنصيبها ملكة وحتى وفاتها كما جاء عنها في المقال

التاسع. وقد أتينا على ذكر المرحومة هنا، لانها هي التي شيدت دير العمود في فترة حكمها، وأمرت بترميم الدير الذي تربت فيه. وقد صار دير مار يوحنا هذا ملجأ وحمى للمضطهدين.

سنة ٩٤٦ ي، والـ ٢٤ لهرقل والـ ١٣ هجرية، توفي ابو بكر بعد حكم دام سنتين، وخلفه عمر بن الخطاب، فأرسل جيشا الى العربية واحتل بصرى وخرب عدة مدن. وفي السنة التالية أرسل عمر جيشا الى فارس، وكان الفرس منقسمين ومتقاتلين، اذ كان بعضهم يريدون يزدجرد بن كسرى، والبعض الآخر هورمزد، فدارت الحرب بينهم وانتصر المسلمون، وقتل الفرس وضعفت مملكتهم، كما قتل هورمزد فيما بعد، فحكم يزدجرد. اما المسلمون فتفوقوا على كل من الفرس والروم.

دجال خلقيدوني:

لدى سماع هرقل ان المسلمين قتلوا البطريق سرجي وتبدد جيشه، أوعز الى أخيه ثاودريقي فعبأ جيشا لمحاربة المسلمين، فانطلق بتجبر وخيلاء متكلا على القوة البشرية، وسخروا وهزوا رؤوسهم قائلين: من هم أولاد هاجر، ليسوا سوى كلاب مائتة. ووصلوا الى قرية كوسيت في كورة انطاكية، وكان هناك رجل خلقيدوني يقيم فوق عمود شبه متوحد، فجاءه ثاودريقي مع بعض الزعماء وتحدثوا اليه لبعض الوقت. قال لثاودريقي: انا أدري ان زمام حكم الروم مسلمة اليك كما كانت مسلمة الى أخيك، وانا واثق من عودتك منتصرا اذا ما تعهدت بإبادة جماعة ساويرا بعد عودتك. فأجاب ثاودريقي: لقد عزمت على اضطهاد جماعة يعقوب قبل ان تطلب مني، وكان بين مرافقيه ضابط ارثوذكسي، اتقد غيرة لدى سماعه هذا الحديث، لكنه لم يستطع ان يفعل شيئا في حينه خوفا من الحاكم. ولما قابل المسلمين متكلاً على الكبرياء الفارغ، ضرب معسكره بالقرب منهم، ثم تقابل الطرفان، فهزم المسلمون الروم، وطاردوهم وداسوا عليهم كأغصان منبوذة. بعدان استنفذت قوة الروم، دنا ذلك

الضابط من ثاودريقي وقال له: ترى أين هي وعود العمودي الذي وثقت به، ألعلك راجع مرفوع الرأس؟ فخجل ثاودريقي الذي بالكاد استطاع النجاة مع فئة قليلة، وأخفى نفسه لئلا يراه أحد. وبعد هزيمة الروم، دخل المسلمون معسكرهم وغنموا ما فيه من ذهب وفضة وعبيد وأموال طائلة، فأثرى المسلمون وتوسعوا على حساب ما احتلوه من بلاد الروم.

سقوط كنيسة القيامة:

حدثت في هذه الفترة هزة هائلة، وفي الوقت ذاته أظلمت الشمس، وعلى أثر الهزة سقطت كنيسة القيامة وكنيسة الجلجلة، وغيرها في أماكن أخرى. فأعاد بناءها الاسقف مادوسطس الخلقيدوني. وفي هذه الفترة خرج الفرس على الروم، وطرد اشعيا اسقف الرها وجميع الاساقفة الارثوذكسيين، ودخل الخلقيدونيون الكنائس. وبعد فترة سيطر المسلمون على بين النهرين وطرد الاسقف الخلقيدوني قورس من الرها، وعاد الاساقفة الارثوذكسيون الى كراسيهم في كافة أرجاء النفوذ الاسلامي. وفي هذه الفترة، تفشى وباء فتاك في سائر مناطق سورية وفينيقيا، وظهر نجم هائل على هيئة شخص رومي، وحدث زلزال في منطقة أرمينيا ودمر عدة أماكن.

فصل
في اضمحلال مملكة الفرس وتقدم المسلمين

في السنة الـ ٤ لعمر بن الخطاب خليفة المسلمين، غزا المسلمون مناطق سورية حتى سواحل نهر الفرات. وفي السنة الـ ٥ لعمر، أثار روم المنطقة العربية حربا على العرب ومدينة بوسطره التي يدعونها المختارة وتقع على النهر المعروف بـ "اليرموك"، وهزم الروم شر هزيمة وغادروا المنطقة، وكان قيام الحرب على النحو التالي:

لقد جمع القائد بائيس وابن شهربرز الفارسيين جيشا واتجهوا صوب دمشق لحماية تلك المنطقة، فلاقاهم خليفة المسلمين وقتل منهم عددا كبيرا، ولما وصلوا الى دمشق عسكروا بالقرب من نهر فرفر الذي يسميه المسلمون "كرون". وفي السنة التالية جاء المسلمون الى دمشق ايضا فخاف البطريق وأرسل الى وكيل الملك في الرها، فجمع عشرة آلاف جندي، والتقى بالبطريق في حمص ومعه ستون ألفا، فاصطدموا وهزموا، وقتل في ذلك اليوم أربعون ألفا من جيش الروم مع بائيس ووكيل الملك، وقد غرق معظمهم في نهر اليرموك. اما ابن شهربرز فنجا واستسلم للمسلمين. وجاء عمر الى حمص، وكتب رسالة الى الخليفة عمر يقول فيها: اعطني القيادة وجيشا وسأنزل الى فارس وأخضعها برمتها. فلما قرأ عمر الرسالة، أراد تنفيذ ما جاء فيها، غير ان بنات كسرى اللواتي كن مسبيات في حران قلن للخليفة، لا تنخدع بكلامه الكاذب، وأخبرنه بما فعله شهربرز وابنه بكسرى وأولاده. فالذي لم يحفظ القسم لملكه وأولاده فقتلهم غدرا، كيف يحفظ القسم لك؟ بل يريد ان يتمرد ويحكم. فأخذ عمر بكلامهن فأرسل وصلب ابن شهربرز على خشبة في حمص.

فتوحات المسلمين:

بعد انتصارهم على الروم، جاء المسلمون الى دمشق، وأعطوا الأمان لأهلها، ثم أخضعوا غيرها من المدن. ومن هناك أرسل عمر خالد (ابن الوليد) على راس جيش الى منطقة حلب وانطاكية وفتكوا بعدد كبير من الناس، بحيث لم يستطع أحد منهم النجاة. ومهما تحدثنا عن المآسي التي قاستها منطقة سورية، فسنظل عاجزين عن الحديث عن جميعها لكثرتها. لان هذه الضربات كانت نتيجة غضب الله.. في هذه الاثناء، غادر سعد يثرب وعسكر بالقرب من مدينة الكوفة اي عافولا. وجمع يزدجرد ملك الفرس جيشا وأرسله لملاقاة جيش المسلمين، وعسكروا على ساحل الفرات بالقرب من عاقولا، وأرسلوا احد أبناء الحيرة يتقن اللغة العربية، ليتجسس عليهم، ولما اقترب مهم فكر في نفسه وقال: سأعرف من جواب من يلاقيني أولا لمن سيكون النصر. فصادف بدويا جالسا يتغوط ويأكل خبزا ويفلي قميصه. فكلم الحيري البدوي بالعربية قائلا: ماذا تفعل؟ فأجاب: كما ترى، فاني ادخل جديدا واخرج عتيقا واقتل أعدائي. فتألم الحيري وقال في نفسه: ان شعبا جديدا سيدخل، ويخرج الشعب القديم ويقتل الفرس. فعاد وقص الامر على الفرس وقال: لقد وجدتهم شعبا حافيا وعاريا وضعيفا، لكنهم شجعان، وكشف للقائد ما رآه وما فكر فيه. ولما التقى الجيشان هزم الفرس فطاردهم حتى قطسفون الواقعة على دجلة. وهرب أحد قواد الفرس وهو مسلح يرتدي ترسا، فطارده بدوي غير مسلح سوى برمح. وفي احدى القرى، وجد الفارسي شخصا في الحقل، فطلب اليه ان يدله الى مكان يختفي فيه لينجو من مطاردته، فأخفاه. وظل مختفيا بعض الوقت ظنا منه انه يطارد من قبل كثيرين. وما هي إلا هنيهة حتى ظهر رجل لا يرتدي ثياب الحرب ويمتطي فرسا بشكل غير منظم، ولا تبدو عليه ملامح الجنود، فتعجب وقال: كيف يهرب مرتعبا، رجل يرتدي ترسا ومسلح بمختلف الاسلحة، وأضخم جسما وأهيب منظرا، من أمام رجل دميم المنظر! فغضب ذلك الرجل واحتقر الفارسي لانه هرب واختفى من امام بدوي. فقال له الفارسي: لا تلمني، بل اسمعني وانظر بأم

عينك لتؤمن، فانتزع سهما ورماه بمرّ حديدي فثقبه وقال: بمثل هذه الرمية رميت البدوي عدة مرات، لكنه كان يطرد السهام بردنه وكأنه يطرد ذبابا. فهل صدقت اذن ان نصرهم هو من الله؟ هذا ما دعاني الى الهرب.

لما علم المسلمون بالاحتفال الذي كان يقام في دير سمعان العمودي في كورة انطاكية جاءوا وسبوا شعبا كثيرا، رجالا ونساء وفتيانا وفتيات لا حصر لهم. فأصيب المسيحيون بخيبة أمل وتساءلوا. لماذا سمح الله بهذا؟ واذا ما تمعن أحد بالأمر لأدرك ان العدالة سمحت بذلك، لان المسيحيين أخذوا يمارسون السكر والشراهة والرقص وغيرها من المغريات الفاجرة في أعياد الشهداء، بدلا من الصوم والصلاة والسهر والترتيل، فيغضبون الله الذي بعدل يؤدبنا ويبكتنا.

استشهاد ابيفانوس:

في الفترة التي أرسل هرقل شخصا يدعى غريغور لحراسة جسر قيليقيا خشية ان يجتازه المسلمون، نال القديس ابيفانوس المظفر شرف الشهادة الحقة من اجل الايمان القويم. وكان استشهاده على النحو التالي: عندما ابتعد الطوباوي عن المسلمين ودخل منطقة الروم للأمان، أخبر بعضهم القائد غريغور المرسَل لحراسة الجسر، واذ كان متعجرفا، يسخر من المسلمين ويهددهم وجماعة ساويرا، وعرف ان الطوباوي ارثوذكسي، استدعاه وسأله عن طائفته. فأجاب: انا من ايسورية، انحرفت عن طريق الحق، لكن النعمة وعتني فانتميت الى جماعة ساويرا. وانا اعترف بكلمة الله الذي تجسد وتأنس من العذراء والدة الآله، وهو واحد بلا انقسام مع الجسد الذي وحّده اقنوميا، ولا أقسمه اثنين، الله والانسان، ولا أنسب آلام الموت الى أحدهما والرفيعات الى الآخر كما نادى مجمع خلقيدونية. فهدده غريغور وقال: اقبل ايماننا وسيمنحكم الملك نفوذا عظيما، وان رفضت سأسلمك الى الموت. فأجاب ابيفانوس المجاهد: لا نار ولا سيف يستطيعان ان يفصلاني عن الايمان الارثوذكسي الحق الذي انا متمسك به. وللحال

أمر غريغور بقتله، فقال ابيفانوس وهو على وشك الفوز بـإكليل الشـهادة، لي رجاء بالله ان يكون موت غريغور في سورية ومن خلال حرب. وبعد ان صلى القديس من اجل قاتليه، استشهد بحد السيف. وبعد يوم واحد مـن استشهاده وصـل قـائد جيش المسـلمين ويدعـى قنـان، وهـو يقـود أسـرى، فخرج غريغور لإنقاذ الاسرى، ولدى وصوله الى مخيم المسلمين، بـاغتهم المسـلمون وضربوهم وأبـادوهم، وضربـوا الفـرس التـي كـان يمتطيهـا غريغور، فدعا جنديـا ليأتيـه بفـرس آخـر، فلـم يسـتطع ذاك ان ينتظـره او يستجيب له، فلحق به المسلمون وكبّلوه وقتلوه كما تنبأ عنه القديس الشـهيد ابيفانوس.

فصل

في مقتل يزدجرد ملك الفرس، وزوال مملكتهم وساويرا اسقف شميشاط، وانتقاله العجيب الذي تم في هذه الفترة

انقراض مملكة الساسانيين:

للمرة الثانية يتجمع الفرس وملكهم على دجلة الذي كان الفاصل بينهم وبين المسلمين ويدمرون الجسر المقام على النهر بين المدينتين، وكان معسكر الفرس هادئا. اما المسلمون فركبوا رؤوسهم وقالوا: هلموا نعبر الى الجانب الفارسي، فإن الله الذي عضدنا في البر سينصرنا ويؤازرنا في البحر ايضا. فاجتازوا النهر وباغتوا الفرس وهم معسكرون وقتلوهم وفتحوا قطسفون وغنموا مالا وبشرا. ثم عبأ يزدجرد تجمعا ثالثا في عاقولا، غير انهم هزموا ودمروا، فتجمعوا للمرة الرابعة في بلد مادي، وهناك ايضا هزموا وفتك بهم المسلمون. لقد تمت هذه التجمعات الاربعة في سنة واحدة. فلما رأى يزدجرد آخر ملوك فارس ان بلاده دمرت، وقد قضي على جيشه، وهرب الشعب وتشتت، وتأكد من عجزه عن إيقاف تيار المسلمين، هرب الى حدود الاتراك الى منطقة مراغاتي المسماة سجستان. وبعد اختفاء دام خمس سنوات قتل، سواء على يد المسلمين ام الاتراك، وبمقتله زالت مملكة فارس المعروفة بمملكة الساسانيين التي حكمت ٤١٨ سنة. وقد تأسست سنة ٥٣٨ ي. من قبل اردشير بن ساباق وزالت سنة ٩٥٦ من نفس التقويم.............. يزدجرد آخر ملك في ايام هرقل ملك الروم، وعمر بن الخطاب خليفة المسلمين.....

بعد ان قتل ملك الفرس ودالت دولتهم، سيطر المسلمون على فارس برمتها، فازدادوا بأسا لاسيما وقد نجحوا في كل مكان وحالفهم

النصر في الحروب، لان الله كان يؤيدهم، فجاءوا الى حلب وانطاكية وقتلوا عددا كبيرا. واذ رأى هرقل ملك الروم ان الحرب استفحلت، غادر انطاكية كئيبا الى القسطنطينية، وقيل انه ودعهم كوداع مسافر حيث قال: "سوزا سورية" اي وداعا يا سورية، وأطلق العنان لجيشه فنهب وسلب القرى والمدن وكأنما هي منطقة الاعداء، فاغتصبوا ونهبوا كل ما وجدوه، ودمروا تلك المناطق أكثر مما فعله المسلمون، وتركوها بيد المسلمين ليسيطروا عليها. ووجه هرقل رسائل الى الروم الموجودين في بين النهرين ومصر وأرمينيا، حذّرهم فيها من مقاومة المسلمين. ودعا من يستطيع الحفاظ على حاميته، الى ان يصمد في مكانه.

موقف قورا من دخول المسلمين مصر:

لدى دخول عمر خليفة المسلمين مصر، استقبله قورا اسقف الاسكندرية وعرض عليه دفع مبلغ مئتي ألف دينار سنويا، لقاء عدم دخول المسلمين مصر، فوافق وعاد غير ان بعضهم رفعوا شكوى الى هرقل ضد الاسقف على اعتبار انه يعطي أموال مصر للعرب دون ان يكون هناك إكراه. وحيث ان تفكير الروم كان قد سقم، لذا كتب هرقل الى قورا ان يرفع يده عن الادارة في مصر. وأرسل شخصا أرمنيا يدعى مانوئيل ليدير شؤون مصر. فلما جاء وفد المسلمين لاستلام المال، وجدوا مانوئيل مع جيش الروم في باسلونه التي تعرف اليوم بالفسطاط، فأعادهم فارغين قائلا: انا لست قورا، فذاك لم يرتد سلاحا بل قميصا، لذا سلم اليكم مصر. أما أنا فمتقلد سلاحا كما ترون، فعاد الوفد وأخبر عمر، فدخل حينذاك مصر وهزم مانوئيل وهرب الى الاسكندرية صحبة القلة الذين نجوا، فسيطر المسلمون على مصر. فكتب هرقل الى الاسقف ليخرج المسلمين من مصر إن امكن بإعطائهم أضعاف ما اشترط معهم سابقا من المال. فجاء قورا الى معسكر المسلمين، وبرر ساحته أمام عمر، والتمس منه قبول المال. فأجاب عمر: لا أنفذ رغبتك، فطالما سيطرنا على البلاد، فلن نتركها بعد. وبهذا يكون عمر قد طرد قورا فعاد كئيبا.

وصول عمر الى القدس:

في نهاية سنة ٩٤٨ وهي السنة الـ ٢٦ لهرقل والـ ١٥ للهجرة، وصل الخليفة عمر الى فلسطين فاستقبله صفرونيوس اسقف القدس وتحدث اليه عن البلاد، فكتب له عهدا على ان لا يسكن يهودي في القدس. فلما دخل عمر القدس، أمر ببناء مسجد في موقع هيكل سليمان. واذ رأى صفرونيوس ثيابا رثة على عمر، عرض عليه ثيابا ومئزرا، والتمس منه قبولها فأبى، لأنه اعتاد على ان لا يأخذ شيئا من احد وكان يقول: "لا ينبغي على المرء ان يأخذ شيئا من آخر لم يعطه الله إياه، لأن الله يعطي لكل انسان ما يريده، واذا طمع ليأخذ من رفيقه يكون قد تصرف ضد مشيئة الله". وكان عمر بن الخطاب موضع الثناء في مثل هذه التصرفات. فالمسلمون يروون عنه الكثير من هذا القبيل. والحق يقال: انه كان عادلا وغير جشع، بحيث انه لم يأخذ شيئا لنفسه مما غُنم من أموال وكنوز الفرس والروم بعد السيطرة عليهم، حتى ولا ما يغير به بساطة ثيابه. وكان يضع عباءته تحته لدى ركوبه الجمل. واذا ما جلس او نام كانت الارض مقعده وسريره. ولما ألح عليه الاسقف، أجاب: حيث انك التمست مني، ونظرا الى كرامتك لدي، فسوف أستعير الثياب التي جلبتها لألبسها ريثما تغسل ثيابي، وسأعيد اليك ثيابك لدى إعادة ثيابي. وهكذا فعل.

ومن فلسطين اجتاز المسلمون الى المدن السورية واحتلوها. والتقى ايوانيس قائد جيش الروم بالمسلمين في قنسرين، وتم الاتفاق معهم على ان يدفع سنويا مئة ألف درهم شريطة ان لا يعبروا الفرات نحو الشرق، ولا يدخلوا بين النهرين، وسلم اليهم جزية سنة واحدة. فلما سمع هرقل السخيف غضب على ايوانيس ونفاه، ولأن الله نبذ مملكة الروم، فقد انتهى هرقل الى التفكير الاعمى الذي به كان يدير شؤون الدولة.

سنة ٩٥١ ي، والـ ٢٧ لهرقل والـ ١٨ للهجرة، والـ ٦ لعمر، اجتاز المسلمون الفرات بسبب عدم دفع الجزية، فخرج الروم وأخذوا تعهدا لمدينتهم، وغادر جيش الروم كافة المدن بحسرة. اما تللا ودارا فلم توافقا على الاستسلام للمسلمين، لذا احتلوهما حربا وقتلوا جميع من فيهما من الروم. وبعد ان سيطروا على بين النهرين بقيادة ابن غانم عادوا الى سورية، وأمر عمر بفرض الجزية على كافة البلدان التي احتلها. ففرضت الجزية على المسيحيين سنة ٩٥١. وفي سنة ٩٥٢، والـ ١٩ للهجرة والـ ٧ لعمر، مات هرقل، بعد حكم دام ٣٠ سنة وخمسة أشهر، فخلفه ابنه قسطنطين، ثم هرقل الصغير الملقب داود الجديد. وقد سببت مرطينة زوجة هرقل، عمى لقسطنطين، وأقامت ابنها هرقل الصغير ملكا، فاستاء المستشارون من هذا العمل، فخلعوه ونصبوا قسطس بن قسطنطين.

قوة الصلاة في اخراج الشياطين:

كان بطريرك القسطنطينية الخلقيدوني في هذه الفترة، قورس الذي نحّوه وأقاموا بولس. وفي رومية، وبعد خرابها، قام مرطينوس وهو الاسقف الـ ٤٠، وكان مشهودا له بالسيرة الصالحة والتقوى.. رسم البطريرك الارثوذكسي يوحنا أبو السدرات قسطنطين اسقفا على الرها، ولما توفي أقام لهم سمعان.. كان ساويرا اسقف شميشاط وهو شقيق البطريرك مار اثناسيوس قد رافق أخاه الى الاسكندرية من اجل الاتحاد بعد الانقسام الذي حصل في عهد دوميان وبطرس. وبعد عودتهم، التحق القديس ساويرا برعيته. وكان قد اعتاد على زيارة رعوية للمؤمنين بدءا من نيسان وحتى تشرين، ومن عيد الشهيد رملاوس حتى عيد القيامة، ومن ثم يعتكف في ديره ولا يغادره مهما حدث. وذات يوم جاءه رجل ثري من قرية نجرود والتمس منه ان ينجيه من مصيبة، وهي ان الشياطين سيطروا على داره على أثر فعل ما. ولم يعد أحد يستطيع الدخول اليها، واذا صادف ان جاء زائر، خرج الشياطين ورجموه بالحجارة لئلا يدخل الى الباحة. فتأثر الطوباوي ووعده بزيارته بعد عيد

القيامة. وفي الوقت المحدد، توجه المطران الى تلك القرية، ولما دنا من باحة دار ذلك الرجل استقبلته الشياطين وهي تولول. وبعد ان صلى وبخر التفت نحو الشياطين وزجرهم ولعنهم وأمرهم بمغادرة الباحة، وللحال تلاشوا ولم يشاهدوا بعد في تلك القرية.

وان ابن أحد القواد من منبج وابن بلدة القديس، وهو الذي جلب خشبة الصليب من شهربرز من فارس وتسلمها منه هرقل في منبج، توفي قبل اقتباله المعمودية، فأبلغ والده القديس ليأتي لتعزيته، ولما وصل دنت ام الطفل من قدميه والتمست منه ان يستشفع الله ليعيد الطفل الى الحياة، لكي يقتبل المعمودية، فاعتذر الطوباوي كثيرا، ولكن نظرا الى الحاحها الشديد، صلى وأمسك بيده وأقامه وعمده، وبعد ان بقي يوما كاملا على قيد الحياة ورضع، قال القديس لوالدته، لا أرى بقاء هذا الطفل في الحياة، والافضل ان يرحل وهو طفل طاهر من كل دنس ليرث الملكوت كما حتم الله عليه. فلم يعارض والده، فنام الطفل وانتهى.

وان رجلا آمديا، دخله شيطان هائج، فكان يعتدي على من يصادفهم، وكانت الحوامل يجهضن اذا سمعن صراخه، فكبّله أهل المنطقة وربطوه في عربة وجاءوا به الى دير قنسرين والتمسوا من القديس ليشفيه، ونظرا الى الحاحهم االشديد أمر الطوباوي بحل وثقه. فجاء وجثا أمام القديس، فنظر البار الى السماء وزجر الروح الشرير قائلا: اخرج من هذا المسكن لأنه لله، فأجاب الروح الشرير: لا أتركه لأنه لي وانا الذي بنيته، فزجره القديس بعنف، فخرج حينذاك وولى. ولم يلحق أذى بالرجل بعد.

سكن ساحر من الرها شميشاط، وبسب الضغط الذي حصل عليه من ابناء المنطقة، دعا فوجا من الارواح الشريرة وأمرها ان تسكن الناس. فأفسدوا عددا كبيرا حتى انهم غادروا بيوتهم وتاهوا في الجبال، فسمع القديس هذا النبأ فذهب الى دير اليوس، وتضرع الى الله من اجلهم.

فاجتمع في الدير كل الذين مسّهم الجنون، وكانت الشياطين تولول أمام القديس، وتقدم منه نحو سبعين رجلا من الممسوسين، فألزم الارواح الشريرة بالخروج، فخرجت متذمرة بعد ان تعذبت، ثم دخلتهم الشياطين بعدد اكثر من الاول فالتفت الطوباوي وزجرهم قائلا: لماذا رجعتم الى هذه البيوت، أجابوا: نحن جماعة اخرى، فاذا طردتنا، جاءت جماعة اخرى ودخلتهم، فنحن كثر لا يحصى عددنا. وفيما هو يناقشهم، وقفوا الى جانب جرن يضم بعض ذخائر بولس الرسول، فربطت أيديهم من الوراء، واشتكوا من عنف العذاب الذي أصابهم، ثم ارتفعوا عن الارض، وصاروا كالقناديل في بيت الشهداء، وبعد عذاب أمرهم الرسول بولس بالتوجه الى ساويرا ليتصرف معهم كيفما يشاء، فعادوا وسجدوا أمامه قائلين: لقد جئناك امتثالا لأمر صديقك القاضي، فأجبرهم على ذكر زعيمهم فقالوا، انه الساحر، فاستدعاه وسلمه الى ابناء بلده، فعذبوه وحكموا عليه بالموت، فصلى الطوباوي ولم تعد تشاهد الارواح الشريرة في تلك المنطقة.

ومن هناك توجه الطوباوي الى دير مار يعقوب في كيشوم، حيث أوحي اليه بدنو أجله، فاستدعى رهبان الدير وطلب اليهم ان يصلّوا رتبة التجنيز وهو واقف في وسطهم، ويشير الى هذا ليقرأ صلاة الاستغفار والى الآخر ليقرأ كذا، وبعد ان انتهوا من الرتبة دنا الشيخ من المائدة المقدسة وودعها وتناول القربان المحيي، واتجه نحو المشرق وسجد ثلاثا، ثم اتجه نحو المغرب وسجد وقال للاخوة: وداعا ايها الاخوة، صلوا من اجلي. وبسط يديه ورجليه وأسلم الروح. حلت وفاة الطوباوي ساويرا سنة ٩٥٢. لتكن صلاته معنا وذكره للبركة.

بعد موت المطران ساويرا، وفي عهد دانيال اسقف الرها، تملكت الارواح الشريرة في الاخوة بدير قنسرين، فاستدعى رئيس الدير الاسقف دانيال لنجدة هؤلاء المساكين، فأوعز الى بعضهم ليذهبوا الى دير مار يعقوب ويأتوا بذخائر المطران ساويرا، وبعد لأي أعطوهم قطعة صغيرة، وما ان وصلوا حتى أخذت الارواح الشريرة تولول وتقول: الويل لنا، لقد

جاء ذلك الاعرج، فإنـه لـم يكتـف بطـرده إيانـا مـن منطقـة شميشـاط، بـل لاحقنا الى هنا ايضا، وقد وصفوه بالاعرج لأنه كان قد سقط مـن الفـرس، وعلى أثر ذلك اخذ يعرج. وان احد الذين تملكت عليهـم الارواح الشـريرة كان تلميذا للمطران ساويرا، وكانت الارواح تهدد الروح الشريرة التي في داخلـه قائلـة: لقـد جـاء معلمـه وسـيطردك منـه، فأجـاب ابليـس: لـم أدخـل بإرادتي في هذا الشاب، بل مضطـرا، فلآنـه قتـل كلـب استاذنا فـي الكـرم الاعلى أرسلني لكي أعذبه، وأرسل زملائـي ليدخلـوا فـي هـؤلاء الرهبـان لانهم كانوا يتركون الكنائس خلال إقامة القداس، ويخرجـون ليسـبحوا فـي سواقي الماء ويلعبوا خارج الدير، وكانت الارواح الشريرة تسمى السـاحر استاذنا. ولما أوقف الرهبـان هـؤلاء الصبيـان بـالقرب مـن يميـن القديـس، ولول الشياطين حالا، وصرخوا بصوت عال وتركوهم.

ملاحظة:

لا يمكن الشك في هذه القصص حول السـحرة والارواح الشـريرة التي طردها القديسون، لانها وردت في كتاب الرجـل الصـادق البطريـرك ديونيسيوس. فعلى القارئ ان يدرك انه ليس بمقدور السـحرة او الشـياطين السيطرة على الناس دون سماح الله، كما حدث لأيوب البار، حيـث لحقت التجربة بذلك الرجل الذي اشتهر بصلاحه، وبغيرته بشكل او بآخر.

فصل

في وفاة هرقل ملك الروم، ومقتل يزدجرد ملك الفرس ومقتل عمر خليفة المسلمين. وخراب قيصرية فلسطين ورؤساء الكهنة في هذه الفترة

تفشى في هذه الفترة وباء الطاعون فمات عدد كبير في سورية وما بين النهرين، وفيما كان المسلمون يبنون هيكل سليمان في القدس، سقط البناء. فقال اليهود، ان لم تنزلوا الصليب المرفوع فوق جبل الزيتون قبالة الهيكل، لن يُبنى الهيكل. ولما أنزلوا الصليب ثبت البناء. وبهذه الحجة أنزلوا صلبانا كثيرين، وسادت منذئذ في دولة المسلمين الكراهية للصليب، وأخذوا يضطهدون المسيحيين لاكرامهم الصليب.. في هذه الفترة، وفي الساعة الثالثة من يوم ٢٩ تشرين الاول، كسفت الشمس فظهرت النجوم، فخاف الذين شاهدوا هذه الآية الرهيبة.. أمر عمر خليفةالمسلمين بعدم ظهور الصلبان في الاعياد او خلال التشييع فسر اليهود لهذا القرار، وأنزلوا الصلبان من الكنائس. وذات يوم رأى شخص مسيحي مقرب من الامير يهوديا يصعد فوق كنيسة يوحنا المعمدان ليقلع الصليب، فاتقد غيرة ودخل الى عمر وقال له: ايها الامير العادل، ليس من العدل ان تفسح المجال لليهود ان يسخروا من اسرار ديننا. فغير الله قلبه، فقال: انا لم آمر بقلع الصلبان باستثناء تلك المثبتة على الحيطان في الشوارع، فأوعز الى احد الحضور وصعد الى تلك الكنيسة والتقى باليهودي وهو حامل الصليب ونازل، فاختطف منه الصليب وضربه على رأسه فانفجر دماغه ومات، وارتاح المسيحيون، وخاب اليهود، وألغي الامر. وباشر المسيحيون يخرجون الصلبان أثناء الصلوات والاحتفالات والتشييع. غير ان أهل حمص ودمشق، لم يأبهوا أصلا لأمر الأمير.

لقد سيطر عمر خليفة المسلمين على الروم والفرس في أعقاب الانتصارات التي حققها عليهم، فهرب ملك الفرس واختفى في بلاد

الاتراك. وترك هرقل كل المقاطعات وهرب الى العاصمة حيث حلّ أجله، فخلفه قسطنطين الذي أعمت بصره زوجة ابيه فمات، فملك قسطس فقتل عميه ووالدتهم. اما عمر خليفة المسلمين فقتل بعد ان حكم ١٢ سنة على النحو التالي:
لقد اشتكى أحد العمال، يعمل صقالا، الى عمر، من سيده القرشي عدة مرات، فلم يأبه له، إما لإنشغاله بأمور مملكته، أو نسي أمره. فغضب العامل على عمر وضربه بسكين وهو يصلي فمات، فخلفه عثمان سنة ٩٥٥ ي. فاهتم بجمع المال، وغير الانظمة التي وضعها أسلافه الخلفاء، فاجتمع المسلمون ليقتلوه، فتعهد بالسير على خطى أسلافه، فعفوا عنه.

الخليفة عثمان:

سنة ٩٦١ أرسل عثمان ابنه سعيد لمطاردة يزدجرد ملك الفرس فاختفى في سجستان مدة خمس سنوات، ثم جاء الى الكوفة. اما سعيد فبعد ان احتل كل المناطق جاء الى مرو، فخاف يزدجرد ان يسلم اليه فاختبأ في رحى، فقتله أحد الاتراك هناك واخذ رأسه الى مرزبان المدينة الذي اذ رأى ان ملكه قتل، سلّم المدينة للمسلمين، فأرسلوا تاج الفرس الى عثمان فأرسله بدوره الى مكة، ولا يزال هناك.

لقد دمر المسلمون قيصرية فلسطين، فصح ان تقال في جمالها وكنوزها، المراثي التي قيلت في اورشليم، لان حكامها لم يعرفوا الرب، ولم يفهم الشيوخ القضاء. فامتلأت شوارعها وأزقتها إثما، ودنس الشباب والشابات بعضهم البعض، ووصل صراخ المظلومين الى مسامع الرب، فسلط عليها غضب المسلمين. فجاء معاوية وحاصرها برا وبحرا، وشنّ عليها حربا، بدءا من كانون الاول حتى ايار دون انقطاع ليلا ونهار، ولم يحصلوا على تعهد للإبقاء على حياتهم فلم يهدأ ٧٢ منجنيقا من قذف الحجارة، غير ان السور لم يثلم لمتانته، وأخيرا فتحوا فجوة فدخل بعضهم منها، وتسلق البعض الآخر السور بالسلالم، فقتلوا وقتل منهم مدة ثلاثة

ايام، واخيرا انتصر المسلمون، وهرب السبعة آلاف رومي الذين كانوا يحرسون السور بالسفن، فغنم معاوية مالا وفيرا، وفرض جزية على سكانها، ثم اتجه الى مناطق اليهود، وشجع قواته بقوله، هوذا نحن ذاهبون الى ارض تفيض ذهبا وأموالا من كل صنف، وان الله سيسلمها لكم نظرا الى خطايا سكانها. فاجتاز في قيليقيا وأعمل فيها نهبا وسلبا. ثم اتجهوا الى اونيطا وباغتوا أهلها باحتلال أبوابها، وأمر معاوية بقتلهم ووضع حراسا كي لا ينجو أحد. وبعد ان جمعوا ثروتها اخذوا يستنطقون الزعماء ليدلوهم على كنوزها الدفينة، وسبوا جميع أهلها رجالا ونساء وفتيانا وفتيات واستعبدوهم، فدنسوا هذه المدينة الشقية الى درجة انهم كانوا يرتكبون الفحشاء في الكنائس. ثم عادوا الى بلادهم فرحين. وقعت هذه الاحداث سنة ٩٥١ ي.

ترجمة الانجيل الى العربية:

في هذه الفترة، عقد مرطوريوس اسقف رومية مجمعا في رومية حضره ١٠٩ اساقفة، حرم فيه الملك هرقل وسرجي وقورس وبولس، وكل من لا يعترف بطبيعتين وفعلين وارادتين وصورتين للمسيح، بحسب معتقد لاون.. في هذه الفترة، منع عمرو بن سعد أمير المسلمين وجود صلبان خارج الكنائس، وأمر بمحو صورها من الحيطان. وان عمرو هذا هو الذي استدعى بطريركنا يوحنا. فلما دخل اليه بدأ يتفوه بكلمات غريبة عن روح الكتب، ووجه اليه اسئلة سخيفة، فأجاب البطريرك على جميعها استنادا الى العهدين القديم والجديد، ومن براهين طبيعية. فاندهش عمرو من شجاعته وغزارة علمه، ثم طلب اليه أن يترجم الانجيل الى اللغة العربية، شريطة ان يحذف منه، كل ما يدل على ان المسيح ابن الله، وكلمة المعمودية والصليب. فاستعان الطوباوي بالله وقال: حاشاي ان احذف حرفا واحدا او سطرا من الانجيل، حتى ولئن اخترقتني كل نبال وسهام جيشك. وتجاه هذا الصمود، سمح له ان يفعل ما يشاء. فجمع الاساقفة واستدعى جماعة من التنوخيين والكوفيين (والطائيين) الفقهاء

باللغتين العربية والسريانية، وأمرهم بترجمة الانجيل الى اللغة العربية، وعرض ما يترجمونه على المفسرين. وهكذا عُرب الانجيل وقدم للأمير.

روي عن البطريرك الارثوذكسي بنيامين، انه سلم مصر للمسلمين، واستسلم الاقباط للاسكندريين نظرا الى اضطهاد الخلقيدونيين إياهم. ويروى عن قورس البطريرك الخلقيدوني، انه كان يحتذي بإحدى قدميه حذاء أحمر، وبأخرى نعلا خاصا بالرهبان، ليظهر وكأن له سلطان ديني ومدني، وطرد البطريرك بنيامين الذي وعد المسلمين بتسليم الاسكندرية اذا طردوا قورس، وأعادوا اليه الكنائس، فتعهدوا له بذلك. فعاد وأوعز الى جماعته بتسليم الاسكندرية للمسلمين. فلما علم قورس بذلك، جمع كل آنية الذهب والفضة من الكنائس وتسلل الى سفينته وهرب الى القسطنطينية، فرجع بنيامين الى كنائسه. ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم لم يستطع الخلقيدونيون من إحراز اي نجاح لا في الاسكندرية ولا في مصر، حتى ولا ان يسكنوا هناك سوى القلة منهم. وسيطر الارثوذكسيون على الكنائس والاديرة حتى يومنا هذا.. في هذه الفترة، اشتهر بالعلوم الدينية والمدنية ساويرا سابوخت اسقف قنسرين، ومتى اسقف حلب.

فصل

يتضمن رسائل البطريرك يوحنا الى ماروثا مطران تكريت ورسائل ماروثا الى يوحنا، حول اضطهاد برصوم النصيبيني في وقت ما. والحديث عن مكسيميانس المنافق وبدعته

ـ بدعة مكسيميانس ـ

جاء في الرد الذي كتبه القس شمعون من دير قنسرين ضد مكسيميانس، انه استقى مبادئه من ثاودورس اسقف موفوسطا، ثم انتقلت هذه الآكلة الى الرهبان في الاديرة القريبة من اورشليم، وكان احدهم يدعى افلالودا، وآخر ديلالودا، التقيا مع آراء اوريجانس الذي تأثر بأفلاطون وانحرف نحو الوثنية، غير انهم اخفوا انحرافهم حتى ذلك الحين. إلا ان راهبا من بين النهرين يدعى سرجي، فضحهم. حيث ذهب الى القدس للعبادة، وزار هذه الاديرة فحاول الرهبان جذبه الى معتقدهم قائلين: ان ما تسلمناه من اوريجانس هو، ان جميع أنفس البشر والحيوانات والطيور والبهائم والاشجار وسمك البحر، كانت ملائكة قبل ان تسقط في الخطيئة. فلما ابتعدت عن حب الله، سقطت من السماء واستحقت السكنى في الاجساد كما لو كانت في سجون. وان تتعذب كل منها بمقدار خطيئتها، وهي تتقمص هذا الجسد ثم ذاك. وفي الآخر، يرفع القضاء المقضي به على النفوس والشياطين بعد ان تتعذب فترة لقاء خطيئتها، وتعود الى مجدها السابق، لان المسيح سيصلب ثلاث مرات بعد القيامة التي ينتظر فيها تحرير النفوس من الاجساد، لان الاجساد ستبعث عندما تتطهر النفوس والشياطين من خطيئتهم وتعود ملائكة كما كانت عليه سابقا. وان المسيح هو رئيس الملائكة وهوليس افضل منا، ومثلما صار آلها، كذلك سنتغير نحن ايضا الى الآلهة. فالله لا يحابي، لكي يكرم المسيح اكثر منا. وهذه هي القيامة الحقة، ان تتحرر النفس كليا من الجسد، لان الجسد يشتهي ما يضر النفس، والنفس تشتهي ما يضر الجسد.

فإرادة النفس شيء وإرادة الجسد شـيء آخـر. كذلـك المسيح لـه ارادتـان. ويقولون عن الاجساد، انها ستبعث ولكن بهيئة دائرية.

فلما سمع ذلك الراهب هذه الاقاويل، تسلل ليلا وهرب من ديرهم، وأخبر عنهم الملك يوسطنيان فأمر بطردهم من ديرهم. ثم عقد البطريـرك مايينا المجمع الخامس وحرم كل من يقول بإرادتين وفعليـن للمسيح، كمـا حرم ثاودورس المنافق الذي حشا كتبه آراءه الدنسـة. وحـرم كذلـك بدعـة الاغوسطينين الذين يقولون بإرادتين وفعلين. وأصدر الملك هرقل مرسوما حرم فيه القائلين بإرادتين وفعلين.

بـرز تلاميذ افلاطـون فـي عهـد قسـطس بـن هرقـل، بزعامـة مكسيميانس وهو من قرية يصفيـن بمنطقـة طيبريـة، وكـان قد ذهـب الـى افريقيا والتقـى بجماعـة النسـاطرة الذيـن قبلـوه اذ وجـدوا ان تعليمـه يتفق وتعاليمهم. ثم ذهب الى رومية وخـدع البطريـرك مرطينـوس فقبـل اولئـك التلاميـذ وأعطـاهم ديـرا. توجـه بعـد ذلـك الـى القسـطنطينية. ولمـا كشـف تعليمه للملك قسطسـن عقـد مجمعـا ونـاقش قسـطنطينوس اسـقف فـارجي، وثبت له انه يتفق وثاودورس ونسطور فنصحوه. وإذ لم يرتدع، أمر الملك بسجنه في دير للنساء لكـي يخجـل. امـا المنـافق فقـد خـدع الراهبـات لئـلا يتناولن من القربان الذي يقدمه مرشدهن، زاعما ان الروح القدس لا يحـل عليه، لذا لا يجب ان يتناولن حتى من يد البطريرك. فقذفت الراهبات ذلـك القربان بكعب أحذيتهن كما علمهن مكسيميانس. ولما افتضـح هـذا الامـر، اوعز الملك بسحب الراهبات في الشـوارع وحرقهـن بالنـار، وقطـع لسـان مكسيميانس. لكنه لم يسكت، بل أخذ يبعث رسائل هنا وهناك، فـأمر الملـك حينذاك بقطع يده اليمنى، فأخذ يكتب بيده اليسرى، وأمر الملك بقطـع تلـك اليد ونفيه، ولم يتأهل أبدا لإحدى رتب كنيسة الله.

ـ رسالة البطريرك يوحنا الى ماروثا ـ

الى أخينا وزميلنا البار القديس مار ماروثا اسقف ومطران بلاد فارس / يوحنا الضعيف ضابط كرسي انطاكية الرسولي، اي عبد الكنيسة السريانية الذي يزدان باسم البطريركية بربنا يسوع المسيح الله القادر على الكل، يقرؤكم السلام ويطلب دعاءكم.

لا يخفى عليكم، انه خلال زيارتنا لملك الفرس قد تم الاتحاد معكم، حيث كنتم كقطيع لا ينفصل عن الرعية منذ اضطهاد برصوم النصيبيني حتى عهد استاذي البطريرك مار اثناسيوس. فمنذ القديم، كانت كراسي جاثليق الفرس وجاثليق الارمن وغورزان ودارا خاضعة للكرسي الانطاكي حتى مقتل الجاثليق باباي. ومنذئذ دبر آباؤكم كما شاءوا حتى مجيئنا اليكم كما قلت. فالتقينا بمطرانكم خريسطفورس وأدى رئيس دير مار متى، واتحدتم معنا بعد ما جاء المطران المذكور، وانتم رسمتم اساقفة من قبل مطرانكم، ومعكم اساقفة اثناسيوس. وقد طلبنا اليكم ان ترووا قصة اضطهاد برصوم. وحيث ان الامر لم يكن واضحا بما فيه الكفاية، في ايام الطوباوي المذكور، لذا أهملناه. والآن وقد دُعينا الى مقامه بدون استحقاق، نرجو ان ترووا لنا القصة، مع علمنا ان قصصاً كثيرة أمثال هذه تحدث لكم. نأمل ألا تهملوا طلبنا، لكيما يكون لكم ذكر في ما سنضعه في مكتبتنا. صلوا من اجلنا ليعطينا الرب ان ندبر بحسب مشيئته، رعيته المفتداة بصليبه الظافر، كما ونرجو ان لا تعتبر رغبتنا هذه وطلبنا تجاوزا. يقرؤكم السلام جميع الاخوة الاساقفة السريان ويطلبون صلواتكم المستجابة.

ـ جواب ماروثا ليوحنا ـ

الى الطوباوي ابي الآباء ورئيس رؤساء الكهنة، ذخر الكنيسة المقدسة ومجدها، البطريرك مار يوحنا / ماروثا المغترب. بنعمة الله

مطران دير مار متى والمشرق، يقرؤكم السلام الآلهي ويطلب صلواتكم المستجابة.

ان رسالة قداستكم التي تسلمناها، أفعمتنا والاخوة وأبناء رعيتنا، فرحا عظيما ولذة، لان الله أقامكم خلفا للقديس اثناسيوس بعد موته، ورئيسا لكنيسته التي اختارها، ليس بإرادة بشرية، بل بالروح القدس الذي اختار بطرس الكبير. ونحن نصلي ان تأخذ موهبة الرسول نفسها وترثه على كرسيه. اما من جهة طلبكم، قصة اضطهاد برصوم، فأود ان تعلم يا رئيس الرؤساء، ان جميع القصص التي كانت في الدير قد أحرقها برصوم القذر مع الدير، وليست هذه القصة متيسرة في كل مكان، لان العديد من العلماء والمؤرخين استشهدوا حينذاك. ولكن لئلا نخيّب غبطتكم، فها نحن نكتب اليسير الذي استمعناه من شيوخ صادقين الذين استمعوها بدورهم مباشرة من آبائهم، مبتدئين بنسطور ثم نتدرج نزولا.

بعد ان حرم نسطور ونفي الى بطمس من قبل مجمع افسس، أحضر رابولا تفاسير ثاودورس واستاذه ديودورس القذرة، وبعد ان قرئت حرمتها كنيسة الله. وأمر الملك ثاودوسيوس ان تحرق مؤلفاتهم حيثما وجدت، وقضى بموت كل من يقبلها. فلما عاد رابولا الى الرها، وجد كتبا لثاودورس في مدرسة الشرقيين فأحرقها في وسط المدينة، فهرب أتباع هذه البدعة الى نصيبين الواقعة على الحدود الفارسية، وفيها اسقف يدعى برصوم مبتلى بهذه الآراء الوضيعة لكنه لم يظهرها لانه كان تحت سلطة باباي جاثليق فارس، والجاثليق خاضع بدوره لبطريرك انطاكية. ولما دعي الجاثليق الى حضور المجمع، لم يتمكن خوفا من حكومة الفرس التي كانت منهمكة في الحرب مع الروم. وهنا تأخذنا الرهبة من اضطهاد برصوم النصيبيني، طوفان الاثم، ومضطهد القديسين، وقاتل الحقائق، ومدية الشيطان.

لقد كتب باباي واساقفته موافقتهم ليرسلوا الى المجمع الرسالة التالية: "الى المجمع المسكوني المقدس الملتئم في افسس بإرادة الروح القدس / باباي جاثليق المشرق والاساقفة الذين معه. نقرؤكم السلام طالبين صلواتكم.

لقد وجهتم الينا دعوة لحضور اجتماعكم للنظر في النفاق الذي أتاه نسطور، وكما تعلمون، نحن في مملكة غريبة عن معتقدنا. وحيث اننا لم نستطع الحضور فقد عزمنا على ان نرسل اليكم موافقتنا، خشية ان يُثار ضدنا اضطهاد من قبل الوثنيين في حالة حضورنا. وتعمل فينا السكين التي ذبحت آباءنا في الايام القريبة. فإننا نوافق ونسلم بكل ما يقرره المجمع المقدس، نابذين التعليم القذر الذي أبتدعه الشيطان ضد الكنيسة، كما ننبذ اولئك الذين يعتبرون الابن اقل من الآب، او يتواقحون فيقولون، ان المسيح آله سكن في انسان، او يعترفون بطبيعتين واقنومين للمسيح بعد الاتحاد الطبيعي والاقنومي الذي تم بصورة تفوق الادراك، وبتركيب عجيب، دون تغيير او تبلبل، ولا يعترفون بأن الابن ولد من الآب قبل كل الدهور، وهو ذاته ولد من مريم في الازمنة الاخيرة، وهو مساو للآب في اللاهوت، ومساو لنا في الناسوت. فهو هو وليس آخر، هو الذي صلب بالجسد من اجلنا، وهو اله في كل شيء بالرفيعات والوضيعات، وهو نفسه نزل الى الهاوية وحل ربط الموت وقام بالمجد وصعد الى السماء، دون زيادة في الاقنوم، وهو الذي سيأتي بمجد ليدين الاحياء والاموات. ونحرم جميع أصحاب البدع المنحرفين، ونقبل مجمع نيقية المقدس ومجمع القسطنطينية، ومجمعكم هذا الثالث. نكتب هذا ونحن بروح ايمان واحد. فلتتكرم قداستكم وتقبلوا منا هذا، وتصلوا من اجلنا ومن اجل جميع الاخوة، لاننا تحت سلطة مملكة مجرمة، واعذرونا عن التأخير.

لقد أرسل باباي هذه الرسالة مع راهبين الى افسس. ولما وصلا الى نصيبين نزلا في الكنيسة، فسألهما برصوم عن وجهتهما. فأخبراه. فقال لهم بخبث: ان لملك الفرس جواسيسا في مدينتنا، فإذا ما عرفوا انكما

متجهان الى بلاد الروم، فسوف يقتلونكما وتسببان الموت للاسقف باباي، فاتركا الرسالة عندي، وسأتولى انا ارسالها، فأذعن له الراهبان وعادا الى باباي وأخبراه بما حدث. فقال: حسنا فعلتم اذ أخذتم بمشورة أخينا برصوم. اما برصوم فشخص الى ملك الفرس وسلم اليه الرسالة. وقرأها له وقال: ان باباي جاسوس لملك الروم، ثم أردف. أود ان أخبرك بظهور رجل في بلاد الروم يدعى نسطور، يقول لملوك الروم مبكتا: ان الشريعة لا توصي بمحاربة الفرس، بل بالخضوع وأداء الجزية لهم. لذا تآمروا على اهلاكه بسبب آرائه هذه. فقال الملك: يبدو ان هذا الرجل حكيم وصديق لنا. فقال برصوم للملك: اذا أعطيتني السلطة على المسيحيين في بلادك، لقننتهم تعليمه فلا يعودون يتجسسون في ارض فارس لحساب الروم. فزوده الملك بمفرزة من الجيش، وسلم اليه باباي وجميع المسيحيين. فقال برصوم لباباي: اقبل معتقد نسطور وحافظ على وظيفتك، فأجاب القديس: لتذهب سلطتك معك الى الهلاك. فانا أحرم نسطور وكل من يقبله. فأخذ المنافق يهدد الشيخ بالعذاب والموت. فقال القديس: يا عدو العدالة ويهوذا الثاني، ما الذي في حوزتك اكثر من الموت؟ إني أفضل ان أموت ربوات المرات ولا أحيد عن الحق الذي أنا عليه. فأمر بقطع لسانه كمن شتم الملك، ثم قطع رأسه، وكان الطوباوي قد أوعز الى المؤمنين ليواروه في الاساس ووجهته نحو المشرق حتى مجيء ابن الله، حيث ستنتقم العدالة.

اضطهاد برصوم النصيبيني:

لقد ابتدأ الاضطهاد من قطسفون واتجه نحو بيث كرماي، فهرب بعض الاساقفة الى الجزيرة والبعض الآخر الى بلاد الارمن، وآخرون قبلوه خوفا من الموت. اما الذين لم يقبلوه فقتلهم، ثم جاء الى اربيل (حدياب)، فهرب اسقفها. اما الكهنة فقتلوا مع عدد كبير من المؤمنين، وبلغ منطقة نينوى وقبض على برسهدي مطران دير مار متى ونينوى مع ١٢ راهبا من الدير و ٩٠ كاهنا، فطلب ان يقدموا الذبيحة ليتناول، او ان

يقدم هو وهم يتناولون. فأجابوا ببسالة حاشا لنا ان نعطي الاقداس للكلاب، او نتناول نجاسة من أيد تقطر دما. فقتل جميعهم في دير بزنيثا (بحزاني)، وأحرق دير مار متى في جبل الالفاف (دعي كذلك لوجود آلاف الرهبان فيه يوما ما)، وأجهز على المؤمنين، ولم يبق منهم سوى الذين في الاديرة. وأمر باضطهاد البقية. لان جميع الذين تمردوا وصبروا وصعدوا الى الجبال سُموا رهبانا منذ ذلك الحين وحتى الآن. ولما بلغ نوهدرا (دهوك) وحاول الصعود الى كوخ صموئيل بالقرب من قرية موردني، وقف ملاك امام دابته ولم يدعها تسير، فلم تتحرك بالرغم من إرغامه إياها، فأرسل الى الطوباوي صموئيل فحلّ دابته، فتوجه نحو قرية باعدرا حيث وضع قوانين قذرة، ومنع رسامة اسقف أو قسيس أو شماس غير متزوج، لكيما لا يعير بمصاحبته مومسا. ثم سمع ان المؤمنين اجتمعوا في قطسفون، وأقاموا خفية جاثليقا يدعى آقاق، فكتب اليه مذكرا إياه بمقتل باباي. فقبل آقاق نسطور مرغما خوفا من الموت. ولما توجه برصوم الى منطقة الارمن وبلغ أرزون هدده الارمن قائلين: ان لم تعد أدراجك فسننتقم منك لدماء المؤمنين، فكتب المنافق الى ملك الفرس يقول: ان الارمن تمردوا عليك. فلما استشار الملك مستشاريه، نصحوه بعدم شن حرب داخلية فتنقسم مملكته بسبب شكاوى المسيحيين، فاستدعى حالا ملوك الارمن. فأجوبوه: اذا أقسمت لنا بأن لا تغيّر شرائعنا، ولا ترسلنا لمحاربة شعب آخر ما خلا الاتراك، أتينا شريطة ان يتقدمنا الصليب لكوننا مسيحيين، وإلا فلا نأتي. وبعد استشارة كبار رجاله، نزل عند رغبتهم ورد برصوم، فنجا الارمن من نسطور.

كان المطران برسهدي و١٢ راهبا مسجونين في نصيبين لدى رجل يهودي، فلما عاد برصوم الوضيع، وعد برسهدي بأن يقيمه رئيسا على جميع الاساقفة اذا قبل عقيدته، كما وعد الاكليروس برسامتهم اساقفة. واذ لم يذعن له، أمر برجمه وصلب الرهبان. اما اليهودي الذي كانوا مسجونين في بيته فآمن بالمسيح على أثر شفاء ابنه بمعجزة، فعمده القديس، وهو الذي نقل جسد القديس الى دير بزنيثا. واذا أردنا ان نتحدث

عن الضيقات التي احتملها المؤمنون من برصوم المحروم، او نروي سِيَر القديسين الذين استشهدوا في اضطهاده لاحتجنا الى ألسنة الملائكة، لكي لا ننسى بغباوتنا وسذاجتنا ذكرى الشهداء. فإنه عقد ثلاثة اجتماعات، أحدها في قطسفون والآخر في كركوك ومنطقة باجرمي والثالث في باعدرا، ووضع فيها قوانينه القذرة، والتي رد عليها القديس فيلكسينوس بمجلدين كبيرين. واذ لم يبق في بلادنا رئيس كهنة، توجه سبعة رهبان الى انطاكية واقتبلوا الرسامة وعادوا. غير انهم لم يستطيعوا الظهور. وبعد وفاة برصوم المنافق حضر جاثليق الارمن وقام بالرسامات في منطقتنا. وقد تأكد لدينا ان عدد الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين وغيرهم من المؤمنين الذين قتلهم برصوم، بلغ سبعة آلاف وثمانمئة نفس.

مصرع برصوم:

حدث هذا قبل عهد ثاودوسيوس الصغير، ومنذ ذلك الحين وحتى عهد قسطس بن هرقل، .... عثرنا في مخطوطة عربية على خبر مصرع برصوم الباغي، كالآتي: فيما كان في طريقه الى ملك فارس لطلب المزيد من اضطهاد المؤمنين، والقضاء عليهم قضاء مبرما، دخل قرية اسمها كرمه بالقرب من تكريت، وقدم الذبيحة ليكره أهل القرية على التناول، فهرب الرجال، فدعوا النساء ليتناولن من قربانه بالقوة، فأخذت إحدى الراهبات القربان بشفتيها ثم رمته فانحنى ليلتقطه فضربته بمفتاح حديدي على رأسه، ثم أجهزت عليه زميلاتها، وكان تلاميذه والجند واقفين خارجا. ولما تأخر دخلوا فرأوه ملقى على الارض وقد هربت النساء، فنقلوه الى نصيبين ودفنوه في الكنيسة.

فصل

في عهد قسطنطين حفيد ملك الروم، وعثمان خليفة المسلمين. وحديث عن احتلال المسلمين قيصرية قبادوقيا وجزر البحر، ووفاة البطريرك مار يوحنا وشؤون كنسية أخرى

في ١٢ كانون الاول سنة ٩٦٠ ي توفي البطريرك مار يوحنا المعروف بأبي السدرات. ووري في كنيسة مار زعورا في آمد. وتوفي في الشهر ذاته، سمعان مطران الرها، ورسم في تلك السنة مار تيودورس بطريركا للكرسي الانطاكي الارثوذكسي وهو من دير قنسرين. وفي الاسكندرية كان بطريرك الارثوذكس، بنيامين. اما في رومية والقسطنطينية، فقد سيطر على إدارتها منذ أمد بعيد، أساقفة خلقيدونيون. ومنذ ذلك الحين زادت بدعتهم شرا على شر، وخطيئة على خطيئة. لاسيما البدعة الثانية. فالخلقيدونيون، رغم تحديدهم طبيعتين للمسيح بشكل عشوائي، غير انهم لم يقولوا بمشيئتين وفعلين او جوهرين. ولكن بدعة اخرى ظهرت فيما بعد نادت بالجوهرين، تزعمها يوحنا النحوي، وثالثة نادت بمشيئتين تزعمها مكسيموس من نصفين طيبرية في عهد قسطس، فحرم ونفي الى لقسوس في ارمينيا، وقد بترت يداه وقطع لسانه، لانه لم يشأ ان يعود عن غيّه عندما عقد مجمع في القسطنطينية للنظر في أمره. غير ان مرطينون الروماني الذي كان متأثرا ببدعة المشيئتين والفعلين كما أسلفنا، عقد مجمعا اسقفيا في رومية نوهنا به سابقا، حرم فيه الملك هرقل وبطريرك القسطنطينية لانهما لم يؤمنا بمشيئتين وجوهرين وفعلين كايمانهما بطبيعتين وفعلين، او بطبيعتين وخاصيتين.

بدعة المشيئتين:

لقد ذهب قسطس حفيد الملك هرقل الى رومية، وأوثق مرطينون واصطحبه معه لكي يردعه اذ علم انه يتبع مكسيموس في عقيدة المشيئتين والجوهرين مثل الطبيعتين، لان فكرة المشيئتين والجوهرين والفعلين كانت

مرفوضة من قبل الخلقيدونيين، ولكنها تَسرّبت اليهم بعد فترة، كما سنوضح فيما بعد.

فتوحات المسلمين:

سنة ٩٥٨ ي، والـ ٢٥ هجرية، والـ ٥ لقسطس، تمرد غريغوريوس بطريق افريقيا على قسطس وفي تلك السنة دخل المسلمون افريقيا وحاربوا البطريق فقتل عدد كبير من جيشه، ثم رجع المسلمون وسيطروا على كافة مدن الساحل. أما غريغوريوس فقدم خضوعه للملك.. لقد قسم معاوية قائد المسلمين جيشه الى معسكرين، وعين حبيب السوري الشرير قائدا لأحدهما، وأرسله في تشرين الى ارمينيا. فلما بلغوها وجدوها مغطاة بالثلوج، فأتوا بثيران وسيروها أمامهم فمهدت لهم الطريق فدخلوها دون ان يحولهم عنها الثلج، او يشعر بهم السكان اذ لم يخطر ذلك على بالهم. فحارب المسلمون وغنموا وأسروا عددا كبيرا وأحرقوا القرى وعادوا الى موطنهم فرحين، اما الجيش الذي يقوده معاوية فجاء الى قيصرية قبادوقيا، وعبروا الحواجز ووجدوا قرى مكتظة بالناس والحيوانات فغنموها، ثم حاصر معاوية المدينة وقاتلها مدة عشرة أيام، وأخيرا دمر الولاية برمتها وتركوا المدينة معزولة وعادوا. ثم أعادوا الكرة اليها بعد عدة ايام وحاربوها. واذ رأى القيصريون ان لا مناص من الغضب الآتي، استسلموا وطلبوا الإبقاء على حياتهم، فخرج الزعماء ووقعوا تعهدا بدفع الجزية، فدخل المسلمون، ورأوا جمال أبنية الكنائس والاديرة والمال الوفير، فندموا لإعطائهم تعهدا، لكنهم لم يتراجعوا عن قسمهم، فأخذوا ما أرادوا واتجهوا الى منطقة أمورين، واذ رأوها بجمال الفردوس، لم يلحقوا بها أذى، بل داروا حول المدينة، ورأوا من الصعوبة احتلالها، فأعطوا ذهبا ومالا وفيرا كالتراب، ثم عادوا الى بلادهم.

سنة ٩٦٠ ي، جمع معاوية آلاف الجنود، وجلب من الاسكندرية مع الجيش ١٧٠٠ سفينة عليها رجال مسلحون. ولدى وصولهم الى

قبرص أمر معاوية بضم الارمن وأوقف السفن في البحر، وأعطى الأمان لأهل الجزيرة، لكنهم لم يرضوا، فانزعج منهم الاسكندريون لعدم سماحهم لهم بالدخول، فربطوا السفن ودخلوها مسلحين، وشرعوا يخربون وينهبون، ثم اتجهوا نحو القسطنطينية أم البلاد وكانت مكتظة بالسكان فاحتلوها بقوة السلاح، وحلّ (معاوية) في دار الاسقفية، حيث أكمل شهوة نجسة. وقد سمح الله بتدنيس تلك الكنيسة لان الكهنة كانوا قد غيروا إيمان القديس ابيفانوس الذي شيدت في عهده. وبعد ان جمعوا ذهب الجزيرة ومالا وعبيدا، قسموا الغنائم، فأخذ المصريون قسما، وأخذوا هم القسم الآخر وقفلوا راجعين. واذ كان الله قد قضى بإبادة الجزيرة، حرك بعد فترة أبا العور وجيشه، فعادوا الى قبرص ثانية لانه سمع ان اناسا استوطنوها، ولدى وصوله ارتعب اولئك السكان، فدخل المسلمون وأخرجوا الناس من أنفاق تحت الارض، ونهبوا الجزيرة كلها، ثم انتقلوا الى مدينة بافوس وشددوا عليها الخناق، فطلب سكانها الأمان، فاشترط أبو العور ان يُعطي لهم الذهب والفضة والاموال متعهدا بعدم إيذاء أيّ منهم، ففتحوها وجمعوا ثرواتها وعادوا الى سورية. ثم حاول معاوية الدخول الى جزيرة أرواد، فحاصرها لكنه فشل في احتلالها، فأبلغ اسقفها توما بترك المدينة والانصراف بسلام، لكنهم لم يرضخوا، فعاد معاوية لئلا يعاد بناؤها ثانية.

سنة ٩٦٥ ي، ركب أبو العور وجيشه البحر ووصلوا الى جزيرة قو فاحتلها بخداعه اسقفها، فسبوا ونهبوا كل أملاكها وقتلوا سكانها وأسروا البقية ودكّوا حصونها، ثم اجتازوا الى كريت ونهبوها، وذهبوا الى رودس وخربوها، وحطموا التمثال النحاسي العجيب الذي يعتبر من عجائب الدنيا وأخذوا رأسه. وكان نحاسه من قورنيثة، وهو شبه انسان واقف. فلما أضرموا النار تحته، وجدوا انه مغروس في الارض بقضبان حديدية ضخمة متغلغلة بين الصخور، فتعاون عدد من الرجال على سحبه بالحبال، وللحال اقتلع وسقط على الارض. كان طوله ١٠٧ أقدام، ونحاسه ثلاثة أطنان، وكان رجل يهودي قد اشترى النحاس من مدينة حمص.

في هذه الاثناء، تحالف رجل أرمني يدعي داود من العاصمة، مع منطينا الغربي، واتفقا على ان يلتقيا في مكان ما لمقاتلة المسلمين. فعلم المسلمون، فذهبوا وقتلوا منطينا اما داود فوصل الى بين النهرين، ولم يكن هناك مسلمون، فأخذ جنده يرتكبون المساوئ والشرور، فوصلوا الى قرية بيت معد فنهبوا الذهب والفضة والاموال والخبز والخمر واللحم، وضربوا المسيحيين، ورموا رملا ورمادا في انوفهم ليدلوهم على الكنوز المخفية تحت الارض. ولم يكن يُسمع شيء سوى صوت البكاء والعويل لاسيما من النساء المحصنات اللواتي كن يُغتصبن أمام أزواجهن. فلما رأى طيطو وجنده ما يقترفه الروم دون رادع، قال لداود: ليس جديرا بك وانت مسيحي ان تشهر رمحك على المسيحيين، فإن الملك سوف لن يكافئك. فأشار اليه ان ينقذ الذين أسرهم الارمن، فأنقذ طيطو بذلك عددا كبيرا. ولما طرقت أخبار داود مسامع عيص في دمشق، ألب جيشا وجاء الى الرها، فارتعب الارمن وتركوا معسكرهم بما فيه وهربوا، فطاردهم العرب بسرعة فائقة ولحقوا بهم أفواجا أفواجا، فعاد داود وأمر باستئناف القتال مع المسلمين. اما طيطو والذين معه، فشكلوا جبهة واحدة، وحاول جيش المسلمين القبض عليه، واذ وجدوا معه رجالا أشدّاء تركوه، ووجهوا أنظارهم الى داود وجيشه، فنادى داود التعيس طيطو وقال: هوذا الوقت الذي تظهر فيه محبتك للروم. فأجاب: اذا ساعدتك فسوف لن يؤازرني الرب ـ الى مثل هذا الغضب كانت تثير تنهدات الفقراء وتدنيس النساء ـ فقتل داود ومعظم الذين معه، لان المسلمين طاردوه لوحده، أما طيطو فهرب الى آمد.

في هذه السنة (٩٥٨ ي) ثارت عاصفة هوجاء، فقلعت الاشجار وسقطت أعمدة الطوباويين (النساك العموديين) .. وفي هذه الاثناء اجتاز العاقوليين أي أهل بغداد (بالأحرى أهل الكوفة)، الى منبج عن طريق حران، ومنها الى حماه، وتفشى في سورية وبين النهرين وباء قاس ومجاعة كبرى. لقد جاءت أخبار هذه الاحداث في الكتب متباينة. ومهما كان الامر، فإنها حدثت فعلا. وفيما يلي سندرج تفاصيلها.

فصل

في حمل المسلمين على القسطنطينية وهزيمة الروم في البحر وقسطس الذي قتل أخاه وذهب الى رومية ثم عاد الى سرقوسا والبشر الذين أكلوا لحم البشر. وكيفية قبول بدعة مكسيموس المنافق حتى في العاصمة حيث حُرم ونُبذ

رومية تقبل بدعة المشيئتين:

بعد موت قسطس حفيد هرقل، حرمت ونبذت بدعة مكسيموس الوخيمة، لكنها قبلت في العاصمة في عهد ابن قسطس، كما سبق وقبلت في رومية. وكان قبولها على النحو التالي:

لقد رسم أغاتون بطريركا لرومية خلفا لمرطينون، وكان له نديم عسكري برتبة الكونت يدعى تيودور من كولونيا ارمينيا، حثّه على عقد مجمع، فاجتمع الاساقفة في رومية للمرة الثانية، وثبتوا بدعة مكسيموس الوخيمة، وبدعة النحوي ايضا، وحددوا ما يلي: حيث ان مجمع خلقيدونية حدد طبيعتين وصورتين وفعلين للسيد المسيح، لذا يجب ان ينسب اليه جوهران ومشيئتان ايضا. وكانوا قد انغمسوا في هذه الضلالة وحرموا كل من لا يعترف بالجوهرين والمشيئتين. فجاء اغاتون اسقف رومية ليثبت هذا التحديد. فقد أنفذ رسالة الى قسطس بيد الرهبان النصيبينيين المار ذكرهم وذكر الذين خدعوا مرطينون كما أوردنا في الفصل السابق. وأرفق بالرسالة مئة وسبعين قنطار ذهب كرشوة للملك، كما رشى الزعماء ليقبلوا ما حدده المجمع الذي عقده في رومية. وقد قيل ان الرشوة تعمي عيون الحكماء، لاسيما وان عيون اليونان كانت قد عميت منذ أمد بعيد ببدعة الطبيعتين التي ظهرت في خلقيدونية. وقد تحولوا هنا من سيء الى أسوأ، ومن حفرة الى أخرى. اذ قبلوا وثبتوا عقيدة مكسيموس القذر الذي قال بمشيئتين للسيد المسيح وفعلين وطبيعتين.

سنة ٩٦٦ ي، والـ ٣٥ هجرية، والـ ١٠ لقسطس والـ ٩ لعثمان، جهز معاوية آلافا ليبحروا الى القسطنطينية العاصمة، والسبب: ان شخصين غيورين أطلقا سراح الاسرى المسجونين في طرابلس حيث كانت تصنع السفن وقتلا قائد جيش المسلمين، وأحرقا معدات السفن وهربا بالقوارب الى منطقة الروم: فاستشاط معاوية قائد قوات المسلمين، غضبا لدى سماعه بما حدث، وعبأ جيشا أكثر من الاول وهيأ سفنا. وقاد أبو العور الحملة، فوصلوا الى فينيقيا حيث إلتقوا بالملك قسطس وأخيه ثاودوس، وفيما كانوا يخططون للهجوم على المسلمين في اليوم التالي، نام الملك ورأى في حلمه أنه في تسالونيقي، فقصه على مفسر الاحلام، فقال له: ليتك لم تنم ايها الملك ولا ترى هذا الحلم، فإن معنى تسالونيقي هو: تاس، لوطين، نيقي، أي ان النصر هو للآخرين، ومعنى هذا ان النصر سيحالف أعداءك. فهزأ الملك من هذا التأويل وأعد سفنه للحرب في البحر، لكن المسلمين انتصروا وخذل الروم، وأوشك ان يقبض على الملك، لولا ان دخل ابن بوقنطر وقفز الى سفينة الملك ونقله الى سفينة أخرى، وبقي هو في السفينة الملكية. وبعد ان قتل الكثيرين قتل هو الآخر، واشتدت المعركة حتى قيل ان رمل اليابسة تصاعد أكثر من الابخرة بين السفن. وعلى أثر اندحار الروم وهروب الملك قسطس وأخوه الى العاصمة، هدأ القتال، وأمر أبو العور قائد المسلمين ان تجمع الجثث الطافية على الماء كالقفف، فبلغ عددها نحو عشرين ألفا. واذ تأهب المسلمون للتوجه الى القسطنطينية، إلتقاهم فطولومس وتعهد بدفع الجزية سنويا عن بلاد الروم. واذ أخلّ بوعده صعد المسلمون وسبوا إيسورا، فدفع فطولومس المال، وعقد صلحا مع المسلمين لثلاث سنوات، وأرسل الملك غريغوريوس ابن أخيه رهينة الى معاوية مقابل الذهب. غير ان المسلمين لم يبقوا على تعهدهم متشبهين بالروم الذين لا يخلون العهد مع المسلمين فحسب، بل حتى مع بعضهم البعض مثل قسطس، الذي قتل أخاه ثاودوس لكي تبقى الخلافة لأولاده، فكرهه جيشه لأنه تصرف بدون رحمة. واذ علم بهذا ذهب الى رومية وتأخر، فثار الجيش وقالوا: لا يجدر بالملك ان يكون في رومية في منأى من المسلمين. فجاء الى جزيرة

صقليا، وفضل الإقامة في سرقوسا وأرسل بطلب أولاده، فرفض أهل المدينة وقالوا: لا ندع ملوكنا يتركوننا. فعيّن أولاده الثلاثة: قسطنطين وطيبريوس وهرقل، وكلاء له، وأقامهم في العاصمة، وأمضى هو في سراقوسا بقية حياته، لانه كان يخاف لئلا يقتله قواده كما قتل هو أخاه دون ذنب، وقد شبههما الناس بقايين وهابيل.

حدث رهيب مرعب:

حدثت مجاعة كبرى في المعمورة، حتى أكل الناس حيوانات ونفايات.. ظهر في هذه الفترة شخص يدعى اليشاع، أصله من المشرق. وهو من قرية عفري في كورة جرمانيقي (مرعش)، تعامل مع اللصوص ثم انفصل عنهم، واعتكف في مغارة بصفة متوحد. واعتاد على أكل لحم البشر خلال المجاعة. ولما زالت ضربة المجاعة، لم يرتدع عن عادته الخبيثة. بل كان ينزل الى القرى ويغرر بالاطفال ويصعدهم الى مغارته فيذبحهم دون رحمة ويأكل لحمهم، ويخفي ثيابهم وعظامهم في مكان ما بالقرب من المغارة، ولدى التقائه بأمهات الاطفال وهن يبكين، كان يعزيهن بكلمات قذرة ويقدم لهن من لحم أبنائهن ويقول: لا تقلقي يا فلانة لفقدان ابنك ولا تحزني، بل اغبطيه لأنه نجا من الجوع، وكلي من صيدي هذا. وكانت الشقيات تأكل وتشكرنه دون ان يعرفن مصدره. وذات يوم قال لعمال قرية عفري في موسم قطف العنب، إني مستعد ان اقيم لكم مأدبة، شريطة ان تعطوني خمرا، فذهب الى القرية ليهيء طعاما كعادته، فلم يعثر على صبي. وصادف ان جاء الى القرية راهب من دير ماري يدعى دوميان ليشتري جبنا، فلما رآه اليشاع الباغي قال له: تعال معي وسأبيع لك مئة رطل من الجبن فرافقه، فأدخله الى مغارته وقال له: نم واسترح قليلا حتى أحضر الجبن. فلما نام ضربه بحجرة على رأسه وقتله. وقشط لحمه لانه كان دهينا، وأخذ أفخاذه ونزل الى القرية وقدم للعمال. وفيما هم يأكلون قال أحدهم واسمه متى: ايها السيد اليشاع ان

رائحة هذا اللحم ليست جيدة، فأقسم القاتل بأنه لحم عجل. فلم يأكل ذلك الرجل بينما أكل الآخرون حتى شبعوا.

بعد يوم سأل الرهبان عن دوميان فلم يجدوه، وكان بعضهم قد رأوه يصعد مع اليشاع فساورهم الشك. وبعد ايام نزل اليشاع الكلب الى القرية ليصطاد كعادته السيئة. فلم يجد، لان اهل القرية اخذوا يخفون اولادهم. فرأى قسا شابا فقال له: هل تشتري جبنا. فأراد القس ان يستدرجه، فقال نعم بكم تبيعه؟ فقال: مئة رطل بدينار. فرافقه الى المغارة-بحذر. فقال اليشاع للقس: نم واسترح حتىأعود. فانصرف وتأخر، فيما كان القس يقظا وحذرا. فحمل حجرة في الليل، اعتقادا منه بأن القس نائم، ودخل ليقتله، فقفز وقال: أتريد قتلي يا اليشاع! فقال: كلا، انه مجرد مزاح. فأمضى القس ليله بالسهر والصلاة. وفي الصباح، قال: اين الجبن؟ فأجاب: ليس لي جبن. فأربكه القس وأخيرا انزله معه. وفي القرية اجتمع السكان على اثر نداء القس، وقبضوا على اليشاع. فأخبرهم القس بكل ما حدث، فأوثقوا الباغي وصعدوا وفتشوا المغارة، فوجدوا فيها ١١ جمجمة للاطفال وراس دوميان الذي كان لا يزال غير متفسخ ولحم الناس المسروق وثياب الاطفال، فأسلموه للعذاب حتى اعترف بكل جرائمه، فصلبوه على خشبة.

كانت امرأتان تعيشان في بيت واحد في كفر حمص المسيحية، وكان لإحداهما طفل، قالت لها زميلتها: كيف تستطيعين تربية هذا الطفل وترضعيه حليبا في مثل ظروف المجاعة هذه؟ فأجابت ام الطفل: خافي الله يا سرجو، ما الذي تفكري به؟ فسكتت. وبعد يوم خرجت ام الطفل لتجمع عشبا بسبب ضغط الجوع، فاستدعت زميلتها امرأتين اخريين ورجلا اعتادوا أكل لحم البشر، فذبحوا الطفل وطبخوه وأكلوه. فلما عادت الام، قالت لها سرجو: لقد مات ابنك فدفناه مع غير المعتمدين، فطلبت ان ترى القبر، فدلتها الى مكان ما فحفرت فلم تعثر على ابنها، فأسرعت الى القاضي وأخبرته بالحادث، فقبض على النسوة وعذبهن حتى اعترفن بصنيعهن وإثمهن، فحكم بحرقهن مع ذلك الرجل.. في هذه الاثناء، توفيت امرأة، فجاءت نساء أخريات وأكلن أفخاذها.

فصل
في مقتل عثمان وانقسام دولة المسلمين واتحادها ثانية وفي مملكة الروم والمجمع الذي عقدوه في القسطنطينية وعرف بالسادس وادخلت فيه بدعة المشيئتين والفعلين والجوهرين. ومقتل قسطس ملك الروم

سنة ٩٧٦ ي، والـ ٤٤ هجرية والـ ٢٣ لقسطس والـ ٥ لمعاوية، حدث نزاع بخصوص عيد القيامة. فاحتفل به بعض المسيحيين يوم احد الشعانين، وآخرون يوم الاحد الجديد.. في السنة التالية، حدث فيضان في الرها ليلا، فاندفعت المياه نحو السور فثلمته وغطت المدينة فغرق عدد كبير.. وفي سنة ٩٧٧ ي والـ ٢٤ لقسطس، تمرد عليه قائد جيش الارمن يدعى شابور، ويسمونه افريستكين. فأرسل الى معاوية شخصا يدعى سرجي، بطلب مؤازرته لقاء تسليم ارمينيا له. فلما علم بذلك قسطنطين ابن الملك وهو في العاصمة، أرسل الى معاوية رجلا تافها يعمل (مراسل) يدعى اندريا الشهير بشجاعته. فأمر معاوية بإدخال سرجي اليه أولا ليتآمر على قسطس. اما اندريا فامتطى دابة عمياء وأوشك ان يدخل الى معاوية ليحذره من ان ينخدع بذلك المتمرد. فلما سمع................ غادر سرجي المدينة، لانه لم يكن راغبا في دخوله، ولكن لما استوجب الامر دخوله، أمر ان يدخل سرجي اولا ومن ثم اندريا، فدخل سرجي وجلس، ثم دخل اندريا، فارتعب سرجي وأسرع وانحنى أمامه. فاغتاظ معاوية من سرجي فقال له: ما الذي حدث لك، أيها الجبان القليل العقل؟ فاذا كان هذا، وهو عبد، قد أفزعك بهذا المقدار حتى قمت وانحنيت أمامه، ترى ماذا كنت تفعل لو رأيت الذي أرسله؟ أجاب سرجي: لقد خدعتني العادة المتبعة، ولم أفعل ذلك خوفا. ثم التفت نحو اندريا وقال: ما الذي تريده؟ أجاب: لقد أرسلني الملك لأسألك ان تطرد هذا الجالس أمامك. فقال معاوية: كلكم أعداؤنا، لكننا نساعد الذي يتفق معنا ويزيد في جزيته لنا. فقال اندريا: حقا انهم اعداؤكم سواء الملك ام الذي تمرد عليه، ولكن هناك عدوا يُفضل على عدو، كما يفضل صديق على صديق، فليس السيد والعبد

على مستوى واحد، لان السيد يقوم بالعمل من منطلق كونه حرا وجديرا. اما الذي يعيش تحت وطأة العبودية، فإنه ينفذ الامور العظيمة بتواضع وذلك من منطلق كونه عبدا. فان كان ملكي قد تعهد تحت أية شروط كانت، ولئن كان أقل مما تعهد به هذا الطاغية، فعليك ان تصدقه ولا تميل الى من يغش. واذا أقسم الطاغية بأنه يستطيع، عن طريق التعهد، ان يستميلك اليه. فاعلم أنه كاذب. فاذا كان قد أساء بهذا المقدار الى سيده الذي أنعم عليه، فكيف يثق بوعدك وأنت لم تقم ولم تنحن له. فقال له اندريا: يا لخيبة املك، لماذا لم تقم أمامي، فسخر منه سرجي، وكلمه بنبرة نسائية، فهدد اندريا ان يقطع خصى سرجي. فقال معاوية لاندريا: ان كنتم لا تدفعون الجزية، فان بلادكم ستكون لنا ولا يبقى لكم سوى الاسم، فاحذروا. فقال اندريا: يبدو ان المسلمين قرروا ان يكونوا الجسم ونحن الظل، لكن لنا رجاء بالله.

ثم خرج واتجه نحو ملطية، وأمر حراس الحواجز ان يقبضوا على سرجي عندما يحاول الاجتياز، ووعده معاوية بإرسال جيش معه، لكن الكمين قبض عليه وقادوه الى اندريا، فقال له: أأنت سرجي الذي هزأ بي أمام معاوية؟ فأمر باستئصال بيضاته ووضعها في يده ثم شنقوه. اما معاوية فأرسل قوة الى سرجي بحسب وعده، وقبل وصول الجيش، حدث ان الحصان الذي كان يمتطيه شابور ضايقه فسقط ومات. واذ علم المسلمون بهذا، نهبوا المنطقة الرومانية حتى خلقيدونية، وعادوا.

مقتل عثمان:

لما ضاق الامر بعثمان أمير العرب، كما أسلفنا، وعد بترك أعماله الرديئة، وبناء على هذا تصالحوا معه. لكنه عاد الى ما كان عليه فقال له المسلمون: لماذا لا تتصرف بحسب ما سلم الينا محمد، فان خزينتك هي ثمرة نهب وخطف، وانك تتعامل مع الزناة والاشرار، أجابهم: بما اني أمير فلي الخيار ان افعل ما أشاء، فانفصلوا عنه وأخذوا

يتآمرون على قتله. ثم اجتمعوا عند باب داره وهم مسلحون وقالوا له: اما ان تترك تصرفاتك السيئة او تموت حالا. فأخبر معاوية بما يجري وحثه على ان يرسل اليه جيشا. لكن المسلمين اقتحموا الدار وقتلوا أميرهم عثمان في مدينة يثرب. في حين أرسل معاوية جيشا بقيادة حبيب لنجدة الامير. ولدى وصولهم الى بصرى عرفوا بمقتل عثمان فعادوا أدراجهم وأخبروا معاوية، وهكذا انقسم المسلمون. فتبع الذين في يثرب وبابل علي صهر محمد، والذين في سورية ومصر تبعوا معاوية. تمت هذه الاحداث سنة ٩٦٧ ي، والـ ٣٥ هجرية.

سنة ٩٦٧ ي، تأهب كل من جماعة معاوية وجماعة علي للقتال، وبعد مقتل عدد من كلا الجانبين، عاد معاوية دون ان يلتقي بعلي. ثم تأهب الجانبان للقتال مرة أخرى. وعلى أثر سفك دم غزير، صمم ثلاثة رجال على قتل الثلاثة الذين كانوا سببا في الحرب بين المسلمين. فذهب أحدهم الى مصر ليقتل سعيد، وتوجه الثاني الى معسكر معاوية فقبض عليه وقتل. ودخل الثالث معسكر علي فطعنه بالرمح وقتله، فخضع المسلمون في الشرق والغرب لمعاوية الذي نقل مقر الخلافة من يثرب الى دمشق. قاد معاوية الجيش مدة ١٥ سنة، وأمضى خمس سنوات في حكم الدولة المنقسمة، اي انه حكم مدة ٢٠ سنة.

في هذه الاثناء، ظهرت في الاسلام بدعة "الحرورية" نسبة الى قرية حرورة التي تجمعوا فيها وتمردوا على مملكة المهاجرين حتى يومنا هذا. وسنة ٩٨٠ ي والـ ٤٧ لقسطس والـ ٩ لمعاوية والـ ٥٤ للهجرة، أوعز ابو العور الى الجنود المسيحيين في سورية بدفع الجزية، لانهم لم يكونوا يدفعون الى ذلك الحين.. في هذه السنة تمت السنوات السبع المتفق عليها بين الروم والمسلمين، فسبى المسلمون منطقة آسيا برمتها وبيثونيا وبمفيايا، وحدث وباء فتاك في بين النهرين، واستمر المسلمون بالسبي والخراب حتى بنطس وغلاطية. وسنة ٩٨٠ قتل الملك قسطس في سيراقوسا، اذ دخل الحمام وصب اندريا بن طرالوس على رأسه رغوة

صابون كثيفة فلم يعد يتمكن من فتح عينيه، فضربه بسطل نحاسي فمات وهرب اندريا. فملك اليونان عليهم شخصا يدعى ميزيزي، أرمني الأصل، وكان قائدا في الجيش جبارا، بهي الطلعة وعفيفا في تصرفاته، وقد نصبوه دون ارادته. ولما علم قسطنطين بمقتل والده، جاء الى قيليقيا وقتل ميزيزي والذين معه وعاد الى القسطنطينية وملك على الروم شقيقيه طيبريوس وهرقل.

حيث اننا بدأنا بالحديث عن بدعة مكسيموس الذي قال بمشيئتين للسيد المسيح، علينا ان نكمل الحديث عنها. ونعلن كيف ان المجمع المعروف بالسادس الملتئم في القسطنطينية أيد هذه البدعة، ولئن عقد بعد موت قسطس اي في عهد قسطنطين، لكننا أدرجنا الحديث عنه هنا من أجل تسلسل الاحداث تسهيلا للقارئ.

المجمع السادس يؤيد فكرة المشيئتين:

فبعد موت قسطس، حكم أولاده الثلاثة. وفي السنة الـ ١٢ لحكمهم وهي سنة ٩٩٢ ي. والـ ٦٠ للهجرة، إلتأم المجمع المعروف بالسادس في القسطنطينية بحضور ٢٥٠ أسقفا مع ممثلي أغاتون وموافقته، وقد قبل تيودور التحديد بعد ان اغراه الملك بالمال. ولما لم يقبله رئيسا كرسي القسطنطينية وكرسي انطاكية، نحّوهما عن كرسيهما، وحيث انه لم يحضره أساقفة من سورية وفلسطين ومصر وأرمينيا، أتوا بشخص يدعى بطرس وأعطوه مقعد بطرس اسقف الاسكندرية، وأجلسوا آخر على مقعد اسقف اورشليم، وسمحوا لشقيقي الملك بالدخول، مع علمهم بأنهما لن يقبلا بالتحديد الجديد، ويكونا خصمين لوالدهما قسطس. وقد ناقش مقريس الانطاكي، مبرهنا من أقوال كيرلس ومعلنا ان القول بمشيئتين وفعلين للمسيح هو بدعة، فثار عليه ممثلو رومية قائلين: ان هذا من اتباع ساويرا، لذا فإنه يعتمد على كيرلس. غير ان الملك أمر الاساقفة بالتوقيع على التحديد، فوقعه بعضهم مكرهين، ونفوا مقريس الانطاكي الى رومية

حيث قضى حياته في السجن هناك. على هذه الصورة دخلت بدعة مكسيموس اللعينة.

لا شك ان حقيقة انحراف الخلقيدونيين عن الاصالة الارثوذكسية، ستتجلي لمن يتمعن بعمق، فيدرك كيف انهم تأثروا سريعا بفساد البدعة الشريرة التي داهمتهم. ولو لم يكن الامر كذلك، اذن لماذا اعترفوا سابقا بإرادة واحدة وفعل واحد وجوهر واحد، مع اعترافهم ببدعة تعدد الطبائع. وهكذا أضافوا فسادا على فسادهم.

كان تيودور بطريرك كنيستنا الارثوذكسية من دير قنسرين، ساس الكنيسة مدة ١٨ سنة، وتوفي سنة ٩٧٨، فنصب ساويرا من دير فجمه المعروف بابن مشاقه، وفي الاسكندرية، قام أغاتون..
توفي في هذه الاثناء ساويرا البليغ المعروف بالسابوخت وكذلك طركس اسقف العرب.. واشتهر في هذه الفترة يانورين الآمدي وكان فقيها. وفيها آمن عدد كبير من اليهود بالمسيح.. كان للمؤمنين في الرها اسقف يدعى جبرائيل. وكان اسقف الخلقيدونيين........... طيبريوس، رجل........

فصل
في بدء ملك قسطنطين وإخوته أولاد قسطس الروماني ومعاوية خليفة المسلمين والنزاع الذي حدث بين البطريرك والاساقفة

بعد وفاة البطريرك تيودور وتنصيب ساويرا ابن مشاقة لنا نحن الارثوذكسيين، حدث خلف بينه وبين الاساقفة. سببه: ان ساويرا كان اسقفا للرها، ولما اقتضى الامر تنصيبه بطريركا، استعمل القساوة في إدارته للكنيسة، فقد كان رجلا صعبا مسنودا من قبل خليفة المسلمين، فعاداه الاساقفة سرجيس الزقنوني وحنانيا اسقف دير قرتمين وغيرهما، وأرادوا ان يرسموا هم اسقفا للجزيرة عندما تقتضي الحاجة، وليس البطريرك بحسب العادة الشائعة. فلم يسمح ساويرا بذلك لانه كان قاسيا لا يلين. وكان هؤلاء الاساقفة شيوخا ولهم شهرة في الكنيسة، ومتشبثين بقوانين الشريعة القديمة التي كان يتمسك بها سابقا، والتي تخول، مطارنة الابرشيات صلاحية رسامة الاساقفة. فادعى البطريرك بأنه هذا التقليد الغي منذ المجمع الخلقيدوني، لذا كان بطريرك الاسكندرية يرسم اساقفة لليبيا، والبطريرك الانطاكي يرسم اساقفة لكل المناطق الخاضعة له، وان جميع البطاركة الذين جلسوا على كرسي انطاكية والاسكندرية، رسموا الاساقفة. والان ايضا يجب ان يكون كذلك. فحدث نزاع بين المطارنة بهذا الخصوص. وكان للبطريرك استعداد لتنحية جميع الاساقفة لو أمكنه ذلك. فاجتمع مع الاساقفة الموالين له في بيت تل، فسمع سرجيس وجماعته بأن البطريرك والذين معه جاءوا لإعلان حرمهم، لذا سبقوا وحرموه والذين معه، ثم حرمهم البطريرك بدوره، ووجه رسائل الى مناطقهم كي لا يشتركوا معهم، كما منع أولئك بدورهم الموالين لهم، من المناداة باسم البطريرك، واستمر هذا الاضطراب حتى وفاة البطريرك.

سنة ٩٨١ ي والـ ٥٥ هجرية، والـ ١٠ لمعاوية، وبعد تنصيب قسطنطين جمع الروم وأوصاهم ان يكون خضوعهم له ولأخويه

طيبريوس وهرقل على حد سواء، كما امر نقش صور ثلاثتهم على المسكوكات النقدية، وان تكون لهم كرامة واحدة، وحذر من تفضيل أحدهم على الآخر. ثم توجه الى غلاطية وإيطالية وأخضع شعوب جميع البلدان الغربية.

وفي بداية ملك قسطنطين وإخوته، دخل المسلمون افريقيا، وسبوا نحو ٨٠ ألف شخص، وفي السنة التالية سبوا لوقيا وقيليقيا، وعادوا ثانية الى لوقيا وألقوا الرحال في مدينة على ساحل البحر، فهاجمهم ثلاثة من قواد جيوش الروم وانتصروا عليهم، وسقط من المسلمين نحو ثلاثين ألفا، وركب الباقون السفن وهربوا، ولاقوا مصاعب جمة بسبب الانواء، وان نجارا من بعلبك يدعى قالينيقوس كان قد هرب من سورية الى بلاد الروم، أضرم النار في سفنهم، ودمّر تلك التي كانت راسية في البحر، فعرف منذئذ ما يسمى بـ "النفط". وهكذا كان قالينيقوس أول من استعمل النفط في بلاد الروم.

في السنة الـ ٩ لقسطنطين، وصل جماعة من الروم الى جبل لبنان، وعرفوا بالمردة وسماهم السوريون "الجراجمة"، فاحتلوا من جبل الجليل حتى الجبل الاسود، وكان دأبهم النهب والسلب لان الروم أرسلوهم لهذه الغاية، وأخيرا تغلب عليهم المسلمون، فقتلوا بعضهم وسملوا عيون البعض الآخر.. في هذه الفترة، تمرد ايوانيس بن ميزيزي على قسطنطين، مدة سبعة أشهر فخرج عليه الملك بنفسه وقتله في سلوقيا، وبعد ان انتصر على هذا الطاغية، وزرع الرعب في المسلمين، تكبر ونكث عهده مع اخوته، حيث أراد ان يعهد بالملك لابنه يوسطنيان المعروف بالمتعجرف، ظنا منه بأنه الأولى بالملك، وهكذا ابتعد عن مخافة الله، كما طرح عنه الخجل ونحّى اخويه عن الحكم دونما سبب، وسيطر على الزعماء بفضل عطاياه. قال لاون أحد الزعماء: لا يليق إهانة احد من الذين حكمونا دون ان يرتكب خطأ ما، فأنا لا أوقع على ذلك. فأمر الملك قسطنطين بقطع لسانه ويديه ورجليه، وكان يهتف وهو

بمعية الوالي: ان ثالوثـا يملـك فـي السماء، وثالوثـا علـى الارض، فأنـا لا أكفر بالثالوث السماوي، ولا أهين الثالوث الارضـي. وعلـى هـذا الاسـاس قبل الحكم. فجمع قسطنطين اعيان الروم، وقال يا طيـبريوس ويـا هرقـل، ماذا تدعوانني، أخاكما أم ملككما؟ فان كنتما تدعوانني ملكا، فأنـا أدعوكمـا أخوي، واذا دعوتماني أخا، اعتبركما عدوين لي. فأجابا: لا مانع لدينا مـن تسـميتك أخانـا الكبير، امـا ان نسـميك ملكنـا، فهـذا مـا لا نفعلـه قـط. لانـا نشاركك الملك. قالا ذلك استناداً الى ان الهيئة الاستشارية بجانبهما، وحيث ان الرشوة قد أعمت بصائر المستشارين، انحازوا الـى جـانب قسـطنطين، فقوي جانبه ونحّى أخويه واستبد وحده بالملك.

حدث زلزال عنيف، دمر العديد مـن المـدن.. وفـي سـنة ٩٩٠ ي اشتد البرد كثيرا في الشتاء وكثرت الثلوج والجليد والبرد، ويبست أشـجار الزيتون والكروم في سائر أنحاء سورية وبين النهرين. وفي يوم احـد مـن كـانون الاول سـنة ٩٨٣ حـدث كسـوف.. وفـي سـنة ٩٨٨ شُـوهِدَ كوكـب صباحي رهيب، استـمرّ ظهوره مـن ٢٨ آب حتـى ٢٦ تشرين الاول اي ٦٠ يوما.. وفي الهزيع الثالث من أحدى ليالي سنة ٩٨٩ شوهد قوس قزح كامل ليلا، وهو امر غير اعتيادي، ان يشاهد قوس قزح في الليل. واعتقـد الذين شاهدوه ان نهاية العالم قد دنت.. وفي هذه السنة كثرت الفئران فـي سورية وفينيقيا، فأفسدت الزروع وحدثت مجاعة. وفي السنة التاليـة هجم الجراد.. وفي سنة ٩٩٠ ي وفي الساعة الثالثة من يوم أحد القيامـة حـدث زلزال خطير وتهدمت مدينة بطنان سروج، وسقطت كنيسـة الرهـا، فـأمر معاوية بإعادة بنائهـا، حيـث رأى فـي الحلـم مقتـل علـي وتثبيتـه خلفـا لـه. وكثرت الزلازل في هذه السنة في مختلـف المنـاطق واسـتمرت مـدة سـبع سنوات. وفي هـذه الاثنـاء دخلـت الـى مجمـع خلقيدونيـة عقيـدة المشـيئتين والجوهرين والفعلين للمسيح، حتى انهم أكرهوا النـاس بقـوة السـيف علـى الأخـذ بهـا، اي بنفس الطريقـة التـي انتشـرت بهـا بدعـة المجمـع الاولـــى (الطبيعتان).

فصل
يتضمن الرسائل المتبادلة بين البطريرك سويريوس ابن مشاقه والاساقفة سرجيس الزوقنوني والذين معه بخصوص الخلف الذي نشب بين الجانبين

ـ رسالة البطريرك سويريوس الى الاساقفة ـ

الى الاخوة الروحيين وزملائنا الاساقفة القديسين المكرمين بالله، يوحنا مطران ولاية المشرق في فارس، والآباء الاساقفة الذين معه، الخاضعين لله ولضعفنا / سويريوس برحمة الله بطريرك الكرسي الرسولي الانطاكي. افرحوا بربنا.

أود ان أذكركم بما لا يخفى على سيادتكم، شاهدا لكم أمام الله وملائكته القديسين المختارين في هذه اللحظة التي أتوقّع فيها النسمة الاخيرة، وتسليم روحي بيد الله، لكي تكونوا شهودا لي بعد موتي وتدافعوا عني أمام الجميع، باني لم اذنب قط في حق كنيسة الله، ولم أظلم أحدا، وقد تعبت وجاهدت من اجل سلامها ونظامها بكل ما أعطيت من قوة. افعلوا هذه بصورة خاصة أمام الرهبان وزعماء العالم والاساقفة عندما يلتقون في مجمع ما. وانكم لمسؤولون أمام الله في اليوم الاخير عن أية إضافة أو نقصان مما سمعتم وعلمتم بهذا الصدد. لاسيما انتم الاساقفة، مار يوحنا بن كيفا ومار يوسف ومار سرجيس. فاني سأقاضيكم بصورة خاصة ان كنتم لا تتحدثون عما نظرتموه بي بأم أعينكم وسمعتموه بآذانكم بهذا الخصوص. انكم سوف تعطون جوابا لله يوم الدين، عن كل شيء لاحظتموه بي عندما قدمتم الى العربية. كم مرة أرسلت بطلب اسطيفان القريب مني ورفض الحضور. واني عارف بأنهم سيشيعون اخبارا سيئة عني بعد موتي، وسيقولون باني عفوت عنهم وغفرت لهم، وسينعتونني بالطوباوي والقديس، ويتظاهرون بانهم لم يكونوا يبغضونني، وسيقيمون

عن روحي القرابين والطلبات، لكي يجذبوا العالم وراءهم، ويقولون: انه مات ولم يعد بإمكانه ان يزيد او ينقص.

وهوذا أنا اعلن وأكتب لكي يعرف من في السماء ومن على الارض، بأنهم لم يحضروا عندي في حياتي، ولم يسألوا المغفرة، لذا فإني لم أرفع عنهم أيّا من الحرومات ولم أسامحهم. فهذه الحرومات لا تزال ملتصقة بهم حتى يتوبوا ولينفذوا ما سأكتبه. فلو كانوا قد حضروا عندي في حياتي لكان من اليسير علي ان اسامحهم وأتنازل عن حقوقي. والآن أنا راحل، وسيطالبكم الله بحقوق جهادي اذا ما قبلتموهم بكيفية غير مناسبة. وها اني اسجلها هنا مسلما الحكم اليكم والى الرهبان والاكليروس والعلمانيين. فيجب ان يعقد مجمع مسكوني يشمل كافة المناطق ويضم من كل الفئات ممن لهم خبرة، ويحضرها اولئك ايضا. وانت مار يوحنا، بإمكانك ان تعفو وتقبل من يثبت انه لم يذنب ولم يتعدَّ القوانين، بل غرر به بخصوص النزاع وتبع زملاءه ووقع على الحرم غير الشرعي، ويُكذّب ما اتهمت به، وكلكم تعرفون بانه غير صحيح وغير ثابت. واذ أطالب بأن تؤكدوا هذا كتابة، لا خشية من ذلك الحرم الذي لا أعتبره حرما أبدا، لكن من أجل إزالة شكوك المؤمنين وسخرية الهراطقة. واذ لم يتم هذا، فإن العالم بأسره سيشك فيّ وفيهم. اما المذنبون فعليهم ان يأتوا بشكاواهم ويواجه الواحد الآخر، فالذي تثبت عليه التهمة يسقط من رتبته بموجب القوانين الرسولية، والذي يتبرأ شرعيا يُعفى عنه ويُقبل. وليتم التحقيق علنا لكي يُعرف البريء لدى الجميع، وكذلك المذنب. فتكونوا قدوة للعالم بعدلكم وغيرتكم على التقوى، وانتم تبغضون الشر وتحبون الخير، ولا تنحازون الى أحد في قضائكم. فاذا تمردوا ولم ينفذوا هذا، ولا يرفعون ذلك الحرم كتابة، او يرفضون التحقيق فيما هم متهمون به، ابتعدوا عنهم ولا تخالطوهم، ولا تشفقوا عليهم، بل دعوهم يموتون محرومين ليكونوا طعاما للنار المتقدة المعدة لإبليس وملائكته. ورجائي بالله، ان حياتهم لن تطول كثيرا بعد موتي، بل سيلحقون بي، وهناك، أمام ديان الكل، سأطالبهم بما أعطيتهم. فاني لم اقاضهم أمام الناس. واذا ترك الامر

وشأنه، فان هؤلاء المساكين الخاضعين لله ولضعفي، سوف يسلمونني بيد الله وبأيديكم. اذا اخترتم شخصا لدرجة الاسقفية، فيلقترن ذلك بموافقة المطران مار كبرئيل وأبينا مار إيليا.

كتبت هذا لسيادتكم باختصار وبسرعة، لان طيف الموت يلاحقني. فنسألكم كوكلاء المسيح الامناء، ان تذكروني بصلواتكم دائما، لان المكان الذي سأرحل اليه رهيب ومرعب حتى على الابرار. ونعمة ربنا تكون معكم ومعنا آمين.

بعد وفاة البطريرك، اخذ فريق من الاساقفة المنشقين في الغرب ينادون بالسلام ويقولون: انهم لا يعرفون بطريركاً سوى سويريوس. وكتبوا الى ابناء راس العين ما يلي:

"اذن ايها الاخوة الاحباء والابناء الروحيون، ان الروح رب الشريعة الذي تخضعون له، يأمر بالسعي وراء السلام في كل مكان ويقول: "اسعوا وراء السلام" و"اطلب السلام واسع وراءه". نوصيكم وانتم تسمعون صوت ضعفنا من خلال هذه الرسالة، ان تطيعوا الله وملكنا، وتسعوا سوية الى السلام، كبارا وصغارا. ولئن كان كل واحد أظهر غيرة بقدر ما في قتاله مع اخوته حتى الآن، وتعذب بلجج النزاع المتلاطمة، بفعل الشيطان المشاغب وعدو السلام. لكن الآن قد أدركنا الربيع المبهج، واستحالت زوبعتنا الى نسيم رائق. بعونه تعالى. فلنسع جميعا في اثر السلام وتثبيته، لننجو من هيجان اللجج، ولئن كنا حتى الآن في اضطراب. ليسع أحدنا نحو الآخر باتفاق الروح الواحد، وبروح واحدة، لاسيما بعد ان تقفوا من هذه الرسالة وحاملها، على ما صنعه الله بواسطتنا، ونحن ما زلنا نواصل سعينا في السهل والوعر. وقد خضع الكل لله ولنا، وصرنا مبشرين بالسلام الذي كان ينتظره كل واحد، مذ كان الطوباوي البطريرك ساويريوس على قيد الحياة، ولئن استدعاه الرب قبل ان يتم هذا بحسب احكامه غير المدركة.

وبعد وفاته، عملنا ما كنا مستعدين ان نعمله، لندخل اليكم الفرح بهذا العمل الصالح، متوقعين لكم الأمن والسلام، وحاثين إياكم للسعي وراء ذلك. ونعلمكم عن الطريق الذي سلكناه من اجل الوفاق بين الطرفين التابعين لنا، ولم يكن ذلك من اليسير بمكان. أما الذين يدافعون عن الرجل البار الطوباوي المذكور، ويلحقون الضرر، الواحد بالآخر كالأعداء، فقد التمسنا منهم وصالحناهم، وأدرجنا اسم الطوباوي في الدبتيخا الكهنوتية، وأقمنا عنه قرابين وطلبات، وأدينا صلاة الاستغفار أمام الله، وقبلنا جميع الكهنة الذين رسمهم البطريرك القديس أو أحد الاخوة الاساقفة في بلاد فارس، أو اسقفكم الأنبا مار صموئيل، وتركنا كل واحد منهم في مكانه واعتبرناهم اولادنا. هذا ما فعلته حكمة الله بخصوص سلام كنيسته، فطرد الشيطان من وسطها. لذا فانكم تحسنون صنعا ليس فقط في تأييدكم السلام الذي صنعه الله في كنيسته، بل وتحثون ايضا الانبا جبرائيل على ان يسعى هو الآخر من اجل السلام، فلا يكون سببا لانشقاق كنيسة الله، ولئن سعى مسعى آخر ودخل أبرشيات ليست له، ووطئ الاخوة الاساقفة، وألغى قوانين الكنيسة، وقام برسامات غير شرعية. لكن عليه ان يمتنع من الآن فصاعدا، ولا يتأخر عن السعي وراء السلام، لان الله يريد ان ينقله اليه بسرعة ليريحه، وليس بإمكانه لوحده ان يعيق السلام، لان محبة السلام ملأت جوانحنا جميعا، وعانق المنقسمون بعضهم بعضا عناقا أخويا، ونحن نعتبره أخا وزميلا لنا. فاذا كان ينشد سلام الكنيسة، فليسرع الينا فنحن بانتظار وصوله، وانتم شهود على هذا أمام الله الذي ينظر كل شيء. ولا تعيقوا سلام شعب الله الذي ينتظره، وقد أوشك ان يتحقق بقوة صانع كل شيء، ومغيّر كل شيء الى ما هو صالح. فأسرعوا وأبهجونا بحضور جماعة منكم وهم يصحبون الانبا جبرائيل، أو اكتبوا الينا بما يفرحنا، كي نتجه الى محبتكم الكريمة.

ـ جواب الاساقفة الى أديرة الرهاويين ـ

قبل كل شيء، نبشركم أيها الاخوة الأحباء، بالسلام الذي منحنا إياه المسيح سلامنا، الذي كان له وقع طيب وتأثير فاعل لدى الجميع، السلام الذي كان الشيطان قد حرمنا منه وشقنا الى يهوذا واسرائيل، وسُلمنا الى سبي بابل مبلبلة الالسنة التي خلقت لغة الخصام بدلا من السلام. لكيما نستمر باكين على حافة أنهارها مدى الحياة، لبعدنا عن اورشليم مدينة السلام، وعلى صفصافاتها الخالية من الثمار، نعلق قيثاراتنا التي تعزف للسلام. فلم نستطع التحرك ونحن في ارض غريبة حتى ولو لنرفع تسبحة للرب، بسبب النزاع والبغضاء والعداوة أمام الاعداء الذين سبونا، وهم يريدون لنا هذه الظروف، وأعني بهم الشياطين والوثنيين واليهود والهراطقة. فليس جديرا بمن هم بعيدون عن السلام، ان يتغنوا به. واننا نقول بكل شجاعة، انه الوقت للعودة من سبي بابل الى مدينتنا اورشليم مدينة السلام، لنكون شعبا واحدا لله، وملكوتا واحدا، عندما نقدم له المجد جميعنا في هيكله المقدس، حتى اذا ما أعاد الله سبي صهيوننا من عدوتنا بابل، نبتهج مثل اولئك فيمتلئ فمنا ضحكا، ولساننا تسبحة، ويقول أعداؤنا: لقد صنع الرب مع هؤلاء أمرا عظيما بإعطائه اياهم أمنه وسلامه".

نعلمكم بأنه، وبنعمة الله، حيثما وصلنا وبشرنا بالسلام، انضم الينا الجميع في كل مناطق غربي الفرات من مدن واديرة وقرى، والشعوب محبة المسيح، التنوخيون والطائيون والكوفيون وسائر الارثوذكس في الغرب وفي الجزيرة، وطردوا الشيطان، فارتاح الجانبان، حيث التمسنا ممن كانوا معنا ان يدرجوا اسمه في الدبتيخا الكهنوتية ويحتفلوا بذكرى القديس مار سويريوس الذي استاء منا ونحن منه بحسد الشيطان. وقد عانقنا الذين انشقوا عنا والذين كانوا يدافعون عنه كأخوة وأبناء. وهذا ما فعلناه في الرها المباركة وقبلنا كل واحد في رتبته وموقعه، سواء الذين رسمهم الطوباوي او اخوتنا اساقفة بلاد فارس او الانبا صمونيل

الراسعيني، وسوف نعتبر المطران جبرائيل أخا لنا اذا ما حضر عندنا، ولئن كان تجواله في أبرشيات ليست له وقيامه بالرسامات أمرا غير عادل. فنحن لا ننحرف عن هدفنا طالما ان غايتنا هي نشدان السلام، وفي حالة رسامته بعضكم كهنة، فاننا سنعتبرهم أبناء لنا. فاسعوا انتم ايضا ايها الاحباء بالرب الى السلام متمثلين بالمسيح محب السلام. ولدى استلامكم رسالتنا، ليتوجه الينا، الى مدينة الرها محبة المسيح، شخصان او ثلاثة من كل دير مع رؤساء الاديار لكي نشترك بفرح سلام كنيسة الله. اما اذا صرتم سببا للنزاع والشقاق وزعزعة كنيسة الله بعد كل ما عملناه من اجل السلام، فانكم ستمثلون أمام منبر المسيح للدينونة، وحاشاكم ان يحدث لكم ذلك. لتشمل النعمة الالهية جميعكم آمين.

(لقد نسخ هاتين الرسالتين يعقوب الرهاوي بترخيص من الاساقفة، قبل ان يُرسم لها اسقفا. بعد ذلك توجه الاساقفة الى راس العين حيث عقدوا مجمعا مع يوحنا مطران تكريت وحققوا السلام).

نحن الضعفاء المعنيين رؤساء الكهنة من دون استحقاق، المدونة اسماؤنا مع التوقيع أدناه. نحن الذين نوجه اليك هذه الرسالة بناء على طلبك ايها البار يوحنا مطران دير مار متى وبواسطتك الى الاساقفة هناك، اي الى كل العالم، متعهدين ان نقبل بإرادة الله كل ما من شأنه ان يريح الله ويثبت كنيسته، ومن اجل بنيان اخوتنا المؤمنين، اي اننا رفعنا وسنرفع الحرم الذي صدر عنا على القديس البطريرك مار سويريوس الذي انتقل الى الرب، وسمحنا ونسمح بالمناداة باسمه في الكنائس والاديرة مع الآباء الذين سبقوه المتفقين معه في الايمان القويم والادارة الحسنة. ويذكر فيها سنويا بالكرامة جميع الارثوذكسيين. ومن المعلوم اننا قبلنا وسنقبل الرسامات التي قام بها هو والآباء والاخوة الاساقفة الذين كانوا معه، سواء رسامة كهنة ام شمامسة ام رتب اخرى أدنى. وقد فعلنا هذا بإرادة صالحة كما سبق وقلنا، لا لشيء سوى ان تزول الانشقاقات والنزاعات من الوسط، ويسود السلام الكنائس في كل مكان، واننا كتبنا

وأكدنا للبعض كل ما يهدف الى سلام كنيسة الله، ويتفق وما نظمته القوانين الكنسية التي ذكرناها بايجاز لمجد الله ولاتحاد الشعب في كل مكان. وقد وقعنا على الرسالة وختمناها بخواتمنا من اجل تثبيت الجميع، وذلك في كنيسة الاسقف اونوميوس:

سرجيس اسقف جرمانيقي، يوحنا اسقف فانيكوس، اسطيفان اسقف بصرى، يوليان اسقف تللا، دومط اسقف حران، سرجيس اسقف كورة حمص، ابراهيم اسقف منطقة أرزون، يوحنا اسقف قرقسيون، جبرائيل اسقف راس العين، حنانيا اسقف دمشق، ايليا اسقف بعلبك، نونا اسقف العرب، ساويرا اسقف هرار. لقد تمت هذه سنة ٩٩٥ يونانية.

ـ رسالة يوحنا مطران المشرق المبشر بالسلام ـ

(لا يوجد هذا العنوان في النسخة السريانية)

الى محبي الله، الاتقياء في كل شيء، الكهنة والشمامسة والاكليروس المقدس، ورؤساء الاديرة والزائرين المكرمين، والى سائر جمهرة الرهبان العفيفين، والى الاماجد والظافرين والعظماء والرؤساء والمدبرين الحكماء، ولفيف الشعب المؤمن في مناطق انطاكية والمغتربين في منطقة ܒܝܬ ܦܪܣܝܐ الذين يتنسكون في الاديرة المقدسة / يوحنا الضعيف برحمة الله مطران دير مار متى وبلاد فارس. زدتم امنا وسلاما.

لقد علمتم ولا شك بالنزاعات والقلاقل والانشقاقات التي حدثت بيننا من جراء حسد الثلاب التي لا نود الحديث عنها، **أولا:** شفقة على مسامع الاخوة، **وثانيا:** لاننا لا نستحسن الحديث عن المنغصات ونحن في فترة فرح. لذا نود ان نعلم تقواكم شيئا واحدا، ألا وهو، أنني كنت بعيدا وأنا في منطقتنا في فارس، ولم أكن قد توجهت بعد الى راس العين حيث

يجتمع الاخوة الاساقفة، دون ان أدري ان إرادتهم كانت صالحة بهذا المقدار، وتهدف الى السلام، لذا تباطأت عن المجيء لسببين: **الاول:** لأني لم أكن أعرف الى أي شيء كانت تهدف إرادتهم الصالحة كما قلت، **والثاني:** لأني كنت أخجل وأنا الضعيف أن أنصح أو آمر عندما يعلن الحق شيوخ وقورون هم أهل لرحمة الله، وبإمكانهم ان يرشدوا ويقوّموا ليس أنفسهم فقط، بل نحن أيضا وحتى أصحاب المعرفة بحسب الارشاد الرسولي. ولكن لما علمت ان البطريرك القديس مار سويريوس اختارني وسيطا من اجل السلام، ولا أدري كيف ولماذا؟. كما أن آباء الغرب أنفسهم طلبوا إليّ برسائلهم العمل من أجل السلام العام، لذا جئت مسرعا الى راس العين، فتحدثت اليهم مطولا في ما يخص السلام المحبب الى الله، وحيث اني لاحظت رحمة الله عليهم، وانهم غير ملامين، ويرغبون في هذا الامر الخيّر أكثر مني بأضعاف، لذا جددنا كل شيء حتى حققنا السلام وختمناه بأختامنا نحن والآباء المدرجة أسماؤهم هنا:

سرجيس الزوقنيني رئيس الاساقفة، يوحنا اسقف الجولان، يوسف اسقف منبج، اسطيفان اسقف العربية، يوليان اسقف تللا، دوميط اسقف حران، سرجيس اسقف حمص، ابراهيم اسقف أرزون، يوحنا اسقف حابورا، جبرائيل اسقف راس العين، حنانيا اسقف دمشق، ايليا اسقف بعلبك، نونا اسقف العرب، ساويرا اسقف هرار. هؤلاء الذين أكدوا تحريريا، ليس فقط إلغاء حرم القديس المذكور، بل وان ينادى باسمه مع الآباء اخوته في الدبتيخا، لكي يذكر في الكنيسة عندما يذكر اسمه مع اخوته الآباء، كما قبلوا بإرادة صالحة رساماته للكهنة والشمامسة ورسامات الآباء الاساقفة الذين معه.

وبعد ان تمت هذه الامور بحسب مشيئة الله ورغبتنا، أقمنا صلاة الاستغفار من أجل جميع التعديات التي صدرت عن الجانبين، سواء أكانت في الحرم أم بوضع قوانين، أم لعنات أم أي شيء آخر مهما كان ممكنا أن يصدر خلال نزاع مثل هذا. سواء أصدر عن الطوباوي تجاه الآباء، أم

عن الآباء تجاهه. وكنت أنا أول من أقام صلاة الاستغفار بحسب طلبهم على اعتبار أني أمثل ذلك الطوباوي. ثم أقام كلّ واحد منهم بدوره صلاة استغفار عن كل ما حدث. وكنت أنا الذي طلبت اليهم ان يفعلوا ذلك. وأقول باختصار، ان كل شيء تم، سواء من قبلي أم من قبلهم، كان بمشيئة الله. ولكي تطلعوا على هذا وتسعوا وراء الوفاق والسلام، وجهنا اليكم ايها الاتقياء، هذه الرسالة، كي لا يتخاصم أحد من الآن وصاعدا أو يقلق زميله بقوله: أنا البطريرك او اسقف أو ما شابه ذلك، فيكون سببا لإثارة النزاعات والانقسام وإهانة كلمة الله التي هي أمضى وأقسى من سيف ذي حدين، وبإمكانها ان تقطع النفس والجسد وتلقى في نار جهنم الى الابد. لذا نعود ونقول: حاشا لنا أن نعود الى المهاترات السابقة، من هو بولس ومن أبولو، هذا ما قاله الرسول عندما كتب الى الذين تخاصموا لمثل هذه الاسباب. فنحن واحد في المسيح، وهكذا نريد ان نكون واحدا في الايمان القويم وفي المحبة والرجاء بإيماننا. ولا بد ان يتم هذا اذا أطعتم الله وضعفنا، وخضعتم لمدبريكم في كل ما يقولونه لكم لمجد الله ومن اجل خلاص نفوسكم، فانهم يسهرون من أجلكم كالذين يؤدون حسابا عنكم. لذا استوجب عليكم ان تسمعوا لهم في كل شيء، لكي يهتموا بشؤونكم وهم فرحون لا مكرهون. وكلنا امل بأنكم ستنفذون هذا من كل قلبكم، لفائدة نفوسكم. وبذلك تكونون قد أرحتم ضعفتنا وأرضيتم الله الذي يبتهج بالسلام.

هذا ما وددنا كتابته الى محبتكم. فإذا تجاسر أحد وتعدى على ما ذكرنا، سواء أكان راهباً أم اكليريكياً أم علمانياً، ولا يخضع لرئيسه، ويتعدى كلمة الله لأي سبب كان، سيعتبر غريباً عنا وعن كنيسة الله المقدسة، بقرارنا: أنا المطران يوحنا، وقرار مجمع اساقفة سورية المقدس.

رسالة المجمع الى الذين في فارس، لنفس الغاية ورسامة اثناسيوس

الى اخوتنا وزملائنا الاساقفة القديسين في بلاد فارس، ورؤساء الاديار وكافة محبي حياة الرهبنة العفيفة، والرؤساء المكرمين الحكماء وسائر الاكليروس ولفيف الشعب المؤمن القاطنين في هذا البلد/ سرجيس الزوقنيني ويوحنا ويوسف واسطيفان ويوليان ودوميط وابراهيم وسرجي ويوحنا وجبرائيل وايليا وحنانيا ونونا وحلفى وابحاي، الضعفاء، برحمة الله اساقفة بلاد الروم. نعمة ربنا معكم وسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح.

ان التجارب والضيقات التي ألمّت بنا لأربع سنوات خلت او يزيد، والتي اطلعتم عليها كما اطلع الجميع، بل هناك من عاشها. لم تحدث لكوننا اثمنا ونقضنا الشريعة، بل لأن الاهمال الذي ادركنا هو بسبب خطايانا، او بسبب التجارب التي تميزالكسالى من المجدين. وان تعقب اي شيء، لا بد وان يؤدي الى اكتشافه، بحسب القول الرسولي. ومثل هذا يحدث حتى للقديسين، والرب ايضا يعلن هذا ويقول! "اتظن انه امر مخالف ان اعطي أجرا عن أعمالك وأتعابك". اما بالنسبة الينا نحن الضعفاء، فليس من اجل هذا فقط، بل بالحري من اجل خطايانا، واننا نردد مع فتيان آل حنانيا القديسين "أخطأنا وأذنبنا وليس فينا من يقضي بالبر ولا من يسيج سياجا او يقف في فجوة ليرد غضبك". فإذا ما هذبنا أنفسنا بمثل هذه الكلمات، ستكون لنا تعزية عظمى، ونقطف الثمار التي تدخل الينا الفرح الاعظم. وإذا دخلنا الى النار والماء كما يقول المرتل الآلهي، لخرجنا الى البر بعون الرب، ايها الاخوة: عندما كنا في حالة التأديب، كنا نتألم على الكنائس والاديرة لما حل بها من انشقاق بسبب حسد ابليس وليس بسبب التعدي على الايمان. بل بسبب اشخاص كما نعلم. وان الله الذي تسبق معرفته كل شيء، اراد بأحكامه الفائقة الادراك، ان ينقل اليه القديس البار البطريرك مار سويؤيوس الذي بسببه حدث

صراع بين الجانبين، اي الموالين لـه والموالين لنـا وقد كتب ميثاقا كما حسن له قبل رحيله عن هذا العالم، وسلمه الى مطرانكم مار يوحنا لكي يكون وسيطا بيننا ويفصل بين الطرفين بحسب ما يناسب. واننا نعزو الى الله ما حدث بيننا سواء أكان: بحق ام بسبب ما. فنحن لم نختلف على هذا، بل اجتمعنا سوية، اي أولئك المدونة اسماؤهم اعلاه، وارسلنا من يدعو المطران الى الحضور. ليحقق السلام بالاسلوب الذي يناسبه. ولما عرف ان الطوباوي اراده وسيطا، اسرع في الحضور وكأن دعوته هي من الله. فجاء الى مدينة رأس العين حيث كنا مجتمعين بانتظاره، ومعنا رؤساء أديرة مناطقنا وبعض الاعيان، ولما وصل رأيناه وكأنه ملاك من الله، وتبادلنا القبلات المقدسة. ولم يرضَ ان يستمع الى اسباب النزاع، لان هدفه الوحيد كان السلام، فطوى الصفحة عن كل ما قلناه وعملناه، وامر أن نوجه انظارنا الى الكنيسة، وان تقام فيها صلوات استغفار عام عن كل التعديات من كلا الجانبين. وكان هو أول من قدم هذه الصلاة ثم تلوناه. وهكذا ساد السلام بوساطته. لقد كان هذا من الله كما سبقنا فقلنا.

ترى أية جهة او منطقة لم تنعم بذلك السلام المحبب الى الله،أو أية مدينة أو دير لم يزهُ به؟ أو أي مجتمع أو بيت لم يغدُ مسكنا له، أو أي رئيس أو مدبر أو شعب لم يَدعُ لهذا السلام ويمتدحه؟. هذا ما فعله مطرانكم البار المشار اليه. مثل هذا العمل الصالح وفر في بلادنا. وعليه فلو جمعنا ربوات الكلمات والصفات في الفضيلة، لما أعطينا الصورة الصحيحة لخلق هذا الرجل. ففي الوقت الذي لا ننسى الآخرين، نلقبه بصانع السلام والمحبة.

اذن أيها الآباء والاخوة: تمثلوا به جميعكم دائما، واحذوا حذوه، اذا ما كان بينكم خلف أو نزاع. فلكم بنعمة الله، راع صالح. ليكن لكم كالمسيح، اتبعوه وأطيعوه في كل شيء. وليعط آله السلام الذي دحض العداوة بجسده وأحيانا بقيامته، لنا نحن الذين كنا مائتين: السلام والامن ولشعبه وكنيسته، ولينشره بين ممالك الارض حتى نهاية العالم آمين.

فصل
في موت معاوية خليفة المسلمين، حيث انقسمت الدولة وفي مملكة الروم، ورسامة اثناسيوس الانطاكي

استمر ضغط ابن مشاقه على الاساقفة أربع سنوات، من سنة ٩٩١ حتى ٩٩٥ والتي فيها قضى نحبه. وفي هذه السنة عقد المجمع المشار اليه أعلاه في راس العين وتمت خلاله المصالحة، بين الاساقفة المنشقين، ورسم البطريرك اثناسيوس مفسر الكتب وتلميذ ساويرا سابوخت الذي بهمته، تم تدريس اللغة اليونانية في دير قنسرين، وأنهى أيامه الأخيرة في دير مار ملكي. وفي سنة ٩٩٥، دعي الى كرسي انطاكية وتسلم رئاسة الكنيسة.. بعد أغاتون، رسم يوحنا في الاسكندرية، واشتهر في هذه الآونة يعقوب الفصيح الشهير بالرهاوي، وقد رسم فيما بعد اسقفا للرها على يد البطريرك اثناسيوس مفسر الكتب المعروف بالبلدي.

ـ يعقوب الرهاوي ـ

أصله من قرية عيندابا من كورة انطاكية ومن منطقة جوميا. درس في طفولته على الاب قرياقس التقي زائر منطقته، أسفار العهدين القديم والجديد، ثم قرأ كتب الائمة خاصة، وتوجه الى دير افتونيا حيث توشح بالاسكيم الرهباني، وفيه درس المزامير باللغة اليونانية، كما درس الاسفار وأحكمها وفقا للنص اليوناني، ومن هناك رحل الى الاسكندرية ومكث فترة ما. وبعد ان نال قسطا من الفلسفة عاد الى سورية ووصل الى الرها حيث أخذت شهرته تتسع وصار معروفا لدى الجميع، واختير ورسم لكرسي مدينة الرها الاسقفي على يد البطريرك اثناسيوس مفسر الكتب، فأمضى أربع سنوات يتحمل المصاعب من الذين كانوا يمنعونه عن الخدمة بصورة غير قانونية، ومن الذين طردهم من كنيسة الله. واذ لم يعد يتحمل، استقال من الرعاية وسلم الكرسي الى البطريرك مار بوليان،

وغادر مع تلميذيه دانيال وقسطنطين. ولكن قبل مغادرته اختلف مع البطريرك والاساقفة في ما يخص الالتزام بالقوانين الكنسية. فلم يصغ اليه أحد، لأن جميعهم قالوا بضرورة التساهل بحسب مقتضى الظروف. لذا أحرق نسخة القوانين الكنسية أمام باب الدير الذي كان يقيم فيه البطريرك، وصاح قائلا: انني أحرق هذه القوانين التي تدوسونها بأرجلكم ولا تراعونها، لأنها أصبحت من قبيل الزيادة التي لا فائدة منها، ثم انزوى في دير مار يعقوب في كيشوم، وكتب هناك مقالتي توبيخ، إحداهما ضد رعاة الكنيسة والاخرى ضد متعدّي الشريعة والقوانين الكنسية. ورسم للرها شيخ يُدعى حبيب، وهو رجل وديع وطيب. اما مار يعقوب فقد طلب اليه رهبان دير اوسيبونا ليشخص اليهم ويستأنف تدريس اللغة اليونانية حيث كان قد ألغي. فعلّم المزامير في ذلك الدير ١١ سنة، وشرح الكتب المقدسة وفقا للنص اليوناني، فثار عليه الاخوة الرهبان الذين كانوا يكرهون اللغة اليونانية، فغادر الدير الى دير تلعدا الكبير مع سبعة من تلامذته، في حين رسم تلميذه قسطنطين لمؤمني بيثونيا، ولأسباب معينة لم يلتحق، فنقل الى كورة حمص. وأمضى مار يعقوب في الدير تسع سنوات، يعمل في ضبط العهد القديم. وعلى اثر وفاة حبيب، توجه الى البطريرك، الرهاويون الغيورون وفي مقدمتهم الشيخ اثناسيوس الكبير، وطلبوا إعادة يعقوب اليهم، فعاد ودبر كرسيه مدة أربعة أشهر ثم غادر الى الغرب ليأخذ كتبه ويصحب تلاميذه ويعود الى كنيسته. ولما وصل الى الدير (تلعدا) وحمل كتبه وأرسلها، فاجأه الأجل، فاودع جثمانه هناك، في ٥ حزيران سنة ٧٠٨ م. وظهرت على ضريحه معجزات كثيرة.

شؤون دولة المسلمين:

سنة ٩٩٢ ي، والـ ٦٣ هجرية، توفي معاوية في دمشق، بعد ان ساس سورية ٢١ سنة. منها ١٥ في عهد عثمان، وأمضى الـ ٦ الباقية ضد علي. فمجمل حكمه في دولة المسلمين ٢١ سنة وخلفه ابنه يزيد، وأمضى في الحكم ٣ سنوات و ٦ أشهر. وفي سنة ٩٩٥ ي توفي يزيد،

فتمرد مختار في منطقة الكوفة أي بابل، وكان دجالا خداعا ومرائيا. وادّعى النبوة وتلقي الوحي، فحدث شغب بين المسلمين نظرا الى صغر سن أولاد يزيد. فأقام أهل يثرب رجلا يدعى عبد الله. اما الذين في دمشق وفلسطين فأقاموا احد أولاد يزيد بن معاوية، على أمل ان يحكم لدى بلوغه. وتبع الذين في سورية وفينيقيا (دايغ). وهكذا تمسكت كل منطقة بشخص ما. وفي غمرة هذه القلاقل، ظهر شخص يدعى مروان بن حكم، جاء من يثرب الى دمشق وجمع الزعماء وقال: ايها القرشيون اسمعوني، فأنا أكبر سنا من الجميع وقد جئت لأوفق بين أبناء يثرب وأبناء سورية. فلا يجدر بأبناء أمتنا ان يتخاصموا مع بعضهم البعض، بل عليهم ان يخضعوا لمن يختاره الله. فاذا حسن لكم، فلتكتب أسماء ثلاثة رجال على ثلاثة أسهم وتسلم الى شخص يجهل الموضوع، فيديرها بيده ويرمي أحدها في الوسط، فمن يظهر اسمه على السهم ينصب ملكا. فوافق الجميع، فكتب الاسماء ووقعت القرعة عليه، فأقاموه ملكا، لكنه توفي بعد تسعة أشهر، فانقسمت دولة المسلمين الى عدة أقسام، واذ نودي بعبد الملك بن مروان ملكا، قام في بابل رجل آخر يدعى عبد الله. وفي راس العين تمرد شخص يدعى ابن حوباب وحكم فيها. وحكم نصيبين شخص يدعى كوريدا، وسيطر عمر بن سعد على دمشق وأعلن تمرده، كما سيطر زوفرا على قرقسيون وأعلن تمرده. فلما رأى عبد الملك ما يحيط به من كل جانب، وقد أقلقه المردة في لبنان جدا، أراد ان يعقد صلحا مع الروم، فوافق يوسطنيان، وعقد الصلح لمدة عشر سنوات. شريطة ان يُخرج يوسطنيان المردة من لبنان، ويمنع اللصوص من السطو على أراضي المسلمين، ومقابل ذلك، يدفع عبد الملك للروم ألف درهم وفرسا وعبدا يوميا. ونص أحد الشروط على ان تكون قبرص تحت نفوذ الروم والمسلمين سوية، وأن تدفع الجزية لكلا الطرفين. وخضعت للروم كل من أرمينيا مع غورزان وأرزون والجهة الشمالية من مادي أي اذربيجان. فأخرج الملك المردة من لبنان، وأسكنهم أرض الروم وقد بلغ عددهم ١٢ ألفا.

لما أمن عبد الملك جانب الروم، أخذ يقاتل المتمردين عليه واحدا تلو الآخر، فانتصر على جميعهم واحتل مدنهم فهرب ابن زبير، فطارده الحجاج وأدركه في بيت الصلاة في مكة. فنصب المنجنيقات ودمر السور المحيط بالبيت وقتل ابن زبير، ثم أعاد بناء البيت. أما يوسطنيان ملك الروم، فإذ ركبه الغرور، لم يرض ان يشاركه المسلمون النفوذ على قبرص، فسبى أهلها في السنة السابعة لملكه. فعاتبه عبد الملك لنكثه ميثاق الصلح قبل ان تتم المدة المتفق عليها. لذا دخل محمد أمير الجزيرة الى أرض الروم وحاربهم بالقرب من قيصرية قبادوقية، وانضم الصقالبة الى المسلمين ورافقهم الى سورية نحو سبعة آلاف، فوضعوهم في انطاكية وقبرص وزوجوهم وجهزوهم بالميرة والطعام. وفي السنة ١٠٠٦ ي، تغلغل الروم الى اعماق انطاكية، فتألب عليهم المسلمون وأجهزوا على معظمهم وهرب الباقون.

جمع يزيد أمير المسلمين مزيدا من عمال شق القنوات، ليعملوا على زيادة ماء نهر ضحل، لكنه لم يصل الى نتيجة.. ظهر في هذه الفترة كوكب هائل ولمدة أحد عشر يوما.. ومر شتاء قارص جدا، كثر فيه الثلج والجليد. فجمد نهر الفرات والبحيرات، ويبست أشجار الزيتون في كافة المناطق، والكروم في بعض المناطق، كما جمدت الخمر في الجرار وتضايق الناس جدا، وهلكت المواشي والحيوانات والطيور، كما توفي العديد من الناس بسبب البرد.. كما ظهر كوكب كبير ليلا واستمر واحدا وأربعين يوما، وظهرت كواكب أخرى لمدة سبعة أيام، ابتدأ ظهورها في أيلول سنة ٩٥٥، وفي يوم ٢٢ ـ ٢٣ أيلول من هذه السنة، قاتل المسلمون بعضهم البعض بضراوة لعدة أيام ودمروا بعضهم، وراح ضحية هذا القتال ربوات من كلا الجانبينن وقيل ان عدد القتلى الذين احصوا بلغ أربعين ربوة. وقد دار هذا القتال على نهر الخازر في منطقة نينوى، فضعفت قوتهم بسبب هذا القتال، وأذلّ بعضهم بعضا، كل ذلك لانهم تجبروا ودنسوا.

فصل

في عهد يوسطنيان ملك الروم الذي خلع. واثناسيوس بن جومايا الذي نال كرامة لدى عبد الملك خليفة المسلمين. وما طرأ على الكنيسة من أحداث في هذه الفترة بسبب رؤساء الكهنة

سنة ٩٩٥ ي نصب اثناسيوس المفسر الملقب بالبلدي بطريركاً، وتوفي بعد جلوسه على الكرسي بثلاث سنوات اي سنة ٩٩٨ في ايلول. وكان قد رسم مار يعقوب اسقفا للرها. وأثناء احتضاره أوعز الى سرجيس الزوقنيني الذي كان يعتبر نفسه رئيسا للاساقفة ليرسم جورجي اسقفا للعرب. فتم ذلك في تشرين الثاني. وفي الشهر ذاته نصب يوليان بطريركا لانطاكية، وكان يوليان ووالده في جيش داود الارمني الذي دمره الملك هرقل. عاش والده في الغرب وتزوج من فتاة سريانية أنجبت يوليان ونشأ مع والده في الجيش. ثم جاء به الى دير قنسرين، حيث ثقفه باللغة اليونانية والاسفار. وكان يسمى "روميّا" بسبب والده، فتعشق الرهبنة وانتمى اليها وفاق الكثيرين في فضائله، وكان ذا طلعة بهية حتى قيل انه يستحق ان يكون ملكا.

قام في الاسكندرية بعد اغاتون، يوحنا ثم سمعان فاسحق، واشتهر بالعلم بين الاساقفة سرجيس الزوقنيني وجورجي اسقف العرب ويعقوب اسقف الرها. اما البطريرك يوليان فقاومه بعضهم وحدث شغب في الكنيسة بسبب دنحا مطران تكريت وجماعة آخرين من ولايته، وهم يوحنا القرقسيوني اسقف كرماي ويوسف اسقف التغالبة. فقد أراد هؤلاء ان يرسموا اساقفة دون اذن من البطريرك كما كانت العادة قبل المجمع الخلقيدوني، فلم يوافق يوليان، بل قال: يجب ان تسير الامور كما كانت في عهد سلفه. ولما قوي جانب البطريرك عزل دنحا التكريتي وأقام باكوس بدلا منه، كما عزل يوسف اسقف العرب وأقام آخر بدلا منه. وحلّ الطوباوي كل المشاكل بقوة الله وبمساعدة الملك، فساد الكنيسة هدوء تام،

وكانت رسامات الاساقفة تتم من قبل البطريرك بصور شرعية، حيث كانوا يفحصون اولا، ويختار منهم لرئاسة الكهنوت المتضلعون من العلوم الدينية والتعاليم الآلهية، وتزينهم السيرة الصالحة الروحية. وبعد ان دبر يوليان كنيسة الله ٢١ سنة، توفي سنة ١٠١٩ ي. وفي تلك السنة توفي ايضا الملفان القديس يعقوب اسقف الرها. ولما شعر رهبان دير تلعدا بدنو أجله وان لا أمل في حياته، أسرعوا وأعادوا كتبه الى ديرهم، قبل ان تؤخذ الى الجهة الاخرى من نهر الفرات.

بعد وفاة الملك قسطنطين خلفه ابنه يوسطنيان، وكان متعجرفا، وفي بداية ملكه عقد صلحا مع المسلمين ثم ألغاه فحدث ما ذكرنا في الفصل السابق. وأخذ يسيء معاملة الروم بمختلف الاساءات، حتى كاد يقضي على جميع الزعماء والبارزين في الدولة، فتألبوا ضده وقبضوا عليه وجدعوا أنفه وسجنوه، وملك شخص يدعى لاونتي سنة ١٠٠٠ ي، و٧٧ هجرية. وفي هذه السنة أعدم محمد أمير الجزيرة ظلما الزعيم سمعان بن نونا من حلوجا، ومردنشا وابنه من نصيبين. وفي سنة ١٠٠٨ سك المسلمون الدينار والدرهم والفلس خالية من صورة ومقتصرة على الكتابة. وسنة ١٠٠٩ أحصى الامير عطية الغرباء وأعاد عددا كبيرا منهم الى بلدانهم. وسنة ١٠١٠ جاء افسيمورس من قيليقيا وأطاح بلاونتي دون ان يؤذيه، وحكم بدلا منه، وقد تمت المآمرة عليه على النحو التالي: كان افسيمورس هذا الذي عرف بطيبريوس قائدا للجيش. ولما تمرد الصقالبة على الروم، تركهم لاونتي ينهبون ويسلبون ويعيثون فسادا في البلاد، فخرج عليهم افسيمروس وهزمهم وأخضعهم، فقويت معنويته فتمرد وأطاح بلاونتي وقال: مثلما خلع يوسطنيان لسوء سيرته ولاسيما لما فعله في قبرص من سبي وإلغاء معاهدة الصلح مع المسلمين مسببا دمارا لمعظم مناطق الروم، هكذا ايضا لاونتي الذي كان زعيما وملكوه، عاد الى الاساءة، لذا خلع. اما طيبريوس فأرسل جيش الروم لمحاربة المسلمين، ولما وصلوا الى شميشاط قتلوا خمسة آلاف مسلم ونهبوا وسبوا المنطقة بأسرها وعادوا. وكان عبد الملك خليفة المسلمين قد عين قائدين

لجيوش بين النهرين والموصل وأرمينيا وأذربيجان، وعين الحجاج قائدا في بلاد فارس وبلاد العرب، وجاء أحدهم يدعى محمد الى الرها فدخلها سلما واستقر فيها. وفي السنة التالية أرسل عبد الملك الحجاج الى العراق وفارس، فقتل زعماء المسلمين ونهب بيوتهم دون شفقة، وكذا فعل محمد بن مروان في منطقة نفوذه، اذ جمع زعماء الارمن في إحدى الكنائس في ارمينيا وأضرم نارا وأحرقهم، وقتل انسطس بن اندريا والي الرها ونهب بيته، وبالرغم من هذا، فما زال زعماء وولاة مسيحيون يديرون شؤون بعض المدن.

سنة ١٠١٤ ي توفي الامير وليد بن عمر وخلفه حارب بن كعب، ثم خلفه قورا بن شيراك، وأقيم مسلمه بن عبد الملك أميرا على منطقة قنسرين.

سنة ١٠٠٥ ي و٧٥ هجرية، حدث كسوف في الساعة الثالثة من يوم الاحد من تشرين الاول. فخيم ظلام دامس، وظهرت النجوم وانحبست الامطار، وارتفعت أسعار الحنطة حتى بيعت ثلاثة مكاييل بدينار. وقبل سبع سنوات كانت قد حدثت مجاعة في سورية بيع خلالها مكيال الحنطة الواحد بثلاثة دنانير، وأكل الناس خبز العدس والحمص والماش وغيرها من البقول. وفي هذه الفترة، أمر عبد الملك خليفة المسلمين ان تنزل الصلبان ويُقضى على الخنازير.

ـ اثناسيوس بن جومايا ـ

كان اثناس هذا الملقب بابن جومايا من مدينة الرها، وكان ذكيا ونبيها وخبيرا في التعاليم الكنسية والمدنية، واستفاضت شهرته، فسمع عنه الخليفة عبد الملك فاستدعاه، واذ عرفه ذكيا وخبيرا في العلم، سلم اليه أخاه الفتى عزيز الذي عينه أميرا على مصر، ليكون مرشدا له. وبالاضافة الى

ما كان يدفع له الملك من الاموال، كان يتقاضى أولاده دينارا من مرتب كل جندي. ومجمل القول: فان جميع المناطق الخاضعة للمسلمين وضعت تحت إمرة اثناس. وكان عدد الجنود في مصر ثلاثين ألفا، اي ان اثناس يتقاضى ثلاثين الف دينار الى جانب الامور الاخرى. فقد أثرى كثيرا خلال السنوات الـ ٢١ التي أمضاها هناك، واقتنى أربعة آلاف عبد وقرى ودورا وبساتين وذهبا وفضة كالحجارة، وكان وديعا وغيورا على الايمان، وكانت له ثلاثة حوانيت في الرها. شيد من دخلها كنيسة رائعة باسم والدة الاله، كما شيد كنائس وأديرة في عدة أماكن في مصر. وبنى كنيستين جميلتين في مدينة فسطاط بمصر، وبنى في الرها بيتا للمعمودية تكريما لصورة المسيح التي أرسلت الى أبجر الملك ....

كما فعل الاسقف امودينوس في كنيسة الرها القديمة وزينه بالذهب والفضة وبغلاف من مرمر. وان سبب بنائه هذا البيت هو: ان الرهاويين لم يستطيعوا ان يدفعوا كل الجزية التي كانوا يؤدونها. فأشار أحد المحتالين على محمد ان يسيطر على الصورة، فيضطروا ان يبيعوا أولادهم وحياتهم ولا يدعونه يأخذها. فلما نفذ محمد المشورة، آل الرهاويون على انفسهم ان يدفعوا كل ما يمتلكون، بل ويرضوا بالموت ولا يسلمون الصورة. وأخيرا وبسبب الضغط الشديد طلبوا الى الزعيم اثناس ان يدفع الخمسة آلاف دينار قيمة الجزية ويأخذ الصورة عنده حتى يفوه، فأخذ الصورة ودفع المال، فاستقدم أحد الرسامين المهرة وطلب اليه ان يرسم نسخة عنها، ولما انتهى العمل، وكانت الصورة مشابهة للاصل على قدر كبير، وقد سود الرسام الصورة ليوحي بأنها قديمة. ولما أعاد الرهاويون المال وطلبوا الصورة أعطاهم النسخة الحديثة واحتفظ بالاصلية. وبعد فترة أعلن ذلك للمؤمنين، وشيد بيت المعمودية العجيب، انفق عليه مالا يفوق التصور تكريما للصورة، وذلك لكي يعرف الناس ان الصورة الاصلية التي أرسلت بيد يوحنا الساعي انتهت اليه، وبعد بضع سنوات وضعها في بيت المعمودية.

ويضيف البطريرك ديونيسيوس التلمحري الذي كتب عن هذه الامور فيقول: لقد استقيت هذه الاخبار من دانيال بن صموئيل الطورعبديني جدي لامي. أما أنا فأعتقد أن الصورة هي في حوزة الخلقيدونيين في الرها، حيث ظلت عندهم منذ عهد الملوك اليونان، ومنهم أخذها اثناس بن جومايا، لقد حسد اثناس هذا شخص خلقيدوني يُدعى منصور، كان سكرتيرا لعبد الملك في دمشق. ولما مات الامير عبد العزيز، وترك اثناس مصر، قال سرجي بن منصور متهما اثناس: ان ابن جومايا نهب خزائن مصر وأخذها معه. ولما مثل اثناس أمام الملك، رحب به بلطف وقال: يا اثناس، نحن نعتقد ان المسيحيين يمتلكون هذا المقدار من الثروة، أعطنا قسما منها، فأعطاه اثناس حتى اكتفى، وبالرغم من ذلك بقي عنده مال وفير.

فصل

في عودة يوسطنيان من المنفى بعد ان أمضى فيه عشر سنوات، وتسلمه الحكم مدة ٦ سنوات أخرى. ووفاة عبد الملك خليفة المسلمين، والذين خلفوه. والشهداء المسيحيين العرب الذين استشهدوا في هذه الفترة

سنة ١٠١٦ ي تفشى وباء فتاك، ذهب ضحيته نحو ثلث سكان المعمورة. وفي السنة التالية حدثت هزة أرضية عنيفة. انهارت على أثرها بلدة سارين وغيرها من الاماكن. وفي نيسان تلك السنة، حدث انجماد فيبست أشجار الزيتون والكروم.. في هذه الفترة نشبت حرب بين المسلمين في الشرق والمسلمين في الغرب، فهزم الذين في الشرق (ناقص ثلاثة أسطر).

ظاهرة فلكية:

في ١٦ تموز عام ١٠١٩ ي، حدثت أعجوبة تراشق النجوم المعروفة بـ "النيازك" حيث شوهدت في كافة أنحاء دائرة السماء وهي تتطاير خلال الليل بصورة مستمرة هنا وهناك من الجنوب الى الشمال. وهذا أمر لم يسمع مثله منذ أجيال. فكتب عنه الآباء القديسون لاسيما يعقوب الرهاوي وموسى بن كيفا. ترى ماذا يقول علماء الطبيعة الذين يهذون بقولهم انها هواء كثيف يصطدم بالنار لدى تصاعده فيحترق. واليوم يوجه اليهم هذا السؤال: ترى من أين يتصاعد كل هذا الهواء الكثيف وأين كان مخفيا؟ واذ يحارون الجواب، يسلمون بأن كل شيء يتم بإرادة الله. لقد أعلن محللو الحوادث بأن هذه السهام الطائرة ترمز الى العرب الذين دخلوا الغرب في هذه الاثناء فأحرقوا ودمروا، وقضوا على المناطق وسكانها.

مجموعة حوادث:

أصدر الوليد أمير المسلمين أمرا بقتل السحرة، فصاروا يربطونهم على الخشب ويرمونهم في الماء فيقتل الذين يطوفون، اما الذين يغطسون فينجون. وفي سنة ١٠٢٢ منع الوليد كتابة الحسابات باليونانية، حيث كانت تسجل باليونانية في جميع الدفاتر الى ذلك الحين. وكان الوليد يبغض المسيحيين فهدم الكنائس. وأول كنيسة هدمها كانت كنيسة دمشق الكبرى وشيد جامعا على أنقاضها، وهكذا فعل في أماكن عديدة.. في ٢٨ شباط سنة ١٠٢٤ حدث زلزال عنيف جدا، تهدمت على اثره عدة أماكن من مناطق انطاكية وحلب وقنسرين لاسيما الكنائس والهياكل. وفي السنة نفسها تفشى وباء الطاعون. وفي أيار تلك السنة غزا جراد لم يكن له نظير، وحدثت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وهدمت الابنية. وفي نيسان ١٠٢٥ حدث انجماد فيبست أوراق الاشجار والكروم وتناثرت.. في هذه الفترة طرد فيليفيقس ملك الروم الارمن من منطقة نفوذه، فالتجأوا الى المسلمين فأسكنوهم في ملطية وفي أرمينيا الرابعة، فتكاثر الارمن في هذه المناطق وتحالفوا مع المسلمين ضد الروم، وهذا ما يدل على سوء إدارة الروم الذين خضعوا لذهن مرفوض، بحقدهم على جميع الارثوذكسيين.

سنة ١٠٢٥ ي وهي السنة الـ ١٩ لعبد الملك أمير المسلمين، أرسل مسلمة الى ممفسوسطية فاحتلها، وفي السنة نفسها تمرد مسلمو الكوفة والبصرة على عبد الملك وحاربوه. وهرب يوسطنيان من المنفى وتوجه الى خاجن ملك الخزريين، فرحب به وزوجه ابنته، ثم التجأ الى البرجريين، وبعدها جاء الى القسطنطينية حيث تسلم الحكم بعد عشر سنوات من النفي، وقتل لاونتي وامفيسيمروس وعددا كبيرا من الزعماء، ونفى آخرين وجرد دولة الروم من العلماء، وأطلق سراح ستة آلاف أسير مسلم وأعادهم الى بلادهم، وأرسل جيشا لجلب زوجته فهلك في البحر من جراء عاصفة. ولما سمع خاجن كتب اليه يقول: ايها الغبي القليل العقل، ألم يكن من الأجدر ان ترسل بضعة رجال فقط؟ هل اعتقدت بأني سأمنعها

عنك؟ كلا وحياة جنونك اني لن أفعل. فأرسل من يأخذها. فلما قرأ ذلك خجل وأرسل وجلب زوجته وابنه طيبريوس الذي أشركه معه في الملك.

سنة ١٠١٤ ي، أعاد العرب بناء ممفسوسطية التي فتحوها حديثا وأحاطوها بأسوار منيعة وجملوها ووضعوا فيها حامية واعتبروها حدودا مع الروم. وزارها عبد الملك وفيها توفي. ويذهب بعضهم انه اغتيل، وخلفه ابنه الوليد وهو الامير التاسع، وحكم تسع سنوات وخمسة أشهر. وعين مراد بن شريك قائدا لقنسرين، وعين قورا في مصر، وأرسل جيشا بقيادة مسلمة وضرب مدينة طاونا قبادوقية، ودارت حرب حولها مدة ٩ أشهر مع الروم الذين هزموا وقتل منهم نحو أربعين ألفا، فاحتل المسلمون المدينة وسبوا ونهبوا معظم ثرواتها. وفي سنة ١٠٢١ عزل أمير الجزيرة وخلفه مسلمه. وسنة ١٠٢٢ احتل مسلمه مدن طيبرندا وجرجوم وتوندا وغيرها من مدن منطقة كسفوليس الواقعة على حدود الروم، ووضعت حامية اسلامية في توندا. وفي نفس السنة تمرد فيلفيقوس وقتل الملك يوسطنيان وابنه طيبريوس. وملك على الروم. وفي هذه الاثناء أصدر الوليد أمير المسلمين قرارا بقتل أسرى المسيحيين، فقتلوا داخل الكنائس في جميع مدن سورية.

تسلم فيلفيقوس الحكم سنة ١٠٢٣ وكان حاذقا في العلوم المدنية، فأراد ان يعيد المجمع السادس وينبذ عقيدة مكسيموس. وفي هذه السنة احتل مسلمة قائد جيش المسلمين مدينة ماسيا وغيرها من المناطق، كما احتل عباس بن الوليد انطاكية بيسيدية وعاد بغنائم وفيرة. وبعد ان حكم فيلفيقوس سنتين وستة أشهر، خنقه الروم وسملوا عينيه. فملك انسطاس مدة سنتين وخمسة أشهر.. وفي سنة ١٠٢٦ مات الوليد أمير المسلمين وخلفه أخوه سليمان مدة سنتين وستة أشهر. وفي هذه السنة دخل سليمان منطقة غلاطية واحتل حصونها وعاد بغنائم وفيرة. وأرسل انسطاس جيشا الى الجهة الغربية، لكن الجيش تمرد على قائده وقتله، وأقاموا ثاودوسي ملكا وهرب انسطاس الى ليقيه. وهكذا خلع انسطاس وملك ثاودوسي.

سنة ١٠٢٠ ي، رسم ايليا من دير الجب الخارجي بطريركا للكرسي الانطاكي في ديره، وكان اسقف مدينة اوفاميا. وبعد ان أمضى في الاسقفية ثماني سنوات دعي الى كرسي بطريركية انطاكية سورية السامي، فنقل قسطنطين تلميذ مار يعقوب من حمص الى الرها بعد وفاة القديس مار يعقوب، ورسم دانيال لحمص بدلا من قسطنطينن وهو الآخر تلميذ لمار يعقوب الملفان القديس.. وفي الاسكندرية قام بعد اسحق الكسندروس بطريركا للاسكندرية. وفي هذه الاثناء توفي داود اسقف جرمانيقي، وكان رجلا فاضلا وعالما شهيرا.

مَثُل البطريرك ايليا أمام الوليد امير المسلمين فرحب به وأكرمه جدا. وتم ذلك في حصرتا (لعلها حرستا).. في هذه الفترة نال مسيحيون عرب شهادة حقيقية، ذلك ان محمدا قائد جيش المسلمين أضاف الى سيئآته الكثيرة في ما بين النهرين سيئة أخرى. فقد حاول إكراه العرب المسيحيين على اعتناق الاسلام، فاستدعى زعيم التغالبة المدعو موعد، وأكرهه على إشهار إسلامه، فلم يذعن فرماه في جب مليء بالحمأة، وبعد فترة أخرجه وأخذ يغريه، وإذ لم يذعن قتله وأمر بعدم دفنه، وبقي عدة أيام مرميا فوق نفايات ولم ينتن ولم تقترب منه الحيوانات،حتى طلب اسطاثاوس الداري جسده فأخذه وشيد عليه ديرا. وقال الوليد لاسماعيل التغلبي المعترف، انك تخجل جميع العرب بسجودك للصليب وانت زعيم عربي فأطعني واسلم. فأجاب الطوباوي: ان مملكتك برمتها ما هي سوى حطام مقارنة بملكوت المسيح، وان ما يخيفني وأنا زعيم التغالبة كما قلت، هو خشيتي ان أكون سبّبا في هلاك الكثيرين. وما ان سمع منه الامير هذا الحديث حتى أمر بسحبه خارجا واقسم ان يطعمه من لحمه، فلم يأبه الطوباوي. فأمر الطاغية وقطعت قطعة من فخذه فشووها بالنار ووضعوها في فمه، لكنه بقي على قيد الحياة، وظل ذلك الجرح في جسم هذا الشهيد الحقيقي.

أقام الخلقيدونيون في القسطنطينية جرمانيقي اسقفا لقوزيقوس، ثم عزلوه بعد فترة، حيث اكتشفوا انه من هرطقة ماني، فيما دافع عنه غيرهم واعتبروه مظلوما، كل ذلك بسبب بلبلة الخلقيدونيين وحقدهم الشيطاني.

فصل

في أسر العرب لقسطنطين للمرة الثانية. وقصة تاسيس بيزنطية الواردة في تاريخ ديونيسيوس والمثبتة في هذا المكان. وبعض الشؤون الكنسية

لقد دوّنّا في كتابنا حتى الآن، أسماء رؤساء الاساقفة الذين قاموا منذ مجمع خلقيدونية، على الكراسي الاربعة المقدسة أعني رومية والاسكندرية والقسطنطينية وانطاكية. وقد اقتبسناها من الامم والكتب باللغات الرومية واليونانية ولئن كان الكتّاب خلقيدونيين.

أما من الآن فصاعدا، فإن كتابي سيخلو من أسماء رؤساء الاساقفة الخلقيدونيين الذين قاموا في رومية والقسطنطينية، وسيقتصر على ذكر أسماء الذين جلسوا على كرسي الاسكندري والانطاكي فقط، وهم ارثوذكسيون من السريان والاقباط، وذلك لسببين: **الاول:** انتشار دولة المسلمين في سورية ومصر حيث يتواجد السريان والاقباط، ولم تكن هناك حاجة او فائدة من البحث عن رؤساء الخلقيدونيين الذين يكرهون الارثوذكسيين ويضطهدونهم. و**الثاني:** هو إيغال الخلقيدونيين في البدع التي دخلت اليهم مؤخرا كما ذكرنا وسنذكر، حيث أدرك آباؤنا ومؤرخو الكنيسة القديسون بأن الفساد طال الخلقيدونيين باعترافهم بطبيعتين ومشيئتين وجوهرين وفعلين وبمسيحين بدلا من مسيح واحد. لذا غضوا النظر عنهم كليا، حتى لم يعودوا يستعملون لغتهم أو كتبهم كالسابق، كما لم يبق في مناطقهم ارثوذكسيون متثقفون. هذه هي اسباب عدم ذكر رؤساء اساقفتهم في تواريخنا، سوى نتف هنا وهناك بمقتضى الضرورة. وسوف نجمع بعون الله من كتبهم ما يصلح للشهادة، وسنهتم بل وقد اعتمدنا ان نؤول كتاباتهم تأويلا صحيحا بقدر ما يمكن لضعفنا ان يجمع ويدرج في هذا الكتاب الحقائق التي أيدها وشهد لها الكثيرون ممن هم جديرون بالتصديق.

فشل فتح القسطنطينية:

سنة ١٠٢٦ وبعد وفاة الوليد أمير المسلمين وقيام سليمان، دخل مسلمة بلاد الاتراك وغنم منها غنائم وفيرة وعاد. وسنة ١٠٢٧ دخل مسلمة بلاد آسيا واحتل برغموس وسردوس وغيرها من المناطق وسباها. وفي السنة نفسها أوعز سليمان الى مسلمة ليذهب الى القسطنطينية. فجمع مئتي ألف جندي وخمسة آلاف سفينة لنقل الجيش والمؤن، وجمع ١٢ ألف دابة وستة آلاف جمل وستة آلاف حمار لنقل التجهيزات وغذاء الجمال وما تحتاجه الدواب، وحمل الجمال سلاحا وتجهيزات المنجنيقات، وأعد لهم طعاما يكفي لعدة سنوات، وعين عمر بن هبيرا قائدا لهم. وأقسم سليمان بأنه لن يكف عن مقاتلة القسطنطينية حتى يفتحها او يدمر بلاد المسلمين. ورافقهم ثلاثون ألف ممن يُعرفون بالمتطوعين، وانقسموا الى معسكرين، سلك أحدهما طريق البحر والثاني طريق البر. ولما بلغوا مناطق الروم أخذوا يحرقون لكنائس ويسفكون الدماء، وذبحوا ستة آلاف رجل في بقعة واحدة. والى جانب هذا، حدث انقسام وقتال بين الروم، فقاوموا ملكهم ثاودوس. وفيما كان لاون قائد الجيش مع الملك، اذا به يوقع عهدا مع المسلمين لدى وصولهم الى مدينة أمورين، بمساعدتهم في فتح المدينة، وبالمقابل تعهد مسيلمة للاون ان يقيمه ملكا على الروم لدى فتحه المدينة. فعاد لاون الى القسطنطينية، وأخذ المسلمون يفتحون مدينة تلو أخرى ويتعهدون بالأمان. فحاصر سليمان خلقيدونية باثني عشر ألف، ومنعوا دخول الامدادات الى القسطنطينية. ولما علم ثاودوس باتفاق لاون ومسيلمة، أمر باحتجاز عائلة لاون، فطلب لاون الى سليمان ان يزوده بستة آلاف جندي وحاصر أمورين فخاف أهلها، ولما دنا لاون من السور، أوهمهم بأنه يخدع المسلمين وأقسم لهم، فسلموه عائلته، فسرح الجنود المسلمين بعد ان دفع لكل منهم ١٢ دينارا، واتجه مع جماعة من الروم الى القسطنطينية، فلاقاه جيش الروم وأحبوه وأقاموه ملكا عليهم وسلموا اليه ابن ثاودوس، ثم دخل القسطنطينية، فتركها ثاودوس وانضم الى سلك

الاكليروس. وملك لاون سنة ١٠٢٨ ي و٩٨ هجرية. فسر مسيلمة بتسلم لاون مقاليد الحكم اعتقادا منه بأنه سيسلم اليه المدينة، لكن لاون خيّب ظنه وأخذ يحصن المدينة ويخزن المؤن، واذ علم مسيلمة ان لاون خدعه، قاد جيشه وسفنه واجتاز الى الجهة الاخرى، وكان في المؤخرة مع أربعة آلاف، واذا بالمرتزقة الذين استأجرهم لاون يهجمون ويقتلون عددا كبيرا، ولكن مسيلمة نجا بأعجوة ووصل الى المعسكر الكبير، فعسكر المسلمون في الجانب الغربي أمام باب الذهب، وحفر خندقا بين معسكره والمدينة من الخلف مقابل الابراج، وكان البحر يحيطهم من الجانبين الايمن والايسر حيث ترسو السفن وهي تحمل عشرة آلاف مسلم وملاحين مصريين مخصصين للحراسة، بين سفنه والروم. وعشرين ألف بينه وبين الابراج، ومثلهم من الجانب المقابل لسورية. ودارت الحرب بين المسلمين وأبناء المدينة والذين في الابراج، وما بين السفن في البحر. ومن الجهة الثانية كان روم صقيليون، ولم يكن بمقدور المسلمين الخروج بمجموعة تقل عن الالفين عندما تدعوهم الضرورة. ثم هجم أصحاب الابراج على المسلمين وقتلوا منهم عددا كبيران فأخذوا يخشون أصحاب الابراج أكثر من الروم، وتضايق المسلمون من الضغط في الخارج أكثر من الروم في الداخل. ثم حلّ الشتاء. وخاف الجند المسلمون الهروب، **أولا:** من ملكهم. **وثانيا:** بسبب البحر. **وثالثا:** خوفا من أصحاب الابراج، فلاحت لهم أطياف الموت، وكان مسيلمة يمنيهم بوصول العطايا من الأمير، وكان كل من الروم والمسلمين كأنهم في سجن، فعضهم الجوع حتى أخذوا يأكلون جثث الموتى وفضلات الجسم، لا بل حاول بعضهم افتراس الآخرين. فبلغ ثمن مكيال الحنطة ١٦ دينارا، وكانوا يتلمسون أحجارا رخوة فيمضغونها ويشعرون بلذة، ومضغوا قار السفن.

وبينما المسلمون في مثل هذا الضيق، توفي أميرهم سليمان بعد حكم استغرق سنتين ونصف، فخلفه عمر فحاول انقاذ شعبه من بلاد الروم، فأرسل يستقصي أخبارهم، فأنفذ اليه مسيلمة رسائل كاذبة يخبره بأن الجيش بخير وان المدينة على وشك ان تفتح. وقد علم الرسول ان

مسيلمة كتب ضد الواقع، فطلب اليه ان تصحبه قوة من الجيش، فلم يستطيعوا المغادرة بسبب برد الشتاء، ولم يخبر مسيلمة الجيش بموت سليمان. فقال لهم الروم من على السور، ان اميركم قد مات، ففزع المسلمون. ثم وصل موفد الامير وهو يحمل أمراً الى مسيلمه بالعودة، وأمراً آخر للجيش بالعودة في حالة عدم طاعة مسيلمة. فحاول مسيلمة إخفاء الأمر، إلا ان ضجة كبرى حدثت بين المسلمين. ثم سادت البهجة كلا الطرفين. أما عمر أمير المسلمين فاشترى ألفي حصان وبغل وأرسل لكل فرد عشرة دنانير كنفقات بعد نجاتهم لانه تأثر لحالهم جدا. فلما شرع المسلمون بالمغادرة، لحق بهم الروم وأبادوا العديد منهم وأحرقوا سفنهم، كما ذهب الكثيرون ضحية عاصفة. ونجت المدينة.

ـ تأسيس مدينة بيزنطية المعروفة اليوم بالقسطنطينية ـ

كان لمملكة الروم سابقا عدة ملوك. فملك يحكم ايطاليا، واخر مقدونية، وثالث تراقية، وآخرون مناطق أخرى. وكان الملك يوزوس يحكم آسيا وتراقية. فأراد ان يبني له عاصمة في موقع حصين، فاستدعى أحد الخبراء الماهرين وارسله ليبحث عن موقع ملائم لما يفكر فيه. فاستطلع عدة مواقع ولم يفلح. وذات يوم رمى بنفسه على الارض ليرتاح وأخذ يفكر، وتناول عصا وخيطا ولفهما بملاءته الحمراء ووضعها الى جانبه ونام. فشاهد نسر جوعان الملاءة الحمراء فظنها قطعة لحم فاختطفها، واشتبكت بها مخالبه من جراء ضغطه الشديد عليها. فاستيقظ الرجل على صوت أجنحة النسر الذي حمل الملاءة وما فيها وحلق خوفا من الرجل. وحط في مكان ما. ثم أفلت مخالبه وطار. أما الرجل فتوجه الى حيث حط النسر، فوجد الملاءة وما فيها، فاستأنف نومه هناك، فرأى في الحلم شخصا يقوله له: خطط المدينة هنا. فلما استيقظ تعجب من الرؤيا، فأخذ يتجول في ذلك الموقع ويتفحصه، فوجده ملائما جدا للسكنى ومطابقا لرغبة الملك لسعته وحصانته، ولانه محاط بالبحر من ثلاث

جهات، وتتوفر فيه ينابيع مياه عذبة. فعاد وقص على الملك ما رأى فسرّ الملك وآمن بأن الاختيار تم من قبل الله. فلما رأى الموقع أمر ان تخطط فيه المدينة. وان طول هذا الموقع هو عشرة أميال، وعرضه يشكل المسافة من البحر الى البحر. فشرعوا بالبناء، وقبل ان يكتمل توفي بوزوس وملك أخوه انسطس، فاهتم ببناء المدينة وزينتها، وقد دعيت "بيزنطية" وهو اسم مركب من اسم كليهما. وفي عهد الكسندروس خضعت سائر بلاد الروم لرئاسة واحدة.

توسيع بيزنطية وتسميتها القسطنطينية:

بعد ان ملك قسطنطين المؤمن وانتصر على الطغاة الذين قاوموه، رغب هو الآخر ان يبني عاصمة تليق بمملكته، لان رومية ولئن كانت كبيرة وحصينة، لكنها بعيدة عن الولايات الرومانية. واذ رأى ان بيزنطية أكثر ملاءمة من غيرها، أمر بتوسيعها نحو ميلين الى الغرب ليصبح طولها ١٢ ميلا. وأكمل بناءها وجملها بأروع الزينات، وهي مبنية فوق سبعة جبال، وبنى بين جبل وآخر ميناء للسفن، له برجان حصينان، وكل برجين مرتبطان بسلسلة حديدية لمنع السفن من الدخول والخروج دون اذن، ويحيطها البحر من ثلاث جهات. وبنى سورا عظيما بعيدا عنها نوعا ما يربط بين البحرين ويدعى مقرمنطوس اي السور الطويل، وتمتد بينه وبين المدينة بقاع فسيحة. أما عرض المدينة من البحر الى البحر من جهة الشرق فأربعة أميال، وان عمق البحر هناك لا يُسبر غوره. وكان تأسيس بيزنطية في السنة الـ ١٢ لمنسى. وبعد ٩٧٠ سنة تم تجديدها على يد قسطنطين ودعاها باسمه "قسطنطينية".

فصل

في عمر أمير المسلمين الذي حقد على المسيحيين، وموته العاجل، وخليفته يزيد. ولاون ملك الروم، ودخول ماري الى انطاكية وموته ورسامة اثناسيوس

سنة ١٠٢٩ ي حدث زلزال عنيف.. وسنة ١٠٣١ اجتاح جراد في موسم القطاف فأتى على الكروم والتين والزيتون، حتى يبست أشجارها وأجهز الجراد على ثمارها، فنقصت الخمر في كل مكان.. في هذه الفترة احتال رجل سوري على اليهود مدعيا بأنه المسيح، فيما قال لآخرين انه رسول من قبل المسيح فجمع مالا وفيرا. لكنه اعترف بجريمته أمام الحاكم.. وفي سنة ١٠٣٢ نفسها جفت الينابيع وشحت الانهار لقلة الامطار والثلوج. فاشتد الضيق على الناس في عدة مناطق حتى اضطروا الى قطع مسافة سبعة أميال لاستقاء الماء، وقد شغرت عدة أماكن من السكان، وشحت الغلال. حدث هذا في شهري آب وأيلول. وفي شهر نيسان ايضا.. وفي السنة التالية اجتاح جراد وأتى على الغلال فشح الغذاء، مما زاد في محنة الناس والبهائم. وسنة ١٠٣٦ تفشى وباء الطاعون في عدة مناطق وبخاصة في بين النهرين.. في هذه الفترة أمر لاون ملك الروم اسوة بأمير المسلمين، برفع الصور من الحيطان، وانزل الصور المعلقة في الكنائس والبيوت، سواء كانت صور القديسين أم صور الملوك وغيرها. وسبّب هذا الاجراء فتنة في المملكة، اذ قاوم الكثيرون الملك جهارا.

منذ توليه الحكم، أخذ عمر يسيء الى المسيحيين، لسببين:

أولا: رغبته في تعظيم الشريعة الاسلامية، **وثانيا:** لفشل المسلمين في احتلال القسطنطينية ومقتل عدد كبير منهم، الأمر الذي أثار حفيظته فضادد المسيحيين من كل النواحي، وغار على نشر تعاليمهم معتقدا بأنه يتقي الله ويحيد عن الشر، لكنه كان يشدد الخناق على المسيحيين ليكرههم على اعتناق الاسلام. فأصدر قرارا يقضي بإعفاء من الجزية كل مسيحي

يعتنق الاسلام، فأسلم الكثيرون. كما قرر عدم قبول شهادة المسيحي على المسلم، وعدم تولية مسيحي في أي مجال. كما منع المسيحيين من رفع أصواتهم في الصلاة، ومن لبس الاخضر وركوب حصان مسرج. واذا قتل مسلم مسيحيا لا يحكم بالقتل بل يدفع ديّته خمسةآلاف درهم. ومنع تقديم النذور للأديرة والرهبنات، لا بل صادر قسما من أملاك الكنائس والاديرة والفقراء، وامر بألاّ يشرب المسلمون خمرا أو شرابا.

تمرد يزيد بن مهلّب:

توفي عمر في شباط سنة ١٠٣٤ وخلفه يزيد مدة أربع سنوات. وقام في منطقة قنسرين كل من الرؤساء: بعد مرداد فوروت، وبعده نادر، ثم محمد ثم ليث.. لقد تمرد على يزيد رجل مسلم من الحيرة اسمه ايضا يزيد بن مهلب، وجذب اليه كل مسلمي الحيرة والكوفة وبصرة وكافة المناطق الفارسية، فأرسل يزيد بن عبد الملك لمحاربته جيشا من الغرب والجزيرة والموصل، فاشتبك معه في قتال الى الغرب من بابل فهزم ابن مهلب، ثم قتل وتشرد أتباعه.. أصدر يزيد أمير المسلمين أمرا بإزالة جميع الصور والتماثيل، سواء صور البشر أم الحيوانات: من الكنائس والمباني والحيطان، ومن الخشب والحجر حتى الرسوم التي في الكتب.. في هذه الفترة احتل المسلمون حصن شيزا المنيع في منطقة قيليقيا.. أثار لاون ملك الروم اضطهادا ضد الذين يخالفونه في العقيدة ويقطنون بلاده، فهرب عدد كبير الى بلاد العرب المسلمين.. لقد تنصر جماعة من اليهود واقتبلوا المعمودية وسُموا ناوفيطس أي المدنيين الجدد. وفي سنة ١٠٣٧ توفي يزيد الذي دام حكمه أربع سنوات ونصف، وخلفه هاشم وهو الخليفة الـ ١٣ للمسلمين، لمدة ١٩ سنة. وما ان تسلم زمام الحكم حتى أخذ هو الآخر يثقل على الناس بالضرائب الباهظة، وشق ترعا من نهر الفرات شمال قالينيقوس لري الزروع والبساتين، فكان دخلها أكثر من الضرائب ولرسوم المفروضة في بلاده. في هذه السنة حمل المسلمون على نيوقيصرية بنطس واحتلوها ودمروها كليا. وفي السنة نفسها دخل

المسلمون بلاد الاتراك بقيادة ثمانية من الرؤساء وقادة الجيش، فاحتلوا مدينة كبيرة وغنموا غنائم وفيرة ونهبوا ثم قفلوا راجعين.

سنة ١٠٢١ ي وهي السنة الاولى ليزيد، دخل البطريرك ايليا خليفة يوليان —وكان سابقا اسقفا على مدينة اوفاميا— انطاكية باحتفال صحبة رهبان واكليروس، وكرس هناك كنيسة جديدة شيدت بهمته. وتم هذا بعد ٢٣٠ سنة من مغادرة البطريرك مار سويريوس إياها، اذ لم يدخلها بطريرك ارثوذكسي منذ ذلك الحين حتى دخلها مار ايليا في عهد المسلمين. وفي السنة التالية اي سنة ١٠٣٣ كرس مار ايليا كنيسة أخرى في قرية سرمد أقلونا في كورة انطاكية، وقد تحمل المؤمنون فيها كثيرا من الضيق من قبل الخلقيدونيين الهراطقة الاشرار. وفي سنة ١٠٣٥ توفي الطوباوي البطريرك مار ايليا ودفن في ديره، وحلت وفاته في ٢٧ تشرين الاول. خدم الاسقفية ١٤ سنة، والبطريركية ١٤ سنة ايضا، وعاش زهاء ٨٢ سنة. ليكن ذكره للبركة.

في نيسان ١٠٣٦ ي رسم مار اثناسيوس للكرسي الانطاكي، وكان رئيس دير الجب الخارجي. وفي شباط تلك السنة توفي الانبا جورجي اسقف العرب. وفي سنة ١٠٣٧ اتحد البطريرك مار اثناسيوس مع الارمن بوساطة ايوانيس.

فصل
في الاتحاد الذي حققه البطريرك اثناسيوس وايوانيس جاثليق الارمن. وانتشار هرطقة مكسيموس وإلغاء الاسطراتجيون (عبارة: يا من صلبت لاجلنا)

ولئن تحدثوا عن كيفية ادخال قسطنطين بدعة مكسيموس الى كنائس الروم، بعد ان أبعدها والده قسطس، فاننا ان نتحدث هنا عن الشقاق الذي حدث بينهم بسبب هذه البدعة. والذي أدّى الى إلغاء عبارة "يا من صلبت لاجلنا". ففي الوقت الذي كانت مناطق الروم متمسكة بهذه العقيدة منذ عهد قسطنطين، رفضتها سورية، لكن الآن انتشرت بفضل السبئيين المسبيين الذين رافقوا جيوش المسلمين واستقروا في سورية، فقد أفسدتهم هذه العقيدة .... أي دولة الروم المتحضرين وأساقفتهم وزعمائهم، ومنهم سرجي بن منصور الذي ضغط على المؤمنين في دمشق وحمص، ليس فقط ليحذفوا عبارة "يا من صلبت لاجلنا" من التقاديس الثلاثة، بل ليجذب العديد منا الى هرطقته، وقد تدنس بهذه الهرطقة كل من كرسي اورشليم وانطاكية والرها وغيرها من المدن التي كانت تحت نفوذ الخلقيدونيين منذ عهد الملك هرقل ورهبان مار مارون وأساقفة ديرهم. وان قلة من الناس فقط رفضوا هذه العقيدة، ولكن معظم المثقفين والاساقفة قبلوها. وبالرغم من الحرومات والنزاعات لم يتوقف جدال الخلقيدونيين، وهم جماعة من دير مارون معيّرين المكسيموسيين ومتهمين إياهم بالنسطرة وبكونهم اخوانا للوثنيين واليهود، ولا يعترفون بأن المسيح هو اله وقد ولد من عذراء وتألم وصلب بالجسد، بل انه مجرد انسان بسيط واقنوم خاص وهو بعيد عن الله، وانه يخشى الموت ويرتعد منه، لذا صرخ "يا أبتاه لو أمكن لتعبر عني هذه الكأس، لكن ليس بحسب مشيئتي بل مشيئتك". وكأن مشيئة الله الآب شيء ومشيئة الابن شيء آخر، أي مشيئتان للمسيح تناهض الواحدة الاخرى وتتصارعان كأنهما عدوتان. أما المكسيموسيون فكانوا يعيرون جماعة مارون بقولهم: انكم لا تعتقدون بحسب ما حدده مجمع خلقيدونية وطومس

لاون اي بطبيعتين للسيد المسيح اللتين تحتفظان بخصائصهما وفعلهما في المسيح دون نقصان. فمن الطبيعي ان تكون هناك مشيئتان وفعلان متميزان، لكنكم تعتقدون مثل كيرلس وسويريوس اللذين يقولان بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة للمسيح، وان فعله وسلطانه وأمره واحد. ويسمونهم الساويريوسيين اليعاقبة مؤلمي اللاهوت". وقد أجاد أولئك بقولهم عن هؤلاء، اذا كان للمسيح طبيعتان تحتفظ كل منهما بخصائصها وفعلها بحسب طومس لاون، وتحديد مجمع خلقيدونية، فلا بد اذن من ان يكون له مشيئتان وفعلان واقنومان فاعلان وآمران، أي ابنين ومسيحين. ومن العدالة الا يحدث خلاف بين المكسيموسيين والخلقيدونيين في ما يخص العقيدة، لان جميعهم يأخذون بعقيدة لاون ومجمع خلقيدونية.

ولما انقسم أبناء حلب قسمين، أحدهما مع اسقفهم الذي أخذ بعقيدة جماعة مارون، والاخر مع المكسيموسيين، اختلفوا بشأن الكنيسة التي كان قد شيدها اقاق اسقف حلب. حيث طالب بها كل من الفريقين، وكثيرا ما تبادلوا الضرب داخل الكنيسة. وأخيرا أمر القائد ان يختص كل فريق بنصف الكنيسة ووضع حاجزا في الوسط. فأصاب الاسقف وجماعة مارون، الجهة الشرقية، والمكسيموسيين، الجهة الغربية، وقطعوا الكنيسة بألواح خشبية واقاموا مذبحا آخر خشبيا نحو الغرب. وهكذا صار في الكنيسة جماعتان، تحاول كل منهما رفع صوتها أكثر للتشويش على الاخرى. وكثيرا ما رموا قرابين بعضهم وكسروا الصلبان. لا بل أمسكوا بلحية الاسقف دون خجل وبصقوا في وجهه. وقد تجاسرت نساؤهم ودخلن الى المذبح وأمسكن بالكهنة وأخرجنهم خارج الكنيسة. واذ رأى القائد ان تقسيم الكنيسة لم يقض على الشغب، أمر برفع الحاجز من وسط الكنيسة وإلزام الجميع بالخضوع للاسقف تحت التهديد بعقاب من لا ينفذ أمره وحلق رأسه ولحيته. ومع ذلك فلم يرضخ الكثيرون فعُذبوا وحلقت لحاهم. ثم أمر ان يقدم الذبيحة كل يوم كاهنان، واحد من كل جانب، وكل يناول جماعته، فامتثلوا لهذا الامر، واجروا ما لم يجر من قبل حيث قدم الذبيحة كاهنان سوية وعلى مذبح واحد بكأسين وصينيتين. ولكي لا

يضرب أحدهم الآخر، عين القائد رجالا مسلمين ليجلسوا على القسطروم وبأيديهم سياط. فخجل الحلبيون وشعروا بالذنب وطردوا الفريقين من الكنيسة، واتحدوا على عقيدة مكسيموس.

جماعة الرهبان الممسوسين:

ابك يا جبل ساسون على ايمان غريغوريوس الفرثي الذي يعتنقه الارمن، وهو نفس ايماننا. لاننا لم نهتم به لا نحن ولا هم بعد الانشقاق الخلقيدوني، بسبب تمسكنا بتقاليد بالية والاهمال الذي يشوش الامور. ذلك ان رهبانا ممسوسين في منطقة ميافرقاط المجاورة للجبل، كانوا يزورون جاثليق الارمن كلما مات اسقف الجبل، ويقولون: نحن على ايمان غريغوريوس، وليس في الجزيرة من هم على ايمان الارمن سوى الذين في ديرهم في جبل ساسون. فيصدقهم ويرسم مرشحهم اسقفاً، ويوجه رسالة الى الساسونيين الذين كانوا يقبلونه لغباوتهم. وفي هذه الاثناء توجه قسيس من منطقة ميافرقين يدعى عبد الاحد، الى حيان التنوخي، فكتب وإياه رسالة الى الجاثليق ايوانيس يقول فيها: ان الممسوسين يقاومون الايمان القويم لانهم من أتباع يوليان الخيالي، فارتعب ايوانيس واستغرب من وقاحة هؤلاء، فكتب الى البطريرك اثناسيوس مستفسرا عن إيمانه وحاثا إياه على تحقيق اتحاد بين السريان والارمن، وتبودلت من ثم عدة رسائل بين الطرفين، ولم يكل ذلك القسيس أو يمل من إيصال الرسائل من البطريرك الى الجاثليق والاساقفة.................. وكان جبرائيل رئيس دير الممسوسين يقول للأرمن ان السريان يعتقدون بأن جسد المسيح قابل للفساد مثل سويريوس ويعقوب، وقد ساور الشك الارمن لانهم لم يعرفوا سوى نوع واحد من الفساد. وبعد جهود القس المكثفة، حرك الله قلبي البطريرك اثناسيوس والجاثليق ايوانيس ليعقدا مجمعا، فاتفقا ان يعقد المجمع في أرزون. غير ان قائد جيش الارمن منعهم من المغادرة، فأرسل البطريرك ستة أساقفة الى الجاثليق. ففرح الجاثليق وجمع أساقفته، واستدعى جبرائيل وبدأوا الحوار. ولما اتضح لهم ان جبرائيل هو تلميذ

يوليان، طلبوا اليه ان يحرمه فامتنع، فقطعوا هراره وطردوه بحسب تقليدهم. وفيما كانوا يواصلون مناقشة موضوع الفساد، بث ذلك اللعين جبرائيل في مسامعهم، ان السريان يعتقدون بفساد جسد الرب، وحيث انهم لا يعرفون فسادا سوى الذي حدث للجسد بعد انفصاله من النفس، لذا تضايقوا ونفروا. فقدم لهم الاساقفة براهين من الكتب والطبيعة، غير انهم لم يرضوا بغير شهادات من العهدين القديم والجديد تبرهن على ان الفساد طال جسد الرب. وكان اثناسيوس مهتما جدا بموضوع الاتحاد، ويرغب في ان يتم على يده، وكان أكثر خبرة في الكتب. فقد طرح الاساقفة قول بولس الوارد في أعمال الرسل "ان الله أقامه من بين الاموات وسوف لن يرى فسادا بعد". فإن كلمة "سوف": تشير الى انه طرأ عليه فساد مرة واحدة، ولا يمكن ان تتكرر لانه قام بجسد غير قابل للألم والفساد، الأمر الذي ننتظره نحن ايضا عندما يتغير جسد تواضعنا الى شبه جسد مجده. ولما فتحوا سفر أعمال الرسل باللغة الارمنية وجدوا الآية كما قيلت دون زيادة او نقصان. ففرح الجاثليق، وسأل أساقفته عن رأيهم في عبارة "سوف لن يرى فسادا". فلم يجيبوا، وأذعنوا لما جاء في الكتاب. وأعادوا صياغة العبارات العقيدية التي كانت بحاجة الى ايضاح، بشكل يرضي الطرفين، السريان والارمن. وقد تنازلوا بعض الشيء، لئلا يعودوا الى الوراء. وأقروا: ان كل ما لا يمس الحق، يدحض تعليم الهراطقة. وعلى هذه الصورة حققوا الاتحاد فيما بينهم، فقدم أولا الذبيحة الاساقفة السريان وتناول منهم الارمن، ثم قدم الارمن الذبيحة وتناول منهم السريان، وقد أكدوا اتحادهم بالايمان الواحد ودونوه في وثيقة وقعوها وختموها بحسب إرشاد الروح القدس. ووضعوا نسخة الوثيقة المكتوبة بالسريانية لدى الارمن، والنسخة المكتوبة بالارمنية لدى السريان. كان الجاثليق متميزا بالعلم وأعمال الرحمة والسيرة العفيفة، ونظرا الى قداسته، حظي بحب الجميع، وكانوا يرحبون به وكأنه ملاك.

ـ صورة الوثيقة التي كتبها الارمن والسريان لدى اتحادهم ـ

سنة ١٠٣٧ ي والـ ١٣٥ بحسب التقويم الارمني، وصلتم عندي أنا مار ايوانيس جاثليق أرمينيا الكبرى، أيها الاساقفة المدونة أسماؤهم هنا، والقادمون من سورية بأمر البطريرك الانطاكي مار اثناسيوس: قسطنطين اسقف الرها، سمعان اسقف حران، ثاودور اسقف جرمانيقي، اثناسيوس اسقف ميافرقاط، سمعان اسقف دارا. بهدف تحقيق الاتحاد بيننا وبينكم اي بين سورية وأرمينيا. وقد طلبنا اليكم بموجب القانون ان تحددوا لنا ايمانكم، فكتبتم ذلك وسلمتموه الينا، فأمرنا بعقد مجمع الاساقفة، أساقفة قيليقيا افسس، في قرية محسر. وقد وصلنا هناك بأمر الله والروح القدس، أنا ايوانيس جاثليق أرمينيا الكبرى والاساقفة الذين معي، أولهم: حلفى اسقف أركيوس، وثاودورس اسقف أرمين، اسحق اسقف مامسمين في آسيا، سرجيس اسقف ديطفيس، ثاوديوس اسقف خاريقانيس، وثاودورس اسقف شمانيس، وغريغوريوس اسقف شرونيس، وخوزون اسقف اسيكوجين، وهابيل اسقف مطونيس، وداود اسقف ارشطلونيس، ويوسف اسقف ارمنيقيس، وغريغور اسقف ونيد، نرقيسوس اسقف كركرنيس، شاهي اسقف كولون، ايوانيس اسقف غنينيس، جاورجي اسقف دوطاقي، يوسف اسقف قرطونيس، ميخائيل اسقف كوناد، أرميا اسقف بانوس، سلمون اسقف مارينا، جبرائيل اسقف خرزون، القس كسرى ملفان أرمينيا، وداود اسقف سوفري، وسليمان رئيس دير مغنيس، وروفائيل رئيس الدير. والملفان سامان، الخوري نونيس، غريغوريوس اسقف طورون، وسهاك خوري مطنيس، وسرجيس اسقف سانسنيا، مع بقية الكهنة والرهبان الذين حضروا المجمع، والذين لا حاجة لتدوين أسمائهم، وكذلك حضر الشريف حكيم ابن ابو حكيم.

ولدى مناقشة رسالة الايمان التي وجهتموها الينا، وجدنا الايمان حقيقيا ولا يختلف بشيء عن ايمان الرسل القديسين والآباء الارثوذكسيين، فقبلنا صورة الايمان المدونة في رسالتكم الينا. وقد طلبتم بدوركم ان نقدم

لكم صورة ايماننا مكتوبة. وهذا واجب، لذا كتبنا اليكم الاتي: "نؤمن بالآب والابن والروح القدس، طبيعة واحدة للاهوت، ثلاثة أقانيم وثلاثة أشخاص وان الآب هو مصدر الابن والروح القدس، بالولادة بالنسبة الى الابن، وبالانبثاق بالنسبة الى الروح. ونحن لا نقول ان الثالوث الاقدس هو اقنوم واحد وشخص واحد، لان اللاهوت هو طبيعة واحدة، ولا يجب ان نقول ثلاث طبائع متميزة للثالوث الاقدس، لكونه ثلاثة أقانيم كاملة، بل طبيعة واحدة. قوة واحدة، مشيئة واحدة، فعل طبيعي واحد، للآب والابن والروح القدس، ونؤمن بان الله الكلمة ابن الله الوحيد، نزل وحلّ في أحشاء العذراء القديسة الطاهرة، وصار منها انسانا كاملا، أي أنه أخذ منا جسدا ونفسا وعقلا دون ان يتغير عما هو عليه كما قال: "اني انا هو"، لكنه اتحد اتحادا لا انفصال فيه ولا تغيير. وحيث انه الله الكلمة، وهو لأبيه، وجد محبولا به في أحشاء البتول، وولد منها دون ان يثلم الختم البتولي، لذا ندعوها والدة الله، لان المولود منها هو اله حق، اتحد بالجسد اقنوميا وتأنس، وهو واحد في اللاهوت والناسوت، ابن واحد، رب واحد، اقنوم واحد، مسيح واحد، طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد. ونؤمن بان كلمة الله صنع المعجزات كآله، واحتمل الامور البشرية كإنسان، لأنه آله تام وانسان تام. وهو كلمة الله المتانس، أخذ كل الامور البشرية مثلنا ما عدا الخطيئة، وصنع المعجزات الهيا، وكان ينمو في القامة الجسدية مثلنا. وهو كامل بلاهوته، ومكمل كل الامور الخارجية كآله. فقد جاع وعطش كإنسان، وهو الذي يروي جميع العطاش، تعب من السير في الطريق، ونام كإنسان دون ان ينعس كآله الذي يحفظ (اسرائيل) في عين يقظى. وتألم ومات بالجسد القابل للآلام حقا وهو بطبيعته كآله أسمى من الآلام. وقام بعد ثلاثة أيام بالجسد الذي ولد فيه من العذراء، ولكن دون ان يخضع للفساد أو الموت، صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو عتيد ان يأتي بذاك الجسد ليدين الأحياء والاموات، ذاك الذي لا نهاية لملكه". هذا هو الايمان الذي قبلناه من الرب والرسل والآباء، وبحسب ما سلمته إيانا المجامع الثلاثة في نيقية والقسطنطينية وافسس.

ـ الحرومات التي وضعت في هذا المجمع ـ

١- من لا يعترف بأن الثالوث الاقدس المساوي في الجوهر، هو طبيعة واحدة، ولاهوت واحد وثلاثة أقانيم وثلاثة أشخاص مسجود لهم، وهم متساوون وكاملون، ليكن محروما.

٢- من لا يعترف بأن كلمة الله المتجسد حقا من العذراء القديسة، اتخذ له جسدا مخلوقا ومنتهيا او بعبارة أخرى، اتخذ جسدا ونفسا وعقلا، بل يقول ان المسيح ظهر بصورة خيالية لا حقيقية، ليكن محروما.

٣- من يقول ان كلمة الله لم يتخذ جسدا مائتا وخاضعا للخطيئة والفساد، بل اتخذ جسدا مثل جسد آدم قبل السقوط، الذي كان غير قابل للموت بالنعمة، وغير قابل للخطيئة والفساد، ليكن محروما.

٤- من لا يعترف بطبيعة واحدة للاهوت والناسوت، أي للمسيح المتحد من اللاهوت والناسوت بطريقة سامية تفوق الادراك دون امتزاج الاثنين او انقسامهما، ودون تبلبل، ليكن محروما.

٥- من لا يعترف بأن المسيح واحد، هو اله وهو انسان، بل يقسمه ويقول، ان الله شيء والانسان شيء آخر، ليكن محروما.

٦- كل من لا يقول ان جسد المسيح قابل للفساد وغير ممجد أو تام منذ الاتحاد، بل يقول، انه قابل للفساد وغير ممجد منذ ان كان في الاحشاء وحتى القيامة، بخلاف ما يقوله الانبياء والرسل والآباء والملافنة، بأنه أصبح غير قابل للفساد وممجد وتام اعتبارا من بعد القيامة، ليكن محروما.

٧- من لا يعترف بأن جسد المسيح الشخصي هو قابل للآلام والموت بطبعه، وغير مائت أو متألم من حيث انه آله، بل يقول: انه متألم ومائت بحسب الطبيعة الآلهية، وغير متألم أو مائت بحسب الطبيعة البشرية، ليكن محروما.

٨- من لا يعترف ان المسيح احتمل بالجسد الآلام البشرية ما خلا الخطيئة بل يقول، ان الآلام طالت اللاهوت، او يقول ان جسده لم

يشترك بالآلام البشرية، وان الجسد القابل للفساد احتمل هذه الآلام، ليكن محروما.

٩- من لا يعترف بأن المسيح احتمل الآلام بشكل غير قابل للفساد، أو ينسب الفساد الى الآلام، ولا يقول كما قال الانبياء والرسل والآباء الارثوذكسيون، ليكن محروما.

١٠- نحرم جميع البدع وما وضع فيها من كتب.. فلان وفلان... ونقبل الآباء القديسين.

لقد كتبنا هذه وسلمناها اليكم أيها الاخوة، تأكيدا وحفاظا منا على الاتحاد الذي بيننا، انتم الذين تمثلون سورية بأسرها، من الاساقفة والخوارنة والكهنة المدونة أسماؤهم اعلاه، ونحن الذين نمثل أرمينيا بأسرها، قد كتبنا هذا أمام الله الحي والمحيي وملائكته القديسين، ليكون ختما وموطدا للايمان، أعني الاتحاد الذي بيننا وبينكم حتى نهاية العالم. واذا اقتنعنا بكل ما صار، وقفنا وختمنا بيانا للحقيقة.

فصل
في موت لاون ملك الارمن. وفي هاشم أمير المسلمين. وايوانيس جاثليق الارمن واثناسيوس بطريرك انطاكية والكسندروس بطريرك الاسكندرية. وفي رجل وقح يدعى بشير

في السنة التي تلت الاتحاد الذي تم بين السريان والارمن، توفي ايوانيس جاثليق الارمن سنة ١٠٣٨ ي، كما توفي في السنة نفسها الكسندروس بطريرك الاسكندرية، وخلفه قوزما، فعاش مدة قصيرة ورحل عن الدنيا. وفي سنة ١٠٣٧ توفي دنحا جاثليق تكريت، وفيها أيضا توفي مار اثناسيوس البطريرك الانطاكي، فأقام الاساقفة، الاسقف حورت من دير اوسيبونا بطريركا لهم، وحضر انتخاب البطريرك مع البقية، اثناسيوس اسقف ميافرقاط.

هنا ابتدأت عادة إلقاء القرعة في كنيستنا. ذلك أن خلافا حدث بين الاساقفة لدى اجتماعهم لإقامة بطريرك، واتفقوا أخيرا ان يختاروا ثلاثة ويلقوا عليهم القرعة. وحيث ان اثناسيوس النعال اسقف ميافرقاط، كان شيخا ومعتمدا عليه، كلفه الاساقفة بالقيام بعملية الاقتراع، فكتب أسماء الاشخاص الثلاثة المرشحين من قبل الاساقفة ووضعها على المذبح، لكنه لم يكتب ثلاثة أسماء كما ظن الاساقفة، بل اسما واحدا هو اسم ايوانيس، ولم يعترض الاساقفة لانهم ائتمنوه. ووافقوا على وضعها على المذبح المقدس، واستدعي شخص لا علم له بالموضوع وسحب ورقة، واشترط على الجميع ان يقبلوا من يفوز بالقرعة. وهذا ما فعلوه. فلما فاز ايوانيس قبله جميع الاساقفة. اما اثناسيوس فلم يوافق لانه كان عارفا بالخدعة، أو ربما هي صدفة. فأعادوا وضع الاسماء على المذبح، واستدعي شخص آخر وسحب نفس الاسم، وأعيدت السحبة ثلاث مرات، حتى قال الجميع، انها اصبع الله. وقال البطريرك ديونيسيوس ليس هذا من صنع النعال، بل هي العناية الالهية، ان يفوز نفس الاسم ثلاث مرات. فان الله لا يدع

الحيل ان تفعل في شؤون مثل هذه الاسرار الالهية، اذ لا يسقط عصفور واحد في الفخ دون إشارة منه.

سنة ١٠٣٨ تمرد بعضهم في مصر على حاكم المسلمين، فهجم عليهم جمع غفير من المسلمين وقتلوا عددا كبيرا من المصريين، أما الناجون فهربوا في السفن عن طريق البحر. وفي سنة ١٠٣٩ دخل مسيلمة على رأس جيش لجب بلاد الاتراك، فنشبت حرب مدة أربعين يوما، واذ رأى المسلمون انهم لا يفلحون مع الاتراك، تركوا تجهيزاتهم وهربوا.

في هذه الفترة، أخذ الاتراك يوجهون أنظارهم خارج بلادهم. ففي سنة ١٠٤٢ خرج الاتراك الى أردوجين وهي من بلاد المسلمين، واحتلوا عدة قرى ومدن، فاعترضهم القائد مسيلمة بجيش جرار، فقتل الآلاف من الجانبين، فتوقف الاتراك عن زحفهم واحتلالهم المدن الواقعة تحت سيطرة المسلمين، لكنهم ثبتوا أقدامهم في المدن التي احتلوها، وعقدوا صلحا مع المسلمين، ثم تغلغل المسلمون في مناطق الروم بقيادة معاوية بن عبد الملك، فاتجهوا نحو مدينة غنغرا، فهرب سكانها أمام جيوش المسلمين، فدكّ المسلمون أسوارها ودمروها تدميرا كاملا، ثم حاصروا مدينة نيقية، وبعد أربعين يوما من القتال، دمروا أسوارها، فهرب الروم بالسفن فاحتلها المسلمون، ودمروها.. في هذه السنة، اصدر هاشم أمير المسلمين أمرا بقتل جميع الاسرى الروم الذين في قبضة المسلمين، لانه سمع ان لاون قتل الاسرى المسلمين. لكن هذا لم يكن صحيحا.. حدث خلاف بخصوص اعتبار اسطاثاوس وجماعته الذين استشهدوا في حران، شهداء أم لا.

لقد زوج الملك لاون ابنه قسطنطين من ابنة خاجين ملك الخزر، فعمدوها أولا، ومن ثم وضع التاج على رأس ابنه ونودي به ملكا، وبارك اكليله بطريركهم جرمانيقوس. وفي تلك السنة دخل معاوية بن هاشم

أراضي الروم، واحتل حصن كرسينون في قبادوقيا. ووفي سنة ١٠٥٣ توفي لاون بعد ان حكم ٢٤ سنة، فخلفه في الحكم ابنه قسطنطين، وبعد فترة تمرد عليه ارنيكوس صهر الملك، فدخل القسطنطينية وجلس في البلاط، وكان قسطنطين خارج المدينة، فهرب والتجأ الى الانطوليقيين فوعدوا بمساعدته فرافقهم الى امورين مدينة الفريجيين حيث شتّى هناك، فألب ارتيكوس جيشا لمحاربته لكنه هزم فهرب وانضم جيشه الى الملك. وفي سنة ١٠٥٦ توفي هاشم أمير المسلمين بعد حكم دام ١٩ سنة، فتسلم الحكم وليد بن يزيد، فأساء معاملة عشيرة هاشم ونهب بيوتهم، وعين عباس بن وليد الملك، حاكما، الذي حاول اغتصاب الملك لما شاهده من ثراء الدولة، فاتهم الوليد بشتى المعايب السمجة بقصد جذب الزعماء اليه. أما الملك فكان واثقا منه وثوقه من نفسه. وفيما كان الوليد خارجا، حاول عباس ان يتسلم السلطة، فلم يرض المسلمون لانه كان ابن جارية، في حين كانوا يكرهون الوليد لمعاقرته الخمرة وارتكابه مختلف المنكرات. لذا بايعوا أخاه في البرية، فباغتوه وقبضوا عليه وقطعوا رأسه ووضعوه على راس رمح وأدخلوه الى دمشق وقد وضع الى جانبه ابريق خمر.

لقد طالب البعض بالحكم، وبينهم أفراد من العائلة الحاكمة، وتوصلوا اليه بعد حروب طاحنة. وحاول كل منهم سحب الجيش الى جانبه. وفي الغرب وجد شخص يدعى يزيد هو اساس الشر، وآخر يدعى سكسي، وآخر سليمان بن هاشم. وقام في الجزيرة رجل يدعى بسطم ينتمي الى شيعة (بهائي)؟. وفي الموصل كان سعيد بن بهديل زعيم الشيعة المعروفة بـ "المرجية". أما في فارس فحكم واسيط عبد الملك بن عمر الملك. وفي ارمينيا كان حرون وابن سرجي في خرسان وأبو دهبل في افريقيا. ولما كثرت مثل هذه الاضطرابات بين المسلمين، اضطربت امورهم ايضا، وسادت الفوضى في كل المجالات والمناطق، وبعد خمسة أشهر من حكم يزيد أصابه ورم حاد في رأسه فمات، فخلفه أخوه ابراهيم، وهو رجل لطيف ووديع وذو حسنات كثيرة. لكنه توفي بعد ايام قليلة.

سنة ١٠٤٨ ظهر في برغامس آسيا رجل روماني الاصل، وظاهره مسلم يدعى بشير، ذهب لدى شخص رومي في حران وأطلعه على خدعة راودته، وطلب اليه ان يوشي به أمام سليمان وظن انه قد حصل على شيء هام، وأقسم لذلك الرومي واسمه ناوفنطس ان يجزل له المكافأة اذا ما سلم اليه طيبريوس هذا (المزيف). ولما أسلمه أخذ طيبريوس المزيف ينكر بعد أن لاحظ انه أخذ الموضوع بصورة جدية، وأخيرا قال: نعم أنا هو. فأخبر سليمان والده هاشم بأمره. فأراد هاشم ان يرفع من شأن ابنه أمام المسلمين على اعتبار انه اكتشف ابن ملك الروم، فأمر ان يعطى ثيابا ملكية ويؤتى به اليه. فتظاهر طيبريوس المزيف بأنه مسيحي، ولما دخل الرها تجاسر هذا الوقح ودخل المذبح وأخذ القربان بيده من مائدة الحياة كما هي العادة لدى ملوك الروم، ثم اجتاز في بقية المدن. ولما بلغ بين النهرين، أثار اضطرابا عظيما بين الروم، حتى خاف لاون نفسه، أما الذين ألفوه فقالوا انه صار وثنيا. وكان يطلب الى اليهود ان يتنبأوا له، عن طريق السحر، كما طلب الى زعيم العرافين ان يخبره الى اين سينتهي به المصير.

في صبيحة يوم الاحد من تشرين الثاني ١٠٤٠ حدثت هزة أرضية عنيفة، كما تفشى وباء الطاعون. وفي سنة ١٠٥٠ حدثت هزة أرضية في القسطنطينية، فانهار معظمها. وسقط مطر في آذار هذه السنة، حتى قيل ان كل ميازيب السماء قد انفتحت ليلا ونهارا، وتجمعت المياه حول الرها، وانهارت أسوارها، وفتحت الأبواب الشرقية بفعل قوة الفيضان، وأوشكت المدينة على الهلاك.

فصل

في ملك قسطنطين بن لاون، يوم كانت دولة العرب منقسمة. وقيام بطريرك للخلقيدونيين في سورية بأمر أمير المسلمين. والنزاع الذي نشب بين الاساقفة الارثوذكسيين والبطريرك

بعد عودة الأمير مروان الى حران، زاره البطريرك ايوانيس ومعه خمسون جملا محملا بالهدايا، فاستقبله بحفاوة وأعطاه فرمانا يخوله صلاحية إدارة كل الشؤون الكنسية. غير ان الاساقفة، بدلا من ان يسروا بذلك، امتلأوا حسدا وغيظا وغضبا وخوفا، وأخذوا ينصبون الشراك لاصطياده. واذ كان كرسي طورعبدين قد شغر، رشح ابناء المنطقة شخصا يدعى ديونيسيوس من عملاء اثناسيوس، وطالب به آخرون كالكلاب المسعورة، بضغط من النعال، لكن داود اسقف دارا وسرجونا اسقف ماردين لم يوافقا، لان داود كان يحبذ رسامة ديونيسيوس لحران، كما مال أبناء المنطقة الى النعال، فلم يوافقوا الاساقفة، فلما ناقشهم البطريرك لاذوا بالصمت، فأدرك ان سبب خصامهم هو الحسد، فأرسل بطلب ديونيسيوس ليرسمه.

لقد تتلمذ قورا اسقف سجستان لابن سلطا الشرير من راس العين، ووضعا كتاباً مزيفا نحلاه اسم :رؤيا اخنوخ، ودسّا فيه عبارات تشير الى الامير مروان وابنه من بعده، وقدم الكتاب الى مروان بواسطة أحد المشعوذين، فقرأه وسرّ به كثيرا كطفل، وأوعز الى قورا ان يفسره، ففسره بحسب رغبة الأمير، ومن شدة فرحه، أوعز الى قورا ان يطرح عليه طلباته. فكتب قورا: "اني اسقف سجستان، وحيث ان أعداءك يكثرون هناك، فان شئت نقلتني الى طورعبدين لكونها شاغرة، ولكي أكون قريبا منك". فأرسل الامير الى البطريرك يقول: "لا ترسم اسقفا لطورعبدين حتى تتلقى أمرا مني". وهكذا انفتح هذا الباب للذئاب، فقد طالب قورا بطورعبدين، وفي وقت آخر طالب بها آباي اسقف أرزون، وأحيانا طالب بها جبرانيل وغيره وغيره. وهكذا داس الاساقفة الشرقيون الحق في سبيل

شق الكنيسة. واذ لم يكن موقفهم شرعيا، كانوا يخشون ان يحرمهم البطريرك، حيث نصّت القوانين الكنسية على ان "لا يرسم اسقف في اي مكان دون موافقة مطران الابرشية". وقد اغتاظ البطريرك لانهم ارتسموا دون علم مطرانهم. وكان قورايحرض........... لكي يقفز من كرسي الى آخر. وقد اتهم رهبان دير مار متى ظلما البطريرك برسامتهم. ولما نوقش الموضوع في مجمع عقد في مريبة ــ راس العين، ادين شهود رهبان دير مار متى مع باكوس اسقف نينوى الذي كان قد رسمهم دون موافقة المطران، وبضمنهم أيضا اسطيفان الذي رسم بتأثير السلطة، وتعهدوا بما يتفق عليه البطريرك ايوانيس واثناسيوس اسقف ميافرقاط وداود اسقف دارا وطيمثاوس اسقف الرها، وبقية اساقفة الشرق والغرب الذين بلغ عددهم الثلاثين. أما قضية قورا اسقف سجستان فتركت خوفا من السلطة في حينه، وقد أعلن البطريرك حرم قورا والمشتركين معه جهارا، علما بأن الكثيرين من أبناء المنطقة لم يشتركوا معه. وفي غمرة تخبطه، مات الطاغية الذي كان يقف الى جانبه، فالتجأ الى اثناسيوس اسقف ميافرقاط الذي كان عدوا له سابقا.

لقد اقترح بعض الاساقفة على ساويرا اسقف آمد من دير زوقنين ان يعتزل في ديره، بعد ان شاخ ونحف جسمه وقلّ نظره، في حين عارضهم آخرون. وان آباي اسقف أرزون الذي كان أبناء رعيته قد عزفوا عنه، رشى ابن مروان ليكتب الى البطريرك ليعينه لطورعبدين، غير ان أهل قرتمين حاولوا بطريقة ما ان يعين لآمد. فأعطاه البطريرك آمد. ولم يعين لطورعبدين أيٌ من جبرائيل او قورا. فلما رأى ديونيسيوس هذا، غادر دون ان يرتسم. وكان البطريرك قد قسم كرسي آمد، اثنين، أعطى خمسة أقاليم لأشعيا أسقف اشفرين، والبقية أدارها ساويرا. فانزعج الآمديون وقالوا: لا نسمح ان تتقسم منطقتنا، بل ليكن لنا اسقف واحد سواء كان ساويرا ام آباي او اي شخص آخر. وانتهى الاتفاق على شخص واحد. وحيث ان اشعيا كان تلميذا لاثناسيوس شكك في البطريرك، وبتأثيره انفصل عنه مع بعض الاساقفة، فبدأت بذلك مشاكل النعال مع

البطريرك ايوانيس، وقد احرج البطريرك ولم يعد يدري لمن يسمع، ألللأمير أم للاساقفة ام للشعب، فصار في مهب الريح، ليس بسبب الايمان، بل بسبب حب الزعامة. وقد صار اثناسيوس الذي كان يعتقد بانه طريد مخافة الله في الكنيسة، أكثر شقاء وولوعا في الشرور، واهتماما في تعكير صفو الامور، وفي المهاترات ورفع الشكاوى الدنيئة ضد البطريرك. وفي الوقت نفسه كان البطريرك في خصام مع اثناسيوس.

لقد ازداد عدد المطالبين بالسلطة في دولة العرب بعد موت يزيد وأخيه ابرايهم. فخرج مروان من منطقة ارمينيا والتقى بسليمان عند شواطئ الفرات، وقتل نحو ١٢ ألف ممن كانوا يعرفون بـ "الزوخونيين" ([illegible])، وهرب سليمان الى الرصافة، وجاء مروان الى دمشق وتسلم السلطة فيها. واستولى على الكنوز الملكية وما يعرف بـ "ذو البارع" وهو حمولة ثلاثة آلاف جمل، وجاء الى حران. فتذمر منه أبناء الغرب لانه لم يقم عندهم. وكان مروان مولعا بجمع المال، فضغط على السكان كثيرا، وأذاقهم جنده مر العذاب، من ضرب ونهب واغتصاب النساء أمام أزواجهن. وحاصر مروان حمص مدة أربعة أشهر ثم فتحها بسبب الجوع، ودكّ سورها وكسر صخورها بالمطارق كما هدم سور بعلبك، واتجه نحو منطقة آشور التي تدعى نينوى، ومنها الى بلاد الفرثيين المسماة اصفهان. كما قاد عبد الله بن علي جيشا من الخراسانيين وجاء الى شاطئ نهر آثور، فاصطدم به مروان وهو مأخوذ بروح الكبرياء، غير انه هزم وهرب فاخذ الروم بالنهب والسلب حتى قدّر ما نهبوه بسبعمائة حمل جمل ذهبا ونقودا. فعاد مروان وابنه وصهره وهو يجر أذيال الفشل، الى حران التي كان قد اتخذها مقرا لدولته.

في هذه الفترة، غادر القسطنطينية اشخيرش قائد جيش الارمن متجها الى مدينة ملطية، ونهب المنطقة كلها، واندفع معظم الروم والارمن الساكنين هناك الى منطقة الروم. اما قسطنطين فعاد الى القسطنطينية وفقأ أعين أرطاكيس الطاغية، ونجح في ادارته للدولة، وأنجب ولدا من ابنة

الملك خاجين أسماه لاون، وتم الاتفاق بين جميع مناطق الرومان لان المسلمين كانوا منهمكين بمحاربة بعضهم البعض.

ظواهر طبيعية:

سنة ١٠٥٦ ي أمر الوليد أمير المسلمين بقطع لسان البطريرك الذي أقامه الخلقيدونيون في سورية ونفيه الى اليمن.. في كانون الاول من هذه السنة حدث انجماد قاس حتى ان الانهار الكبيرة جمدت وصار من الممكن العبور عليها، وماتت الاسماك وتجمعت أكداسا على الشواطئ، وانحبس المطر فحدثت مجاعة كبرى، وتفشى وباء الطاعون، حتى ان الفلاحين صاروا يطلبون عملا لقاء خبز بطونهم، ولا يجدون مَن يستخدمهم. وحدثت هزات أرضية متتالية هنا وهناك. وفي الصحراء العربية، طمرت بعض القرى واقتربت الجبال من بعضها، وكثرت القرود في اليمن الى درجة انها أجبرت الناس على ترك بيوتهم، ونهشت بعضا منهم. وفي حزيران تلك السنة ظهرت آية في السماء، وهي عبارة عن ثلاثة أعمدة تشبه سلهبة نارية، وظهرت ثانية في ايلول ايضا. وفي السنة التالية، ظهر في السماء وفي الجهة الشمالية، ما يشبه نصف القمر، ثم انتقل ببطئ الى الجهة الجنوبية ثم عاد الى الشمال وسقط على الارض. وفي منتصف آذار تلك السنة امتلأ الجو بما يشبه غبارا ناعما كثيفا غطى كل المناطق، وفي الساعة التاسعة صار ظلام دامس حجب أشعة الشمس. وفي نهاية كانون الثاني، شوهدت شهب منتشرة في الجو، ومن كل الجهات تقاطع بعضها البعض بشدة وكأنها في قتال. كما شوهد ليلا في كبد السماء عمود نار هائل خلال هيجان الشهب، وشوهد بالقرب من "درب التبانة" نجم ضخم شبيه بالقمر استمر أربعة أيام. واعتقد الجميع بأن هذه العلامات تشير الى الحروب وسفك الدماء وتأديب البشر. وفعلا ابتدأت الضيقات وأولها وباء الطاعون الذي تفشى في كل مكان ولاسيما في الجزيرة حيث راح ضحيته خمسة آلاف نفس. أما في الغرب فلا يحصى العدد. وكان يموت في منطقة بصرى يوميا عشرون ألفا، واشتدت

المجاعة وخربت القرى وخلت، وكان اصحاب الحبوب يخلطـون فضـلات الحيوانـات مـع نـوى العنـب ويأكلونـه، ويطحنـون البلـوط ويصنعـون منـه خبزا، ويمضغون جلود الماعز والغنم، ورغم كل ذلك الغضـب الشـديد لـم يرعو الناس، فازداد الضيق حتى تابوا. وحتى مروان أمير المسلمين الذي لم يكـن يؤمـن بوجـود اللـه، أظهـر توبـة، وعمـم منشـورا فـي سـائر بـلاد المسلمين لكي يتوبوا.

وفي غمرة هذه الاحداث، حدث زلزال في دمشق استمر عدة ايام فحركها مثل اوراق الاشجار، وكان بين مبانيها حصـن شيده الحجـاج بـن يوسف وانفق عليه كثيرا، فدمر كليا وقتـل داخلـه أكـثر مـن ثمـانين نفسـا، وهلـك عـدد كبـير مـن ابنـاء المدينـة نفسـها، كمـا هلكـت آلاف عديـدة مـن الغوطة وداريا، ودمرت كليـا، كـل مـن بصـرى، وأيـوا، ودرعـا، وبعلبـك ومرجعيون (ܡܚܡܐ ܕܚܡܐ) حيث استحال الماء دما. ثم عـادت الميـاه الـى طبيعتها بعد توبـة سكانها وتقديم أدعيـة متواصلـة. وثـار فـي البحـر نـوء غريب، حتى ان الامواج ظهرت وكأنها ترتفع نحو السماء وهي تبدو كماء يغلي داخل القدر، وتصدر عنها أصوات صاخبة وكئيبـة، واندفعـت الميـاه الى اكثر من حدودها الاعتيادية فدمرت العديد من القـرى والمـدن الواقعـة على السواحل. وفي منطقة البلقاء اي مـوآب، قلعـت الميـاه أحـد الحصون الواقعة على ساحل البحر من أساسه، يسكنه مسلمون مـن اليمـن وقذفته على بعد ثلاثة أميال. ودمر هذا الزلزال مدينة طبيرية باستثناء دار شخص يدعى عيسى، ودمرت فيها ثلاثـون كنيس لليهـود. وحدثـت أمـور عجيبة، وتهدمت الحمامات المدهشة التي كان قد بناهـا سـليمان بـن داود، وكان فيها معين ماء مسـهل محـاط بأعمـال فنيـة رائعـة، ومـزود بوسـائل الراحة للذين يقصدونه للاستشفاء. وكان هناك جرار فخارية منظمة بشـكل فني، كتب على كل منها عدد المرات التي يجب ان يشرب منها مـن اجـل إسهال البطن، وكان كل واحد يختار الجرة بحسـب الكميـة التـي يحتاجهـا. لقد دمرت كل هذه الروائع. وان قرية بالقرب من جبل تابور، انجرفت من مكانها بأبنيتهـا ودورهـا واسـتقرت علـى بعـد أربعـة أميـال دون ان تسـقط

حجرة واحدة من مبانيها، او ان يموت انسان أو حيوان فيها حتى ولا ديك واحد. وان ينبوع الماء الذي بالقرب من أريحا ابتعد عن موقعه مسافة ستة أميال، وتهدمت منبج خلال إقامة القداس، وانهارت عدة كنائس كبرى، وعدة أسوار، وراح ضحيتها أعداد كبيرة. وفي القسطنطينية سقطت تماثيل وأنصاب الملوك وعدد كبير من المباني. وحدث مثل هذا في نيقية وغيرها من المدن.

في هذه الفترة، طرد قسطنطين بطريركهم جرمانوس من الكنيسة ورسم انسطاس.. وفي الفترة نفسها، أمر أمير المسلمين الخلقيدونيين فرسموا لهم صنيعته ثاوفليط بن قنبرا من حران بطريركا، فاستصدر أمرا من مروان باضطهاد الموارنة، فجاء الى دير مارون وضغط عليهم ليقبلوا بدعة مكسيموس ويُلغوا عبارة "يا من صلبت لاجلنا" فتراخى الرهبان من شدة المضايقة ووعدوا ان يذعنوا في اليوم التالي. وكان يرافقه راهب شيخ محبوب لديه. فلما دخل ذلك الراهب الى كنيستهم، ضرب يده على مائدة الحياة وقال: "ايها المذبح غدا ستتقدس". فأدركه غضب الله على الفور اذ دخله الروح الشرير وصرعه، ومات بعد ان تعذب طوال الليل، فتألم ابن قنبرا كثيرا وخاف وحاول ان يحمل الميت ويغادر، فمنعه الرهبان خشية ان يتهمهم بقتله، فسمح لهم بدفنه ورحل عنهم دون ان يكمل رغبته، وبقى الموارنة كما هم حتى اليوم يرسمون لهم بطريركا وأساقفة من ديرهم، وبعيدين عن مكسيموس لانهم يؤمنون بمشيئة واحدة للمسيح، ويستعملون عبارة "يامن صلبت لاجلنا". وفي الوقت نفسه يقبلون مجمع خلقيدونية. اما ابن قنبرا فجاء الى منبج وأقام .... حرب مع الخلقيدونيين .... الذين هناك ورفضوا القول .... مشيئتين، ولم يلغوا عبارة "يا من صلبت لاجلنا"، لذا وشى بهم عند مروان فغرمهم أربعة آلاف دينار، وحدث بينهم ما حدث في حلب. وأخيرا جاء أندريا الماروني، وشيد كنيسة للموارنة في منبج بأمر الامير وابتعد عن مكسيموس، لان أمورا سيئة وشنيعة حدثت بينهم.

فصل

يتضمن رسائل حول أحداث هذه الفترة بين البطريرك مار ايوانيس واثناسيوس النعال وبقية الاساقفة

بعد ان طرح مخافة الله جانبا، التجأ اثناسيوس النعال الى مروان أمير المسلمين، فاتهم البطريرك بجمع ١٥٠ ألف دينار من تكريت والمشرق، وبأنه لا يرسم أساقفة ما لم يرتش. وغيرها من المشاغابات والتهم، مثل معاطاته الفجور والسحر، الامور التي يتحاشى التحدث بها حتى المشعوذين بله معاطاتها. وأشاع عنه ان امرأة بزي راهبة تسكن عنده، ويمارس الزنى مع اخريات ايضا. فعقد البطريرك مجمعا في حران ودعا اليه اثناسيوس ثلاث مرات بواسطة داود اسقف دارا، ولما لم يحضر حرمه، فيما سبق داود وسرجونا اسقف ماردين وجبرائيل وحرموا قورا. والاساقفة المنشقون هم: اثناسيوس النعال اسقف ميافرقاط، وباكوس اسقف نينوى، وأتاس اسقف راس العين، وقورا واشعيا ويوحنا. أما بقية الاساقفة في الشرق والغرب فكانوا موالين للبطريرك الذي احتمل المزيد من الضيق بكل شجاعة، فزجّ في السجن وضرب، ووضعت عليه غرامة بقيمة ١٢ ألف درهم ليدفعها للأمير العاتي ولم ينثن عن العدالة، ومع كل ذلك لم يمتنع النعال عن الاساءة اليه. فقد رافق مروان الى المشرق ليقدم مزيدا من الشكاوى ضد البطريرك فمنعه الرب اذ سلب في الطريق، وعاد فاشلا وحافي القدمين. وتم فيه قول ميخا النبي لأخاب "ان انت عدت بسلام فلا يكون الرب قد تكلّم فيّ". كما انتقم الرب من الامير ايضا، حيث هزم وهرب يجرّ أذيال العار.

فلما سمع البطريرك ايوانيس ما حدث للامير والنعال، غادر الى ديره دون اذن من الامير، حيث كان قد منعه من مغادرة حران حتى يرسل اثنين من الاساقفة مع النعال ويقاضوه، ويستلموا منه المال المذكور. وكان قد التزم الهدوء حتى تستقر الامور، في حين ان الرب ضرب خصومه. فجبرائيل الذي رسمه قورا لسجستان ظاهريا

ولطور عبدين باطنيا، صار حجر عثرة له. ولكن ولئن كان قورا قد بدأ هذا الاضطراب، إلا ان الماتيين حرضوه كثيرا، وهم الذين اعتادوا ان يخلقوا اضطرابا بسبب المطارنة، كما ان ساويرا بن مشاقة خلق مثل هذا الاضطراب بواسطة سرجيس الزوقنيني الذي رسم اسقفا لاسقوبوليس، وبمؤازرة أساقفة الموصل الذين كثيرا ما تخاصموا بسبب المطران، حيث أرادوا ان يكون هذا لتكريت وغيره لنينوى كما سبق الحديث، وكان اساقفة مار متى فرسان تلك المعركة، فلم يقم بطريرك إلا وأثاروا حربا في عهده. حتى عهد يوليان الرومي الذي صمد ضدهم عندما حاربوه وأزاحهم عن كراسيهم ورسم غيرهم بدلا منهم، وأتى بدنحا التكريتي عنوة دون رغبته وأسكنه في قلعة الدير، ومن شدة قسوته دخل اليه وأمسك بخناقه ورماه أرضا وداس على رقبته وقال: انت دنحا (اشراق) لكنك ظلام، لعصيانك علي، ثم تركه في سجن مؤبد. ولما قام البطريرك ايليا أطلقه وأعاده الى كرسيه، وكان النزاع بسبب المطران قد انتهى منذ عهد البطريرك يوليان. ولم يجرؤ أحد ان يطالب: باستثناء اشعيا، حيث زادوا من الكلام والشغب وأشاعوا بأن البطريرك ايوانيس لا يرغب في السلام، في حين انه اعتزل في ديره، وعقد مجمعا لأساقفة الجزيرة في قرية ترمانه وهي تحت نفوذ قوروس، سنة ١٠٦٣ ي. وصالحوا البطريرك ايوانيس مع اثناسيوس اذ رمى النعال نفسه أمام البطريرك وهو يبكي ويطلب السماح. وبعد المصالحة عاد النعال الى نفاقه والتجأ الى عبد الله أخي الامير. فرشاه وأهاجه على البطريرك حتى استكتبه عنوة اسطاتيقون المطرنة، دون موافقته وموافقة الاساقفة الذين كان يجب ان تؤخذ موافقتهم، وعقب ذلك امر من الامير بوجوب عقد مجمع في تللا حيث نادوا به مطرانا تحت التهديد. ولما سمع المؤمنون بطغيان النعال، انشقوا عن الاساقفة الذين وافقوا واعتبروهم هراطقة، الامر الذي جعل أبناء رعية داود اسقف دارا ان يلزموه ليحرم تحريريا وبتوقيعه، ما حدث في تللا، ويحرم النعال والذين والوه، وبعد ان نفذ ذلك قبلوه.

لما رأى الاساقفة ان ابرشياتهم قد انشقت، اجتمعوا ووجهوا رسالة الى البطريرك بواسطة قسطنطين اسقف شميشاط، وأطلعوه على ما حـدث في تللا، وانهم أيدوه على الكرسي البطريركي. فلما اطلع الطوباوي علـى الاحداث، ورأى ان كرامة البطريركية قد حفظـت، ونظـرا الـى شـيخوخته وعدم رغبتـه فـي تعكير صفـو الكنيسـة، قبـل إلتمـاس الاسـاقفة فسـامحهم جميعا، وأرسل منشورا بهذا الخصوص ليُقرأ في كل مكان.

- صورة المنشور -

الى الاخوة الابرار القديسين والزملاء، داود اسقف دارا، ويوحنا اسقف قالينيقوس، وتامريقا اسقف حران وسرجونا اسقف ماردين، وطيمثاوس اسقف الرهان واسطيفان اسقف قرقسيون، وساويرا اسقف ملطية، واثناسيوس وثاودوطا، واسطيفان اسقف تللا، وابراهيم اسقف دير قوبي، ويوحنا اسقف الجزيرة، المجتمعين بمدينة تللا مع اثناسيوس الشيخ الوقور / ايوانيس الضعيف والبطريرك برحمة الله. لكم بالرب ناموس المحبة والسلام والوفاق. اطلب دائما صلواتكم المقدسة.

لقد سُرت نفسي جدا ايها الفقهاء، بأخبار السلام والمحبة والاستقرار التي حملها إلي الابن العزيز والوسيط والمبشر بالسلام، الاسقف قسطنطين الذي ائتمنوه واخترتموه ووقعتم على ان يكون ممثلكم عندنا. فقد روى لنا عن أهدافكم الآيلة الى سلام الكنيسة، وزوال الحقد والعداوة التي زرعها الشيطان بيننا. في حين لم نتفوه بشيء لئلا يؤول كلامنا تأويلا بغيضا من حيث كوننا بشرا. كما حدثنا عما أنجزتموه بروح الاخوة والمحبة من اجل سلام الكنيسة، ومحق القلاقل والاضطرابات، وهدوء النزاعات والمخاصمات. وبالرغم عن بعدي، فقد حافظتم على مكانتي وكرسي، وأوليتم اهتماما بتكريم شيخوختي كأبناء صالحين ذوي إرادة طيبة، الذين ينتظرون هم بدورهم كرامة من خلفائهم. ولان اثناسيوس لم يعد يتكل على الامير، بل خضع لرغبتكم واشتياقكم الى السلام، ولانكم طرحتم جانبا كل الامور المزعجة السابقة، لكي لا تتألموا بتذكركم إياها، وقد تعودون اليها. انا ايضا فعلت هذا، اذ وضعت المسيح ربي نصب عيني وتذكرت محبته لجنسنا البشري، وتغاضيت عن أمور لم تكن بأقل مما فعلتموه، وتركت كل شيء وقويت الروح بإعطائها ذاتي كليا، ولانكم اخترتم الصداقة المغبوطة التي خلقتموها فيما بينكم. واني بنعمة الله، أداة سلام ومحبة كما تعلمت ان أكون، وسأبقى كذلك حتى النسمة الاخيرة، ليس فقط بالنسبة الى مار اثانوس واثناسيوس وقورا

واشعيا، بل بالنسبة الى كل انسان كبيرا كان أم صغيرا. فلا أحقد أو أتألم لما حدث بل نسيت كل شيء من أجل المسيح وكنيسته واعتبرته كأنه لم يكن، ولئن كانت الاحداث كثيرة ولولا تمنعني الشيخوخة لتوجهت من تلقاء نفسي الى الذين معكم والذين سينضمون الى السلام، وان الذي سيكون سببا للشقاق والشكوك سيتحمل الدينونة كائنا من كان. أما بالنسبة الى الذين رسمتموهم وطلبتم إصدار قرارنا فيهم، سواء الذين رسموا لآمد ام خلال مشاكل قورا وجبرائيل، فأود ان يترك أمرهم لمجمع عام، لكي لا يساور اخوتكم أساقفة الغرب، لا لكونهم يرفضون ما تقررونه، بل تحاشيا لشك اخوتكم. فان لم يرق لكم هذا، فنحن لا نلزمكم بشيء لئلا يتعثر سلام كنيسة الله. والموقف الروحي هو ان يحتقر الانسان كل ما هو له، في سبيل اصلاح الآخرين. أنا أعلم ان حياتي قصيرة، وعليكم ان تقرأوا ما كتبته اليكم بالمحبة في كافة كنائسكم، لكي يرفع الجميع الشكر لله الذي أحال حزننا الى فرح، وأزال السياج الفاصل، وأحزن الخصوم الذين كانوا يسرون بتفككنا. وان الله الذي أبعد عنا الضيق وأحاله الى مسرة، هو نفسه يعضدنا ويرعى كنيسته ويبعد عنها الانشقاق والنزاعات والانقسامات، بصلوات الرسل القديسين الذين وضعوا اسسها، والآباء الابرار الذين احتملوا الكثير من اجلها، ورفعوا بعلمهم شأنها، لاسيما العذراء والدة الله مريم آمين".

يؤكد ضعف هذه الرسالة إيغاله في الشيخوخة، وإكراما منه لسلام الكنيسة، تنازل الى هذه الدرجة للاساقفة الذين كانوا يستحقون العقاب لإساءتهم الى الطوباوي والكنيسة المقدسة. وبعد ان تسلموا هذه الرسالة التي تحمل السلام، اتفق اساقفة تللا على هذا وقرروا فيما بينهم، باسم الرب يسوع المسيح وأبيه وروحه القدوس ما يلي:

سنة ١٠٦٣ ي اجتمعنا نحن اساقفة الجزيرة الموقعين إزاء أسمائنا في كنيسة مار قوزما ودميان في مدينة تللا، مدفوعين من قبل الله، قررنا التسامح وطوي صفحة كل ما حدث قبل مدة سواء في الغرب ام في

الشرق، وألغينا كل ما لم يكن شرعيا، سواء عزل اخوتنا الاساقفة، اثناسيوس واثاناس ورفاقهما، أم أمور أخرى التي خلقت جوا من الاضطراب، وحققنا المصالحة بين الطرفين متبعين قوانين وأنظمة الرسل، ووافقنا على رغبة بطريركنا الطوباوي، واذ اتفقنا بقوة الروح القدس، قررنا عزل كل من يقاوم السلام أو يحاول إبطاله سواء كان بطريركا أم اسقفا أم من أية رتبة كنسية. كتبنا هذا واتفقنا ان نعلنه لمار اثناسيوس مطران الجزيرة، وصدقه مجمع المطارنة، واتفقنا على ذكر اسمه، وهو بدوره يذكر اسم البطريرك الذي نذكره نحن.

التواقيع:

داود اسقف دارا. اذ اجتمعنا مع الله ومع اخوتنا الاساقفة في مدينة تللا، ألغينا من كنيسة الله كل ما لم يكن شرعيا. ووافقت على ما هو مدون أعلاه، ووقعت. وها ما فعله الجميع: طيمثاوس اسقف الرها، ثاومريقا اسقف حران، يوحنا اسقف قالينيقوس، اسطيفان اسقف قرقسيون، مار عبدا اسقف ارمينيا، فلان وكيل يوحنا اسقف سروج، قسطنطين اسقف شميشاط، ساويرا اسقف ملطية، اثناسي اسقف آمد، اسطيفان اسقف تللا، يوحنا اسقف راس الحجر، ثاودريطا اسقف أرزون، سرجونا اسقف ماردين، ابراهيم اسقف دير قوبي، ثاودوطا اسقف دير سنقلوس، اثناسيوس بنعمة الله مطران الجزيرة: لقد الغيت في مدينة تللا، بقوة الله وبتوسط اخوتنا، القرار الذي صدر عني بحق الاخوة الاساقفة لأسباب مختلفة. سواء التي ذكرت هنا ام التي لم تذكر. متفقا مع ما دوّن أعلاه. قورا اسقف طورعبدين وحصن كيفا، اشعيا اسقف اسفرين، اثناسيوس اسقف راس العين، يوحنا مطران دير مار متى: اني وقعت أصالة عن نفسي ونيابة عن الاساقفة الذين في الدير، يوسف ويوحنا وزكريا.

يبدو ان الذين اجتمعوا في تللا، كانوا تحت ضغط، لانهم بنوا ما سبقوا و هدموه في حران، حيث حرمهم هناك اثناسيوس النعال. كما قبل

الاساقفة الماتيون الذين طردوا في مريبة، وبلا خجل فعلوا نفس ما اتهموا به البطريرك، وتم فيهم قول الرسول: "الذي تستكره الاوثان أتسرق الهياكل"، وان ثاودوطا اسقف أرزون الذي ألصق به اثناسيوس كل أنواع الرذائل، لقبه بعمود الكنيسة بعد ان انحاز اليه. ومن هنا يستنتج ان مقاومته للبطريرك لم تكن عادلة. بل بسبب كلفه بحب الزعامة، ولما تزعم بقوة السلطان أظهر نوعا من التواضع وسلم الأمر بيد الأساقفة. وهم الذين قرروا إعادة الأساقفة المعزولين الى كراسيهم، واعتكاف الذين رسموا بدلا منهم في أديرتهم، مع حفظ رتبهم الأسقفية ما داموا على قيد الحياة. وقد أمر جبرائيل القرتميني بالذهاب الى سجستان، وإلا عُزل اما قورا فغضوا النظر عنه في حينه.

هذه هي القرارات التي أصدروها حيث كان السم قد دس في الدسم، وبالرغم من ذلك فإن الكنيسة تمتعت ببعض الراحة. بعد هذا بنى النعال كنيسة جميلة في ميافرقاط.

فصل

في مقتل مروان وتوحيد دولة العرب. وقسطنطين ملك الروم والمجمع الذي عقده في القسطنطينية وعرف بالسابع الذي فيه ألغوا السجود وحرموا إيواني بن منصور وجورجي الدمشقي وجورجي القبرصي. وكنيسة الارثوذكسيين التي كان يعصف بها، بحسد الشيطان، النزاع الذي خلقه اثناسيوس النعال

ظاهرة غريبة:

فيما كان عبد الله أمير المسلمين معسكرا في مكان ما في الغرب، اذا بضجة كبرى تحدث في المعسكر، والناس يتهافتون نحو المقبرة صارخين، فذهب الأمير بصحبة جماعة لتقصّي الأمر، ورؤية ما حدث بأم عينه. فرأوا ثمانية رجال من الاموات قد قاموا. وظهر بعضهم فوق الارض حتى أثدائهم ومنهم حتى ظهورهم، ومنهم حتى ركبهم، وبينهم من كان قد صبغ لحيته بالحناء كالعادة المألوفة لدى المسلمين، وقد تعرف عليهم الكثيرون، ولما تحدثوا اليهم لم ينبسوا ببنت شفة. وفي غمرة دهشة الجميع أمر قائد الجيش ان يُتركوا وشأنهم ولا يدنو منهم أحد، أملا منه أن يتكلموا فيما بعد فيسمعوا منهم عن حقيقة أمرهم. فالتزم كل واحد مسكنه ذلك النهار، باستثناء الذين وضعوا لحراستهم. وفي اليوم التالي جاءوا اليهم فوجدوهم لا ينطقون، فأمر القائد بدفنهم مرة أخرى، وعاد الناس الى منازلهم مندهشين.

يوم الاحد من شباط عام ١٠٦٥ حدث ظلام دامس حتى لم يعد بإمكان أحد ان يتلمس طريقه بعد عودتهم من الكنيسة، فأوقدت السرج، واستمر الظلام نحو ثلاث ساعات، وتكرر هذا في نيسان ولمدة ثلاثة أيام، لكنه لم يكن حالكا كالذي حدث في شباط.. وفي تلك السنة تفشى وباء الطاعون في كل مكان، لاسيما في آثور ـــ الموصل. وفي السنة نفسها، وقبل بزوغ الشمس ظهر النجم المعروف بـ "السيف" ممتدا نحو الشرق من

الجهة الغربية.. وفي هذه السنة، عقد الملك قسطنطين مجمع أساقفة للخلقيدونيين في القسطنطينية، حضروه من مناطق رومية ودولماطيا وألادا وقيليقيا وصقليا. للنظر في موضوع السجود للصور. فقرروا عدم السجود لها إطلاقا، وسموا هذا المجمع بالسابع، وقد اعترض بعضهم على اعتباره مجمعا رسميا، لكونه لم يتناول التحديدات العقائدية.. ان الخلقيدونيين يكرهون هذا الملك ويلقبونه بمبغض الايقونات، لانه عقد مجمعا تقرر فيه عدم السجود لها، وحرم ايوانيس وجورجي الدمشقيين وجورجي القبرصي لانهم كانوا يأخذون بتعاليم مكسيموس، اما الملك قسطنطين فكان حكيما في تفكيره وسليما في إيمانه، فأبغضه الخلقيدونيون.

بعد هزيمته وعودته فاشلا، خجل مروان ان يمكث في حران، فحمل كنوزه على ثلاثة آلاف جمل ورحل الى عسقلان على ساحل البحر، فلحق به عبد الله بن علي، فهرب فأرسل عبد الله جيشا ليلحق به، فوجدوه معسكرا على النيل بالقرب من مدينة سيواني على حدود النوبيين، فدارت بينهما حرب قتل فيها مروان، وانفرد عبد الله بالحكم في كافة أقطار المسلمين.

سنة ١٠٦٣ توفيت زوجة قسطنطين ملك الروم وهي ابنة خاجين ملك الخزر، وظل بلا زوجة بمقتضى تقليد الملوك المسيحيين. وبعد ثلاث سنوات، حاول بعض المحتالين ان يزيحوه عن الحكم، فتظاهروا بمحبته وأشاروا عليه ان يتخذ زوجة، واذ لم يكشف نواياهم، أخذ بمشورتهم، قائلا: "اني آخذ بمشورتكم ولئن كنت لا أجهل تقليد الروم، وما زلت أقول، يجب على الملوك ان لا يكونوا عبيدا للشهوة. فاذا رأيتم ان يملك ابني بدلا مني فاني آخذ بمشورتكم" فشعروا بأنه أدرك نواياهم، لذا أشاروا عليه ان يملك ابنه لاون، لكي يستمر في إدارة شؤون الدولة ما دام على قيد الحياة، لانه كان حكيما ورهيبا على الاعداء. وهكذا تزوج.

في تلك السنة حاصر قسطنطين ملطية ونصب عليها منجنيقات وهدم جزءا من سورها، وأخيرا تعهد للمسلمين الذين فيها وتركهم وشأنهم، وسبى شعب موديا وسائر قرى الارمن. وفي السنة نفسها وهي ١٠٦٤ ي، والسنة الـ ١٣٥ هجرية، توفي عبد الله ابو العباس بعد ان حكم أربع سنوات وعشرة أشهر. ولما سمع عبد الله بن علي بموت عبد الله ابو العباس، ملك على الفرس والمسلمين، وحدث بينهم نزاع، لان ابا العباس أمر بالملك قبل موته، لأبي جعفر الذي كان يستتعد للسفر الى مكة للحج، فأخذ ابن علي يتجول في المدن وكأنه الملك، غير ان أبا جعفر، بعد تسلم مقاليد الحكم، اصطدم به في الكوفة، بجيش يقوده أبو مسلم وهزمه، فتمرد أبو مسلم على أبي جعفر في محاولة للسيطرة على الحكم، فأراد خطف الامير، فعلم أبو جعفر فأرسل اليه رجلا يدعى عيسى فخدعه وجاء به اليه، وبإشارة من أبي جعفر قتل أبو مسلم، فاستقرت أمور المسلمين وتوحدت على يد أبي جعفر.

بعد ان تظاهر اثناسيوس النعال بالوداعة، عاد الى الفظاظة، فرسم رجلا يدعى اسحق اسقفا لحران دون موافقة البطريرك والاساقفة، قيل انه كان خبيرا في الكيمياء فحظي بكرامة لدى أبي جعفر، واخيرا صار عثرة لأثناسيوس. غير ان بعض الاساقفة لم يرتاحوا لما فعله اثناسيوس فلاموه لتجرؤه وقيامه بالرسامة دون موافقة البطريرك والاساقفة، بعد تلك الحروم التي قررت في تللا. ولكن لما نالتهم يده أساء اليهم كثيرا، فقد اشتكى على طيمثاوس اسقف الرها. زاعما انه ضبط معه رسالة فيها تهجم على اثناسيوس والامير محمد، فسلم الرسالة الى أبي جعفر الذي استدعى طيمثاوس، فلما مثل أمام عابي دافع عن نفسه بكل شجاعة وطالب بمعاقبة المشتكين ما لم يحددوا الشخص الذي ضبطت معه الرسالة، فلم يحر أحدهم جوابا، فأدرك عابي انهم مفترون فأخلى سبيل الاسقف. كما وشى بداود اسقف دارا، فتكلم عنه بالسوء، غير ان عابي انتهره بعنف قائلا: لا تتفوه بسوء على داود لأني لن اصدق شيئا ضده.

لقد ظن النعال انه لو سيطر على هذين الاسقفين، استطاع ان ينفذ رغبته في شؤون الكنيسة كما يشاء وبلا خوف. فداود كان يطمح بكرسي حران، وهذا ما أغاض اثناسيوس، فرسم لها شخصا آخر، وكانت مدينة طيمثاوس مركز مطرانية بين النهرين منذ أيام مار أدى وقد اختطفها آخر من دون وجه حق. وعندما اختطف النعال المطرنة كان يحلم باختطاف البطريركية ايضا، فوصل الى نصيبين يرافقه جبرائيل ذو الالسنة الثلاثة، الذي اذ فشل في نيل مأربه لدى البطريرك، تراجع عنه وتبع اثناسيوس وزمرته، فأعطاه جزءا صغيرا من منطقة طورعبدين، واعطيت البقية لقورا، لذا ألزمهم بالقبول والتوقيع، فاجتمع أساقفة الجزيرة مع النعال باستثناء داود اسقف دارا، وسرجونا اسقف ماردين اللذين انشقا عنه لانه كان يزور الكنائس دون اذن من البطريرك. ولما دخل اثناسيوس دارا لم يقبلوه، لا بل أهانوه فغادرها لتوه. ولما فاز بالزعامة حاول عزل الاساقفة الذين اختارهم البطريرك، واذ لم يفلح مع داود وسرجونا في قسطنطينية شميشاط، صبّ جام غضبه على ايليا اسقف سنجار، ورسم فلوطينا بدلا من قسطنطين، ورسم يشوع البذيء الذي تمرد على الحرومات التي وضعها زملاؤه في تللا، بدلا من ايليا العالم والحكيم الذي كان من ولاية الموصل وليس من ولايته.

فصل

في بداية حكم أبي جعفر أمير المسلمين. ووفاة البطريرك ايوانيس. وإثارة اسحق المنافق فتنة. وانتخاب البطريرك القديس جورجي الذي نفي. وبناء مدينة بغداد التي صارت عاصمة لدولة العرب

بعد ان سبى الملك قسطنطين أهل مودي وأسكنهم في القسطنطينية، علم انهم لا يرغبون في الاتحاد مع الروم، فدعا نفرا منهم واستفسر عن سبب نفورهم منهم، فأجابوا: اننا لا نشترك إطلاقا مع الذين يقبلون مجمع خلقيدونية ويقسمون المسيح الى طبيعتين. فأمر الملك ان يأتوه بنسخة من صورة ايمانهم، فلما اطلع عليها لم يجد فيها شيئا مشينا، بل وجدها سليمة ومطابقة لتعاليم الآباء الملافنة فامتدحها كثيرا هو وعظماء مملكته وقبلوها. وعن طريق هذه الجالية، حضر الملك رسميا اجتماعا من اجل الاتحاد مع ابناء منطقة ملطية وسورية، وقد حاول بعض من جماعته إعاقة ذلك بدافع تعصبهم، فلم يفلحوا، واقتنع الملك بالتحديد الذي كتبه الارثوذكسيون.

سنة ١٠٧٣ أجهز الجراد على الزروع، وسقط برد وأباد كل الغلال، وقيل ان البعض وزن قطعة من البرد فكان وزنها ثمانية أرطال. وسنة ١٠٧٦ حدث في خرسان زلزال عنيف جدا بحيث انتقل أحد الجبال الى مسافة ثلاثة كيلومترات، ولكونه جبلا ترابيا تفتت وتبدد.. وفي آب تلك السنة ظهر نجم في برج الحمل الى جانب الشمس التي كانت في برج الثور، وكان شبه عمود اتجه امتداده نحو الجنوب، يسير أبطأ من الشمس، ولمدة عشرين يوما، وظل تحت أشعة الشمس ثلاثة أيام ثم انتقل الى وراء الشمس مدة أربعين يوما، فدخل الخوف من هذا المشهد قلوب الجميع.. حدثت هزة أرضية عنيفة، وانكشف في الصحراء تمثال كان المجوس يعبدونه.

سنة ١٠٦٦ ملك ابو جعفر على المسلمين. وغزا قسطنطين ملك الروم ثاودوسيوبوليس الارمنية التي يسميها الارمن جرنم جاك، ويسميها المسلمون أرضروم، ويدعوها اليونان ڤالونيقلا، فاحتلها وسبى كل الشعب وتركها خالية، ووضع حامية في حصن كاماك ثم عاد الى القسطنطينية.. أمر أبو جعفر بإعادة بناء ملطية ووضع فيها جيشا، كما أمر بإعادة بناء مدينة ثاودوسيوبوليس الارمنية، ووضع فيها حامية.. وفي سنة ١٠٧١ احتل المسلمون افريقيا ثم البلاد المعروفة بطارستان التي يحدها من الشمال بحر قسفيا، ومن الشرق دورقينا أي جورجان، ومن الجنوب مادي وقسم من بلاد الفرثيين، ومن الغرب، الديلميون. تكثر في هذه البلاد الجبال العالية والاشجار الباسقة الكثيفة والغابات، وان مداخلها ومخارجها وعرة جدا، وطولها من الشرق الى الغرب أربعين فرسخا، وعرضها من الشمال الى الجنوب عشرين فرسخا، وتتوفر فيها الخيرات والمروج والوديان وكل أصناف الاشجار، كما خضعت للمسلمين المدن الخمس المحاطة بالأسوار.. انتقل المهدي من الريّ وحل في مدينة فيشابور الواقعة الى الغرب من مرو.. وفي سنة ١٠٧٣ بنى أبو جعفر على دجلة مدينة بالقرب من قطسفون سماها بغداد واتخذها مقرا له.. وفي سنة ١٠٧٤ تمرد على أبي جعفر رجل من يثرب يدعى محمد ينحدر من سلالة فاطمة ابنة نبيّهم وابن عمه علي، وانحاز اليه معظم المسلمين، فذهب القائد عيسى وقتله في مدينة الرسول. وفي السنة نفسها، سبى الخزريون خمسين ألفا من الغورزيين. وفي الفترة نفسها خضعت منطقة كابل من بلاد الهند للمسلمين.. لقد أثقل أبو جعفر على الشعوب بالضرائب المختلفة، وضاعف الرسوم على المسيحيين، وأمر بإبعاد الجرامقة من منطقتهم.. وفي سنة ١٠٨٠ أقام بعض المجوس رئيسا لهم وأعلنوا العصيان على المسلمين، فقاومهم الجيش لكنه هزم أمامهم، فتشجع المجوس وفكروا بإقامة دولة. فقاومهم المسلمون بقوة وهزموهم وقتل منهم نحو أربعين ألفا بينهم زعيمهم، فتبددت آمالهم وخضعوا ثانية للمسلمين.

حادثة تحويل الرصاص الى ذهب:

في تشرين الاول من سنة ١٠٦٦ ي توفي البطريرك ايوانيس ودفن في قرية بديا على نهر الفرات. خدم البطريركية ١٦ سنة. فأوعز أبو جعفر أمير المسلمين الى الاساقفة ان يقيموا اسحق اسقف حران بطريركا. وهنا يجب ان نوضح كيف تمتنت علاقته مع أبي جعفر. فقد كان اسحق يسكن دير بوركاسا في جبل الرها، عندما زاره راهب غريب فأكرمه، فأراد ان يكافأه، فطلب الى اسحق ان يحضر قليلا من الرصاص، فأذابه وأخرج صرة وألقى بعضا مما فيها على الرصاص، فاصطبغ وصار ذهبا، فشغف اسحق بهذه الحرفة وسأل الراهب ان يعلمه إياها. فأجابه: ان رجلا ما أعطاني قليلا من الرصاص فقط، فلم يصدقه. فجرى وراءه ودفعه في جب وقتله بحجرة، اعتقادا منه بانه سيجد في خرجه كتاباً يعلمه هذه الصناعة، لكنه لم يجد كتابا ولا رصاصا، ما خلا تلك الصرة فندم على فعلته. وبسبب ذلك الرصاص صادق النعال فرسمه اسقفا لحران على امل ان يعلمه الكيمياء، ولسبب نفسه تمتنت العلاقة مع أبي جعفر بواسطة عابي عامل الجزيرة. لذا ألزم الأمير الاساقفة على إقامة اسحق بطريركا بعد وفاة مار ايوانيس. فاجتمعوا في راس العين وأقاموه بطريركا بصورة غير شرعية، وحصل على فرمان من الامير يلزم الجميع بقبوله، ويخوله التجول في جميع البلدان، بقصد الحصول على عقاقير من اليمن ليعلم الامير صناعة الذهب. وبعد جولة طويلة استدعاه الامير وامتحنه، فظهر انه لا يفقه شيئان فأمر بخنقه ورمي جثته في نهر الفرات، فلقي بمثل ما فعل بالراهب الغريب. حينئذ اوعز الامير الى الاساقفة فأقاموا النعال بطريركا.

النعال بطريركا:

وإذ تم تنصيب النعال بصورة غير شرعية، أخذ فرمانا من الامير، ووصل الى حران وأراد ان يرسم عبدون تلميذ اسحق، لان النعال

سبق ووعده برسامته اسقفا، وعلى هذا الاساس اتفق عبدون مع النعال وأخبرا الامير بان اسحق يعرف الكيمياء ولا يريد ان يعلمه، فغضب وخنقه. ولما صحب النعال عبدون الى حرّان لم يقبله اهل حران، حتى ولا النعال، لا بل اتخذوا قرارا غير لائق، اذ دخلوا على النعال ليلا وخنقوه، واعتقد الناس بان ذلك تم بايعاز من الامير، فجاء رهبان ديره وأخذوا جثته ودفنوه في الدير بإكرام. هذه كانت نهاية النعال.

لنتحدث الآن عن القديس جورجي الذي كان من قرية بعلتان من ضواحي حمص، ودرس في دير قنسرين في قراءة الكتب اليونانية والسريانية، وعين سكرتيرا لمار ثاودور اسقف شميشاط الذي اذ لمس فيه العفة والحكمة والقداسة تنبأ عنه وقال: أشعر بقرارة نفسي بان الله سيمنح هذا الرجل درجة عالية في الكنيسة، ثم قال له: عليك ان تهتم بالدير الذي تربيت فيه لانه آخذ بالاضمحلال. ولما توفي النعال، وعُقد مجمع في منبج في كانون سنة ١٠٧٠، ترشح داود اسقف دارا ويوحنا اسقف قالينيقوس، وكان كل منهما يسعى للحصول على الكرامة، ويحاول إبعاد كل شخصية يأتي ذكرها على ألسنة الاساقفة. ولما طرح اسم جورجي أرسلوا بطلبه وكان لا يزال شماسا. فرحب به الاساقفة اذ وقفوا على علمه وذكائه، ما عدا داود اسقف دارا ويوحنا اسقف قالينيقوس اللذين ملأهما الحسد. وقالا: نحن لا نرفع من المزبلة الى العرش. ولما علم أهل منبج انهما يرفضان حقدا منهما، أسمعوهما كلاما جارحا. لكن الاساقفة وبدافع غيرة الهية، رسموه رغم معارضة هذين الاثنين. وبعد ارفضاض المجمع وعودة اساقفة الجزيرة واجتيازهم الفرات، حركهم الشيطان فسموا يوحنا اسقف قالينيقوس بطريركا. فانقسمت الكنيسة. وطرد مؤمنو قالينيقوس يوحنا ولم يذكروا اسمه كبطريرك طيلة مدة حياته. وزار جورجي الجهة الغربية، أما الجهة الشرقية فكان يوحنا يعيث فيها فسادا. في حين خضع قسم من الجزيرة لجورجي، واستمرت هذه البلبلة أربع سنوات حتى وفاة يوحنا سنة ١٠٧٤، فخلفه داود اسقف دارا، وأخذ يضايق جورجي.

فصل

في وفاة قسطنطين ملك الروم، وأبي جعفر أمير المسلمين أي العرب. وسجن جاورجي في بغداد مدة تسع سنوات

سنة ١٠٧٦ اجتمع الاساقفة في سروج وصالحوا البطريرك جورجي مع داود الداري، وبالرغم من ذلك فإن داود لم يترك تصرفاته السيئة، بل وشى به لدى مالك أمين سر أبي جعفر أمير المسلمين. إذ قال: انه صار بطريركا دون أمر منك وهو يضايقنا بمطاليبه، ولمّا سألناه عن سبب عدم حصوله على فرمان من الامير، أجاب: انـي لا احبذ ان يدخل اسم نبيهم الى مخدعي. فغضب الامير وأرسل جندا ليأتوا به اليه. ولما مثل أمامه امر بنزع ثيابه وتمديده. أما الطوباوي فكان يناشد العذراء باللغة اليونانية قائلا: "ثاوطوكس بويتي" أي يا والدة الله ساعديني. ولما سأل الامير عما فاه به، أجاب أحد مبغضيه، انه يكفر فجلدوه ثلاث جلدات فسال دمه على الارض. فسأله الامير: لِمَ لم تطلب فرمانا؟ أجاب البطريرك: لأني لا افكر بمضايقة أحد لاسيما واني اكرهت على قبول الرئاسة. قال الامير: ولِمَ لا ترضى بدخول اسم نبينا الى مخدعك؟ فاستغرب البطريرك وقال: هوذا اسم نبيكم في مخادعنا، وفي أكياسنا، فهو منقوش على الدراهم والدنانير، فكيف أقول هذا. ولما رأى الامير شجاعته وذكاءه، علم انه أسلم اليه حسدا، فأمر أمين سره ان يأخذه الى داره بحفاوة، ويسأله فيما اذا كان يتقن صناعة الكيمياء، فأخذ يجامله ويراوغه. فقال البطريرك: لا أعرف شيئا عن هذا، وأعتقد ان الكيمياء غير معروفة الآن، ومكث في داره ثلاثة أيام لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء، وأخيرا زج في السجن في بغداد. فجمع الامير الاساقفة وأمرهم ان يقيموا بطريركا، فقالوا: هذا غير ممكن. فهددهم الامير بالنفي الى الصين، فخافوا وسموا داود رئيسا لهم، لكن معظمهم هربوا ولم يخضعوا له، والذين خضعوا خوفا، أهملوا الرعايا والمراعيث. وأعطى الامير فرمانا لداود، وأخذ يتجول برفقة بعض الفرس الذين كانوا يلزمون المؤمنين بقبوله، لكنه لم

يلق غير الاهانة والبصاق، وكان الاساقفة الذين يرسمهم يُطردون. ولم يكن ليخجل، لان الادنياء لا يخجلون كما كتب.

من هنا سادت البلبلة والشغب كنيسة الله.. فبدلا من الكهنة والشمامسة وبقية الرتب الكنسية، احاط الفرس بمائدة الحياة وهم مدججون بالسلاح ومتقلدون سيوفا وعصيا حديدية ويلزمون الشعب بالتناول من قربان البطريرك داود المنافق. وهذا كان ايضا شأن أساقفته كلما قدم احدهم الذبيحة. اما الاساقفة الموالون لمار جورجي، فاضطهدوا، واضطروا الى ارتداء الزي الابيض كالعلمانيين لدى تجوالهم من قرية الى أخرى، فيما ظل الطوباوي في سجن بغداد مدة تسع سنوات، يحتمل صنوف العذابات، وكتب من السجن عدة مقالات رائعة وكثيرا من المداريش والتعاليم والتوجيهات السديدة. وبعد ان توفي أبو جعفر أمير المسلمين، أطلق سراح السجناء، فخرج البطريرك القديس من السجن.

سنة ١٠٨٠ سمع المسلمون ان أبناء جرمانيقي هم جواسيس للروم فحنقوا عليهم، ووطئوا جماعة من شعب المنطقة في رمله. وهذا ما حدث ايضا لأهل مدينة شمبشاط الذين أخذوا الى نفس المنطقة.. في هذه الفترة تمرد الافارقة وقتلوا المسلمين والفرس، فأرسل اليهم أبو جعفر يزيدا وقتل منهم ثلاثين ألفا، ثم سيطر يزيد على سائر افريقيا.. سنة ١٠٨٣ شيد أبو جعفر مدينة بالقرب من قالينيقوس سماها رفيقا لم يكن لِقِن أبوابها نظير، ولما حكم هرون حفيد أبي جعفر أقام لها سورا وراء السور الاول.. وسنة ١٠٨٣ أيضا، غادر أبو جعفر بابل الى بين النهرين وسورية وفلسطين، وعين للجزيرة موسى بن مصعب اليهودي، ولقنسرين موسى بن سليمان وكلاهما خبيثان وفطّان، وجمع كل الذهب والفضة وضمها الى خزائنه. حتى لم يعد يُرى دينار او فلس إلا لدى التجار، ومن شدة الضيق لجأ الناس الى نبش قبور الموتى وغربلة ترابهم وتصفيته بالماء علهم يعثرون على قطع من فضة او ذهب او أية مادة ثمينة اخرى لكي يدفعوا الضرائب. وهكذا اشتد التأديب على الناس، وانتشر مرض خبيث حيث

يشعر المريض أولا بوجع في الرأس ثم يموت، واتسع انتشاره فشمل سورية وبين النهرين وآثور، وتضور الناس جوعا، ليس بسبب فقدان الحنطة فحسب، بل لعدم توفر النقود أيضا، حيث تفشت البطالة بين العمال، ونهبت الكنائس والاديرة والدور، وبيع الثور أو الحمار بدرهم، وخمسة أمداد حنطة بدرهم، وعشرة مكاييل خمر بدرهم، كما بيع صبي أو صبية بخمسة دراهم. وبعد ثلاث سنوات من هذا التأديب القاسي، مات أبو جعفر، مصدر كل الشرور....... في مكة سنة ١٠٨٧ بعد حكم دام ٢١ سنة، وقبض على ابن مصعب وأفراد اسرته، وعلى موسى عامل قنسرين فتنفس الناس الصعداء. وفي ايلول تلك السنة، مات قسطنطين ملك الروم بعد وفاة أبي جعفر ب، ٢٥ يوما، وبعد ان حكم ٣٤ سنة وخمسة أشهر.

انتهى المقال الـ ١١ المتضمن أحداث ١٤٥ سنة: (من سنة ٩٢٢ ي حتى سنة ١٠٨٧). قام خلالها ١٣ ملكا في ممكلة الروم، و٥ في مملكة الفرس التي انقرضت، و٢٠ ملكا عربيا و١٥ بطريركا انطاكيا، و١١ بطريركا في مصر. وقد طوى المقال على ٢٦ فصلا.

المقال الثاني عشر

بعون الله الذي أكمل الرسل الاثني عشر القديسين، ابتدئ بالمقال الثاني عشر من كتاب التاريخ، ويبتدئ من سنة ١٠٨٨ ي وهي السنة ١٣١ لدولة العرب المسلمين، وسنة ٦٢٦٠ من آدم أي منذ بدء الخليقة، و٧٥٨ لميلاد الرب.

فصل

في بدء حكم لاون الروماني، ومهدي أمير المسلمين. وخروج البطريرك القديس الشهيد مار جورجي من السجن بعد أن أمضى فيه تسع سنوات

بعد تسع سنوات أمضاها البطريرك جاورجي في سجن بغداد، جاء الى الحكم المهدي ابن أبي جعفر وأطلق سراح السجناء، فغادر البطريرك السجن، ولكن حُذر عليه القيام بمهام البطريركية وتسمية نفسه بطريركا. فذهب الطوباوي الى تكريت فاستُقبل وكأنه ملاك هبط من عند الله، ثم اجتاز في الموصل وسائر مدن الجزيرة، وكان موضع حفاوة حيثما يمم، حتى وصل الى انطاكية ورسم في تلك السنة عشرة أساقفة وطرد أساقفة داود المزيفين وأقام آخرين بدلا منهم، في حين ترك آخرين في الإدارة بحسب مقتضى الظروف، وعزل فلوطين المقام من قبل النعال، وأعاد قسطس الى شميشاط. وبعد وفاة قسطس طالب أهل شميشاط بعودة فلوطين فأعاده اليهم. وبعد مرور سنتين من تجواله وتثبيته للكنائس، وشَى به بعضهم لدى علي أمير الجزيرة، بأنه لا يتقيد بأوامر أمير المؤمنين، فغضب وأرسل بطلبه من حران، فجاء الى قالينيقوس، وقبل ان

يقابل الامير، دخل الاسقف ثاودوسيوس الذي كان قد نحاه النعال وأقنعه بأن الشكوى ضد البطريرك غير صحيحة. ولما دخل الطوباوي وناقشه الامير، دافع عن نفسه بشكل مدهش، فارتاح له الامير لاسيما وان صديق الامير ثاودوسيوس كان يترجم الى اللغة العربية، وامتدح البطريرك بقوله، انه رجل صالح وقديس وان الذين اتهموه بتحميل الكنائس أعباء ثقيلة هم كاذبون، فاطمأن الامير، وهكذا خرج البطريرك منتصرا. فأخذ يدير كنيسة الله دون خوف حتى نهاية حياته.

قام في الاسكندرية البطريرك مينا مدة ٤٠ سنة، وخلفه ايوانيس.. سنة ١٠٩٥ شق الرهاويون عصا الطاعة على مطرانهم زكريا لعدة أسباب، وبخاصة لعدم اتعاظه من توبيخ أخيه شمعون إياه على سوء سلوكه، فأمره البطريرك جورجي بترك الرها، ولم يقبله أحد.. في أيار سنة ١٠٩٦ عقد جورجي مجمعا للنظر في التهم التي وجهها التكارتة ضد مطرانهم يوحنا، والذي كان يكذبها، فأوفد البطريرك معه أربعة اساقفة لإجراء التحقيق، حتى إذا ظهرت براءته، أيده وثبته. ولدى وصولهم الى بلد، ترك يوحنا الكيوني الاساقفة وهرب الى دير مار متى، وتجاسر ورسم ثلاثة اساقفة من المتمردين ليساندوه، فلما رأى الاساقفة وقاحته عزلوه والذين رسمهم، فرسم البطريرك يوسف مطرانا لتكريت كما رسم زكريا للرها وهو من دير قرتمين، وهو الآخر طرده الجواسيس الذين في الرها.

سنة ١٠٨٨ ملك على الروم لاون بن قسطنطين. وبعد ٢٥ يوما، ملك المهدي على المسلمين، وأطلق كل منهما سراح السجناء المسجونين في عهد والده. وأخذ المهدي يبدد ثروة والده سواء على الجيش أم على النساء والجواري اذ كان شبقا ومحبا للترفيه، ومال الى السحر والشعوذة والرقي وجمع العديد من كتب السحر. لذا أرسل اليه لاون ملك الروم كتاباً عنوانه "يانيس ويمباريس" عن سحر المصريين وما صنعوه ضد موسى.. سنة ١٠٩٠ جاء المهدي الى حلب فاستقبله التنوخيون الساكنون في مضارب حلب، وكانوا مهندمين وقد امتطوا خيولا عربية، فقال له أحدهم:

ان هؤلاء مسيحيون، فاستشاط غضبا وأمرهم بإشهار إسلامهم، وبعد عذاب شديد أسلم نحو خمسة آلاف رجل، أما النساء فنجون، ولا تزال بعضهن حتى الآن في كنائس الغرب كما شهد أحدهم يدعى ليث.

اتجه المهدي نحو بلاد الروم وعسكر بالقرب من نهر فورامون بمقاطعة مدينة اربيسوس. وأرسل ابنه هرون ليتجسّس بلادهم، وعاد الى سورية ثم مضى الى القدس لأداء الشعائر الدينية. أما ابنه فاحتل حصنا يدعى سيمالوس فغنم وعاد.. وفي سنة ١٠٩٢ دخل المسلمون منطقة افسس وسبوا نحو سبعة آلاف شخص، في حين أرسل الملك لاون جيشا وسبى جماعة من السريان الارثوذكس وأسكنهم في تراقية. يقول أحد المؤرخين الخلقيدونيين، ان الملك لاون هذا كان يمقت الايقونات فلم يسمح بالسجود لها، وكان يميل الى الارثوذكس مثل والده. وفي سنة ١٠٩٢ توفي لاون وخلفه ابنه قسطنطين، وحيث انه لم يتجاوز الثانية عشرة، أدارت والدته ايريني شؤون المملكة، وكان يذكر اسمها الى جانب اسمه. وفي سنة ١٠٩٤ أرسل المهدي ابنه هرون الى بلاد الروم برفقة قائدين. فدخل عبد الملك الى ناقليا لكنه هزم وعاد خائبا. في حين قتل فرناس نحو عشرة آلاف من الروم، فيما اتجه هورن الى العاصمة. غير ان الروم قطعوا نهر سرجيس على المسلمين، فصار المسلمون بين الجبل والبحر واضطروا الى طلب الصلح، وبتفكير نسائي وافقت ايريني على عقد صلح لمدة ثلاث سنوات، فانقشع الضيق عن المسلمين.

وفي السنة التالية شيّدت مدينة حدث. وسنة ١٠٩٥ توفي المهدي، وخلفه ابنه موسى مدة سنتين. وفي سنة ١٠٩٧ خرج الروم بجيش جرار ووصلوا الى مدينة حدث التي شيدها المسلمون حديثا على الحدود، فغادرها سكانها، فهدم الروم أسوارها ودمروا جميع أبنيتها، وفي تموز توفي موسى أمير المسلمين فخلفه أخوه هرون المعروف بالرشيد.

لدى تسلمه مقاليد الحكم، أرسل المهدي رجلا يدعى المحتسب ليهدم الكنائس التي شيدت في عهد الاسلام، وأمر بأن يباع العبيد المسيحيون، فهدمت عدة كنائس وهرب العبيد، وهدمت كنيسة الخلقيدونيين في حلب. واضطهد المانيين حيثما وجدوا، وقبض على العديد من المسلمين لإعتناقهم هذه الهرطقة (المانية) ولم يرتدوا عنها. ودمرت المنطقة المعروفة بـ "الفدان الكبير" يسكنها المانيون، كما قبض على بغض المسيحيين متهمين ظلما بتلك البدعة. وبوشاية من شخص فارسي قبض على جماعة الجوميين، والسبب هو رفضهم إعطاءه مسكنا في حيّهم بقرية بهنيان، فحنق عليهم، فاتهمهم بالمانية بعد ان علم بالعقاب الصارم الذي أقر في بغداد ضد المانيين، فزج ثمانية من أعيانهم في السجن، مات فيه ثلاثة منهم من جراء العذاب، ونجا الخمسة الباقون.. سنة ١٠٩٥ غطى جراد طيار يسمى "جندب" وغطى الجزيرة برمتها، وبعد ان عاث فسادا في الحنطة والشعير والبقول، وضع بيضا في الجبال والسهول، وبعد بضعة أشهر غطت صغاره الارض، فكان يتسلق الجدران والاسوار ويدخل الى البيوت من المنافذ والابواب، وملأ كل مكان حتى جرار الماء والفرش والموائد، وكان يدخل الى باحات الدور من الجهة الجنوبية ويخرج من الجهة الشمالية متجها نحو حران. وكان يسير على أسطحة وقرميد البيوت وكأنه يسير على أرض سهلة، ويلتهم كل ما يلقاه من عشب وأشجار وأمتعة صوفية وثياب الناس. وانتشر بصورة خاصة في الرها وسروج وحصن كيفا. وبعد ان أتى على كل شيء في الجزيرة، اتجه صوب الغرب، فأتى على كل الغلات، بعد ان قضى على الكروم والاشجار وكل أنواع الخشب. لا أحد يستطيع ان يتحدث عن ذلك الغضب الذي شاهدته. المجد للرب لتلك الضربة القاسية التي استغرقت ثلاث سنوات، ثم عقبتها وفرة من الخضراوات والخبز والخمر والزيت وكل أنواع البقول وسواها.

فصل
يتناول زمن وكيفية ظهور النزاع في الكنيسة حول عبارة " نكسر خبزا سماويا "

يلوم بعضهم البطريرك قرياقس على اعتبار انه سبب النزاع الذي حدث في الكنيسة بخصوص عبارة "تكسر خبزا سماويا"، لكنهم كانوا مخطئين، لان الشك حام حولها منذ عهد البطريرك جورجي، كما تشهد رسالة الطوباوي جورجي الى الشماس كورية من بيت ناعر الرهاوية، جاء فيها "جوابا لسؤالك ايها الابن العزيز حول ظهور هذه العبارة وكيف ومتى دخلت، ومتى أخذ الناس يشكون فيها، أقول: ان ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، سلم الينا ثلاثة أسرار، سر المعمودية، وسر ذبيحة جسده ودمه، وسر رسامة الخدم الكهنوتية. وقد سلم كلا منها بعلامة ملائمة. فالمعمودية بالنفخ عندما نفخ في وجه تلاميذه وقال لهم "اقبلوا الروح القدس من غفرتم لهم غـُفرت ومن أمسكتموها امسكت"، فالذين يقدسون ماء للمعمودية، أساقفة كانوا أم كهنة، ينفخون في الماء ليتسرب اليه سر النفخة الالهية، فيقتبلون الروح القدس للميلاد الروحي. أما بالنسبة الى سر خدمة جسده ودمه، فقد أخذ على يديه المقدستين وبارك وكسر وأعطى تلاميذه القديسين، ويتم في الصلاة التي تلي، قدوس، قدوس، لان نفس مفعول القوة التي أعطاها المسيح - وهي قوة الله القادر على كل شيء - يتم هنا في هذا السر الذي يتم بواسطة اناس ضعفاء. وعن تسليمه سر الكهنوت يقول لوقا في خاتمة انجيله: "انه رفع يديه وبارك تلاميذه وقت ارتفاعه عنهم". وهذا التقليد المقدس يمارس لدى رسامة المتقدمين الى سر الكهنوت، سواء كانوا رؤساء الكهنة أم كهنة أم شمامسة. ويتم هذا السر بقوة الله الاب أي يسوع المسيح، وبواسطتنا نحن الضعفاء. فاذا حاولنا بلبلة هذه الانظمة وإدخال تقاليد اخرى من عندنا، نكون قد تجاوزنا نطاق الاسرار الالهية. فلا يجوز ان ننفخ بعد تلاوة الصلاة الاخيرة التي تلي النفخة الاولى في ما يخص هذا السر. كما لا

يجوز ان نضع اليد على المرتسمين بعد تلاوة الصلاة الاخيرة، وبعد وضع اليد الذي يتلو رفع الايدي. ومثلما ان النفخ ثانية في المعمودية هو خارج عن السر الذي سلمه الينا مخلصنا، هكذا ايضا اذا كررنا الصلاة على الكسر. فهذا امر شاذ عن التقليد. فلم يرد في الانجيل عبارة "بارك وكسر، ثم بارك وكسر ثانية، ومن ثم اعطى تلاميذ هذا، فالتكرار لا يليق بتلك القوة التي تكمل كل شيء.

اما سؤالك عن زمن دخولها الكنيسة فأقول: لا علم لي بذلك لكني أعرف متى نبذت. انها منبوذة منذ الازل وحتى الابد من قبل القديسين المتشحين بالله. فقد جعل الروح القدس ان يكتمل هذا السر، سر جسد ودم الله الكلمة بواسطة يعقوب الاسقف الاول، ومرقس الانجيلي. فان المصريين والاسكندريين يشهدون على عدم وجود عبارة "تكسر خبزا سماويا باسم الآب والابن والروح القدس". في نافورة مار مرقس ابن وتلميذ هامة الرسل القديسين الذي منه أخذ البشارة الالهية الانجيلية، وجميع الاسرار، وهذا ما يشهد به اليونان ايضا، وفي مقدمتهم الملافنة القديسون الذين يقدسون بحسب تقليد (طقس) يعقوب رئيس الاساقفة، كما ان عبارة "تكسر... باسم.." غير موجودة في طقوس باسيليوس وغريغوريوس وطيمثاوس وسويريوس، فلا طقس (نافورا) يعقوب الرسول ولا طقوس الآخرين تتضمن هذه العبارة، حتى ولا في النسخ اليونانية. ومن المعلوم ان عدم وجودها في الطقس يعني ان النافورا كاملة من البدء والى الابد.

أما أنا فلم الزم أي شخص بأن يقولها أو لا يقولها، ليس لأني اعرف أنه ينبغي ان لا تقال، بل لكي لا نفسح مجالا للمشاغبين الذين لا يهمهم بنيان الكنيسة، بل يصرون على خرابها بحبهم للزعامة، فيتخذونها سببا للشقاق ويجتذبون اليهم البسطاء. الويل لنا اذا وجد في ايماننا خبز نزل من السماء وليس هو ابن وكلمة الله. فإذا كسرناه باسم الآب والابن والروح القدس لأستوجب وجود ابن آخر ليس خبزا نزل من السماء. أما

عن سؤالك من أين دخلت هذه العبارة الى الكنيسة فنقول: لقد سلم تقليدان بخصوص هذا السر، الاول مقدس، والثاني مجرد عن القداسة. لذا قرر الرسل القديسون عدم تقديم الذبيحة أيام الصيام باستثناء يومي السبت والاحد، وأوصوا بأن يمارس طقس "مباركة الكأس" خلال الايام الاخرى من أسابيع الصوم، لان الشعب يكون قدتناول مساء. ولدى مباركته الكأس يقول الكاهن "ليتبارك كأس النعمة، باسم الآب والابن والروح القدس"، ثم يلقي فيها جمرة غافرة ويقدسها، وهذا تقليد مقدس. انها تقدس الكأس التي لم يسبق تقديسها وتسمية كأس الشكر، وليس أيّا من التي لفظها المخلص والتي تشير الى لاهوته، ولا تناسب أيّا من جوانب تأنسه.

أما التقليد الآخر الذي أدخله ديودورس المنافق عدو الحق وضد المسيح فليس مقدسا، فقد وضع ما سماه ܩܘܪܒܐ (قربان) وهو ليس قريبا من الله بل بعيدا عنه، ويقول فيه" "تكسر خبزا سماويا باسم الآب والابن والروح القدس" إنما هم من أتباع ذاك. انا اعرف ان الذين قالوها هم اناس سذج بعيدون عن آراء ديودورس بعد الثرى عن الثريا. ولكن اذا ما تمحصها أحد وجد فيها نفس القوة. من هو ترى حمل الله سوى ذلك الخبز الحي الذي نزل من السماء؟. يشهد بهذا المعمدان القديس الذي فاه بهذه العبارة "هذا هو حمل الله الذي يرفع خطايا العالم" .... ولكن كما سبقت وقلت، لدى مقارنة كلتا العبارتين، عبارة "تذبح حمل الله أمام الثالوث الاقدس" وعبارة "كسر الخبز السماوي باسم الآب والابن والروح القدس"، نراهما لا تختلفان. لكن ديودورس وبحسب معتقده الفاسد، يقسم المسيح، أما اولئك فانهم أدخلوها عن جهل حيث انهم اقتبسوها من طقس "تبريك الكأس" لملاءمتها لهذا الطقس، لأنه تبريك كأس غير مقدسة. أما هنا فهي غير ملائمة. لاننا نكسر خبزا ساميا وهو ابن الله وكلمته. فقول العبارة انه يكسر باسم الآب والابن والروح القدس، معتبرة الخبز السماوي بعيدا عن الآب والابن والروح القدس. ومثلما يقول شخص ما: يعتمد فلان باسم الآب والابن والروح القدس، كذلك عندما يقال يكسر خبز سماوي باسم الآب والابن والروح القدس، فذلك الخبز السماوي يعتبر شيئا

خارج نطاق الآب والابن والروح القدس. أما أنا شخصيا فلم أقل لأحد قل أو لا تقل (العبارة). لئلا أفسح المجال أمام الذين يحاولون شق الكنيسة بوقاحهم .... وبقية الرسالة.

فصل

في بدء ملك هرون أمير المسلمين وقسطنطين ملك الروم ووفاة البطريرك جورجي. وفي الذين خلفوه في كنيسة الارثوذكس، وبقية الأحداث التي تمت في هذه الفترة والمدونة في الكتاب

سنة ١٠٩٧ انشق الرهاويون عن اسقفهم زكريا الثاني الذي كان من دير قرتمين، اذ قاومه الاكليروس والأعيان دون الشعب، ولما نقل الخبر الى البطريرك جورجي أخرجه منها (الرها).. بينما كان الطوباوي جورجي يمشي في الطريق شعر بألم، واشتد عليه لدى وصوله الى كلوديا، فتوجه الى دير مار برصوم حيث انتهى شوطه هناك سنة ١١٠١ ي، وهناك أودع جسده الطاهر.. في حزيران تلك السنة عقد مجمع أساقفة في بديا الصغرى في سهل حران وانتخبوا يوسف من دير الجب الخارجي، وكان ذا طلعة بهية، لكنهم وجدوه ساذجاً فأرادوا إعادته الى ديره، فانشق الاساقفة بسببه، فقد أراده البعض ورفضه البعض الآخر، وأخيرا رسموه مكرهين خوفا من أهل ديره المعروفين بميلهم الى الخصام.. وبعد تنصيبه أخذه زكريا اسقف الرها عنوة ليصالحه مع أبرشيته، فنزلوا في كنيسة مار قوزما خارج المدينة، وحضر الرهاويون، وبعد حديث طويل لم يذعن الرهاويون للبطريرك ولم يقبلوا زكريا، فعاد كئيبا ولم يدخل مدينتهم. ولما قصد بغداد ليتسلم الفرمان بالتماس من الاساقفة، أذن ليوحنا ان يرعى منبج، حيث كان يرعاها اسقف آخر حتى ذلك الحين. أما هو فكان يزور المنطقة لمجرد زيارة. وبعد ان أنهى البطريرك يوسف مهمته في بغداد ومرّ على كنائس الموصل، توفي في كانون الاول ١١٠٣ في دير مار اتونس فوق تل بسما، وقد رسم اسقفا واحدا فقط لبعلبك يدعى انتيموس.

انتخاب البطريرك قرياقس:

سنة ١١٠٤ اجتمع الاساقفة في حران، ورسموا في ١٥ آب، قرياقس من دير بيزونا بطريركا، وهو رجل عالم وطاهر نفسا وجسدا، فاصطحبه زكريا هو الآخر الى الرها، فرحب به أهلها كملاك من عند الله ودخل المدينة بحفاوة، وقد أحبّه الجميع، حتى اذا ما طرح موضوع زكريا، أظهروا عدم الطاعة. فحاول كثيرا ولم يفلح، وأخيرا فصل البطريرك أربعة أقاليم من الابرشية وأعطاها لزكريا ليزورها في حياته، وتعود بعد موته وتتحد بالابرشية. فاقتنع الرهاويون ووافقوا على ذلك، على ان يختار من يشاء ويرسمه اسقفا لهم، وغادر المدينة. وبعد فترة رسم لهم باسيل من قنسرين. ولما رأى قرياقس انه نجح في إدارته وتنظيمه للكنيسة كمسؤول، ولم يكن هناك ما يعكر، اعتقد ان الامور ستسير على هذا المنوال، فأراد ان يلغي من الكنيسة عبارة "تكسر خبز سماويا". لذا اشترط على الكهنة الذين يرسمهم ان لا يستعملونها، ولم يتذكر كيف سمح بها جورجي ولم يلغها تفاديا لانشقاق الكنيسة. فبدأت القلاقل بسببها، لذا عقد مجمع سنة ١١٠٦ في بيث باتي بمقاطعة حران، وبعد مناقشتها قرروا ان يعطى الخيار في استعمالها أو عدمه، لئلا يتشكك الذين لا يستعملونها، ثم سنوا ٤٠ قانونا حول التعديلات التي اقترحها البطريرك في هذا المجمع. غير ان بعض الاساقفة عارضوه سرا، منهم ساويرا اسقف شميشاط الذي لم يوافق على انتخابه منذ البداية، وكان البطريرك بدوره غاضبا عليه. ولما ذهب الى أبرشيته لإصلاح بعض الأخطاء التي ارتكبت بسبب إهمال ساويرا، اتهمه ساويرا بأنه جاء ليجد علة ما عليه. لذا لم يفتح له باب الكنيسة، ولما قدم الى الحاكم فرمان الملك، أمر بفتحها واعتلى البطريرك المنبر وحرم ساويرا، وكان يتجول بين القرى معلنا حرم ساويرا، فجمع ساويرا الاساقفة والكهنة والرهبان والشعب، وشخص الى البطريرك في ديره، فسامحه وساد السلام.

عندما ملك هرون أمير المسلمين، أرسل عبد الملك ليبني مدينة حدث، فجمع ألفي عجلة، وهدمت الكنائس الواقعة غربي سنجا، واستعملت حجارها لبناء السور، كما هدمت كنيسة كيشوم الكبرى وهياكلها الخمسة عشر. وفي ايلول دخل "ملشوف" أرض الروم وسبى خلقا كثيرا، ثم دخلها سليمان أمير حدث فنهب وسلب. وفي شباط دخل ابنه ايوب الى منطقة سواحل البحر ونهب كثيرا. وفي سنة ١١٠٤ نشب قتال بين القيسيين واليمانيين في الغرب، ابتدأ من فلسطين وامتد حتى حمص وأسر الكثيرون من الجانبين. وفي السنة نفسها دخل عبد الملك أرض الروم وسبى سبيا كثيرا وعاد. ثم دخل ابنه عبد الرحمن واحتل حصن ريسا في قبادوقية، مات فيه تسعة رجال عطشا ثم سلموه. ولما احتله المسلمون غنموا منه الشيء الكثير بما في ذلك أشياء ثمينة.

في هذه الفترة نُمي الى قسطنطين ملك الروم ان الفيدي قائد صقليا الذي كان يدعي بانه ملك الروم، يضاجع والدته، فأراد ان يقلع عينيه، فهرب عند المسلمين، فانتزع الملك صفة "الملوكية" من والدته، وأبلغ ذلك كافة رعيته، وزج في السجن أبناء الفيدي وزوجته. لذا أقسم الفيدي للمسلمين ان يسلم لهم جزيرة صقيليا، فتحالف مع الامير سليمان وأقسم. فقاد سليمان أربعين ألفا وذهب مع الفيدي شريطة ان يساعده في احتلال بلاد الروم برمتها. فأدركهم الشتاء في مقاطعة سمسون، ومات منهم أربعة آلاف، فاضطروا الى اللجوء الى الروم، فأظهر الروم روحا انسانية ولم يلحقوا بأي من المسلمين أذى، وفي كانون الثاني غادروا المنطقة وتقرحت أرجل العديد منهم بسبب الثلج. وأنا شخصيا التقيت بنحو أربعمائة منهم. بعد ذلك صالح قسطنطين والدته ايريني وأعاد اليها لقب الملوكية، وأعلن ذلك في كل مكان باستثناء مقاطعة الارمن الذين رفضوا المناداة بها ملكة نظرا الى الاقسام التي أقسموها، ففتك بهم الملك بقساوة. وإضافة الى أعماله غير الشرعية، فان الملك وطئ تقليدا مسيحيا وتخطى الخجل واتخذ له زوجة في حين كانت زوجته الاولى ما زالت على قيد الحياة، فسقط من عيون الشعب.

سنة ١١٠٠ جمع (ܣܢܘܐܠ) حروزنا المدعو وليد خمسة آلاف رجل وجاء الى نصيبين وقتل أميرها ونهب التجار وفرض على كل مسيحي ٥٥٠٠ قرش، فخشيه المسلمون لاسيما وانه أخذ يتجول هنا وهناك ويقتل المسلمين. وبعد ان انتصر على جيش عبد الملك وأخلى الطرق من المسافرين، قاومه يزيد وقتله. وفي السنة التالية غادر الامير هرون بغداد متجها الى قالينيقوس ليقيم فيها، وشيد قرى لسكانها وزعمائه، فصارت رفيقا بابل الثانية ومدّ اليها قناتين، الاولى من الفرات، والثانية من سروج، حيث اشترى مياه القرى من أصحابها، وحفر لهم نهرا جديدا وغرس عدة بساتين. وفي سنة ١١٠٨ حمل هرون أمير المسلمين على بلاد الروم. وفي الرها اشتكى اليه المسلمون من المسيحيين معتبرين إياهم جواسيسا، لاسيما وان ملك الروم يؤدي الصلاة سنويا في كنيستهم. وطلبوا اليه ان يهدم كنيستهم الكبرى، فاستشار بذلك كبير مستشاريه، فأشار عليه برفض الطلب، فطردهم وأهانهم.. ذكر ان شخصا ما من تراقية، فيما كان يحفر في مكان ما، وجد جرنا بداخله جثة كتب عليه "ان المسيح سيولد من عذراء". أما أنا فأؤمن بأن الشمس لن تشرق عليّ اذا تم هذا الذي قيل.

فصل
في سقوط الملك قسطنطين ووالدته، وملك نيقوفور. وما حدث من قبل هرون أمير المسلمين. والكنز الذي اكتشف في الرها. وإثارة الرهبان الشعب ضد البطريرك قرياقس. والاتحاد الذي أقامه مع اليوليانيين وإلغاؤه

اكتشاف الكنز:

يقول ديونيسيوس التلمحري في مقاله الثاني بخصوص الكنز الذي اكتشف في الرها: ان زوجة رصفيل قد دفنته عندما أمرها كسرى بالذهاب الى بلاد فارس، وكان البيت الذي دفن فيه الكنز يعود الى آل رصافيا، وانتهى الى آل تلمحري عن طريق الوراثة اذ تزوج شخص من الجوميين امرأة، فانتهى البيت الى سلبسطرس الذي ولدته تلك المرأة للجوميين، وتركه بدوره الى أبنائه مع ثروة، لكن أبناءه المستهترين بددوا الثروة، وأخيرا فكروا في حفر أرضية بيوتهم علهم يعثرون على كنز قيل انه مدفون في أحدها. وفعلا اكتشفوه. وحيث ان تفكيرهم كان صبيانيا دون ترو، لم يتصرفوا به بتعقل، فزادوا في موبقاتهم، وانصرفوا وراء ركوب الخيول وكلاب الصيد. فسمع هرون أمير المسلمين فقبض عليهم وسجنهم في قالينيقوس. وأرسل الى الرها أحد معتمديه ليأخذ ما يعرض للبيع من المقتنيات الملكية، وكان بينها عقارب وحيات فضية مليئة بالتبر الذي اعتبره الاغنياء ترابا فرموه واشتروا الفضة. وقبض معتمد الامير على نسائهم وامهاتهم العجائز، واستولى على ما تبقى من الاشياء، ومنها جرار وقلل ذهبية وفضية ومعدنية ودنانير رومية، وسجن كلا منهم على انفراد، كما سجن اختهم العذراء في دار رجل خلقيدوني، فأودعها في غرفة في الدور الرابع ووضع عليها حراسا من الفرس. وكانت يقظة جدا خشية ان يباغتوها ويغتصبوها. وإذ سمعت صوت أقدام صرخت الى الله وغطت وجهها وطرحت نفسها من النافذة، فعثر عليها في الشارع، وبعد يوم واحد

فارقت الحياة، فخاف ذلك المعتمد، وأسف على موتها هرون نفسه، فأخرج اخوتها من السجن وأعاد اليهم خمس ما جلبه المعتمد وأطلقهم.

لقد استغل المسلمون نبذ الشعب لقسطنطين لتعديه على الشريعة، فأخذوا ينهبون مناطق الروم دون ان يلقوا مقاومة، ففكر الروم في خلعه، لكنه بدلا من ان يرتدع ويمتنع عن المنكرات، زاد في شبقه بسيطرته على بنات الاعيان وإفسادهن. ولما خرج لمحاربة الكرج، سكر وعربد في تراقية، فأخبر الزعماء والدته بذلك فوعدت بإزاحته، ولدى عودته كحلت عينيه فعمي وانفردت بالحكم، وعينت آطيوس الخصي قائدا للقوات وجعلته الشخص الثاني. ولما دخل المسلمون ارض الروم هزمهم آطيوس. وفي السنة التالية دخلوها ثانية وانتصروا، ودخلوها ثالثة وانتصروا. فأراد الروم إقامة وزير المالية نيقيفورس القبادوقي ملكا، فأمرت ايريني بإهلاكه، فأخفاه آطيوس، وأراد المُلك لنفسه، فطلب التاج من ايريني فامتنعت فغضب، فأخبرت القائد نيقيطا عن نية آطيوس، فتشاور البطريرك مع الهيئة الاستشارية واتفق الجميع على ان يملك نيقيفورس فملك سنة ١١١٤، وأكرم الملكة ايريني وآطيوس الخصي، لكنهما دبرا له مكيدة لقتله بواسطة بعض الرهبان. فانكشفت مؤامرتهما، فنفيت ايريني الى اثينا حيث ترهبت وتوفيت هناك. أما الرهبان فلم يؤذهم الملك. وكافأ آطيوس على جميله.

في هذه الفترة، شيد هرون أمير المسلمين مدينة الى جوار ملطية في ارمينيا الصغرى باسم زوبطرا، وفيما كان منهمكا في بنائها، دخل سطورقيوس منطقة فالوفونيسيوس التي كانت تحت سيطرة المسلمين مدة طويلة، وجعلها تحت سيطرة الروم ووضع فيها حامية وعاد بعدد من أسرى المسلمين، وغنائم كثيرة من ماشية وقطعان الخيول والجمال.

سنة ١١٠٩ عقد البطريرك قرياقس مجمعا بهدف الاتحاد مع اليوليانيين، حضره زعيمهم جبرائيل المؤمن بعقم عقيدة يوليان، فاقتنع

وزملاؤه بعقيدتنا، لكنهم استصعبوا المناداة باسم القديس سويريوس رغم قبولهم لردوده على يوليان، ولم يشاءوا حرم يوليان بالاسم. فغض البطريرك النظر عن هذه الامور مراعيا الظروف وآملا ان يصطلحوا فيما بعد. أما بالنسبة الى البطريركية، فقرروا ان يترأس جبرائيل اليولينيين ويذكر اسمه في كنائسنا، ويذكر اسم البطريرك قرياقس في كنائسهم، ولدى موت أحدهما يترأس الآخر الكنيسة برمتها. فناول البطريرك جبرائيل ورفاقه، وفي اليوم التالي قدم جبرائيل الذبيحة.

ان حركة الاتحاد هذه أثارت استياء بعض الاساقفة من البطريرك قرياقس. فاستؤنف عقد المجمع وحضره جبرائيل ايضا وطلب اليه حرم يوليان، فمنعه البطريرك قائلا: لا يجدر بنا ان نطيل الحديث معهم عن حقيقة مثل هذه، ففي حوزتنا نماذج إدارية لرعاة الكنيسة الاولين. لكن الاساقفة انفردوا بجبرائيل وطلبوا اليه ان يحرم يوليان ويقبل سويريوس فأجاب: كلا يا اخوتي. ليكون تحت نفوذكم. فاذا كنتم تودون ان تريحوني وحدي، فأنا مستعد ان أحرم يوليان، ولكن هناك من يستصعب حرمه علانية عن جهل، فاذا ألزمتموهم فقد يرجعون الى الوراء وينهار الاتحاد الذي حققناه، غير انهم لم يقتنعوا، بل أصرّوا على حرم يوليان من على المنبر. فشخّص جبرائيل داءهم، فنهض ونفض ثيابه عليهم قائلا: لقد علمت الآن ان الحقيقة التي تدعونها ليسن بالله ولا من اجل الله، انما سببها حقدكم على رئيسكم، لكي لا يتم الصلح بواسطته. وأعلموا ان الله سيطالبكم بدماء الشعب الذي تعيقون خلاصه. وهكذا فشل اتحادهم بسبب حسد الاساقفة، وفعل العدو المعروف. ألا قهره الرب ودحض حبائله وابعادها عن الشعب الارثوذكسي آمين.

فصل

في بدء حكم نيقوفورس. وهرون الرشيد أمير المسلمين. وبدء انشقاق الجبيين عن البطريرك قرياقس. والمعجزة التي حدثت في منبج، وبقية الاحداث التي تمت في هذه الفترة

ان السبب المباشر لتمرد الجبيين هو ضعف ادارة اسقفهم باكوس واسقف القورسيين، وعدم التزامه بالقوانين الرسولية. فوبخه البطريرك قرياقس وأوقفه، ثم أعاده بالتماس من الاساقفة، فحنق عليه، وأخذ يحرض كهنة المنطقة ليستعملوا عبارة "تكسر خبزا سماويا"، ليزعج البطريرك. ولدى احتضاره جمع الكهنة ورؤساء المنطقة وحرم كل من لا يستعمل هذه العبارة، وحذّرهم من ان يقبلوا اسقف ما لم يكن من ديرهم. وقال: ليس هناك ما يزعجني سوى.. هذا الجرمانيقي (البطريرك قرياقس)، الذي شق المنطقة ورفع عبارة "تكسر خبزا سماويا:. وبعد وفاة باكوس، توجّه تلميذه اخسنايا برفقة جماعة من دير الجب الخارجي الى البطريرك، وقدموا له خمرا وعصا بحسب العادة المألوفة في الكنيسة وطلبوا رسامة اخسنايا اسقفاً، فأجاب: ليس من العدل ان يسيطر الرهبان على الابرشيات بشكل وراثي. اننا نرسم لكم اسقفا من ابرشية اخرى، ونرسم منكم لأبرشية اخرى. واذ لم يلب طلبهم، توجهوا الى القورسيين وأثاروا المنطقة وحرضوا العلملنيين على التمرد، فاستجابوا الى رغبة الرهبان بدافع من الكبرياء والمال الوفير، وقرروا رفض اي اسقف ما لم يكن من دير الجب الخارجي، وعدم السماح بانقسام أبرشيتهم. فكتب اليهم البطريرك ناصحا ومنبها ليتقوا الله ويقبلوا من سيرسله، فرفضوا وأجابوا بوقاحة: نحن لا نقبل أحدا من القروبيين الشباعى خبزا ما لم ترسم لنا اخسنايا. والى جانب مزاج البطريرك الحاد وتشبثه برأيه، فقد حرضه آخرون على عدم التساهل، ومنهم يوحنا اسقف حلب وثاودورس اسقف سلوقيا اللذان حثاه ليسرع في رسامة اسقف لهم ولئن من غير رضاهم. والحق يقال، لقد ارتكب هذان الاسقفان خطأ فاضحا، اذ قد رسم لهم

الراهب سليمان من دير مار يعقوب في قورس، فازدادوا شرا، ولم يقبله أحد باستثناء جوبرين وترميزد، وألغى القورسيون المناداة باسم البطريرك.

فاجتمع كل المتمردين والاساقفة المعزولين وتوجهوا الى هرون أمير المسلمين الذي كان يتأهب لاقتحام بلاد الروم، وقدموا له مذكرة مفعمة نفاقا، جاء فيها: نحيط الامير المحفوظ علما بأن قرياقس الذي يدعي انه بطريرك وصار رئيسا لنا بالرغم منا، يحمل فرمانا ويرهقنا بمطاليب ثقيلة، وهو عدو للامير ولكافة المسلمين... فقد شيد كنائس على حدود بلاد الروم، ويوصل الرسائل اليهم، ولا يرضى ان يقيم حيث تقيم، فاذا ذهبت الى المشرق، ذهب هو الى المغرب. فأصدر أمرا بهدم الكنائس في منطقة تغرا، ومنها الكنيسة الجديدة. وبأن يوتى اليه بقرياقس مهانا، غير ان الله أشفق ولم يسمح بان يهان البطريرك القديس بأيدي المجرمين، اذ حضر ثاودوسيوس اسقف سلوقيا الى قالينيقوس ومعه خيول سريعة، فأخذ البطريرك والاساقفة في طريق آخر فوصلوا الى جبرين، وصادفوا الامير في طريقه الى جبرين، فسلم عليه ثم أخبروه بانه هو البطريرك، فأوكل أمره الى كاتبه اسماعيل بن صالح الذي كان يحب البطريرك، ليقوم بالتحقيق في موضوع الشكوى التي قدمها الرهبان. ولما دخل البطريرك ورهبانه والاساقفة، حضرت زمرة قيافا، واتهموا البطريرك بقتل اسقف وسخروا منه، لكن اسماعيل استطاع أن يكشف حقدهم فطردهم.

بينما كان سمعان من دير الجب الخارجي الذي صار اسقفا للعرب، يسير مع تلاميذه هجم عليهم لصوص وقتلوهم، فاشيع بان البطريرك استأجر أحد المسلمين وقتلهم.. لقد ارتكب ابن مطر المكلف بهدم الكنائس، فظائع جمة، ليس فقط في تغرا، بل وفي قرى انطاكية واورشليم ايضا، ومحا كنائس قديمة، منها كنيستنا في القدس، وجمع رشاوى كثيرة، فلعن الناس الجبيين لانهم صاروا سبب هلاك الكثيرين..

جرت هذه الاحداث سنة ١١١٨ ي. أما البطريرك فعاد واستقر في ديره في قالينيقوس.

في تشرين الثاني ١١١٤ ملك على الروم نيقيفور وهو رجل اداري وجبار، ويقال انه عربي الاصل. ذلك ان رجلا يمنيا يدعى جبله كان يحكم اليمنيين المسيحيين، ولما دعا محمد العرب الى الاسلام،أسلم جبله ورفاقه على يد عمر بن الخطاب، ورافق الامير الى مكة، وفيما هو على مقربة من بيت عبادتهم، داس أحدهم على رجله، فالتفت وضرب الغارزي على وجهه وكسر أنفه، فقال عمر لجبله: إما ان ترضي الغارزي فيسامحك، وإما ان تقدم له وجهك ليكسر أنفك. فقال: كيف يسمح ملك مثلي لصعلوك ان يضربه؟ قال عمر: ولئن كنت أكثر كرامة منه في ما يخص الملكية، بيد انكما متساويان في الاسلام. فقال جبله أمهلني حتى الصباح لأقرر أحد الأمرين، وفي الليل هرب جبله ورفاقه الى قبادوقية في بلاد الروم، ورجعوا الى مسيحيتهم، ونيقيفور هذا ينحدر من جبله. ولما سمع عبد الملك الذي اختير لمحاربة الروم، قال للفيدي الروماني الذي أسلم صقيليا للمسلمين وقال: قل لي من تركت بين الروم يستحق الملك؟ فأجاب: فلان وهو رجل غني من صلب الملوك. فسأله، ومن غيره؟ أجاب: هناك رجل ذكي يصوم ويصلي اسمه نيقيفور. قال عبد الله، انه هو الذي ملك. فقال الفيدي لعبد الملك، اذا ملك نيقيفور، فعليك ان ترمي ثيابك الناعمة جانبا وتتقلد السلاح وتستعد للحرب. وهكذا كان. فلم يقم بين ملوك الروم، منذ قيام الاسلام، رجل محارب مثله.

ولما أخبر هرون، استعد للحرب وقاد جيشا واقتحم ارض الروم، فلاقاه نيقيفور على راس جيشه، وعسكر كل منهما مقابل الآخر، وتبودلت الرسائل بينهما، وأخيرا عقدا صلحا، وعاد كل منهما الى بلاده، وتبادلا الهدايا والعطايا، كما تبادل الشعبان التجارة.

سنة ١١١٥ غزت قوات الـروم قيليقيـا وسـبتها، ثـم عرجـت علـى مقاطعة مومفسستان وأنازرمون وسبتهما، فلحق بهم المسلمون الذيـن فـي طريقس وأعـادوا السـبايا، فلمـا سـمع هـرون غضـب جـدا، فجـاء الـى قالينيقوس من فارس، وغزا هرقليا في نيسـان، فخـرج نيقيفـور لمحاربتـه. ولما رأى هرون قوة الروم الهائلة طلب الصلح، وسـلم اليهـم الـروم الذيـن تحت نفوذه. وتثمينا لموافقة نيقيفور على السلام، أهداه هرون جميع الخيـام التي كان يسكنها مع ملحقاتها.

في هذه السـنة شيد هـرون مدينـة بـالقرب مـن قـالينيقوس سـماها هرقليا باسم زوجته التي تنتمي الى عائلة هرقل. فجمع الفنيين وأقاموا فيها مباني رائعة، فوقع الشعب في ضائقة ماليه الى درجة الجوع، بسبب نفقات البناء، ففتح الملك خزائنه وأوعـز ان تدفـع الاجـرة مضاعفـة. وهكـذا بـدد الثروة التي جمعها. فغار نيقيفور ملك الـروم مـن المسـلمين، فبنـى أنقـورا وغيرها من المدن، لان المسلمين سيطروا في عهده على مدينتـي طاوونـا وهرقليا.. لقد وجه أحد المؤرخين الخلقيدونيين اتهامات شتى لنيقيفور هذا.

لما أراد هـرون أمـير المسـلمين ان ينـزل الـى فـارس، اسـتعرض خزائنه واطلع على ما يمتلك من أموال، فوجد ان أمواله تفوق ما جمع أبو جعفر بألف ربوة اي خمسـمائة ألـف ألـف درهـم، فاطمـأنت نفسـه وصلـى ثلاث ركعات فـي كـل جـامع. ولمـا عـزم علـى مطـاردة أحـد المتمرديـن، أوصى ان يخلفه ابنه الكبير محمد وبعده مأمون ومن ثم قاسم. وصـار هـذا التدبير سببا لانقسام دولتهم، حيث ملك محمد في بغداد، وقاسم في سورية، أما مأمون فاصطحبه الى خرسان، ومنحه ألـف ربوة من الفضـة بـدلا مـن الملـك. وقتـل المتمـرد فـي مدينـة طـوس الخرسـانية، وفيهـا توفـي هـرون الرشيد نفسه سنة ١١٢٠ بعد ان حكم ٢٣ سـنة.. لقـد خـرج نيقيفـور ملـك الروم على الفرجيين وقتل عـددا كبـيرا منهـم، وفتـح عـاصمتهم ودمرهـا، ووصلت به الوقاحة الى درجة مدّ أطفالهم على الارض وتسيير الجراجـر عليهم. وفي سنة ١١٢٢ قتل نيقيفور من قبل رجل رومي.

في ٢٣ من هذه السنة، حدثت هزة كبرى في مومفسسطيا، فسقط سورها وتصدعت معظم دورها وثلاث قرى من المنطقة، وانقطع جريان نهر جيحون الذي يمر بالقرب منها مدة ست ساعات، وصارت السفن على اليابسة. وفي السنة نفسها أفسد الجراد كل صنوف الغلال في المنطقة. وفيها أيضا أثير شغب في رومية، حيث تجمهر الناس ضد بطريركهم أدرياس وقلعوا عينيه، علما بان الذي قلعها راعى جانب الرحمة، ثم هرب الى فرنسا لان رومية كانت يومذاك تحت سيطرة فرنسا.

وجد في هذه الفترة رجل قرشي الاصل يدعى رويّح، وكان بيته ملاصقا لكنيسة، وقد اعتاد ان يطل عليها كلما أقيمت الصلاة، ويرمي الكاهن بكرات طينية خلال إقامة الذبيحة الآلهية. وفيما كان ذات يوم يطل كعادته. رأف به الله العارف بكل شيء قبل ان يكون، اذ رأى في الصينية حملا ملطخا بالدم بدلا من خبز وخمر القربان، فشده من هذا المشهد وتوجه الى الكاهن ليتأكد مما رأى. ولما أمعن النظر رأى حملا وقد قُطّع أجزاءا وهو موضوع على الصينية يقطر دما. ولم يَدرِ الكاهن بالأمر حتى قصّ عليه الحدث. فشرع الكاهن يعلمه الاسرار، فترك بيته واعتمد والتحق بدير. فاستدعاه هرون الرشيد وسأله عن موضوعه، فشرح له بكل شجاعة ما أراه الله، وصمم على عدم هجر المسيحية ولئن راح ضحية العذابات، فكبلوه بالحديد وسجنوه، وبعد ان أذاقوه مر العذاب، استدعاه هرون ثانية ووعده بمنصب رفيع ان هو هجر المسيح، ولما لم يرضخ أمر بقطع رأسه بالسيف، فوضعوه على خشبة وعلقوه على سور مدينة رفيقا. وقد شاهد الجمهور نورا هابطا عليه من السماء. وفي الليل أنزله أحد المسيحيين وأخذه الى مدينته في فارس.

في هذه الفترة غزا جراد كثيف واستمر ثلاث سنوات، وتكاثر وعاث الفساد في ما بين النهرين، وانتشرت مجاعة كبرى، والأنكى من ضيق المجاعة، تلك الضرائب والرسوم الباهظة التي جمعت لخزينة الامير. وفي سنة ١١١٩ اشتدت المجاعة أكثر، وأرسل الله حيوانات

تخرج جثث الموتى من القبور وتأكلها، وتهاجم الاحياء، وفيما كانت النساء والاطفال يجمعون الاعشاب ليأكلوها، كانت تهاجمهم تلك الحيوانات وتأكلهم.

ـ بناء دير مار حنانيا ـ

سنة ١١٠٤ رسم البطريرك قرياقس اسقفا لماردين وكفرتوثا يدعى حنانيا من دير مار متى في جبل الالفاف الذي عاش فيه ألوف من الرهبان والمتوحدين. يقول يشوعدناح أحد المؤرخين النساطرة في الباب السابع من المقال العاشر من تاريخه الكنسي: لقد أسس في هذه الايام، حنانيا اسقف الساويريين ديرا في جبل ماردين، وهو اسقف ماردين وكفرتوثا ومنطقة الجزيرة. وكان ثريا ومحبا للغرباء، وهو من دير مار متى في جبل الالفاف، وجد بالقرب من ماردين حصنا مشيد بصخور ضخمة منذ العهد الروماني، فاشتراه وأحاله ديرا، وغرس فيه كروما وزيتونا، وأعطى مالا كثيرا للحكام، وأسكت بحكمته خصومه، وأقام هناك كنيسة ومذبحا وجمع نخبة من الرهبان، واهتم بهم كثيرا من كل النواحي وهو لم يفعل هذا من أجل مجد باطل، بل ليلقى مجازاة من فوق، وعرف بدير مار حنانيا في جبل ماردين حتى اليوم.

فصل

في انقسام دولة المسلمين بعد موت هرون، وانقسام مملكة الروم بعد موت نيقيفور. والانشقاق الذي حدث على البطريرك قرياقس

لما علم البطريرك قرياقس ان القورسيين يرفضون الاسقف الذي رسمه لهم، جمع ثلاثين اسقفا ومضوا الى جبرين ووجهوا ثلاثين رسالة تدعو الى السلام، وأرسل أربعة أساقفة الى كفرحليف حيث كان رهبان الجب الخارجي مجتمعين، فخرجوا على الاساقفة كذئاب عربية، وأمطروهم حجارة وشتائم، وبالكاد استطاعوا انجاة منهم. وتجاه هذه الوقاحة، قصد البطريرك أمير المقاطعة فأرسل وأتى بالمشاغبين، فسجن البطريرك في الدير أربعين رجلا منهم، فجاء رؤساء القورسيين الى البطريرك معتذرين وطالبين البركة ووعدوه بمصالحة الرهبان اذا ما أطلق سراح المسجونين، فتلا عليهم البطريرك صلاة المسامحة وأطلقهم مع المسجونين. ولما عادوا نكثوا بعهدهم، اذ حركهم الشيطان وأخذوا بمشورة متى الكفرتوثي، فتعدوا على قوانين الكنيسة. وبتوسط أيوب المعزول ويوحنا اسقف كوختا الذي كان البطريرك جورجي قد عزله، رسموا اسقفين هما جبرائيل من دير الجب الخارجي، وثاونيني من دير اوسيبونا، لقرية كوميت التنوخية. ولما علم الاساقفة بذلك، أخبروا الامير فاستدعى كل من حضر ذلك الاجتماع، فقبض على يوحنا اسقف كوختا وجماعة من الرهبان، بيد أنهم لم يرتدعوا رغم نصح الاساقفة، بل زادوا وقاحة وجسارة ضد البطريرك، وأسمعوه كلمات نابية قبيحة، فحرمهم. غير ان فلكسين اسقف نصيبين الذي انضم اليهم فيما بعد، مزّق نسخة حرم الجبيين، باسم ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

سنة ١١١٩ عقد مجمع مقدس في قصبة جبرين التابعة للقورسيين للنظر في أحداث الكنيسة. وفيما كانوا يتحاورون بسبب إعادة الكنيسة، اذا بهم يستكبرون على الله وكنيسته، وبينهم اساقفة مشبوهون وعائثو فساد

ومتدنسون بقروح شهوات دنسة، مثل أيوب الدنس الذي كان يوما اسقف المصيصة والمتهم سابقا بالقتل والسكر، والذي عمل جابيا للضرائب، حيث كان يضغط على ابناء رعيته لجباية المزيد من الضرائب، وداس أوامر البطريرك وسخر من الاسرار الآلهية، ومعه يوحنا اسقف كوختنا المضل الذي لم يُعرف له موطن ولم يُحصَ بين الاساقفة. هذان اللذان فكرا بالاثم مثل أثان بلعام والذين استعلوا على موسى في حينه، فقد استكبرا مثل اولئك على رئاسة الكهنوت والمجمع المقدس المنعقد في جبرين، وأدخلا بينهما أناسا عابثي فساد مثل جبرائيل وثاودوطا وثاوفيني، ورسمهم اساقفة وهم شرذمة من الارذال.

لذا فان مجمعنا مع رئيس الاحبار يسوع السيح وزمرة الرسل، أعلن حرم أيوب ويوحنا وجبرائيل وثاودوطا واخسنايا ومتى وشمعون وثاوفيني. وقرر بكلمة الله الحية التي ترهب منها قوات الظلام وكل الخلائق، ان الله لا يعرفهم اساقفة حتى ولا كهنة ولا يحصون مع المؤمنين، لكنهم محرومون ومن قَبِلهُم فإنه يشترك بذنبهم.. / قرياقس، برحمة الله بطريرك الكرسي الرسولي الانطاكي، حرمت فلانا وفلانا المذكورين أعلاه. **توقيع:** يوحنا الجرمانيقي، ولعازر الارومي وبقية الاساقفة الذين وقعوا.

وبعد ارفضاض المجمع، حضر الراهب ابراهيم من قرتمين لدى البطريرك في دير العمود، وطلب السماح لأخيه سمعان من دير الجب الخارجي، واعدا بأن يأتي به الى البطريرك، فصدقه وزوده بالدعوات. ولما عاد التقى بمتى الكفرتوثي، وبتأثير الاغراء والمجاملة نسي وعده، وتبع المتمرد، فاجتمع الذين عُزلوا مرتين وأقاموا لهم بطريركا، فترسخت بدعتهم وصاروا أعداءً للكنيسة، وأخذ ذلك الشقي يرسم للابرشيات أساقفة مزيفين، الذين أخذوا يتجولون متذرعين بعبارة "تكسر خبزا سماويا" ، ويتهمون البطريرك بهرطقة البوليانيين، ويشيعون ان عبارة "الخبز السماوي" كانت معروفة في كنائس سورية وبين النهرين وآثور، ووصلوا

في تجوالهم حتى مصر والاسكندرية مُثيرين الشكوك في المؤمنين، ومحاولين الفصل بين مرقس وقرياقس. فأرسل قرياقس رسالة الى البابا مرقس أطلعه على حقيقة ما يجري، فأمر مرقس بطرد اولئك الرهبان وجمع الاساقفة وحرم ابراهيم والذين رسموه وجميع الجبيين.

لما توفي هرون الرشيد، وخلفه ابنه محمد المعروف بأمين، توقف بناء مدينة هرقله، فنقل كنوز والده من قالينيقوس الى بغداد، كما نقل اليها أموال المأمون الذي ملك في خرسان. وابتلي محمد بالفسق والشراهة وأهمل شؤون الدولة. اما المأمون فكان مهذبا ومتعلما وملتزما بالقوانين. وفي سنة ١١٢١ بدأ الخلف بين محمد واخيه المأمون، لان محمدا أراد ان يخرج عن وصية أبيه، فيعطي ولاية العهد لابنه وليس لأخيه، كما لم يدفع لأخيه حصته من المال الذي وهبه والده، واستولى على كافة مقتنيات أخيه، وحاول استقدامه بالحيلة ليقبض عليه. غير ان المأمون اكتشف خدعته فلم يحضر، واخيرا خاضا قتالا ضد بعضهما. وهنا برز بعض المتمردين، منهم عمرو الذي كان قد سجن في قالينيقوس بجريمة القتل في شميشاط، فاستطاع ان يحصل على فرس وسيف فقتل الحارس والذين معه، وحطم السلاسل التي كان موثوقا بها، وامتطى الفرس وهرب الى شميشاط، وقتل الامير الذي سجنه، ونهب التجار، ثم غادر الى فلسطين مع جماعة من أتباعه، وشرعوا بالسلب وانهب والقتل. فأرسل محمد، سليمان الى حمص ودمشق وفلسطين، فقاومه عمرو ودمّر جيشه فعاد الى بغداد خائبا. وفي ارمينيا تمرد شخص يدعى نصر الذي تحالف مع عمرو، وأخذا بالاعتداء على الناس. أما محمد فأجزل العطاء لقواته وعين علي قائدا لهاوأرسلها لمحاربة أخيه مأمون الذي ألب بدوره جيشا بقيادة هرثمة وطاهر وأرسله الى معسكرات أخيه محمد. فتقدم طاهر اولا بأربعة آلاف جندي، واصطدم بعلي ومعه ثلاثون ألفا، فهزم علي وابيد جيشه، وغرق الكثيرون منهم في نهر بليخ الذي دارت الحرب حوله، وغنمت قوات طاهر ذهبا وفضة وأمتعة كثيرة.

أما المتمرد نصر فوصل الى الجزيرة وأعمل فيها نهبا وسلبا، فضرب خورميزا أمير الجزيرة قواته وأبادها، فهرب نصر. فلما سمع محمد بهزيمة علي وجيشه، استدعى خورميزا. وعلم بذلك المتمردان نصر وعمرو فاقتحما بجيشهما الجزيرة ونهبوا وسلبوا وفسقوا ببنات الاشراف والعذارى والصبيان، وجمعوا أموالا طائلة ثم توجهوا الى حران والرها وأحرقوا القرى والكنائس والاديرة. ولما احتل المسلمون حران والرها، كتب أعداء المسيحيين الى نصر وعمرو يقولون: لو أرسلتم من يهدم قبة الكنيسة، فان المسيحيين سيفدونها بكل ما يمتلكون. فخاف الرهاويون، لان سور المدينة لم يكن قد أعيد بناؤه مذ هدمه أبو جعفر، ولم يكن لهم ما يحميهم. فتركوا كل المحاولات ووجهوا أنظارهم نحو ساكن السماء، ونادوا بالصوم والصلاة. وان الرب الذي يستجيب كل من يدعوه بالحق، أوحى الى نيحا بن سعيد الذي التقى بنصر وعمرو وأشار عليهما ان يمتنعا، فقبلا مشورة ذلك الشيخ لانها كانت من إرادة الرب. فدفع الرهاويون خمسة آلاف درهم لقاء نجاتهم. تمت هذه الاحداث سنة ١١٢٣ ي.

كانت أشهُر شتاء هذه السنة معتدلة جدا والامطار قياسية، فكثرت الزروع وكل أصناف الغلات في كل مكان. وفي أواخر كانون الثاني هبت ريح شمالية استمرت ثمانية أيام، واحترق كل شيء كما بنار، ولم يُجنَ في تلك السنة اي من الغلال والبقول والكروم والاشجار، لاسيما في آثور وبين النهرين.. في هذه السنة خرب دير قنسرين، وكان ذلك على النحو التالي:

لقد رفع رجل ناصري يدعى ربيع راية فوق جسر على الفرات، واتفق معه بعض رفاقه، وجاء الى دير قنسرين ولم يكن من يحميه، فأشار الى أصحابه فنهبوا الدير وأحرقوه وهيكله الجميل الذي لم يكن له نظير، كما أحرقوا هيكل توما الرسول الذي في الكهف، والحصن ايضا. ثم اجتمع الجبيون المجاورون له، وخربوا الدير كليا، ونهبوا الاخشاب

والابواب. وكان هذا أول دير يحرق في عهد المسلمين. ثم ظهر عصاة ولصوص في الغرب ومصر وافريقية، واستولوا على مقتنيات المسيحيين. وكان الجميع يعملون لإبادة المسيحيين، يمانيون وكوفيون وسليمانيون.....

فصل

في الحروب التي نشبت بين المسلمين والعصاة، ومقتل ملكين روميين، وبناء أسوار الرها وكيشوم وشميشاط، واشتداد مقاومة المتمردين المحرومين للبطريرك قرياقس

بعد عزل الجبيين وابسالهم عن الكنيسة مع ابراهيم الذي رسموه بطريركا، أثار التكارتة نزاعا مع البطريرك قرياقس، لعدم أهمية إعارته للشكاوى التي رفعوها ضد مطرانهم شمعون، اما بقصد تقليل من أهمية الكرسي كما ذهب بعضهم، او لإنحيازه الى تلميذه شمعون كما يقول خصومه. حيث كان قد رسمه دون رغبتهم. ولكن بسبب ما عاناه منهم اوعز الى شمعون ان يذهب الى ديره ريثما يتم الصلح بينهم. غير انه رفض وقاوم معلمه، وعندما ألمح البطريرك الى الحرم، غادر. فانقسم الشعب فريقين، فريق يشتم شمعون ومعلمه البطريرك، وآخر يمتدح شمعون ويشتم البطريرك لانه أبعده، وهكذا شتم البطريرك من الفريقين. ولما توسعت رقعة الشر، جاء خمسة اساقفة الى البطريرك طالبين عقد مجمع لبحث الموضوع، فعقد المجمع وحضر التكارتة وقدموا تهما شنيعة ضد شمعون من الاصدقاء والاعداء – لا احبذ تسجيلها للاجيال القادمة – حتى وصل بهم الامر الى اتهامه بالضرب والقتل. فأخذ الشك يساور الاساقفة بخصوص شمعون، غير ان البطريرك لم يسمح بعزله. وكان ثاودوسيوس المرسوم للرها والذي تركها وأقام مع البطريرك، يساعد شمعون، بيد ان مساعدته لم تُجد نفعا. واذ رأوا ان لافائدة من النقاش، أشاروا ان يذهب الى ديره، فقدم طلبا بالاستقالة، هذا وقد عزل فلكسين اسقف نصيبين، وتقرر ان لا يشترك في مجمع. لقد حاول عزل شمعون فعزل هو.

اصطحب البطريرك ثاودوسيوس الى الرها ليصالحه معهم، ولما وصلا الى قالينيقوس، دخلها المسلمون، فعم الجوع. فغادراها متوجهين الى الرها، حيث صالح البطريرك الرهاويين مع اسقفهم ثاودوسيوس. ثم

سعى البطريرك وشمعون مع اهل المشرق، فأذن له ان يزور الاساقفة الذين عزلوه، ليحصل على موافقتهم لكي يصطلح مع ابناء رعيته. فلا يوجهون اللوم اليه لدى عودته. فتحايل على بعضهم وأخذ تواقيعهم وقدمها الى البطريرك استعدادا لإعادته الى كرسيه، فسبقه شمعون الى قرقسيون. ومن هناك جاءه من يخبره بموت شمعون، فارتاح البطريرك وابناء المشرق. انا لا استطيع ذكر ما حدث وتحدث به رهبان ديره لدى وفاته، إجلالا للاسكيم المقدس.

ونزل البطريرك قرياقس الى تكريت ورسم باسيل من مدينة بلد، وكان حاذقا في القوانين المدنية، وخبيرا بشؤون الضرائب وجبايتها. فاعتقد البطريرك ان شخصا مثل هذا بإمكانه ان يدير شؤون ابناء المشرق. لذا رسمه.

لقد ظل كرسي المشرق منفصلا عن انطاكية فترة ما في أعقاب مقتل باباي حتى عهد كرماي الذي رسم على آثور ونينوى من قبل خريسطفورس اسقف الارمن، وخوله سلطان رسامة الاساقفة كما كان يفعل الجثالقة في فارس سابقا. ولما اتحد مع انطاكية في عهد البطريرك اثناسيوس وخريسطفورس مطران آثور، ثبت اثناسيوس خريسطفورس نفسه مطرانا على آثور لدى رسامته ماروثا لتكريت وإعطائه الاولوية حتى على خريسطفورس مطران آثور، وهكذا سارت شؤون منطقتهم، حيث كان مطران تكريت يشرف على أدارة شؤون كافة الاساقفة، واقتصرت صلاحية مطران الموصل على لقب "المطران" فقط.

لقد ابتلي باسيل بداء الكبرياء، فأثار شغبا بين ابناء الموصل لانهم لقبوا اسقفهم دانيال بـ "المطران" بحسب عادتهم. فشق عليه الماتيون وجميع الاساقفة الذين من دير مار متى، عصا الطاعة. كما عصوا البطريرك ايضا لمؤازرته إياه، والعمل على تحطيم كرامة ديرهم بحسب توهمهم. فانقسمت الموصل قسمين، منهم يساند الماتيين ودانيال، وآخرون

ينتقدونهم، ويتهمون دانيال بشتى التهم ويطالبون بالتحقيق في أمره. وانتهى بهم الامر الى ضرب بعضهم البعض، ودخولهم السجن بأمر الحاكم وتغريمهم. الامر الذي دعا البطريرك قرياقس الى حرم الماتيين وأساقفتهم، كما تجاسر الماتيون وأساقفتهم فحرموا البطريرك وباسيل.

ظهر في هذه الفترة اي سنة ١١٢٤ في دولة المسلمين متمردون كثيرون أمثال نصر وعمرو. فصعد نصر وعمرو الى طرسنين وبازبدي وبمرين وطيشفا فنهبوا وأحرقوا حتى وصلوا الى قرية جديك. ووجدوا في دير صغير خارج القريةحبيسا، فأعطاهم كل ما كان له ولغيره من أمثاله. ثم أضرموا النار فأحرقوا الحبيس وكوخه. وذهب عمرو الى شميشاط وبنى حصنها وأقام فيه. أما نصر فاتجه الى سروج وفرض عليها الجزية. وكان الناس في دولة المسلمين يجتمعون حول اي رجل يركب فرسا وينادي بصوت عال. وكذلك كان الامر بالنسبة الى مملكة الروم.

بعد خمسة أشهر من ملك سطوريقي بن نيقيفور، جاء البرجريون الى العاصمة ليحاربوه فجرح الملك بفخذه أثناء الحرب، وتورم الجرح وانفجر فمات. ويقول بعضهم ان اخته فروقوفيا ابنة نيقيفور سمّته لكي يملك زوجها. ثم ملك ميخائيل فجاءه البرجريون حتى العاصمة، لكنه لم يقاومهم، وفوض الامر الى القائد لاون، فحاربهم وهزمهم وقتل ملكهم. فأطاح الروم بميخائيل وأقاموا لاون ملكا عليهم، فطرد ميخائيل من البلاط، وحلق رأسه وضعه في دير وجبّ أولاده، وعقد لاون صلحا مع البرجريون، وأعطاهم المملحة التي كانوا يحاربون من أجلها. وكان لاون هذا من ارمانيقوس، وملك ٧ سنوات ونصف، ثم قتله ميخائيل آخر وتسلم الملك بعده.

لما سمع محمد أمير المسلمين، بالنكبات التي سببها المتمردون في بين النهرين والغرب، أرسل حسين وأخرج عبد الملك من السجن، ليخرجا على المتمردين. فلما علم اولئك توقفوا قليلا، فدعا عبد الملك، وهو رجل

حكيم، العصاة الى الصلح، في حين انه كان ينوي شيئا آخر، اذ أوصى الحدادين بصنع سلاسل ضخمة ليوثقهم بها ويرسلهم الى بغداد. وفيما كانت مفاوضات الصلح جارية بين عبد الملك من جهة، ونصر وعمرو من جهة اخرى، اذا برجل فارسي، شاهد مسلما في مدينة قالينيقوس فعرفه من الفرس التي كان يمتطيها لانها تعود الى والده الذي قتله المسلمون في سروج. فاتخذ الفارسي هذا الحادث ذريعة لمحاربة المسلمين، فسقط من الجانبين عدد كبير من القتلى، ثم أضرم العصاة نصر وعمرو نارا في الطريق الذي يربط رفيقا بقالينيقوس وأحرقوا دير العمود وهربوا. فتوجه حسين الى بغداد ليرفع شكوى ضد عبد الملك، غير ان الموت فاجأ عبد الملك في قالينيقوس.

في ١١ أيار ١١٢٣ حدث كسوف كلي استمر من الساعة التاسعة حتى الحادية عشرة، وخيم ظلام دامس كالليل وظهرت النجوم، وأنار الناس السرج، ثم ظهرت الشمس لساعة واحدة.. لما عرف العصاة بموت عبد الملك، أخذوا من جديد بالنهب والسلب والسيطرة على بعض المناطق. فأعاد الشعب بناء سور شميشاط بسواعد المسيحيين الفقراء، وبنى ابوشك الجنوي سور الرها بنفقات جماعة من الرهاويين، وجمع الجنويين الذين في طيشفا وأسكنهم في بيوت المسيحيين فيها.. سيطر نصر على راس كيفا وسروج وكيشوم، وأحاط كيشوم بثلاثة أسوار. (شيّد البنيان الآخر لسور الرها وشميشاط وكيشوم في عهد المسلمين سنة ١١٢٥. وبعد فترة أنهار سور شميشاط وكيشوم).

فتح عبد الله بن هاشم حران، وسيطر عليها بعده ابراهيم. في حين فتح عمر تللا، وحبيب: راس العين. وعبد الله: ماردين. وعباس: قورس. وحكم عثمان قنسرين وانطاكية وافيميا. وكان محمد ثابت في قيليقيا، فأقام مداخل بين الحاميات، ووضع عليها حراسا، لكي تكون مقاطعة قيليقيا ميناء خلاص لكل المضطهدين المساكين.. أرسل الامير محمد، عبد الله أمير الجزيرة لمنازلة العصاة فوافقوا، لكنه صرفهم بسلام

بأسلوب ذكي، اذ جعل كلا منهم يلزم موقعه، وفتح خزائن الامير الموجودة في رفيقا واغتصب الاموال. بعد ذلك هجم المتمردون على حران بقصد احتلالها ونهبها، لكنها عادوا فاشلين. أما حسين فنزل الى بغداد ورفع شكوى ضد عبد الملك فرفضت، فأخذ يفكر بالعصيان.

فصل

في ازدياد العصيان في مناطق نفوذ المسلمين. والامير محمد. ومقتل لاون ملك الروم. وتفاقم الخلاف مع البطريرك قرياقس ووفاته. والبدعة التي ابتدعها في حران شخص خلقيدوني يدعى ثاودريقي الفجال الذي فضحه نونا ارخدياقون نصيبين العالم النحرير

سنة ١١٢٥ ظهر رجل رهاوي خلقيدوني يدعى ثاودريقي الملقب بالفجال، كان قد تسقف فترة على حران، ثم عزله بطريركهم ثاودريطا على اثر التهم الموجهة اليه، فانتهى به الامر الى ان يتجول في البلدان باثا عقيدة مكسيموس ومضيفا اليها بعض الشيء. ومفسدا أفكار بعض الناس من خلقيدونيين وارثوذكس. واذ وجد ان التحديد الخلقيدوني غير ثابت، بقوله ان المسيح طبيعتان باقنوم واحد بعد الاتحاد: أخذ ينادي بان طبيعة الاقنوم شيء، واللاهوت الذي من الآب والابن والروح القدس شيء آخر، وان طبيعتي اللاهوت والناسوت اتحدتا باقنوم الكلمة. واذ رأى ان الخلقيدونيين لا يؤيدونه، قرر ان يتجول في الغرب، وأغوى العديد من بسطاء المكسيموسيين، ثم شخص الى الاسكندرية، وكان موضع اعجاب البسطاء، نظرا الى كونه سفسطيا وقادرا على الرد على الوثنيين وضليعا من اللغة العربية، لكنه لم يفلح في الاسكندرية، لذا رحل الى ارمينيا، فانخدع به القائد آشوذ ومال اليه. فأرسل البطريرك قرياقس نونا ارخدياقون نصيبين ليفضح هرطقته لئلا يغرر بالارمن. فلما وصل وجد ان آشوذ قد مال الى بدعة الفجال. وظن آشوذ ان نونا المتطفل سوف لن يستطيع الظهور أمام الفجال نظرا الى كونه فيلسوفا، ورفض الفجال الحوار على اعتبار انه لا يليق باسقف فيلسوف ان يجادل صبيا، والحقيقة انه خاف ان يفتضح أمره. ولما اضطره آشوذ على الجدال، خسر الفجال منذ الجولة الاولى، كما لم يفلح في الدفاع في الجولة الثانية فسقط، وظهر انه لم يقرأ كتابا واحدا، ولم يُعن بالتعاليم المقدسة. وكل ما في الامر، انه

مطلع نوعا ما على الفسلفة. فلاذ أخيرا بالفرار خائبا، وتم فيه كلام النبي في الجماعة: "من مصر ايضا تخزين كما خزيت من آشور" (ار ٢: ٣٦).

بعد فرار الفجال من ارمينيا، تبنى آشوذ وأولاده الارخدياقون نونا فاستضافوه عندهم لاستئناسهم بأحاديثه. ولم يقتصر نونا على تحرير آشوذ وأولاده من هذه البدعة وبدعة الطبيعتين، بل شمل ارمينيا برمتها، كما حررهم من بدعة يوليان الخيالي، حيث كان العديد قد زاغوا وراءها بعد الاتحاد الذي أنجزه اثناسيوس والجاثليق ايوانيس.

في هذه الفترة، أخذت تظهر الوثنية في حران، وكانت قد استأصلت منها منذ عهد الملوك المسيحيين والمسلمين. ذلك ان شخصا قرشيا يدعى ابراهيم ارتشى من الوثنيين المقيمين في حران، عش الوثنية، والمعروفين بـ "الحرانيين"، فسمح لهم ان يقيموا شعائرهم علنا بعد ان كانوا يمارسون هذه الشعائر الدنسة خفية، ووصلوا الى درجة ان يزينوا ثورا بأقمشة فاخرة وبأكاليل من زهور عباقة، وأجراس في قرونه، ويتجولوا به في الشوارع، يتبعه نافخو الابواق، ومن ثم يقربونه ذبيحة لآلهتهم.

في آب عام ١١٢٨ الذي فيه توفي البطريرك قرياقس، حدث زلزال هائل ورهيب جدا، فاهتزت الجبال وردمت الينابيع في قرية اغورسا بمنطقة كلوديا، وانهار أحد الجبال وانحدر الى نهر الفرات فتوقف جريانه طيلة النهار، كما ردم ينبوع في طمعين، في حين ظهرت ينابيع مياه كبريتية في عدة مناطق.

عندما فكر حسين قائد المسلمين في العصيان على الامير محمد، اتهمه لدى الفرس بمساعدة المسلمين، فاختار جماعة منهم ودخلوا على محمد وكبلوه وسجنوه، وجلس حسين على جسر بغداد ودعا القوات المسلحة الى الخضوع لعبد الله. وأرسل محمد من السجن الى حسين يقسم

بانه لن يطالب بالملك، وجل ما يريده، ابقاوه حيا واعطاوه أمواله. فتأثر الفرس وقالوا، انه قد ظلم. لذا أطلقوا سراحه وأجلسوه على عرشه، فخاف حسين، لكن محمدا أقسم انه لن يأخذه على جريرته، لا بل دخل عليه وقدم له خاتمه وسأله ادارة شؤون الدولة، فظن حسين ان ذلك خدعة فهرب عند هرثمة، فأرسل اليه محمد بأقسامه، وبالرغم من ذلك فقد حاربوه وقتلوه.

لقد ظن العصاة المسلمون انهم اذا احتلوا مدينة رفيقا، فسوف لن يقيم الفرس في الجزيرة بعد، فأشاروا الى نصر وبقية المتمردين ان يقبلوا بني قيس ويتجهوا اليهم. فحطوا الرحال في قالينيقوس وانتشروا في بيوت المسيحيين وكبدوهم نفقات باهظة، وكان يدير مينة رفيقا، قود بن عيسى. ولدى محاصرتهم اياها، أخذ الذين في الداخل يزحمون الذين في الخارج بحجارة المنجنيقات. وكان البطريرك قرياقس وأوسي اسقف الرها مسجونين فيها، ومن شدة الجوع أكلوا خبز الرز والبقول، ثم عقد صلح هش، حيث سيطر الكوفيون على قالينيقوس، وسيطر الفرس على رفيقا.

لما رأى المأمون ان الكثيرين انفصلوا عن أخيه محمد، أرسل القائدين هرثمة وطاهر وأخضعا البلدان له. وفي بغداد حدثت ضجة كبرى وانقسم أهلها فئتين، وكانوا يدخلون الى خزائن الامراء وينهبون الذهب والمتاع، وأحياناً كانوا يقتلون بعضهم بعضا من اجل الغنائم. ونظرا الى فقدان الاحجار في بغداد، فقد كسروا أعمدة الكنائس وقذفوها بالمنجنيقات. فطلب محمد الى هرثمة ان يبقيه على حياته وأمواله، فأقسم له، الامر الذي أغضب طاهرا، فأقام حراسا ولحقوا بالامير محمد وهو يهرب ليلا في زورق، فرمى نفسه في النهر وسبح ونجا واختفى في بيت قطان، فعثروا عليه هناك وقتلوه، وعلق رأسه على رمح وطيف به في المدينة. تمت هذه الاحداث سنة ١١٢٤ ي.

في هذه الفترة، احتل مريبة مقصيف وربيب الجنويين، وساما أهلها المساكين مرّ العذاب، فجاء نصر واستولى عليها وانتزعها منهما وقتلهما، ثم اتجه وعباس نحو التنوخيين الحالين على نهر القويق بالقرب من حلب، وأسسا مدينة هناك من دون سور نظرا الى وسعها، غير انها كانت تعج بالجيش والتجار، ولم يفلح ابناء حلب في احتلالها. وبعد قتالهم مع بني قيس مدة عشرة أيام، كلّ التنوخيون، فرحلوا ليلا الى قنسرين دون ان يشعر بنو قيس والحلبيون الذين نهبوا بيوتهم وقصباتهم الكبرى الغنية وخربوها وبقيت كذلك حتى يومنا هذا. ان هذا الشعب يستحق ما حدث له، لانه مثلما ترك ايمانه من اجل شيء زهيد، هكذا ترك أمواله وخرج حافيا وعاريا وخائبا. واذ أبدى هرثمة حزنا لموت محمد، أرسله المأمون الى خرسان وأمر بقتله هناك، وعين حسن قائدا للجيش بدلا منه. فغار رفاق هرثمة ودخلوا الحمام وقتلوا قاتل هرثمة، فأمر المأمون بإعدامهم جميعا.

سنة ١١٢٦ وصل طاهر على راس ٢٤ ألفا الى قالينيقوس ففرح المسيحيون، واستغرب العصاة، وخضع بعضهم وسلموا اليه مناطقهم. أما نصر فلم يخضع، وقتل عاملا و ٢٠٠ رجل، فاجتاز القائد محمد الفرات لمقابلة نصر، وحيث انه لم يعط فرصة ليرتاح الجيش هُزم، وقتل مع عدد كبير، واذ وصلت أنباء الهزيمة الى عيسى أخذ يعذب العصاة ويقتلهم، ولم يذعن لطلب طاهر بعدم إلحاق الأذى بهم. ولما رافق طاهر المسلمين الى الحرب، يصحبه عشرون رجلا فقط، فاجأه نصر وبالكاد استطاع النجاة، وقتل رجلان ممن أنقذوه، ولما التقى الفرس بمعسكر المسلمين، فتكوا بهم دون رحمة، ولم يكن طاهر يحبذ القتل، فمزق ثيابه وطرح عمامته، وبذلك هدأت الحرب مع العرب.

في هذه الفترة كثرت في العالم النكبات والكوارث، أما المؤمنين فكانوا مرتاحين نسبيا. غير ان جماعة ابيرام (ابراهيم) الضالة الذي رسمه المتمردون بطريركا، لم يدعوا البطريرك قرياقس يرتاح، حيث كانوا يقبلون عندهم كل قاتل او زاني او شرس تبسله الكنيسة، كما سمحوا

للكهنة المتزوجين للمرة الثانية بالخدمة، وسمحوا للقسس والشمامسة بتعدد الزوجات. وكانوا يغررون بالسذج، وقد غرروا بالبقية الباقية من التوخيين. ولمّا كثرت مصادمات المشرقيين مع البطريرك كما ذكرنا في الفصل السابق، اضطر الى تثبيت دانيال مطرانا للموصل، وأصدر منشورا هذا نصه:

المنشور الذي أصدره البطريرك قرياقس ومطارنته للمشرقيين

قرياقس برحمة الله، بطريرك الكرسي الرسولي الانطاكي وسورية، والاساقفة الذين معي. اجتمعنا في الموصل في آب عام ١١٢٨ ي للنظر في النزاع الذي نشب بين جماعة دير مار متى والاساقفة والمجموعة التي والتهم من مدينة الموصل وضواحيها، وبين التكارتة الموجودين في الموصل لسبب ما. ورغبنا في التوسط من اجل السلام والوفاق، فدرسنا الاسباب التي قدّمها الطرفان، فأهملنا التافهة منها، ونظرنا في الاخرى وقررنا ما هو لصالح السلام وترسيخه. فقد وجه التكارتة بعض التهم الى الاسقف دانيال طالبين التحقيق فيها وإدانته. أما جماعة دير مار متى والموالون لهم، فلم يقبلوا إدانته حتى ولا ان تطرح تلك الاتهامات للمناقشة حباً بالسلام، وطالبوا بذكر اسمه كمطران في كنائس التكارتة في الموصل، وهو بدوره يخضع كليا لكرسي تكريت الاول الموقر أسوة ببقية الاساقفة في ابرشيات المشرق. ولا يحق له "كمطران" ان يمارس أياً من صلاحيات الكرسي الاول المذكور. كما لا يحق لمطران تكريت، بسبب أولويته، ان يتصرف في اي من أبرشيات الجهة الشرقية من دون إرادة الاسقف المسؤول عن إدارتها، ولا يحق له ان يرسم اسقفا لأي من الكراسي التي تحت نفوذه، دون موافقة مطران دير مار متى وأساقفة الابرشية، بحسب ما تقضي قوانين الكنيسة. وفي الوقت نفسه، يجب على الاساقفة ان ينظروا اليه كرئيسهم والمتقدم بينهم، ويلبوا اذا دعا، ولا يأتوا شيئا ضد ارادته، كما لا يأتي هو شيئا دون موافقتهم. ولما تدعو الحاجة ويزور أحدهم، يجب ان يستقبل بما يليق من

الكرامة. وقد أوعزنا الى مار دانيال ان ينسى كل ما أساء به التكارتة اليه. ولا يفكر بالانتقام عما حدث خلال فترة النزاع، ما لم تكن الاساءة من نوع لا يمكن لمقترفها التهرب من القضاء، مثال ذلك: ان يترك الرجل امرأته ويتزوج بأخرى، او يتزوج أخرى الى جانب زوجته، او يخطف زوجة رجل آخر او يفسق او يزني او يقتل. هذا ما ناسبناه وأمرنا به ترسيخا للسلام المحبب الى الله، وتثبيتا لسلطة الكرسي البطرسي.

وعليه، فاننا نأمر الجانبين التقيد بها (القرارات)، ولا يجوز لأحد ان يلغي أيا منها. وليبق من يثير الاحقاد، خارج الحظائر الكهنوتية حتى يتوب، وكذلك من يتجاسر ان يرفع دعوى كنسية لدى القضاة اي السلطات المدنية. ولكن بالرغم من هذه القرارات فان السلام لم يتحقق بين الجانبين. وفي غمرة هذا الجهاد، وافى الأجل البطريرك قرياقس في الموصل في ١٩ آب سنة ١١٢٨، ونقل جثمانه الطاهر على متن زورق الى تكريت مدينة آبائه، خدم البطريركية ٢٤ سنة، ورسم ٨٣ اسقفا. لم يمسك بيده ذهبا او فضة طيلة فترة رئاسته، كان طاهرا نفسا وجسدا، اجترح عدة معجزات، كما كان غيورا ومتصلبا. ونظرا الى حرصه الشديد على حفظ القوانين الرسولية، فقد كان في صراع مستمر مع المعتدين على الشريعة. أمضى حياته بمرارة. له كتاب عقائدي وآخر يتضمن رسائل رائعة.

فصل

في عهد المأمون أمير المسلمين، ومقتل لاون ملك الروم. وملك ميخائيل الثاني. وعقد مجمع الاساقفة في قالينيقوس بخصوص عبارة "الخبز السماوي". ورسامة البطريرك المؤرخ ديونيسيوس

بعد وفاة البطريرك الطوباوي قرياقس، اجتمع الجبيون مع القورسيين، وقالوا لأبيرام الى مَ نبقى محرومين ومفصولين عن الكنيسة لاتفاقنا معكم في ما يخص عبارة "الخبز السماوي". فها هوذا البطريرك الذي كان يحاول رفعها قد رُفع، لذا نود العودة الى الكنيسة ورفع الحرم عنا في سورية ومصر. فأجاب أبيرام اللعين مخادعا: ونحن بدورنا قاسينا وشتمنا بسببكم لكي لا تلغى عبارة "الخبز السماوي" في عهدنا. وأنتم تعلمون ان قرياقس قد سقط في بدعة يوليان وأنكر الثالوث لانه لم يحبذ ذكره خلال كسر الخبز. ولكن لنتريث قليلا حتى ينصّب رئيس اساقفة. فاذا قال هذه العبارة ولو لمرة واحدة، ليحرمني الثالوث ان لم اتنازل عن الزعامة وأعتزل. واذا ادعيت الرئاسة فبإمكانكم حينذاك ان لا تعتبروني مسيحيا. قال ذلك ظنا منه ان الاساقفة سوف لن يختاروا للرئاسة سواه، واذا فعلوا انقسموا فيما بينهم واستمروا منشقين وكانت له عصابة من المعاونين لتنظيم أموره. وبمثل هذا الكلام أخمد حماس المسيحيين.

لما رأى الاساقفة ان الجبيين عكروا صفو الكنيسة في الغرب، وعكره باسيل التكريتي والماتيون في الشرق، اجتمعوا في قالينيقوس في حزيران ١١٢٩ ليكونوا تحت حماية القائد طاهر، وبلغ عددهم ٤٥ اسقفا، وأرسل الذين لم يحضروا موافقتهم، وحضر أبيرام وعصابة الرهبان وحلوا في فندق، وفاوضوا الاساقفة بصورة غير مباشرة بخصوص عبارة "الخبز السماوي" وحيث كان يوجد بين الاساقفة من يأخذ بها، أعطوا الخيار لمن يشاء ان يستعملها أولا يستعملها، ووفقوا بين باسيل التكريتي والاساقفة الماتيين.

صورة الوثيقة التي أصدرها المجمع المقدس المنعقد في مدينة قالينيقوس، وحضره اساقفة من كافة المناطق الخاضعة للكرسي الرسولي الانطاكي

في حزيران عام ١١٢٩ اجتمعنا باسم الله القادر على كل شيء، بحسب النظام الكنسي وتبادلنا المشورة الرسولية كما يجب. ودرسنا الاسباب التي أدّت الى نزاعات ما زالت تمزق وتنهش أعضاء الكنيسة وتسبب انشقاقات بين صفوف المؤمنين في كل مدينة ومنطقة. فقد أمعنّا في دراستها بكل تعقل، وقررنا بروح واحدة وبوحي الروح، ان سبب غياب السلام هو النزاعات التافهة والآراء غير الناضجة حول عبارة "الخبز السماوي" التي هي حياتنا والنسمة التي تحيي النفس، اتخذها محبو الشغب سببا لإثارة الفتنة إشباعا لرغباتهم الشريرة. ومن اجل ان نجمع الى رأي واحد جميع الاعضاء الذين انفصلوا عن الكنيسة بشكل او آخر، ونضمهم الى جسد المسيح، فقد أجمعنا بروح واحدة، على ان هذه العقيدة هي بلا شك شفاء للاعضاء الذين جرحوا. فلا يعود أحد من الآن وصاعدا يخاصم الآخر بأي شكل كان. واننا نقرر ونؤكد، وبحسب الوصايا الرسولية، ان يرجع كل واحد الى ضميره، ويهتم ببناء ذاته بمقتضى وصية الرسول الذي يوصي بان لا يهتم أحد بذاته فقط، بل برفيقه أيضا. فما تفكرون به لذاتكم، فكروا به لأخوتكم أيضا. فمثلما لا نريد ان يعارض أحد ما نراه صحيحا بالنسبة الى هذه العبارة، هكذا نحن أيضا لا نعارض الذين يختلفون عنا فيها. لذا وبمقتضى كلمة الحياة التي منحها الرب لرسله القديسين، نقرر عدم مخاصمة أحد أخاه من الآن وصاعدا بخصوص عبارة "الخبز السماوي" بأصراره على ان تستعمل او لا تستعمل. لانه في مثل هذه الحالة لا بد ان يلام أحد الطرفين. ومثلما راعى آباؤنا الأول الذين ساسوا كنيسة الله، كلّ واحد لكي يربحوا الكل، وعالجوا النزاعات بحكمة وترو، هكذا نرى نحن أيضا الرأي نفسه باعتبارنا أبناء تقواهم، فنتبع خطواتهم في الادارة الروحية، اذ لا سبيل آخر لمعالجة الوضع الراهن. فاذا ما سبب أحدهم خصاما من هذه الناحية، ولم يحترم تحديد

الآباء القديسين، يعزل ويجرد من نعمة رئاسة الكهنوت، ان كان اسقفا ويُذله مجتمعنا، واذا كان كاهنا أو شماسا يعزل ويجرد من رتبته. واذا كان راهبا او علمانيا، يمنع من شركة الاسرار المقدسة، ومن الاختلاط مع المؤمنين.

واذ نشكر لطف الله بنا، نقول: ان ما فعلناه هنا هو إكرام لقونين الكنيسة ونظم آبائنا. ونحن واثقون من ان كنيسة الله سارت منذ الاجيال الاولى بوفاق دون اي نزاع. فاذا قال جانب شيئا، سكت الآخرون فلا يتنازعون او يستهين أحدهم بالآخر بسبب ذلك، حتى أيامنا هذه. وقد قررنا ان يحرق بالنار كل ما كتب عن هذه العبارة، سواء أكان مؤيدا لها أم معارضا. فلا صلاحية لأي كان ان يكتب بهذا الخصوص، ونحن لم نعثر على أي شيء يدل على ان الاولين أثاروا هذا الموضوع، دون ان نشك، بأي شكل كان، في ان جسد ابن الله المقدس الذي نتناوله من المذابح المقدسة، ليس خبزا سماويا محضا وعمليا. بل نؤمن بهذا ونحرم كل من لا يؤمن مثلنا بأن الخبز الذي نتناوله من المذابح هو خبز سماوي بحسب تعليم البطريرك القديس سويريوس، كما نحرم كل من يقول انه ليس جسد اقنوم الله الذي أخذه من مريم، وصار ذبيحة على الصليب، او يقول انه يكسر لكي يكفي لشركة كثيرين................. وللمصادقة وقعنا نحن الاساقفة بالاجماع في رسالة ايليا اسقف حران الى البطريرك ديونيسيوس بهذا الصدد. فيجب فحص هذين الرأيين فحصا دقيقا وحقيقيا.

لم يهدأ أهل بغداد من محاربة بعضهم البعض. فترك حسن الذي كان المأمون قد أرسله بغداد وسكن الكوفة. واذ شعر القرشيون واهل بغداد بان الحكم سينتزع من آل هاشم. لان المامون بعيد وطاهر في الجزيرة، وحسن في الكوفة، أتوا بابراهيم بن المهدي وأقاموه أميرا. فتأهب حسن لمحاربة أهل بغداد. ولما علم طاهر في قالينيقوس بتملك ابراهيم، اتفق مع المتمردين، فأجزل العطايا على بعضهم، وعين البعض الآخر حكاما. فعين ابراهيم القريشي في حران. وسمح للوثنيين ان يذبحوا

علنا، وأقام عبد العلي حاكما في الرها، ووضع عليهم ضرائب باهظة، حتى اذا ما طمع بقرية ما، أثقل كاهل أهلها بالضرائب لكي يضطروا الى بيع القرية فيشتريها بأبخس الاسعار. وصمم على طرد الرهاويين من مدينتهم وتوطين قبيلة السليمانيين فيها. ولما اشتكى اليه الشعب من تصرفات الذين ينزلون في بيوتهم سواء في المدن أم في القرى. أجاب: لماذا تتذمرون منا ايها المسيحيون، فقد كنتم تستثمرون هذه الارض في عهد الروم، في حين ان آباءنا كانوا تائهين في البرية يرعون الجمال والماشية. ونحن حررنا هذه الارض من يد الروم بسيفنا. فلِمَ تتضايقون من تسليمها الينا وابعادكم عنها. اخرجوا من أمامي، واصبروا على زمانكم وافعوا الجزية واسكتوا. فغادروا مكتئبين.

لقد غض طاهر النظر عن المآسي التي ارتكبها العصاة، وأقام سورا لمدنة رفيقا في قالينيقوس، وشغف بمطالعة الفلسفة، فتوهم العصاة بان موقف طاهر هذا جاء خوفا منهم، فتمادوا في أعمال السرقة والابتزاز ليس بالنسبة الى المسيحيين فحسب، بل والمسلمين ايضا. الامر الذي اضطر المسلمين الى مقاومة أولئك اللصوص وطردهم. فاتفق نصر وعباس وتوجها الى الحيرة لمقاتلة عثمان، فجمع ضدهما حشدا كبيرا فلم يفلحا في القبض عليه. فتوجه عثمان الى طاهر وحثّه على مقاتلة العصاة، او على مدّه بجيش ليقاتلهم، حيث كان يعتمد عليه. وكان طاهر يفشي ببعض الامور لنصر وعباس بقصد إعاقة السلام في هذه المناطق، لئلا ينقل الى مصر. واذ شعر عثمان بهذا أرسل الى المأمون يخبره بأن طاهرا متفق مع العصاة، فقبض على مراسله. فلما علم عثمان بذلك، وعرف ان العداوة التي يكنّها لكل من طاهر ونصر وعباس قد انكشفت، فجمع هو الآخر عصاة وأخذ يسرق وينهب. يقول ديونيسيوس: كان عثمان يحبني لذا عاتبته بمحبة وقلت له: كيف تخرج للنهب والسلب وانت شيخ عاقل؟ فأطلعني على كل ما كان يجري بينهم. هذا وان مملكة الروم هي الاخرى كانت في دوامة من الاضطرابات.

ففي عام ١١٣٢ ثار القائد ميخائيل على لاون ملك الروم وقتله وتسلم السلطة. فمثلما خلع لاون سلفه ميخائيل عنوة، هكذا خلعه ميخائيل هذا الاموري من العرش والحياة.. لما علم نصر المتمرد بقدوم المأمون الى بغداد، دعا كاتبه المسيحي المثقف، فوجه رسالة الى القائد عمنوئيل يبدي رغبته في التحالف مع الروم، فأرسل اليه الملك ميخائيل وفدا، فلما علم نصر بوصول الوفد الى كيشوم، أخبر المتمردين باعتزاز بموضوع وفد الروم، فامتلأوا غيظا وقالوا: أتريد ان تجحد وتغضب الله؟ وبمثل هذا الكلام سمموا أفكاره، فقتل أعضاء الوفد، وتم فيهم المثل الريفي **"من سعى وراء ما لم يفقده، وجد ما لا يطيب له"**.

في هذه الفترة، حدث شغب بين الروم بسبب رجل يدعى توما، ادّعى في ايام هرون، بانه ابن قسطنطين وطلب اليه تزويده بجيش لينقذ البلاد، لكن هرون، ولئن لم يستجب له، نظر اليه نظرة احترام على اعتبار انه ابن ملك. فلما مات هرون، استدعاه المأمون، وأرسله على راس جيش ليحتل مملكة الروم ويسلّمها اليه، او على الاقل يثير فيها القلاقل عن طريق الحرب. وكان توما ساحرا، يدعي انه يرى رؤى. فذهب وحاصر العاصمة وشدد عليها الخناق مدة ستة أشهر. فتعهد الملك ميخائيل الاسرى المسلمين بالاطلاق، ان هم حاربوا المتمرد، فوافقوا وهزم المتمرد والتجأ الى أحد الحصون، فطاردوه وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وعلقوه على رمح. والى مثل هذا المصير انتهى توما بن موسمار. غير ان الملك نكث بعهده ولم يطلق المسلمين.

لما طارد طاهر قائد جيش المسلمين العصاة، ظن المسيحيون انهم سيتنفسون الصعداء. لكنه ضاعف عليهم الجزية، وأساء الى أبناء سروج والرها. وكان يحجب حقوق رفاقهم، فاتفقوا على اغتياله، واذ شعر بذلك رمى بنفسه من السور ليلا وهرب الى قالينيقوس، فخاف رفاقه ان يطاردهم نصر فهربوا هم الآخرون، فتحرر الرهاويون من أعباء قاسية.. فيما كان الفرس ينهبون كلما يصادفونه، اذا بالغضب يأتيهم ممثلا بنصر

وزملائه، اذ كانوا يقبضون على خمسين خمسين او مئة مئة ويذبحونهم ذبح النعاج بعد ان يستولوا على أموالهم. ثم صعد نصر مع العصاة لينهبوا الرها، فشنوا عليها حربا، فصعد الرهاويون على السور، وكانت النساء تنقل الحجارة الى السور ليقتل بها الرجال، والذين لم يستطيعوا الصعود على السور، لازموا الصلاة، وكنت أحدهم - يقول ديونيسيوس التلمحري - وكان بودهم ان يتغلب الفرس على المسلمين لئلا يسيطر العصاة على المدينة، فأشفق الرب وجندل عمر أحد العصاة فتراجعوا مخذولين.. سيطر الافغان نصر وعباس على الغرب، وأذاقا الناس مرّ العذاب، وأخيرا تصدى أحدهما للآخر بفعل الخمرة، فكان كل منهما يدعي متبجحاً بانه هو الاقوى. فضرب وقتل عددا كبيرا منهم، ثم استسلموا له. وسيطر أصفك على شميشاط وأقام فيها، فدخل عليه ابن عمه نَشب وقتله وأفراد أسرته، وحكمها هو اسوة ببقية العصاة.

- الفهرس -

المقال التاسع:

المقال العاشر:

المقال الحادي عشر:

المقال الثاني عشر: